

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية

عقائد النورسية

"عرض وتقويم"

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

(رسالة ماجستير)

إعداد الطالب

علي عامر محمد بقنه ال ثابت

إشراف

د. عبد الراضي محمد عبد المحسن

العام الجامعي

١٤٢٨- ١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) [النساء:١]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) [الأحزاب: ٧٠ –٧١]، أما بعد:

فإن التأسي والاقتداء بخاتم الأنبياء والمرسلين، سيد ولد آدم أجمعين، نبينا ورسولنا محمد ﷺ هو رأس مال المسلم، وعنوان محبة العبد لربه كما قال سبحانه: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [آل عمران:٣١]

وهذا الاتباع لسيد البشر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هو الطريق الموصل للعبد إلى رحمة الله ورضوانه وجنته **(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ)** [التوبة:٢١]

ومن مقتضيات هذا الاتباع عدم الخروج على السنة النبوية النقية، فلا يحكم رأيٌ ولا ذوقٌ ولا أعرافٌ، دون شرع الله تعالى. وإلا فإن الله قد حكم عليه بالكفر والظلم والفسوق في ثلاث آيات من سورة المائدة [٤٤، ٤٥، ٤٦].

فالإسلام قد بلغه نبينا محمد ﷺ كاملاً غير منقوص، وافياً غير مبخوس، قال عز وجل:**(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً)** [المائدة: من الآية٣].

وبعد وفاة النبي انتقل واجب التحمل والبلاغ إلى علماء الأمة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم إلى التابعين، فمن بعدهم. فخلف هؤلاء العلماء ثروةً عظيمةً من ألوف المؤلفات في المسائل والنوازل والأحكام الشرعية المختلفة العائدة إلى حفظ الضرورات الخمس على رأسها حفظ دين الناس من التبديل والتحريف والتشويه، حتى أن الناظر في مآثرهم ليعجب مما آتاهم الله من علم وعمل وبصيرة وفهم يقطع بعدم وجود نظير لهم، وكان ديدن أولئك الأفذاذ هو إرجاع الأمة إلى مصدريها في التشريع الكتاب والسنة. سواء كانت المسائل في الأمور الاعتقادية أو التعبدية السلوكية أو الفقهية. فهذا الإمام الشافعي يقول: "إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت"[1] والإمام أحمد يقول: "من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة"[2] ويقول: "لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا"[3] بهذا الهدي المبارك كانت الأمة تعيش طلاقة فكر وحسن تأصيل، دون تعصب مذموم أو انفلات مشؤوم.حتى بليت الأمة في عصورها المتأخرة بقفل باب الاجتهاد، وتعطيل باب الفكر. فانطلت الأباطيل التي تخالف صريح الكتاب والسنة على كثير ممن ينتسب للعلم الشرعي ـــ فضلاً عن العوام ـــ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولما سقط هذا الرجل المريض " الخلافة العثمانية" تقاسمت الدول المحتلة هذه التركة، وغرست الفرقة بين أبناء المسلمين، وفرضوا " اللادينية" على هذه الجماهير المغلوبة على أمرها، وأبعدوا الدين عن الدنيا، بل حرموا التعامل به في حياة الناس.

ولكن هذه الطاقة الكامنة في قلوب الفئة المؤمنة لم تنطفئ ، فبدأت الحركات الإصلاحية – بما في كثير منها من أخطاء وبدع– تنادي في كل مكان: لابد من العودة للإسلام بصفائه، ونقائه، وحيويته، على منهاج النبوة. وكانت دعوة"بديع الزمان النورسي" [١٢٩٣- ١٣٧٩هـــ] في تركيا خلال القرن الرابع عشر الهجري من تلك الدعوات. وهي ما تُسمى بـــ " جماعة النور " وتشتهر في خارج تركيا بـــ"النورسية" .

[1] مناقب الشافعي: ٤٧٢/١.

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٤٣٠/٣.

[3] أعلام الموقعين: ٢٠١/٢.

وإنه لمن المهم أن تتجه الدراسات والبحوث إلى هذه الدعوات الإصلاحية العلمية الدينية لا في أحدائها الدينية، وجانبها الفقهي فحسب، كما درجت عليه أغلب الدراسات فيها، ولكن بالأخص في أصولها العقدية والعلمية، التي قامت عليها، وفي منهجها العلمي الذي تحركت به لتجعل تلك الأصول حياة عملية للناس في مختلف مناحي تصرفهم ونشاطهم، ويستمد البحث في هذه الجوانب أهميته البالغة من عظيم الفائدة التي تحصل بالتعمق في فهم ما كان يجري في البلاد الإسلامية من جدلية مستمرة بين القيم الإسلامية التي يجعل منها الدعاة والمصلحون قوام دعوتهم الإصلاحية، وبين ما تجري به حياة الناس أحيانًا كثيرة من خرق لتلك القيم وانحراف عنها.

وإن تلك الأهمية لتتأكد بالنظر إلى واقع المسلمين اليوم، فقد تنامى في الأمة الإسلامية منذ زمن، الاقتناع بوجوب تحكيم الإسلام في حياة الناس تحكيمًا شاملاً. — خاصة لما ظهر لكثير ممن انخدع منهم بالقوانين المستوردة ، فشل تحكيم هذه السبل الشرقية والغربية — ولكن هذا الاقتناع يلقى عند تنزيله منزلة التنفيذ ألوانًا شتى من الصعوبات والعراقيل التي اكتُسِبَت من طول البعد عن الشرع المطهر — في كثير من الدول الإسلامية — والتي قد تؤول هذه الصعوبات والعراقيل بذلك الاقتناع في غياب الحكمة الربانية إلى دروب من الانحرافات والأخطاء قد تكون مؤدية إلى البوار من حيث أُريد لها التأدي إلى الفلاح.

ومن أهم ما يُكسب الحكمة في هذا المجال، المزيد من التأمل في الدعوات الإصلاحية السابقة — كدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — وأئمة الدعوة من بعده — فإنها ما هدفت إلا إلى ما تهدف إليه تطلعات المسلمين اليوم من تنزيل القيم الإسلامية على واقع الحياة في البلاد الإسلامية جمعاء، وترجمة العلم بالدين إلى عمل تجري به هذه الحياة، وإن في الكشف عن خطط ذلك التنزيل ، وقواعد هذه الترجمة بما فيها من عناصر القوة وعناصر الضعف، وما اشتملا عليه من دواعي النجاح وأسباب الفشل لخير منير لطريق المسلمين اليوم في توقهم إلى تأسيس حياتهم على أُسس من الشرع المتين.

ولقد شدني إلى دراسة سعيد النورسي ودعوته "النورسية" ، ووطد عزمي أن أجعله موضوعًا لهذه الدراسة أمور هذه أظهرها:

أولاً: ما قام به من تجربة في التحرك، بما اكتسبه ووعاه من علم ودين، ليجعله بديلاً في واقع حياة المجتمع التركي الذي كان في طريقه للسقوط في العلمنة الأتاتوركية.

وقد كانت تجربة "سعيد النورسي" تلك من تنزيل رؤيته الإصلاحية منزلة الواقع، تجربة من العمق والثراء بحيث يجد الدارس فيها مجالاً خصبًا لاستكشاف كثير من عناصر الحكمة، والوقوف أيضًا على بعض الأخطاء والنقائص التي سقطت فيها تصرفات "سعيد النورسي" أثناء انغماره في حركة التغيير، ومن ثمّ تصرفات " جماعة النور " من بعده.

ثانيًا: الانتشار الكبير لأتباع "سعيد النورسي" في تركيا، حيث يُعد أتباع هذه الجماعة بالملايين، إضافة لحضورهم القوي في الواقع الجماهيري، متمثلاً بآلاف المدارس داخل تركيا وخارجها، وبالصحف والمجلات والدوريات، حيث تمتلك "جماعة النور" أوسع صحيفة يومية إسلامية في تركيا ، حيث توزع يوميًّا ما يُقارب ثلاثمائة ألف نسخة، ولهم وكالة أنباء خاصة تسمى "جيهان" بالإضافة إلى قناة فضائية تمثل الجماعة تسمى "سمان" وهي قوية من جانبها التقني ، دون الجانب أو المحتوى المعرفي والشرعي[1].

ثالثًا: تبصير التوجه السلفي الحديث الذي بدأ ينمو بشكل محدود في المجتمع التركي، ويعاني من مضايقات حادة من كثير من الجهات لاسيما طوائف الصوفية المتعصبة. فضلاً عن العلمانيين الحاقدين، ولزوم هذا الإيضاح يتصل من الإسلام بحبل وثيق، وهو من واجب النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فليس هذا المسلك أجنبيًّا في الدين، بل له نظائر في الشرع الحنيف، دأب على بيانها أهل العلم في القديم والحديث.

رابعًا: تميز أسلوب "النورسي" في مؤلفاته خاصة عند تناوله الشبهات الواردة على الإسلام أو الآيات الكريمة أو الأحاديث النبوية، سواء من جهلة المسلمين، أو من شياطين المستشرقين، فالرسائل تردها جميعًا دون الذكر الصريح للشبهة إلا فيما ندر، وقد جاء بيان ذلك المنهج في رسالة "المعجزات القرآنية" ، وهذا الأسلوب في الرد على الشبهات والشكوك ، هو خلاف ما دأب عليه المتكلمون.

وبهذا سدت الرسائل سُبل انتشار الشبهات والأوهام بين الناس. وقد ألف "رسالة الطبيعة" لمناقشة الملاحدة، وردًّا على الزندقة التي لاحظها عندما دُعي إلى أنقرة سنة

[1] قام الباحث بزيارتهم في وكالة الأنباء وفي القناة الفضائية ، وقد اطلع على كثير من أعمالهم في داخل تركيا وخارجها.

١٩٢٢م، وألف "رسالة الحشر" ردًّا على مَن أنكر اليوم الآخر، وأثاروا الشبهات حوله، وألف "رسالة المعجزات الأحمدية" عندما سمع أن البعض يُشكك في تلك المعجزات.

خامسًا: عدم وجود دراسات عقدية على ضوء عقيدة السلف الصالح حول هذه الجماعة – حسب اطلاعي – وقد دُرست آراء "بديع الزمان النورسي" في التفسير بجامعة الإمام "محمد بن سعود " الإسلامية قسم القرآن وعلومه، عام ١٤٠٦هـ [وهي رسالة ماجستير مقدمة من الطالب بيرم صالح سوزري] . وبُحثت "الآراء التربوية عند بديع الزمان النورسي" بجامعة أم القرى بكلية التربية – قسم التربية الإسلامية عام ١٤١٨هـ [وهي رسالة ماجستير مقدمة من الطالب سعيد محمد مصلح القرني].

مع أن طلاب قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة أولى بدراسة هذه الجماعة، من حيث أنها قامت على الأصل العقدي الفكري، قبل أن تكون جماعة تُعنى بأساليب التربية وطرق التعليم.

وهذه الدراسة تُركز اهتمامها بدراسة النورسي ودعوته في الجانب العقدي، ذلك الذي كان متقومًا ببنية إيمانية كانت هي الشغل الشاغل له تنظيرًا وشرحًا واستدلالاً ليقيم على أساسها كامل خطته في الدعوة والإصلاح.

وسأحاول جاهدًا "بإذن الله تعالى" أن ألتزم المنهج النقدي المقارن، فأعمد قدر الطاقة إلى جمع الوجوه المختلفة عند دراسة الحادثة أو الفكرة، والمقارنة بينها لاستجلاء ما يُرجح أنه الحق فيها، باحثًا عن الأسباب ما أمكن ، جاهدًا في بحث شخصية "النورسي" وآراءه وتأثيراته أن يكون بحثًا متكاملاً مرتبطة أجزاؤه ببعضها ارتباطًا يُبين عن حقيقة ما كان من التفاعل بين هذه الشخصية وهذه الآراء، وبين الواقع التركي الذي عاش فيه، واجتهد في تغييره.

وقد كانت خُطة البحث كالتالي:

عقائد النورسية "عرض وتقويم"

المقدمة : أهمية الموضوع وأسباب اختياره والخطة والمنهج المتبع.

وأما **التمهيد**: فيشمل:

المبحث الأول: نبذة عن سعيد النورسي: [نشأته وحياته العلمية والدعوية].

المبحث الثاني: النورسية نشأتها ومراحلها.

الباب الأول: مصادر التلقي عند النورسية ونهجهم في الاستدلال. وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الكتاب والسنة. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من الخبر.

المبحث الثاني: موقفهم من العقل.

المبحث الثالث: التأويل والتفويض.

المبحث الرابع: الجفر.

- ماهيته ومصدره
- أهميته في التلقي عندهم

الفصل الثاني: علم الكلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الاستعانة بأدلة المتكلمين.

المبحث الثاني: علم الكلام الجديد.

الفصل الثالث: التصوف.

المبحث الأول: الاصطلاحات الصوفية.

المبحث الثاني: الكشف والإلهام.

المبحث الثالث: الرؤيا.

المبحث الرابع: رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته.

الفصل الرابع: الفلسفة وفيه مقدمة وثلاث مباحث:

المبحث الأول: المعنى الظاهر والباطن عند النورسية.

المبحث الثاني: استدلالهم بأدلة الفلاسفة في إثبات الصانع.

المبحث الثالث: الفلسفة المشّائية.

الباب الثاني: أصول الإيمان عند النورسية وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالله. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وجود الله تعالى وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلتهم على وجود الله تعالى.

الفصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الأول: أدلة إثبات اليوم الآخر.

المبحث الثاني: أشراط الساعة.

المبحث الثالث: الجنة والنار.

الفصل السادس: الإيمان بالقدر.

المبحث الأول: تقريرهم للإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: دراسة لبعض مسائل القدر.

المطلب الأول: مذهبهم في الكسب.

المطلب الثاني: مذهبهم في الإرادة.

المطلب الثالث: تردد "النورسية" بين أهل السنة والمتكلمين.

الباب الثالث: مسائل الإيمان عند "النورسية". وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: ماهية الإيمان وتعريفه.

الفصل الثاني: العلاقة بين الإسلام والإيمان.

الفصل الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

الفصل الرابع: مذهبهم في مرتكب الكبيرة.

الخاتمة: الخلاصة ونتائج البحث.

الفهارس العامة.

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس الأعلام.

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة.

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس المحتويات.

منهجي في البحث:

١- اعتمدت في استخلاص عقيدة جماعة "النورسية" على كلام وآثار مؤسس الجماعة بديع الزمان سعيد النورسي. حيث لا عبرة عند "النورسية" بغير كتب سعيد النورسي وهذا متفق عليه بينهم على اختلافاتهم السياسية والحزبية[1].

٢- ركزت أثناء التأصيل على كتب السلف خاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، فكنت أجمع منها الاستدلالات والشواهد والفوائد مما يخدم البحث. ومع ذلك فقد اطلعت على كتب العقائد المسندة كالشريعة للآجري، وكتاب اللالكائي، والإبانة لابن بطة العكبري، والسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لابن أبي عاصم، وغير ذلك مما توفر لدي.

٣- لم ألتزم بطريقة واحدة في العرض فقد أبدأ بذكر مذهب أهل السنة والجماعة في المسألة ثم أعقب بعد ذلك ما أراه في كتب النورسية، وأحياناً أبدأ بذكر الأقوال في كتب النورسية، ثم أثني بمذهب أهل السنة والجماعة. وقد أكرر كلام النورسي في أكثر من مسألة لدلالتها على المراد. وقد أكثرت من النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لأسباب كثيرة منها: أنهما مرضيان عند النورسية.

٤- بدأت بمقدمة في بعض الفصول دون بعضها. إذا احتجت لذلك.

٥- حرصت على توثيق المسائل والمعلومات، بالنقل تارة، وبالاقتباس تارات، فإن كان حرفياً وضعت له علامة تنصيص فإن احتجت إلى حذف شيء من النص وضعت نقاطاً للدلالة على ذلك، وإن نقلت مختصراً أو أردت الإحالة للتوسع كتبت في الهامش: انظر.

٦- عند تخريج الحديث أذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث إن كان من البخاري، أو مسلم، وأبي داود، أو الترمذي، والنسائي، أو ابن ماجة، أو الدارمي أو موطأ مالك، وما عداها أذكر الجزء والصفحة فقط كالمسند والمستدرك، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي به عن غيره.

٧- أذكر المرجع في الحاشية باسم الكتاب فقط ـــ والجزء إن وجد ـــ والصفحة، وأذكر المرجع ـــ أحياناً ـــ بما اشتهر كتفسير ابن كثير، وصحيح البخاري، وفي فهارس المصادر والمراجع أضع بياناً كاملاً عن الكتاب.

---

[1] انظر التمهيد من هذا البحث.

٨- أترجم لغير المشهورين من الأعلام ـــ وإن كانت هذه مسألة نسبية ـــ وإذا تكرر ورود اسم المترجم له فإني أحيل إلى فهرس التراجم.

٩- أشرح ما يحتاج إلى شرح من غريب الحديث أو الألفاظ الغريبة مع ذكر مصدرها.

١٠- ما يكون في الحاشية من الأعلام فإني لا أترجم لهم. وكذا الأماكن والطوائف والفرق لا أعرف بها في الحاشية.

١١- قمت بعمل فهارس توضيحية وهي كالتالي:

ـــ فهرس للآيات. راعيت فيه ترتيب الآيات والسور كما في المصحف الشريف.

ـــ فهرس للأحاديث.

ـــ فهرس للآثار المخرجة في البحث مراعياً الترتيب الهجائي.

ـــ فهرس الأعلام المترجم لهم، مراعياً الترتيب الهجائي.

ـــ فهرس الموضوعات.

أخيراً فإني أحمد الله تعالى وأشكره على ما يسر لي من دراسة هذا الموضوع وإتمامه، مع ما فيه من تقصير وصفه الإمام أبو إسحاق الشاطبي في الاعتصام: "فالإنسان وإن زعم في الأمر أنه أدركه وقتله علماً لا يأتي عليه الزمان إلا وقد عقل فيه ما لم يكن عقل، وأدرك علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك، كل يشاهد ذلك من نفسه عياناً"[1].

فالكمال لله وحده، ولكن حسبي أني بذلت جهدي واستفرغت ما في وسعي، فإن أكن قد وفقت فمن الله ـــ جل جلاله ـــ ذي القدرة المحيطة والمكارم المبسوطة، والحمد لله ـــ جل جلاله ـــ على هداه،وإن أكن قد أخطأت أو قصرت فمن الشيطان ونفسي المقصرة وقدرتي المحدودة المنحسرة، والحمد لله على كل حال،

وبعد شكر الله تعالى أشكر لوالدي الكريمين حسن تربيتهما وكريم عنايتهما، ثم الشكر والتقدير لصاحب الفضيلة شيخي وأستاذي الدكتور / **عبد الراضي محمد عبد المحسن** الذي أسدى إلي نصحه وتوجيهاته في تواضع جم، وأدب رفيع، فأسأل الله تعالى أن يبارك في علمه وعمله، وأن ينفع به، كما لا يسعني إلا أن أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين بالرياض، وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

---

[1] الاعتصام: ٣٢٢/٢.

ثم الشكر لكل من أعانني على إتمام هذا البحث من مشايخي وأساتذتي وإخواني من طلاب العلم ومحبيه.

والله من وراء كل عبد وقصده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

الطالب

علي بن عامر محمد بقنه آل ثابت

التمهيد ويشمل:

المبحث الأول: نبذة عن سعيد النورسي:

أولاً: نشأته (الناحية العلمية والاجتماعية والفكرية في عصره.)

ثانياً:حياته العلمية والدعوية.

١- حياته الشخصية والعلمية.

٢- رسائل النور ومكانتها عند طلاب النورسي

٣- سعيد النورسي من خلال رسائل النور

المبحث الثاني: النورسية نشأتها ومراحلها.

المبحث الأول: نبذة عن سعيد النورسي:

أولاً: نشأته (الناحية العلمية والاجتماعية والفكرية في عصره.)

ثانياً:حياته العلمية والدعوية.

١- حياته الشخصية والعلمية.

٢- رسائل النور ومكانتها عند طلاب النورسي

٣- سعيد النورسي من خلال رسائل النور

المبحث الأول: نبذة عن سعيد النورسي:

أولاً: نشأته

الناحية العلمية

لمعرفة واقع الدولة العثمانية العلمية والاجتماعية لابد من الوقوف على ثلاثة عناصر هي:

١- **وثائق الدولة العثمانية**: وهي مكتوبة بلغات عديدة أهمها التركية والعربية واللاتينية، وهذه الوثائق محفوظة في دور حكومية ممتدة في أوربا وأفريقيا وهناك على سبيل المثال في استنبول ما يقرب من (١٥٠) مئة وخمسينَ مليون وثيقة، لم تُدرس بل لم يصنف منها إلا عدد قليل جداً.

٢- **المخطوطات التي تكشف عن تاريخ مناطق كبيرة**:وهي تحوي وحدات إدارية عثمانية.

٣- **القوانين العثمانية للبلاد العربية**: مثل قانون نامة مصر، وقانون نامة طرابلس الغرب، وقانون نامة بغداد[١].

ويلاحظ أن المستوى التعليمي في الأمة الإسلامية بدأ يتردى بشكل ملحوظ حيث بدأت طلائع الانحطاط في القرن التاسع الهجري وكثر فيه الجماعون والمختصرون والشارحون من المؤلفين[٢].

ومع حاجة الأمة للعلم الشرعي الصحيح والعلم الدنيوي النافع إلا أن الأمة

---

[1] انظر العثمانيون في التاريخ والحضارة: ٢٩٧ – ٢٩٩ محمد حرب: دار القلم. دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٩.
ولأهمية مثل هذه المخطوطات والوثائق والمؤلفات التي تفيد الباحث في دراسة وفهم أوضاع الدولة العثمانية وأوضاع المناطق التي كانت تابعة لها في بلاد العرب والعجم ومعرفة جهود المسلمين خلال القرون الماضية قامت مراكز بحث علمية تُعنى بهذا الشأن، فهم يقومون باستخراج تلك الوثائق ومن ثم ترجمتها إن كانت بالعثمانية أو اللاتينية أو التركية الحديثة كاملة أو بعضاً منها حسب طلب الباحث. وهناك مراكز تختص بمكتبات استنبول ومنها مكتبة السليمانية المشهورة والباحث يقدر أهمية هذه المراكز إذا علم أن تلك المكتبات الكبيرة غير مفهرسة فيكون من العسير جداً على الباحث أن يصل إلى مراده.

[2] انظر خطط الشام ٤٩/٣. محمد كرد علي. دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٠.

الإسلامية "قد غفت غفوة طويلة امتدت قرنين من الزمان إن لم يكن أكثر. تقابل من تاريخ أوربا قرنيها الثامن عشر والتاسع عشر قرني الصعود الأوربي نحوَ السيطرة والتمكن، والتقدم العلمي والحضاري والمادي"[1].

وقد كان الصوفية من أعظم عوامل الانحطاط في هذا العصر، الصوفية التي "فرقت بين الدنيا والآخرة، وتدعو إلى إهمال الدنيا. بحجة تزكية الأرواح من أجل الآخرة، وتهمل بالتالي عمارة الأرض، على أساس أن الاشتغال بها يثقل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها ومن ثم أهملت كلَّ العلوم المتصلة بتلك العمارة، واعتبرتها نافلة تستطيع الأمة أن تستغني عن أدائها بلا ضير[2]". بل إن كثيراً من العلماء رأى أن العلوم العصرية مضلة للأمة صادة عن الحق، خاصة ما كان مجلوباً من الكفار كما أن العلوم الشرعية نفسها في القرون المتأخرة كانت على غير هدى سلفنا الصالح فقد تأثرت بعلم الكلام المذموم.فتقلص طلب الناس لهذه العلوم؛ فتفشت الأمية في المسلمين. وقد كانت العلوم الشرعية تلك جامدة منذ خمسة قرون. يقول الشيخ محمد قطب ــ حفظه الله ــ " جمدت العلوم الشرعية على صورتها التي كانت تدرس بها قبل خمسة قرون على الأقل بما كان قد دخل فيها من غزو فكري إغريقي، ومن علم كلام لا يغني ولا ينفع، فوق تحويل دراسة العقيدة إلى معضلات ذهنية باردة معقدة تفرغ العقيدة من محتواها الحي وتحويلها إلى قضايا فلسفية مثيرة للجدل بغير نتيجة ولا غاية! .

ومع ذلك كله فقد تحول الطلاب إلى حفظة لا مفكرين يتعالم الواحد منهم بقدر ما يحفظ من المتون والشروح والحواشي، ولكنه لا يفكر بنفسه، ففقد العلماء أصالة العلم وأصبحوا مجرد نقلة مقلدين"[3].

وهذه الشروح والحواشي بولغ في اختصارها فاحتيج بعد ذلك لشرح عباراتها. فأصبحت غالبيةُ المؤلفات شرحاً لمختصر أو تعليقاً أو شرحَ الشرح. يقول أبو الحسن الندوي: " وهذه الحواشي والتقريرات والتلخيصات التي ضن فيها مؤلفوها على القرطاس،

---

1 واقعنا المعاصر ص ١٧٤. محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر الطبعة الثالثة ١٤١٠ جدة.

2 واقعنا المعاصر: ١٧٥ ، وانظر المنار ٥٥٢/٣ .

3 واقعنا المعاصر: ١٧٥.

وتعمدوا التعقيد والغموض. وكأنهم ألفوها في صناعة الاختزال، وكل ذلك ينبئ بالانحطاط الفكري والعلمي الذي حل بالعالم الإسلامي وتغلغل في أحشائه"[١].

لذا فقد انتشرت الكتب التي تخالف معتقد السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم ومثال ذلك كتب التفسير. حيث انتشرت كتب أهل الرأي كالكشاف للزمخشري وتفسير البيضاوي وتفسير الفخر الرازي وتفسير الخازن وتفسير النسفي وتفسير أبي السعود. وأغلبها مشحون بتأويلات المتكلمين.

يقول محمد شكري الألوسي[٢] عن كتب التفسير في العصور المتأخرة: " إن من طالع كتب التفسير المتداولة بين الأيدي اليوم وجدها أعظم مانع من الوقوف على مراد الله تعالى بكتابه الكريم، فإن منها ما هو مشحون بقواعد النحو ووجوهه، فتراه يذكر في كل آية من الوجوه ما يفوت الحصر، ومنها ما هو مشحون بالمسائل الكلامية. والقواعد الحكمية، حتى يصرف الآيات إلى ما أصله من الأصول، ويؤول النصوص القطعية إلى ما يوافق معتقده.

وانظر إلى تفسير الرازي والبيضاوي وأبي السعود تعلم حقيقة هذا الكلام.

فتفسير الخازن مثلاً، وهو أكثر كتب التفسير تداولاً، وأعظمها انتشاراً بين عامة المسلمين وطلبة العلوم الشرعية، خير ما يقال فيه إنه مجموعة من الأكاذيب، ولو جرد ما فيه من الأحاديث الموضوعة، والإسرائيليات والقصص الكاذبة لكانت فوق نصف الكتاب، وبعد ذلك فأشياء إن لم تضر لم تنفع. وهو مع ذلك العمدة لعامة المسلمين، وأكثر طلبة العلوم الشرعية.

ولقد رأى أن نسخه التي نُشرت في مصر لا تقل عن مئة ألف نسخة، فصد بواسطتها عشرة أضعاف هذا العدد من المسلمين عن الحق، ويلحق بتفسير الخازن تفسير أبي السعود وأما تفسير البيضاوي والزمخشري فلو جمعت الحواشي والشروح عليهما لربت على الألف مجلد. من حل الرموز والطلاسم المبثوثة فيهما، والمبالغة في توضيح غوامضهما وفوق ذلك

---

[1] انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ١٦٨ أبو الحسن الندوي. دار القلم. الكويت. الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٠ لا يوافق الباحث على تعميم هذا الوصف، حيث أن بعض المختصرات كانت لتسهيل العلوم للمبتدئين.

[2] محمود شكري شهاب الدين الألوسي، مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح حمل على أهل البدع ولد ببغداد، مات سنة ١٣٢٤هـ. انظر الأعلام: ١٧٢/٧ خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٧.

اشتمالهما على مسائل كثيرة خارجة عن التفسير بالمرة، لا ترتبط به بوجه من الوجوه، كالمسائل الكلامية التي حشيا بها كتابيهما، وهي ليست من فن التفسير ولا من متعلقاته، وإنما كان الغرض من ذكرها بيانَ معتقديهما والاستشهاد لهما بكتاب الله تعالى[1].

وهذه التفاسير التي يحذر منها العلامة الألوسي هي ــ غالباً عمدة كثير من علماء الشرع ــ آنذاك .

ومن صور الانحطاط العلمي التساهل في منح الإجازات العلمية حيث أصبحت الإجازة تعطى بالمراسلة حيث لا يعرف الشيخ طالبه الذي أعطاه الإجازة، ولا يقال إن هذه سمة العلماء في ذلك العصر، بل هو أمر انتشر كثيراً بين العلماء والطلاب. يذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار[2] أن الشيخ خالد النقشبندي[3] ــ من زعماء الصوفية في القرن الثالث عشر ويعتبر من مشايخ سعيد النورسي ــ أمر تلميذه الشيخ هداية الله الأربيلي بقراءة الورقة الأولى من كل كتاب مع التدريس، فقرأ ذلك على الشيخ، ثم أجازه بجميع العلوم النقلية والعقلية مع تدريس كتبها الدقيقة[4].

وكذلك ما يرويه المؤرخ التركي أحمد جودت باشا[5]: "وصار أبناء الصدور والقضاة ينالون وظيفة التدريس وهم أحداث، ويترقون لذلك في الوظائف حتى صارت المراتب والمناصب العلمية تؤخذ بالإرث، فسهل على الوزراء ورجال الدولة تقليدها لأبنائهم وغيرهم، فازدحم عليها الغوغاء، وصار الجهال يموج بعضهم في بعض"[6].

---

[1] انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني ٧٨/١ – ٨٣ بتصرف.محمد شكري الألوسي. المطبعة العربية. لاهور١٤٠٣.

[2] عبد الرزاق بن حسن البيطار الدمشقي، عالم بالدين، ضليع في الأدب والتاريخ، من دعاة الإصلاح في الإسلام، توفي عام ١٣٣٥هـ - ١٩١٦م، انظر الأعلام: ٣٥١/٣.

[3] خالد بن أحمد بن حسين أبو البهار النقشبندي، صوفي، المشهور أنه من ذرية عثمان بن عفان توفي بدمشق بالطاعون عام ١٢٤٢هـ ــ ١٨٢٧م. الأعلام: ٢٩٤/٢.

[4] انظر حلية البشر ١٥٧٩/٣عبد الرزاق البيطار. ت محمد بهجت البيطار. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق ١٣٨٠. وانظر ما جرى بين السنوسي والشيخ سليم العطار محدث دمشق .

[5] أحمد جودت باشا بن إسماعيل بن علي: مؤرخ تركي من الوزراء، له أشتغال بالعربية. ولد وتعلم في مدينة (لوفجة) التابعة لولاية الطونه، وسكن الأستانة فاستكمل فيها دراسته. ولي الوزارة والصدارة المؤقتة ثم نظارة العدلية وتوفي بالأستانة عام (١٣١٢هـ – ١٨٩٥م) انظر الأعلام ١٠٨/١ .

[6] انظر المنار ٧٤٨/١ .

ومع ذلك لم يخل الأمر من جهود حثيثة ترفع عن الأمة الجهل وتردها إلى سابق عهدها من العلم والدعوة والجهاد ليُفيد منها العباد و البلاد. فهذا السلطان محمد الفاتح

أنشأ ما يُسمى بـــ (مدارس صحن ثمان)[1]. وكان ذلك في القـــرن التاســـع والعاشـــر الهجريين.

وافتتحت مدارس السليمانية في عهد السلطان سليمان (ت – ٩٧٤ هـــ)[2].

وكان القصر الهمايوني السلطاني ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- الحرم: يعني عائلة السلطان وخادماقما وهو جزء مستقل.

٢- بيرون همايون.

٣- أندرون همايون.

وأندرون همايون، عبارة عن جامعة خاصة داخل القصر، ظلت أربعة قرون كمدرســـة فنية تمد الدولة العثمانية بكبار الموظفين من العسكريين والمدنيين. وظلت هذه المعدله معمولاً بها حتى عهد السلطان محمود الثاني عام ١٨٣٣ م[3] (١٢٤٩ هـــ).

ومن ذلك ما يذكره د. محمد حرب من سبق العثمانيين الغرب في مجال الاكتـــشافات الجغرافية فيقول: "كتب بيرى رئيس القائد البحري العثماني عن كروية الأرض قبل رحلـــة ماجلان. ورسم خرائط لأمريكا مع سواحل غرب أفريقيا. ورسم خرائط لشمال أفريقيـــا وسواحل البحر المتوسط الأخرى، وأتم ذلك بدقة قال عنها لاروش الفرنسي في كتاب صدر عام ١٩٦٣م: إن هذا أمر يعلو ويفوق كثيراً على علم الجغرافيا في ذلك القرن وعلى علـــم الجغرافيا لدى الغربيين.

وفي كتاب " عربات الآلهة" لمؤلفه أريك فون دانكين حديث مشوِّقٌ عن خرائط القائد البحري العثماني بيرى: "سلمت خرائط بيرى في السنة الجيوفيزيقية عام ١٩٥٧ إلى الراهب

---

[1] لما افتتح السلطان محمد الفاتح مدينة استنبول حول ثمانيًا من الكنائس الموجودة فيها إلى مدارس، سميـــت مـــدارس صحن ثمان، وهي تعتبر بمترلة الدراسات العليا. حيث كان المجاز منها يقوم بالوظائف العلمية والقـــضائية. انظـــر الأوضاع الثقافية في تركيا:" نقلاً عن الإدارة التعليمية في الدول العثمانية": ٥ . رسالة دكتوراة. سهيل صـــابان. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٥. مخطوط.

[2] نفس المرجع السابق والصفحة.

[3] انظر العثمانيون في التاريخ والحضارة: ٣٠٥ – ٣٠٦ .

الجزويتي[1] لينهام المشرف على دار الأرصاد الجوية في ويستون ورسام الخرائط في أسطول الولايات المتحدة الأمريكية، وقام لينهام بدراسات دقيقة لهذه الخرائط ثم أعلن أنه وجدها صحيحة بدرجة مذهلة للعقل، خاصة أنها تظهر بوضوح أماكن لم تكن قد اكتشفت حتى تلك الأيام، أما الجانب المذهل في الموضوع هو ظهور جبال انتاركتيكا[2] التي تظهر بكل تفصيل في هذه الخرائط، وذلك لأن هذه الجبال لم يمكن اكتشافها إلا بالأجهزة العاكسة للصوت عام ١٩٥٢م"[3] .

وكان المستوى العلمي في الدولة العثمانية كما في غيرها من الأقاليم الإسلامية متواضعاً وقد اكتشف العثمانيون ذلك بشكل يقيني في هزيمة كارلوفجا"[4]عام١١١١هـ(١٦٩٩م) فبدأت بالاهتمام بالعلم وسعت حثيثاً للاستفادة من العلوم الحديثة لغاية عسكرية بحتة. فقد سبقت المدارس العسكرية المدارس المدنية بنحو نصف قرن.

ومن أهم ما تضمنه الجانب التعليمي فصل المدارس عن المشيخة الإسلامية عدا المدارس الابتدائية، وسميت المدارس القديمة "بالمدرسة"، وما أنشئ من مدارس حديثة سميت "المكتبة" وقد أدت هذه الثنائية في التعليم إلى صراع حاد بين نموذجي التعليم. وقد كانت الغلبة للمدارس الحديثة لأسباب منها:

- قصر مدة التعليم.

---

[1] نسبة إلى مذهب الجزويت وهي فرقة يسوعية تنتشر في أوربا بصفة خاصة. وتسعى للقضاء على الإسلام، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان: ٦٤٢/٢. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر الطبعة الثالثة ١٤١٨. الرياض.

[2] هي القارة السادسة التي تقع في نصف الكرة الأرضية الجنوبي ومساحتها ١٤,١٠٧,٦٣٨ كم^2 .انظر موسوعة السياسة: ٣٣٩/١. عبد الوهاب الكيالي وآخرون. المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٧. بيروت.

[3] انظر العثمانيون في التاريخ والحضارة: ٣٠٨ .

[4] هي الهزيمة التي أدت إلى معاهدة كارلوفجا التي عقدت في مدينة كارلوفجا (من أعمال صربيا الآن) بين الدولة العثمانية وروسيا وألمانية وبولونيا والبندقية وبعض الدويلات الصغيرة. وبموجب هذه المعاهدة تنازلت الدولة العثمانية عن ٣٥٦,٠٠٠ كم^{2}من أراضيها. تحدث بعض المؤرخين الفرنسيين أن عام ١٦٩٩م من أهم الأعوام حيث انتقلت الهيمنة الشرقية إلى أوربا. انظر دائرة المعارف التركية ٣٤٤/٢١ (نقلاً عن الأوضاع الثقافية). ومن مدينة كارلو فجا الكاتب ميروسلاف كارليجا أشهر الكتاب اليوغوسلافيين ما بين الحربين العالميتين. انظر موسوعة السياسة: ٣١/٥ .

- تعليم اللغات الأجنبية.
- الإطلاع على العلوم الحديثة.
- وفرة فرص التوظيف، والحصول على رواتب عالية، بالإضافة إلى المستوى الاجتماعي المرموق[1].

الناحية الاجتماعية

كان للأعمال التي جرت في عهد السلطان محمود الثاني، والتي اتسمت بفتح الأبواب أمام الغرب ودعاته وأفكاره آثارٌ سلبية بعيدة في المجتمع التركي. أدت مع مرور الأيام إلى ابتعاد كثير من الناس عن الإسلام وقيمه.

حيث بدأ في عهده شرب المسكرات في المراسم، وتعليق صور السلطان في دوائر الدولة. وفرض أداء التحية لصورة السلطان، وكذلك أداء التحية لذاته[2]، وكان عصر السلطان محمود الثاني تمهيداً لما أطلق عليه التنظيمات العثمانية[3]. حيث خلف السلطان عبد المجيد أباه السلطان محمود الثاني فأصدر قوانين مشابهة لقوانين أبيه، فأصبحت مظاهر تقليد الغرب بين المسلمين بادية في أحياء استنبول.

وخرجت صور الأزياء في الجرائد التركية. ومن أبرز قوانين التنظيمات المساواة الكاملة بين المسلمين والكفار في الحقوق والواجبات. فلم يعد الكفار يتميزون عن المسلمين بلباس خاص كما كان في السابق وأدخل أبناء الكفار الكليات العسكرية وكليات الطب.

وعندما استولى أتاتورك على الحكم أوهم العامة من المسلمين أنه لا يريد التسلط بحزبه

---

[1] انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ١٣ – ١٤ .

[2] انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ٢٨.

[3] هي مجموع ما يسمى بالإصلاحات التي حاولت السلطة العثمانية القيام بها لمعالجة التفكك المتزايد في بناها وقوانينها وكان ذلك في عام ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ)، في عهد السلطان عبد المجيد. وقد نص هذا المرسوم على المساواة بين كل رعايا السلطنة على اختلاف دياناتهم. وفصل القضاء الجزائي عن الشرع الإسلامي. وتكرر تأكيد هذه القوانين عام ١٨٥٦م. وعندما جاء السلطان عبد الحميد بحل البرلمان وألغى معه "التنظيمات" ، انظر الموسوعة السياسية: ٧٩٣/١ .

- انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ٢٨ – ٢٩ .

على مقدرات الشعب فأوهمهم بتشكيل أحزاب عديدة تمثل اتجاهات الشعب. وأنها ستكون حياة نيابية، وحرية دستورية على غرار الحياة الأوربية التي افتتن بها هذا الهالــك. فأســس "حزب الشعب الجمهوري" وأمر أعداءه بالانضمام إليه. وكان شعار الحزب ستة أسهم كل سهم يرمز إلى معنى من المعاني التالية: جمهوري ــ قومي ــ شعبي ــ علماني ــ تقدمي ــ ثوري. ولتكتمل الصورة قام بالإيعاز إلى علي فتحي أوقيار وهو سفير بفرنــسا أن يقــوم بتشكيل حزب صوري للمعارضة أطلق عليه اسم "الحزب الحرّ" وقد انضم إلى هذا الحزب بعض أعوان أتاتورك. إلا أنه لم يدم طويلاً حيث قام أوقيار بجولة حزبية في أزمير فاســتقبل استقبالاً كبيراً ومزقت صور أتاتورك. وحينها قام أتاتورك الهالك بحل الحزب وإنهاء فكــرة المعارضة. أما معارضة سعيد النورسي فلم تكن ذات بال عند السياسيين حيــث أغلقــت المدارس الدينية والصحف، وحد من حركة النورسي، وسجن لبعض من الوقت[1].

ولمعرفة طبيعة حركة المجتمع بعد إلغاء الخلافة يحسن بنا أن نعرف القوانين التي أصدرها أتاتورك محاداة لله ورسوله، وخروجاً عن شرعه.

- ففي عام ١٩٢٢ م (١٣٤١هـ) تم إلغاء السلطنة العثمانية.
- وفي عام ١٩٢٣ م (١٣٤٢هـ) أعلنت الجمهورية وانتخب مصطفى أتاتورك أول رئيس للجمهورية.
- وفي عام ١٩٢٤ م (١٣٤٣هـ) تم:

• إلغاء تدريس الدين وألحقت المدارس جميعاً بوزارة المعارف وأغلقت مدارس القرآن الكريم والدين.
• إلغاء الخلافة وإخراج جميع أفراد العائلة العثمانية الحاكمة إلى خارج الحدود.
• إلغاء وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والمحاكم الشرعية.

- وفي عام ١٩٢٥ م (١٣٤٤هـ) تم:

• إعلان الأحكام العرفية في الولايات الشرقية.

---

[1] انظر التاريخ الإسلامي: ٤٨/١٧ – ٥٠.

- إلغاء التقويم الرومي المستعمل واستعمال التقويم الأوربي واستعمال الأوقات حسب الساعات الزوالية.
- اشتراك النساء المسلمات لأول مرة في حفلة رقص في منطقة تقسيم باستنبول[1].
- إقرار الزي الأوربي: قانون القيافة، ولبس القبعة وتكشف النساء[2].
- إصدار قانون غلق جميع الزوايا والتكايا وإجبار موظفي المساجد على ارتداء الزي الأوربي ولبس القبعة.

– وفي سنة ١٩٢٦ م تم:

- إلغاء النكاح الشرعي. ووضع النكاح الوضعي. وبهذا القانون حُرّم التعدد.
- وأُلغي مهر المرأة، وحرم على الزوج الطلاق. وأصبحت المرأة حرة في أن تتزوج مسلماً أو كافراً، كما فرضت المساواة بين الرجل و المرأة في الميراث.
- القبول بالقانون المدني الأوربي ـــ الترجمة الحرفية للقانون السويسري والإيطالي ـــ وعده القانون التركي للجزاء. وإلغاء كافة الأحكام الشرعية.
- نصب تمثال أتاتورك في استنبول.

– وفي سنة ١٩٢٨ م تم:

- إلقاء أول خطبة للجمعة بالتركية.
- حذف كلمة (الله) من القسم الذي يؤديه رجال الدولة. وحذف جملة "دين الدولة الرسمي الإسلام" .
- اتخاذ الأرقام الأوربية بدلاً من العربية.

---

1 وقد كانت المرأة العثمانية محافظة على حجابها ولا تجالس الرجال. وكان الخمار منتشراً في استنبول وكان للحكومة اهتمام بالمحافظة على الآداب العامة، حيث حدث من وقوع اختلاط الرجال بالنساء في المنتزهات العامة: انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ٢٧ .

2 كانت القبعة رمزاً للغرب ودينه. فكان لبسها ولبس الصليب شيئاً واحداً. لذا كان قادة حروب الاستقلال يستنهضون همم الناس للقتال فيقولون: إن الكفار قادمون سيجبرونكم على لبس القبعة ويدوسون على القرآن وسيعتدون على أعراض زوجاتكم وأمهاتكم وبناتكم، فقد جعلوا لبس القبعة مثل إهانة المصحف الشريف والاعتداء على الأعراض. لذا فضل رجال العلم والمتصوفة أن يسيروا حاسري الرؤوس. واختار بعضهم الهجرة حتى لا يلبسوا القبعة. فاستغل اليهود الفرصة فاستوردوا عشرات الآلف من القبعات القديمة من فرنسا، وباعوها في تركيا بأضعاف مضاعفة انظر "سعيد النورسي رجل القدر": ١٣٩/١٤٠. أورخان محمد علي شركة نسل للطباعة أستنبول. الطبعة الأولى ١٤١٦.

- إقرار الحروف اللاتينية بدلاً من العربية المستعملة.
- إغلاق تسعين مسجداً في استنبول.

- وفي سنة ١٩٢٩ م فرض الحظر على قراءة القرآن وكذا الكتب الدينية.
- وفي سنة ١٩٣٠ م منح المرأة المشاركة في انتخابات البلديات.
- وفي سنة ١٩٣٢ م تم:

- قراءة القرآن المترجم إلى التركية.
- إلقاء خطبة الجمعة بالتركية في جامع السليمانية باستنبول.
- فرض الأذان والإقامة بالتركية وحظرهما بالعربية. وكذا حظر المصحف بالعربية.
- اشتراك المسلمات التركيات في مسابقات الجمال.

- وفي سنة ١٩٣٤ م (١٣٥٣هـ) تم:

- منح المرأة حق المشاركة في الانتخابات العامة.
- منع ارتداء ملابس معينة.

- وفي سنة ١٩٣٥ م (١٣٥٤ هـ) تم

- جعل يوم الأحد عطلة الأسبوع بدلاً من الجمعة.
- تحويل مسجد أيا صوفيا إلى متحف بعد إغلاقه مدة من الزمن وتحويل مسجد الفاتح إلى مستودع (كما صدر قرار بفرش المساجد بالكراسي واستخدام "الأورج" فيها حيث تتم تلاوة القرآن بمصاحبة الموسيقا، إلا أنه لم ينفذ).

- وفي سنة ١٩٤٠ م (١٣٥٩ هـ) تدريس الإلحاد رسمياً في معاهد القرى[1].

لقد كانت تلك السنوات حافلة بالأحداث العاصفة في تركيا، فكأن زلزالاً رهيباً ضرب البلاد من أقصاها إلى أقصاها فالسلطة الحاكمة آنذاك تريد أن تقلب كل شيء وأن تغير كل شيء ... عقيدة الأمة وتراثها، عاداتها وتقاليدها، ملابسها وحروف كتابتها، أعيادها وأفراحها وأيام عطلاتها. لقد كانت تريد سلخ جلد الأمة التركية ولصق جلد صناعي غريب ومستورد من الخارج بجسدها كل ذلك تحت شعار "المنجزات الثورية" والتي لم تكن في

[1] انظر تفصيل ذلك في السيرة الذاتية: ٢١٣ – ٢١٦ . بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع سوزلر للطباعة والنشر. استانبول. الطبعة الأولى ١٤١٩.

الحقيقة إلا مظهراً لهبوط فكري مخيف، وتقليداً مضحكاً ومبكياً في الوقت عينه[1].

ومن الآثار الاجتماعية السلبية:

١- دخول مظاهر الحياة الغربية في الحياة التركية المعاصرة، وفي مناسبات عديدة، فالفرح يكون عقده بحلقات الرقص والغناء وتقديم الخمور، وفي العزاء يقومون بوضع الزهور على القبور وتعزف الموسيقى الخاصة بالعزاء أثناء الدفن. وغير ذلك مما كان مستهجناً عند المسلمين؛ لأنه من دين الكفار.

٢- تقسيم المجتمع إلى طبقات: يكره بعضها بعضاً فكان الفصل التام بين الفقراء و الأغنياء سواء في المعيشة أو حتى طريقة التفكير. فأصبحت الطبقة الغنية تمثل المجتمع الغربي في علاقاتها الاجتماعية. وتنظر لغيرها نظرة دونية. مما ولد الحقد في قلوب الفقراء فأصبح المجتمع غير متماسك بسبب ذلك التمييز البغيض.

٣- الدعوة لتحديد النسل: حيث شوهت صورة الأسر التي يكثر فيها الإنجاب، و لم تعد المرأة الولود مطلباً عند الرجل ــ إلا من رحم الله ــ .

٤- منع تعدد الزوجات رسمياً: والاقتصار على زوجة واحدة. مهما كانت الظروف ومن يخالف ذلك يتعرض لعقوبة السجن. لأنه خالف القوانين الرسمية. في حين أنه إذا ضبط وهو متزوج يزني، فإن قانونهم يحميه ولا يعاقبه لأن هذه الجريمة كانت برضا الطرفين !.

٥- انتشار القمار: الذي يؤدي إلى أنواع من الجرائم والرذائل الأخلاقية. ويتم القمار في نوادٍ مخصصة لذلك. وقد انتشرت في طبقات المجتمع الفقيرة منه والغنية على السواء.

٦- انتشار أماكن بيع أم الخبائث (الخمور) وحانات شربها انتشاراً واسعاً. وإصدار التراخيص لمصانع الخمور للأفراد والمؤسسات الاقتصادية.

٧- انتشار البنوك الربوية انتشاراً كبيراً. حتى وصلت فروع تلك البنوك إلى القرى ذات الكثافة السكانية الكبيرة.

٨- انتشار النعرة التركية. وكان من أسباب ذلك إنشاء جمعية أطلق عليها "جمعية تدقيق التاريخ التركي" عام ١٣٤٩هـ التي خرجت بنتائج للشعب التركي أضلته عن سواء السبيل. فمثلاً زعمت أن الشعب التركي أقدم الشعوب، وأنهم منشئو أقدم حضارة عالمية.

[1] انظر سعيد النورسي رجل القدر: ١٣١ .

ونشر بعض العبارات القومية مثل "طوبى لمن قال أنا تركي" لذلك فقد قاموا بتتريك الأذان والقرآن الكريم فقطع على التركي المسلم الاتصال بأخيه المسلم باللغة العربية. فكانت أخطر قطيعة في تاريخ تركيا[1].

الناحية الفكرية

كانت الأوضاع السائدة في الدولة العثمانية من بداية القرن السابع عشر الميلادي سيئة للغاية.

و لقد كانت بداية الخلل منذ فترة متقدمة من تاريخ الدولة العثمانية،ففي عهد سليم الثالث:

حدثت تغييرات جذرية في الدولة. حيث كان الخليفة سليم الثالث يراسل قادة دول أوربا وبخاصة فرنسا، وذلك لأن ثقافته كانت فرنسية، من أجل الاستفادة من مظاهر الحضارة الزائفة عند الغرب. ومن ذلك جعل ما يسمى النظام الجديد على الجيش على الطراز الأوربي ـــ وإن كانت خطواته تلك سبقها خطوات لسليمان القانوني الذي لقب بالقانوني لاستحداثه القوانين الأوربية في الدولة ـــ . وقد بذل السلطان سليم جهوداً مكثفة في هذا التغريب مما جعل الانكشارية[2] يثورون عليه ويطالبون بعزله. وحتى تم عزله عام ١٨٠٧م (١٢٢٢هـ). ثم جاؤوا بالسلطان (مصطفى الرابع)، وما لبث أن عُزل وقتل بسبب قتله لسليم الثالث. ثم جاؤوا بالسلطان (محمود الثاني)[3].

وفي عهد السلطان محمود الثاني ١٨٠٨م (١٢٢٣هـ) [ابن عبد الحميد الأول. وأمه كانت فرنسية] قام بإدخال ما يسمى بـ (التنظيمات) أو (الإصلاحات) التي فتحت المجال أمام المثقفين الثائرين لنشر أفكارهم، وجعل لما يقولونه من التغريب مصداقيةً عند النخبة من

---

[1] انظر لهذه الآثار من: الأوضاع الثقافية في تركيا: ٣٠٨ – ٣١٤ .

[2] الانكشارية: نظام عسكري للمشاة في الدولة العثمانية، أسسه السلطان أورخان، قدم خدمات عديدة للدولة في أوائل عهدها ثم أصبح يمثل مشكلة ـــ عند السلاطين ـــ حيث أصبحت بيد مشايخ الطرق الصوفية وقد استطاع السلطان محمود الثاني تصفيته وأسس مكانه نظاماً عسكرياً حديثاً. السيرة الذاتية : ١٠٦.

[3] انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ٢٥٨/١ . د.عبد العزيز الشناوي مكتبة الأنجلومصرية القاهرة. مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠.

المجتمع العثماني. وهذه التنظيمات التي قام بها السلطان محمود الثاني مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: تم فيها الإعلان عن إقامة جيش جديد، وضرورة تعليم الانكشارية الأسلحة النارية للوقوف في وجه الأعداء وأكد أن التدريب سوف يقوم به أجانب مسيحيون مدعماً ذلك فتوى شيخ الإسلام بجواز ذلك. وأراد أن يكسر شوكة الانكشارية ومن خلفها من مشايخ الطرق وذلك بسياسة التحايل حتى إذا جاءته الفرصة مواتية قضى عليهم وكان القضاء على الانكشارية[1] قضاء على المجد الحربي للدولة العثمانية كما يقول البعض[2] ومن ثم كانت المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: تمت فيها خطوات جريئة حيث طورت المدفعية والبحرية والمصانع الحربية ونشرت الثقافة العسكرية ودعمها عن طريق البعثات، وافتتحت المدارس الحديثة والأخذ بفكرة التكامل في كل شيء.

وبهذه الخطوات قلل السلطان محمود كثيراً من نفوذ المشيخة الشرقية والعلماء الذين كانوا يستندون إلى الانكشارية في نفوذهم. وحدد اختصاصهم وتدخلهم في أمور الدولة. وبهذا ألقى أول بذور العلمانية في تاريخ الدولة العثمانية[3].

واستأنف سليم الثالث سياسة الإصلاحات على الطريقة الأوربية. فقد انتقلت إليه الكثير من أفكار الثورة الفرنسية، وأمر بوضع موسوعة للأمور التي لم يرد عنها ذكر في الكتاب والسنة ليجعلها في قوالب مستوردة من الغرب، وذلك بسبب قفل باب الاجتهاد. بل والمعاقبة عليه.وفي عهده انتشرت المدارس اليونانية والأرمينية والكاثوليكية انتشاراً واسعاً. وقد أرسل الشباب المسلم إلى لندن وباريس لتحصيل كل أنواع الفنون والمعرفة،واستخدمت الموسيقى في الجيش والحرس وأنشأ لهذا الغرض مكتباً ليمد الجيش بالموسيقيين[4] ويعتبر أرنولد توينبي أن ما حدث في عهد السلطان محمود الثاني أول تأثير غربي حقيقي على الدولة

---

[1] انظر الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ٢٥٥/١ .

[2] وكان ذلك في ١٣ – ١٤ يونيه سنة ١٨٢٦م، عندما أمر السلطان محمود قائده حسين الأسود بعبور البوسفور ودك ثكنات الانكشارية بالمدفع.

[3] انظر: الأوضاع الثقافية في تركيا: ١٧ – ١٨ .

[4] انظر حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ص ١٨٨ . د.محمد البحراوي دار التراث. القاهرة. الطبعة الأولى ١٣٩٨.

العثمانية[1].

وبعد موت السلطان محمود الثاني سنة ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ) خلفه ابنه عبد المجيد وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره وهو الذي بدأ طوراً جديداً فيما يسمى بالتنظيمات حيث كان من

بينها، احترام الحريات العامة والممتلكات والأشخاص بصرف النظر عن معتقداهم، ونص فيه

على مساواة جميع الأديان أمام القانون[2] كما يعتبر السلطان عبد المجيد أول سلطان عثماني يضفي على حركة التغريب الصفة الرسمية عندما أمر بتبني الدولة لهذه الحركة وأمر بإصدار فرمان التنظيمات عامي ١٨٥٤م ، ١٨٥٦م (١٢٧٠- ١٢٧١هـ). وبهذا بدأ عهد التنظيمات (تنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي) في الدولة بشكل رسمي واستبعد العمل بالشريعة، وبدأت الدولة تستلهم الفكر الغربي في التقنين وإقامة المؤسسات؛ في غياب العلماء، الذين تعتمد عليهم الدولة وذلك بسبب غلق باب الاجتهاد وطريقة التعليم آنذاك[3] حتى قال بعض الكتاب الأتراك: "وتخلو الإمبراطورية العثمانية طيلة ثلاثة قرون أو أربعة قرون من زعيم فكري أو مصلح اجتماعي كبير وأصيل فقد ترك المجال للدبلوماسيين السطحيين المنبهرين بالغرب، والمقلدين له فكانت النتيجة فقدان الروح، وضمور العقل، وذبول الإرادة، وعموم الشلل"[4].

---

[1] نفس المرجع السابق: ١٣٢.

[2] الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها: ٩٧/١ .

[3] انظر تاريخ الدول العثمانية: ١٨٦ د.علي حسون المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤١٥، قراءة جديدة في التاريخ العثماني : ٢٠٨ د.زكريا سليمان بيومي عالم المعرفة الطبعة الأولى ١٤١١، وعن إصدار السلطان عبد الحميد الثاني الدستور المنافي للشريعة، والمستوحى من الدستور البلجيكي، انظر تاريخ الشعوب الإسلامية: ٥٨٥ كارل بروكلمان، نقله إلى العربية نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار النفائس الطبعة الثانية ١٩٨١ بيروت.

وعن طبيعة هذا الدستور يقول محقق كتاب "عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده" لمؤلفه سليمان البستاني ، خالد زيادة: "إن هذا الدستور هو الحكم النيابي على الطراز الحديث، وهو أن تحكم الأمة نفسها بنفسها" ص: ٥٣ دار الطليعة الطبعة الأولى بيروت.

[4] انظر السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عصره: ٤٣ . أورخان محمد علي دار الوثائق. الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٧.

ويرجع بعض الكتاب تأثر الأتراك بالتغريب إلى الأسباب التالية:

١- تأثر موظفي السفارات العثمانية المبعوثين في عهد السلطان سليم الثالث (١٢٠٧ – ١٢٢٢هـ ، ١٧٩٢ – ١٨٠٧م). بالدول الأوربية حيث احتكوا بالغربيين مباشرة واطلعوا على منجزاتهم الصناعية.مما جعلهم حين عودتهم يدعون إلى الاقتباس الغربي.

٢- الجمعيات الفرنسية في كل من فرنسا واستنبول. حيث كانت تضم في عضويتها رجال المال والأدب والدبلوماسيين. والتي كانت بمثابة الأم الروحية لتركيا الفتاة. وهذا أحد أسباب تأثر المثقفين الأتراك بالثقافة الفرنسية بالذات.

٣- المدرسون الغربيون المستَقدَمين للعمل في المدارس والكليات العسكرية، حيث نشر هؤلاء المعلمون الأفكار الغربية بين الصفوة المختارة من المثقفين العثمانيين.

٤- ابتعاث الطلاب إلى الدول الأوربية مما أدى إلى توثيق الصلات بالغرب.

٥- المؤسسات التعليمية الأجنبية في استنبول، وبخاصة ثانوية (غَلَطَه سراي) الحكومية، التي أطلق عليها اسم المكتب السلطاني وكانت تحت إشراف الحكومة الفرنسية.فقد قامت هذه المؤسسة بتخريج (كوادر) إدارية ودبلوماسية واقتصادية تتخذ من الأيدلوجيات الغربية مصدراً لها فيما تتبناه من أفكار ومناهج وأساليب،وقد بدأت كتب الفلسفة الغربية تنتشر على نطاق واسع عن طريق تلك المؤسسات، ويعد كتاب (محاولات حكيمة) الذي قام بإعداده منيف باشا عام ١٢٥٩– ١٨٤٣ أول وثيقة مكتوبة لانعكاس الفلسفة الغربية في استنبول. فكان عهد التنظيمات عهد انتقال فلسفة ما يسمى بعهد التنوير الفرنسي إلى تركيا.حيث ظهر فيه ثلاثة من مفكري ذلك العهد بشكل خاص وهم روسو[١]، ومونتسكيو[٢] ،وفولتير[٣].[١]

1 جان جاك روسو (١٧١٢ – ١٧٧٨) كاتب وفيلسوف فرنسي قضى حياته متنقلاً من مذهب إلى مذهب وهو أول من هاجم المذهب الكلاسيكي في القرن الثامن عشر الميلادي من مؤلفاته (أميل) و (العقد الاجتماعي). انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: ٢٢٧ . نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل وآخرون دار القلم بيروت.

2 مونتسكيو (١٦٨٩– ١٧٥٥) مفكر سياسي اجتماعي فرنسي له عدة مؤلفات أشهرها (روح القوانين) الذي فسر أنظمة الحكم والملكية والدكتاتورية: موسوعة الفلسفة: ٤٤٨/٢ .

3 فولتير: كاتب ومفكر فرنسي له عدة مؤلفات أدبية وفلسفية ومسرحيات ينتقد فيها الكنيسة ويقول بأن الإله الذي يؤمن به لا يُعنى بالناس. انظر في موسوعة الفلسفة ٢٠١/٢ .

وفي عهد عبد الحميد الثاني أُصدر الدستور أو ما يسمى بالقـانون الأساسـي عـام ١٨٧٦م وهو ما يسمى بالمشروطية لكنه أوقف العمل به بعد أقل من سنتين، ولم يرجع إلا بعد ثورة الاتحاد التركي عام ١٩٠٨م حيث أعاد العمل به مرغماً. إلا أن ثـورة عارمـة تزعمها أئمة المساجد وبعض العلماء وطلاب العلم والدراويش وبعض ضـباط الالايـك خرجت في استانبول في ٢٢ ربيع الأول ١٣٢٧هـ في ميدان السلطان أحمد حيث انـضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى معلنين عصياناً عامّاً دام أحد عشر يوماً. وكان الجنود يهتفون نريد الشريعة نريد الشريعة إلا أن جيش حركة الاتحاديين أخمد هذه الثـورة، وأعلنت الأحكام العرفية، وعزل السلطان عبد الحميد[2] .

وبعد عزل السلطان عبد الحميد. كانت السنوات حافلة بالأحداث العاصفة بتركيا. فقد ألغي التعليم الإسلامي في المدارس بل وصل إلى تحريم الدروس الدينية، وأعلنـت علمانيـة الدولة، وليس ذلك بمعنى أن لا يتدخل الدين في مؤسسات الدولة بل منـع أي نـشاط أو فعالية في صالح الإسلام، فمنعت طباعة الكتب الإسلامية، وشنق العديد من العلماء الأجلاء بسبب رفضهم للانصياع لهذه القوانين التي اعتبرها المسلمون في تركيا كفراً وردة، ومُنعت قراءةُ القرآن حتى إن الأب كان يخشى أن يعلمه ابنه القرآن، فأصبح الناس يخفونه في بيوتهم، وأخذ المعلمون في مسح أي أثر إيماني من قلوب الطلاب[3].

ومن الآثار السلبية على الفكر في المجتمع العثماني ما يلي:

١ – عدم الاهتمام بالإسلام والمسلمين:

حيث ابتعد كثير من المثقفين في الشعب التركي عن الإسلام وقضاياه. ووصفه بعضهم بأنه قانون الصحراء وأنه لا يلائم العصر. بل قاموا بتحريض السلطان على الملتزمين بالإسلام ليقوم بقمعهم والزج بهم في غياهب السجون.

ولم يكتفوا بذلك بل نالوا من شخص النبي ﷺ .

---

1 انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ١٨ .

2 انظر: الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها ١٠٠٦/٢ .

3 انظر سعيد النورسي رجل القدر: ١٣٣وما بعدها.وانظر العالم الإسلامي والمكايد الدولية: ٥٤.

٢- التقليل من شأن علماء الدين:

حيث دأبت حكومة الغازي على تصفية العلماء المخالفين لها جسدياً، وأغلقت الحكومة مدارس المتخصصين في الشريعة وأغلقت كليات الإلهيات مما أدى إلى قلة العلماء حتى أنهم اضطروا عام ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ) إلى استقدام علماء من الهند ويوغسلافيا[1] ليقوموا بالتدريس في الكلية المفتتحة حديثاً وهي كلية الإلهيات بجامعة أنقرة.

٣- الضغط على المسلمين للتشبه بالكفار:

ويوضح هذا الواقع بنموذج آخر حيث قامت هيئة مكونة من أساتذة كلية الإلهيات بجامعة استنبول عام (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م) بتقديم لائحة جديدة للحكومة وكان مما تضمنته تلك اللائحة قولهم: "ينبغي أن تكون معابدنا نظيفة ومنتظمة، وملائمة لزيارتها والجلوس فيها، كأن توضع فيها الكراسي، وما يتبعها من منصات. تؤدى فيها العبادة باللغة التركية ... وأن يكون المؤذن والإمام ممن يملك صوتاً حسناً وعنده استعداد للتغني وأن يتم ذلك بمصاحبة الآلات الموسيقية ..."[2] .

---

1 مع وجود العلماء الكثر في العالم العربي، إلا أن استقدامهم علماء من الهند ويوغسلافيا يعد تأكيداً على القطيعة التي فرضها الكماليون بين تركيا وبين العالم العربي.

2 انظر لهذه الآثار وغيرها في الأوضاع الثقافية في تركيا: ٢٧٥ - ٢٨٥.

ثانياُ:حياته العلمية والدعوية.

١- حياته الشخصية والعلمية:

أ) الاسم والنسب:

هو سعيد بن ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا بن أرشان، من عشيرة أسباريت[1]،أما نسبه فقد كتب في الوثيقة التي أملاها عند قبوله في دارة الحكمة الإسلامية عام ١٩١٨م بأنه لا ينتمي إلى سلالة معروفة. وقال في محكمة "ديترلي" (إنني لا أستطيع أن أعد نفسي من آل البيت حيث الأنساب مختلطة في هذا الزمان بما لا يمكن تمييزها)[2]. في حين أن كثيراً من طلابه يعدونه من آل البيت، كما سيأتي لاحقاً ـــ إن شاء الله تعالى ـــ.

ب) مولده:

وكما وقع الاختلاف في نسب النورسي، وقع كذلك حول تاريخ مولده :

أولاً: ذكر د. محمد سعيد البوطي، ومحمد ملا زاهد الملا زكردي أنه ولد في سنة ١٢٩٢هـ الموافق ١٨٧٣م[3] .

ثانياً: إحسان قاسم ـــ مترجم رسائل بديع الزمان إلى العربية ـــ في كتابه "بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره" قال إنه ولد في سنة ١٢٩٣هـ- ١٨٧٣م[4] ، أما طلابه فقد ذكروا أن تاريخ مولده ١٢٩٠هـ- ١٨٧٣م، وأخيراً رجح أورخان محمد علي أنه ولد في عام ١٢٩٤هـ- ١٨٧٧م[5] ،وتابعه في ذلك محسن عبد الحميد[6] .

---

1 حقق الباحثون نجم الدين شاهين وعبد القادر بادللي ومحمد زاهد كردي نسب الأستاذ النورسي وتوصلوا إلى التالي والده صوفي بن ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد ميرزا أرشان، من عشيرة أسباريت، واما والدته فهي نورية بنت ملا طاهر من قرية "بلكان" من عشيرة " خاكيف"، والعشيرتان من قبائل الأكراد الهكارية. انظر / السيرة الذاتية: ٣٩

2 السيرة الذاتية: ٣٥ – ٤٠ .

3 عجالة مقتطفة في حياة الإمام النورسي: ص ٤٨ – ٨٦، وهذا ما ذُكر في الموسوعة الميسرة: ٣٢٨ .

4 بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره:١٩. إحسان قاسم الصالحي طبع سوزلر إستانبول ١٩٨٧.

5 سعيد النورسي رجل القدر: ٨ .

6 النورسي متكلم العصر الحديث:١٠ .

ولحسم الخلاف حول هذا الأمر لا بد من أخذ أمرين بعين الاعتبار وهما :

١- التاريخ المدون به مولد النورسي هو التاريخ الرومي المستعمل في أواخر الدولة العثمانية.

٢- بعض السنوات بهذا التاريخ في رسائل النورسي دون الإشارة إلى أن هذا هو التاريخ الرومي[1].

ثانياً : تحليل أقوال الباحثين حول تاريخ مولد النورسي:

١)-ما ذكره البوطي والملا زكردي لم يوجد دليل يؤيده من رسائل الأستاذ ومقالاته، و لم يحيلا إلى مرجع.

٢)-ما ذهب إليه إحسان قاسم في بعض كتبه أنه ولد عام ١٢٩٣هـ - ١٨٧٣م يعارض ما ذهب إليه هو نفسهُ في تعليق على كتاب " السيرة الذاتية" حيث ذكر أن سنة ميلاده هي ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧/١٧٨٦م اعتمادا على الوثيقة التي كتبها النورسي بنفسه وذكر أنه ولد سنة ١٢٩٣ حسب التاريخ الرومي، وقال إحسان قاسم إن التاريخ يوافق عام ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧/١٧٨٦م أيهما التاريخ الأرجح؟

٣)-السنة التي ذكرها طلاب النورسي ١٢٩٠هـ ١٨٧٣م والتي رجحها الباحث " ذو الكفل زين العابدين"[2] استناداً إلى أن طلاب النورسي هم الذين حددوا هذا التاريخ في كتاب " تاريخ الحياة " وقد عرضوا الكتاب على النورسي نفسه فراجعه و لم يعترض على هذا التاريخ.

ومع أن هذا دليل قوي إلا أن عليه ملاحظات هي :

١- أن الأستاذ / النورسي اطلع على هذا الكتاب ، قبل موته بسنتين بعد أن تجاوز الثمانين من عمره مع ما كان يعانيه من مشاكل صحية ونفسية وغير ذلك ـ بسبب فترات السجون والتعذيب المتلاحقة ـ مما يزيد من احتمال الوهم والنسيان لذاكرة الأستاذ .

٢- أن النورسي قد كتب بنفسه تاريخ ولادته قبل قراءته ذلك الكتاب بأربعين سنة،

---

1 السيرة الذاتية: ٣٥.

2 الأسس الفكرية لدعوة الإصلاح عند بديع الزمان سعيد النورسي : ٤٦. ذو الكفل زين العابدين – ماجستير. كلية العلوم – جامعة القاهرة ١٤٢١.

وهو لا يزال في بداية العقد الرابع من عمره وذلك في الوثيقة التي أملاها عند قبوله عضواً في " دار الحكمة الإسلامية " وهي سنة ١٢٩٣ في التاريخ الرومي الموافق ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م وهذا القول هو أقرب الأقوال إلى الصواب، وهو ما ذهب إليه " أورخان محمد علي" وتابعه على ذلك محسن عبد الحميد.

وقد اتفق المؤرخون على أن النورسي ولد في قرية "نُورْس" وهي إحدى القرى في شرقي الأناضول لخيزران إحدى أقضية ولاية "تبليس" وإلى هذه القرية ينتسب . ومنها اشتق لقب "النورسي" إضافة إلى لقب " بديع الزمان" الذي لقبه به أستاذه الملا " فتح الله" [ت ١٣١٧هـ - ١٩٠٠م] لاحقاً في مدينة "وان" عام ١٨٩٩م [١] .

جـ) شيوخه وخطواته نحو العلم :

كانت بداية تحصيله للعلم سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م بتعلم القرآن الكريم[٢]،حيث أعجب بأخيه الكبير /عبد الله لِما له من المزايا بتحصيل العلوم، وشاهد أنه فاق أقرانه في القرية وهم لا يستطيعون القراءة والكتابة. فدفعه هذا الإعجاب إلى شوق كبير جاد لتلقي العلم فشد رحله إلى طلبه في القرى المجاورة لـ"نورس" إلى أن حط في قرية "تاغ" عند مدرسة الملا / محمد أمين أفندي[٣] إلا أنه لم يتحمل المكوث فيها فتركها وعاد إلى قرية "نورس" واكتفى بما يدرسه أخوه الكبير "الملا عبد الله" في أثناء زيارته الأسبوعية للعائلة، ولكنه عاد إلى الدراسة في مدرسة قريبة من قرية (برمس) التي كان يشرف عليها الشيخ "نور محمد".

وفي "بايزيد" بدأت الدراسة الجادة حيث دامت هذه الدراسة مدة ثلاثة أشهر على

---

1 السيرة الذاتية : ٣٥.

2 سعيد النورسي رجل القدر : ١٠

3 مدرسة الشيخ محمد أمين أفندي: مدرسة دينية على الطريقة النقشبندية، وهي التي أسسها عبد الرحمن تاجي،وهذه المدارس في العادة تحصل على الدعم من مؤسسها الذي في العادة يكون عالماً مشهوراً أو على تبرعات المحسنين، و لم تكن هذه المدارس تفرض رسوماً على الطلاب. انظر الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: ٥١ . ذو الكفل زين العابدين – ماجستير. كلية العلوم – جامعة القاهرة ١٤٢١.

يد الشيخ "محمد الجلالي"[1]. أتم فيها جميع الكتب والمقررة للطلاب في شرقي الأناضول ابتداءً من كتاب "الكافية" لــ "ملا جامي" [2] إذا كان يقرأ في كل كتاب درساً أو درسين وربما عشرة دروس من دون أن يتم الكتاب ثم يبدأ في غيره.

وكان يقرأ في هذه الشهور الثلاثة يومياً ما يقارب من مئتي صفحة أو يزيد، من متون كتب علم الكلام والأصول أمثال جمع الجوامع[3]، وشرح المواقف[4]، وتحفة المحتاج[5].

ثم قرر الذهاب إلى بغداد ــ لزيارة علمائها والتلقي عنهم ــ وتزيَّ بزي الدراويش وانطلق ولكنه لم يتبع الطريق المعتاد إلى بغداد بل سلك سبيله بين الجبال الموحشة والغابات المخيفة ليلاً ونهاراً لاختصار المسافة، وفي هذه الفترة دخل مرحلة زهد وتقشف ورياضة نفس عنيفة متأثراً بآراء وسلوك بعض " الحكماء الإشراقيين"[6] ولم يدخل في ذلك بشكل تدريجي كما فعل هؤلاء "الحكماء" بل دخلها فجأة حتى هزل يوماً بعد يوم، ونحل جسمه ولم يعد يطيق هذا النوع من الرياضة[7] ولسبب ما غير فكره في الذهاب إلى بغداد فتوجه إلى

---

1 الشيخ محمد الجلالي هو/ عبد الرحمن بن محمد الجامي، نور الدين، ولد في جام (من بلاد ما وراء النهرين) عام ١٨١٧م وتوفي في هرة ١٨٩٨م، تقرب مؤلفاته من المئة، انظر سعيد النورسي رجل القدر: ١١ .

2 هو المفسر/ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، ولد في جام (من بلاد ما وراء النهرين) عام ١٨١٧هـ، له مؤلفات تقارب المئة، والمقصود هنا هو شرحه لكتاب "الكافية لابن الحاجب" سماه (الفوائد الصينائية)، انظر كشف الظنون ١٣٧٢/٢ حاجي خليفة. دار الفكر ١٤٠٢.– الإعلام ٢٩٦/٣م.

3 جمع الجوامع في أصول الفقه: لتاج الدين عبد الوهاب السبكي [ت ٧٧١] وهومختصر مشهور جمعه من زهاء مئة مصنف له شروح وحواشي كثيرة.

4 المواقف في علم الكلام لعضد الدين الايجي [ت ٧٥٦] وهو كتاب مشهور شرحه الجرجاني والكرماني وغيرهما.

5 تحفة المحتاج في شرح المنهاج: لابن حجر الهيثمي المكي، وهو شرح (منهاج الطالبين) للإمام النووي الشافعي.

6 جماعة من المتصوفة جمعوا بين الفلسفة اليونانية و"حكمة" فارس القديم مع أذواق التصوف القلبي بحثوا في مراتب الوجود وفي الأنوار الإلهية وغير ذلك، وأبرز من يمثلهم الضال السهروردي المقتول سنة ٥٨٧، ولعل من أسباب تسمية طلابه بطلاب النور الأثر الفلسفي اليوناني داخل منظومة النورسي الفكرية حيث نجد أن هؤلاء الاشراقيين يركزون في العموم على النور ومراتبه التي هي مراتب الوجود العلوية والفلسفية، انظر الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: ص ٥٣ . والإشراق في اصطلاح الحكماء هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على الأنفس عند التحرر عن المواد الجسمية وحكمة الإشراق هي الحكمة المبنية على الكشف، انظر المعجم الفلسفي: ٩٣/١ – ٩٤ . د.جميل صليبا. الشركة العالمية للكتاب ١٤١٤.

7 السيرة الذاتية: ٤٧ ، سعيد النورسي رجل القدر: ١٣ .

مدينة "تبليس" فحضر بعض دروس الشيخ "محمد أمين" ثم اتجه إلى مدينة "شيروان" حيث كان أخوه "الملا عبد الله" .

وقد جرت بينه وبين أخيه الملا عبد الله محاورة عن الشيخ ضياء الدين[1] وقد كان الشيخ من الطريقة الأولى التي لا يرى صاحبها بأساً في الإفراط والمبالغة تجاه الأولياء والصالحين، لذا قال له أخوه عبد الله ذات يوم: "إن الشيخ ضياء الدين على علم واسع جداً وإطلاع بما يجري في الكون مثل إطلاع القطب الأعظم"، ثم سرد له الكثير من الأمثلة على خوارق أعماله ليغريه بالانتساب إليه والارتباط به فقال النورسي:"يا أخي الكريم أنت تغالي! فلو قابلت الشيخ ضياء نفسه لألزمته الحجة في كثير من المسائل، وإنك لا تحبه حباً حقيقياً مثلي، لأنك تحب ضياء الدين الذي تتخيله في ذهنك على صورة قطب أعظم له علم بما في الكون، فأنت مرتبط معه بهذا العنوان وتحبه لأجل هذه الصفة، فلو رفع الحجاب وبانت الحقيقة لزالت محبتك له أو قلت كثيراً، أما أنا ــ يا أخي ــ فأحب ذلك الشخص الصالح والولي المبارك ... كما هو على حقيقته، أما أنت فتحب ضياء الدين الذي في خيالك"[2]، وبعد أن مكث شهرين عند أخيه توجه إلى "سعرد" حيث ذاع صيته مما أثار فضول العلماء فيها فأقبلوا عليه يمتحنونه ويحاولون إحراجه بأسئلتهم وكان كلما يوجه إليه سؤال يجيب وكأنه ينظر إلى كتاب ويقرأ وكان في هذه الأثناء في الخامسة عشرة من عمره[3].

وفي عام ١٨٩٤ م (١٣١٢هـ) اعتكف النورسي بمدينة "تيللو" حيث حفظ من كتاب "القاموس المحيط" للفيروز أبادي حتى باب السين، وعندما سئل عن ذلك أجاب: " إن القاموس المحيط يورد المعاني المختلفة لكل كلمة وقد خطر لي أن أضع قاموساً أنحو فيه عكس هذا المنحى، أي أورد عدد الكلمات المختلفة التي تسير إلى المعنى نفسه"[4].

وفي هذه الأثناء التقى طالبين أحدهما من طلاب جمال الدين الأفغاني، والآخر من

---

1 هو الشيخ عبد الرحمن تاغي، كوفئ من قبل السلطان رشاد بذراع صناعي بديلاً عن التي فقدها أثناء الحرب مع ميدالية تقدير، والملا عبد الله من مريديه.

2 السيرة الذاتية: ٤٨ — ٤٩ .

3 السيرة الذاتية: ٥٢ .

4 السيرة الذاتية: ٥٤ ، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ٢١ — ٢٢ .

منتسبي الطريقة السنوسية[1]،فاطلع بواسطتهما على منهج الأفغاني والطريقة السنوسية، وعندما ناهز البلوغ حفظ خلال سنتين بعضاً من متـــون الكتـــب "كالمطـــالع"[2]، و"المواقـــف"، و"المرقاة"[3].

وفي عام ١٨٩٧م (١٣١٥هـــ) دعاه والي مدينة "وان" حسن باشا حيـــث لم يكـــن بالمدينة عالم معروف فذهب النورسي إليه، ومكث فيها خمس عشرة سنة اطلع خلالها على العلوم المدنية كالفلك والفيزياء والرياضيات والفلسفة والجغرافيا حتى أصبح يناقش في تلك المسائل أهل الاختصاص[4]،كما أنه كان يتجول بين العشائر لإرشـــادهم والمـــصالحة بـــين المتخاصمين منهم، وتدريس أبنائهم حيث قام بالتدريس بطريقة تختلف عن الطرق المتبعـــة آنذاك في المدارس الدينية، حيث كانت تلك المدارس تقوم بتدريس العقائـــد مـــن خـــلال المؤلفات الكلامية وشروحاتها، وهذا ما يراه النورسي غير مناسب للعصر الحـــديث حيـــث ركز في تدريسه على عرض الحقائق الدينية ممتزجة بالعلوم الحديثة بأسلوب ســـهل ميـــسر يدركه أبناء العصر[5].

وقـــد تلقـــى النورســـي درســـه الأخـــير مـــن الـــشيخ"محمـــد الكفوري"[6](ت١٣١٣هـــ،١٨٩٧م)، حيث يقول: "نعم إن الدرس الأخير والأكثر بركة قد تلقيته من الشيخ/ محمد الكفوري الذي أظهر شفقته وعطفه علي بما يفوق حدي بكثير"[7].

د) تحوله الفكري:

وفي عام ١٨٩٩م (١٣١٧هـــ) حدث للنورسي انقلاب فكري مهم، فقد علم من الوالي "ظاهر شاه" أن أوربا تحيك مؤامرة خبيثة حول القـــرآن، إذ سمـــع منـــه أن وزيـــر

---

1 السيرة الذاتية: ٥٨ .

2 مطالع الأنوار في المنطق للقاضي الأرموي، خدم شرحاً وتعليقاً .

3 مرقاة الأصول إلى علم الأصول: كتاب من المذهب الحنفي لمحمد بن فرا مروز المشروي [ت: ٨٥٥هـــ].

4 بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ٢٤ .

5 السيرة الذاتية: ٦٢ – ٦٣ .

6 ولد في قرية كفرة التابعة لقرية سعرد واستقر أخيراً بتبليس وتوفي فيها سنة ١٨٩٧: السيرة الذاتية: ٦١ .

7 السيرة الذاتية: ٦١ عن ملحق بارلا.

المستعمرات البريطاني "وليم جلاد ستون"[1] قال مادام القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكماً حقيقياً، فلنسع إلى نزعه منهم"، فثارت ثائرته واحتد غضبه وقال: " لأبرهنن للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها"[2] .

وقد اتخذت حياة النورسي عدة مراحل أهمها مرحلتي "سعيد القديم" و "سعيد الجديد"، يقول في ذلك: " يا عابد الدنيا وعاشق الحياة الفانية الغافل عن سر "أحسن تقويم" استمع إلى هذه الواقعة الخيالية التي تتمثل فيها حقيقة الحياة الدنيا، تلك الواقعة التمثيلية التي رآها "سعيد القديم" فحولته إلى "سعيد الجديد" "[3]

ويقول عن سعيد القديم أنه: "بادر إلى ضماد جراحات قلبه وروحه، وخلص نفسه من الوساوس والأوهام، وبخلاصه منه انقلب سعيد القديم إلى سعيد الجديد"[4].

مرحلة سعيد القديم: (١٩٠٧ – ١٩٣٥) (١٣٢٥- ١٣٤٤هـ):

في عام ١٩٠٧ ذهب النورسي إلى استنبول فأقبل عليه الطلاب يسألونه ويدرسون عليه أنواع العلوم، وفي هذه الأثناء قدم النورسي طلباً إلى السلطان عبد الحميد يطلب فيه فتح "مدرسة الزهراء" يتم فيها تعليم العلوم الحديثة بجانب العلوم الدينية، وذلك في شرقي الأناضول حيث يخيم الجهل والفقر[5].

ولكنه وفي هذا الوقت انتقد الاستبداد ونظام الأمن والظلم في قصر "يلدز" مما كان سبباً لرفض طلبه وإحالته إلى مستشفى الأمراض العقلية، وفي المستشفى حضر الأطباء لفحص قواه العقلية، فلما سمع الطبيب كلام النورسي كتب قائلاً: "لو كان هناك ذرة واحدة من

---

[1] وليم جلاد ستون (١٨٠٩ – ١٨٩٩) تقلد مناصب وزارية متعددة، تعمق في دراسة الدين، عين رئيساً للوزراء أربع مرات، ألغى الكنيسة الأيرلندية. انظر الموسوعة العربية الميسرة: ٦٣٥.

[2] السيرة الذاتية: ٦٦ .

[3] الكلمات: ٣٦٧، وانظر: ١٠٣ ، ٩٢٨.

[4] المثنوي العربي النوري: ٣١ بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طباعة شركة سوزلر. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٥.، اللمعات: ٢٦٢، ٣٥١ بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول- الطبعة الأولى ١٤١٣.، الشعاعات: ٣٩٩، ٤١١. بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول- الطبعة الأولى ١٤١٣.

[5] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته ٢٧ – ٢٨، السيرة الذاتية: ٧٩ .

الجنون عند بديع الزمان فمعنى ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد"[1].

ورغم ذلك فقد كان موقف النورسي من السلطان عبد الحميد موقفاً إيجابيـــاً حيـــث يقول: " إن سلطاننا هو سلطان وخليفة في الوقت نفسه، يمثل رمز العالم الإسلامي ... وهو السلطان المظلوم"[2].

ويقول عنه تلاميذه: "لقد سمعنا من أستاذنا وعرفنا عن كتب: أنـــه كـــان يعتقـــد أن السلطان عبد الحميد ـــ من بين السلاطين ـــ في حكم ولي من الصالحين، لوقوفه بـــصمود تجاه دسائس الأجانب وقواهم، وكونه خليفة معظم العالم الإسلامي ... ومراعاته للـــشعائر الإسلامية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأدائه صلاة الجمعة في المسجد، واتخاذه شيخاً فاضلاً ومرشداً معنوياً بصورة دائمة في قصره، فضلاً عن حسناته الأخرى"[3].

وفي عام ١٩٠٨ (١٣٢٦هـــ) استطاع أصحاب الاتحاد والترقي[4] الوصول إلى هدفهم الذي يسعون إليه وهو إعلان المشروطية الثانية[5] من خلال الضغط على السلطان عبد الحميد

---

1 النورسي متكلم العصر الحديث: ١٤،السيرة الذاتية: ٦٩، بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته ٢٩—٣٠

2 السيرة الذاتية: ٧٦ — ٧٧ .

3 السيرة الذاتية: ٧٩ .

4 الاتحاد والترقي: جمعية سرية شكلها طالب ألباني في المدرسة العسكرية السلطانية يدعى/ إبراهيم تمو، مع قسم مـــن أصدقائه الطلبة سنة ١٨٨٩م، كانت تهدف إلى خلع السلطان عبد الحميد الثاني، رفعت شعار (حرية، مـــساواة، عدالة) ساعدتها المحافل الماسونية، وانتسب كثير من أعضائها إليها كما أن دولاً أوربية عديدة مدت لها يد المساعدة، فاستفحل أمرها عندما تغلغلت في صفوف الجيش الثالث العثماني في مدينة (سلانيك) التي كانت مقراً ليهود الدونمة وفيها محفل الماسونية، بدأت حركة تمرد في الجيش وأرسل زعماء الحركة برقيات تطالب السلطان بإعلان الدستور وإعادة مجلس المبعوثان (النواب) فأعلن السلطان المشروطية سنة ١٩٠٨، وبعد سنة من إعلان الدستور تم خلعـــه ونفيه إلى مدينة "سلانيك" ونصب أخوه محمد رشاد مكانه، وبعدما ورط الاتحاد والترقي الدولة في الحرب العالمية الأولى، هرب زعماء هذه الجمعية إلى خارج البلاد وذلك بعد هدنة موندرس في ١٩١٨/١٠/٣٠م، انظر الـــسيرة الذاتية: ٨٨ .

5 المشروطية هي إعلان النظام البرلماني في الدولة العثمانية، بموجبه أصبحت الوزارة مسؤولة أمام البرلمان وليس أمـــام السلطان ، كما أن صلاحية التشريع للقوانين أصبحت من اختصاص البرلمان ، (حكم ديموقراطي) وقـــد أعلـــن السلطان عبد الحميد المشروطية مرتين، مرة في عام ١٨٧٧ عند بداية حكمه نظراً لاستغلال نواب الأقليات غـــير المسلمة لهذا المجلس ودفع الدولة إلى حرب مهلكة مع روسيا في العام نفسه، وارتباط هؤلاء النـــواب بالجمعيـــات السرية بالدول الأجنبية فقد حل السلطان هذا المجلس دون أن يلغيه، وفي ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ أعاد المشروطية بما يسمى (المشروطية الثانية). السيرة الذاتية: ٨١ .

حيث ألغى السلطان المشروطية الأولى عام ١٨٧٨ م (١٢٢٥هـ).

وقد حاول اليهودي المعروف بـ " عمانوئيل كراصو" أن يجتمع ببديع الزمان النورسي في إطار محاولاته التأثير فيه و لم يمانع النورسي في مقابلته، ولكن اليهودي سرعان ما قطع الاجتماع وتركه هارباً من سرعة تأثر شخصيته ببديع الزمان إذ قال: "لقد كاد هذا الرجل العجيب أن يزجني في الإسلام بحديثه"[1].

هاجم النورسي أصحاب الاتحاد والترقي بعد أن كان من المساندين لهم في بداية المشروطية الثانية، وذلك لأنه يعد المشروطية والقانون في الأساس ما هي إلا العدالة الحقة والشورى الشرعية، وإن المسلك الحقيقي للشريعة إنما هو حقيقة المشروطية المشروطة، ولكن بعد ذلك غيّر أصحاب الاتحاد والترقي مبادئهم، وشوهوا المشروطية بإظهارها مخالفة للشريعة، وأن الشريعة ظالمة والسبب وراء تصور دعاة الحرية أن الشريعة مؤيدة للاستبداد هو اتباعهم التصور الأوربي عن الإسلام، وفي هذه الفترة حضر إلى استانبول مفتي الديار المصرية الشيخ بخيت المطيعي[2] الذي كان عالماً معروفاً فاقترح أن يقابل الأستاذ بديع الزمان وعندما قابله طرح عليه السؤال التالي:

– ما قولك في الحرية الموجودة في الدولة العثمانية وعن المدنية الأوربية ؟

* فأجابه بديع الزمان:

إن الدولة العثمانية حبلى بجنين أوربا، وستلد يوماً حكومة مثلها، أما أوربا فهي حاملة بالإسلام وستلده يوماً، وقد أعجب العالم المصري بهذا الجواب وامتدح بديع الزمان[3].

يقول النورسي توضيحاً لهذه المسألة: "إن أوربا تظن أن الشريعة هي التي تمد الاستبداد بالقوة وتعينه، حاشا وكلا إن الجهل والتعصب المتفشيين فينا قد ساعدا أوربا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد، ولذلك تألمت من أعماقي على ظنهم السيئ بالشريعة،

---

[1] السيرة الذاتية: ٨٧ .

[2] هو الشيخ/ محمد بخيت حسين المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية، ولد في بلدة (المطيعة) التابعة لمحافظة أسيوط وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة ١٢٩٧هـ، واتصل بجمال الدين الأفغاني، توفي سنة ١٣٥٤هـ.انظر الأعلام ٢٧٤/٦.

[3] انظر سعيد النورسي رجل القدر: ٣٨ .

فكما أنني أكذب ظنهم فقد رحبت بالمشروطية باسم الشريعة قبـل أي شـخص،ولكـن خشيت أن يقوم استبداد آخر لتصديق هذا الظن، فصرخت من أعماقي أفهموا المـشروطية في ضوء المشروعية، وتلقوها على أساسها، ولقنوا الآخرين على هذه الصورة"[1]. ولقد كانت مطالبه من جمعية الاتحاد والترقي تتلخص في الآتي:

١-إنشاء مدرسة الزهراء[2].

٢- الصدق والأمانة وضمان مستقبل العلماء.

٣- إنشاء مجلس شورى للاجتهاد.

وموقف النورسي من حركة الاتحاد والترقي فرع من موقفه من "جون ترك"[3] فعنـدما سئل:كنا نسمع سابقاً وإلى الآن أن أكثر أفراد "جون ترك" هم من الماسونيين الذين يعادون الدين. أجاب: "لقد ألقى الاستبداد هذه التلقينات إبقاءً لنفسه، ومما يسند هذا الوهم ويقويه عدم مبالاة بعضهم بالدين ... وإن التسعين بالمئة منهم مسلمون ذوو عقيدة أمثالكم ومعلوم أن الحكم للأكثرية فأحسنوا الظن بهم إذ إن سوء الظن بهم يضرهم ويضركم معاً"[4].

ولكن رأيه في "جون ترك" و "الاتحاد والترقي" لم يستمر إذ قال بعد أن رأى ما آلـت إليه الأمور خلال حكم "الاتحاد والترقي": "إن سعيداً القديم على الـرغم مـن معارضـته

---

1 صيقل الإسلام: ٤٤٣ . ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طباعة شركة سوزلر. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤١٦.

2 كان هناك صراع بين النقشبنديين والأرمن، وقد كان الأرمن في"تبليس"أقل من ثلث السكان وقد شغل عدد منهم مناصب إدارية في مواقع مهمة،كماكان البعض منهم من التجار والحرفيين،وقد قام الأرمن وعن طريق مـساعدة المنصرين البروتستانت في الولايات المتحدة الشرقية من الدولة العثمانية على إيجاد مدارس جديدة في مختلف مـدن الأناضول الشرقية،وفي هذا المجال استطاع ميخائيل برتغاليان في عام ١٨٨٠ من إنشاء معهده على ضفاف بحـيرة (وان في تبليس)، وقد كان مركزاً مهماً لازدهار الثقافة الأرمنية، وقد تم إغلاق هذا المعهد من قبل السلطان عـام ١٨٨٥، وكان هناك معهد أرميني آخر تحت اسم معهد رياض في أرضروم، وكان هذا سبباً من الأسـباب الـتي دفعت النورسي إلى أن يقترح إنشاء جامعة عثمانية في وان.

3 جون ترك "تركيا الفتاة" مشتقة من العبارة الفرنسية jeunes turces ويطلق هذا الاسم على الجماعات والأفراد المعارضين للحكم في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان عبد العزيز، وتتلخص مطالب هذه الجماعات والأفراد في إعلان الدستور وتأسيس حياة برلمانية، وتعد جمعية الاتحاد والترقي أقوى هذه الجماعات تأثيراً. انظر السيرة الذاتية: ٨٨.

4 صيقل الإسلام: ٤٠٥ .

الشديدة لمنظمة "الاتحاد والترقي" مال إلى حكومتها ولاسيما الجيش حيث وقف منهم موقف تقدير وإعجاب والتزام وطاعة، وما ذاك إلا بما كان يحس به من إحساس مسبق من أن تلك الجماعات العسكرية والجمعية الملية سيظهر منهم بعد أربع سنوات مليون من الشهداء فمال إليهم بعد أربع سنوات دون اختيار منه، وبما يخالف مشربه، ولكن بحلول الحرب العالمية وخوضهم لها أفرز الدهن المبارك فتحول إلى مخيض لا قيمة له، فعاد "سعيد الجديد" إلى الاستمرار في جهاده وخالف "سعيد القديم"[1].

وفي عام (١٩٠٩)[2] نشب في استنبول تمرد وعصيان في أفراد الطابور العسكري الذي كان قد أرسل من قبل الاتحاديين من مدينة "سلانيك" إلى استنبول لحماية المشروطية وهي الأحداث التي عرفت فيما بعد بأحداث ٣١ مارس. فقد ثار الجنود وحبسوا ضباطهم في الثكنة، واجتمعوا في منتصف ليلة٣١مارس١٣٢٥رومي (الموافق ١٣ نيسان ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ)) في ميدان السلطان أحمد حيث أعلنوا عصياناً عاماً دام أحد عشر يوماً، وكان الجنود يهتفون: "نريد الشريعة ... نريد الشريعة"، انتهت هذه الحادثة بوصول جيش الحركة الذي وجهه الاتحاديون من "سلانيك" بقيادة "محمود شوكت باشا" لقمع العصيان وإعادة السلطة للاتحاديين،فسيطرت على الوضع وأعلنت الأحكام العرفية وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة، وتم عزل الخليفة عبد الحميد الثاني من كل سلطاته، وقد وجهت إليه التهم التالية:

١) تدبير حادث ٣١ مارس.

٢) إحراق المصاحف.

---

[1] الملاحق – ملحق قسطموني ١٢٧، انظر السيرة الذاتية: ٩١ . بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول– الطبعة الأولى ١٤١٥.

[2] في ٥ نيسان ١٩٠٩م قام "سهيل باشا" و "محمد صادق" والفريق "رضا باشا" و "الدرويش وحدتي" مع آخرين بتشكيل جمعية الاتحاد المحمدي في استنبول وأعلن عن تشكيلها بعد اجتماع ديني حاشد لم تر استنبول مثلاً له في جامع "آيا صوفيا" وكانت هذه الجمعية رد فعل للمخاوف التي بدأت تسري بين صفوف الشعب من مظاهر العداء للإسلام التي بدأت تسيطر على مقاليد الأمور. وكذلك بعض الصحف التي بدأت بنشر المقالات الإلحادية، وقد حضر بديع الزمان هذا الاجتماع وألقى في هذا الاجتماع خطبة قرابة الساعتين حث فيها الجميع على التمسك بآداب الإسلام. انظر سعيد النورسي رجل القدر: ص ٤٤، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: ٦٦ .

٣) الإسراف.

٤) الظلم .

ونفاه الجيش على إثر ذلك إلى "سلانيك" التي كانت تعج بأنصار الاتحـــاد والترقـــي، وسجن النورسي وحوكم في محكمة عرفية، وقد حكمت المحكمة ببراءته، وعاد بعد ذلـــك إلى مدينة "وان" وهناك استمر في إلقاء دروسه بين القبائل والعشائر[1] .

وقد نفى النورسي عن السلطان عبد الحميد أن يكون سبباً في هذه الأحداث حيـــث قال: "إن السلطان عبد الحميد قد عزل بسبب أحداث ٣١ مارس، وكانت حركة تمرد في الجيش سبب اندلاعها جماعة "الاتحاد والترقي" واتهموا السلطان عبد الحميد بإثارتها كمبرر لعزله، مع أن السلطان نفى هذا الاتهام وطلب تـــشكيل لجنـــة لتقـــصي الحقـــائق، إلا أن الاتحاديين رفضوا هذا وعزلوا السلطان"[2] .

وفي عام ١٩١٠م سافر النورسي إلى الشام وألقى خطبة في الجامع الأموي، شـــخص فيها أمراض الأمة الإسلامية المادية والمعنوية، وبين طرق العلاج والخلاص من طريق التيـــه، وقد طبعت الخطبة فيما بعد وسميت "بالخطبة الشامية" والأمراض التي ذكرها فيها هي[3]:

أولاً: حياة البؤس.

ثانيـــاً:موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثـــاً: حب العداوة.

رابعـــاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد، وذيوع الأمراض المعدية المختلفة.

سادساً:حصر الهمة في المنفعة الشخصية، دون الالتفات إلى النفع العام.

ثم عاد من الشام إلى تركيا حيث قابل السلطان "محمد رشاد الخامس" وطلب منه إنشاء جامعة إسلامية في الولايات الشرقية، فوافق السلطان ودفع تسعة عشر ألف لـــيرة ذهبيـــة لتأسيس تلك الجامعة، فأرسيت قواعدها فعلاً في مدينة "وان" إلا أن الحرب العالميـــة الأولى

---

[1] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره : ٣٥ .

[2] الشعاعات محكمة أفيون: ٤٢٣.

[3] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ٣٦ .

حالت دون إكمال المشروع[1].

وقد تميزت مرحلة "سعيد القديم" بمواجهة أحداث جسام، لعل من أبرزها الحرب العالمية الأولى، ثم سقوط الخلافة الإسلامية، وهذه بعض أحداث تلك الفترة:

١- موقف النورسي من الدعوة الطورانية:

بدأت النزعة إلى الدعوة الطورانية ــ العودة بتركيا إلى حالة ما قبل الإسلام حيث كانت تعبد الأوثان ــ في تلك الفترة قبل الحرب العالمية الأولى وذلك بسبب بعض الرموز الثقافية التركية التي تشربت الأفكار الغربية فيما يسمى بالقوميات، وكانت هذه الدعوة بزعامة الاتحاد والترقي، و "كمال أتاتورك" حيث كان الهدف إضعاف الرابطة الإسلامية. والارتباط بالرابطة القومية البغيضة.

عموماً كانت تركيا تعاني من الفراغ الديني مما جعلها تتبنى تلك الأفكار الغربية،ومن أهداف هذه الدعوة التخلص من العنصر العربي وذلك على الرغم من محاولة الحركة تتريك العرب في تركيا، ولكن كانت هناك دعوة عنصرية مضادة من العالم العربي وهي الدعوة للقومية العربية[2]،وقد فشلت هذه المحاولات بسبب قوة الإسلام،واللغة العربية في العالم العربي.

و لم يكن لدى الأتراك العثمانيين أية نزعة قومية أو عرقية قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر - أي قبل ظهور حركة الاتحاد والترقي - بل إن سلاطين الدولة العثمانية حاولوا في بداية تأسيس الدولة أن يجعلوا اللغة العربية بديلاً للغة التركية فهم عاشوا تسعة قرون متتالية في الإسلام، لا انتماء لديهم إلا للعقيدة الإسلامية.

ولقد كان موقف النورسي موقفاً واضحاً من هذه الدعوات العنصرية، حيث إنه يعلم أن الاستعمار الأوربي له دور كبير فيها ، فيقول : "لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر، ويثير ظالموا أوربا الماكرون هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين ليمزقوهم، ويسهل عليهم ابتلاعهم"[3].

---

1 السيرة الذاتية: ١١٦ – ١١٧ .

2 القومية العربية:حركة تنادي بحق العرب في تكوين وحدة سياسية مستقلة،انظر الموسوعة العربية الميسرة:١٤٠٩/٢

3 المكتوبات: ٤١٤ . بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول–

ويحذر من أضرارها المخيفة فيرى أن "العثمانيين" خلطوا شيئاً من القومية في سياساتهم، فأسخطوا المسلمين، فضلاً عما ابتلوا به من قلاقل كثيرة من جراء الفتن الداخلية ... كذلك شعوب أوربا لما دعوا إلى العنصرية، وأوغلوا فيها في هذا العصر، نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان[1].

وينتقد النورسي الآثار السلبية للدعوة القومية الطورانية فيقول عن هذه الدعوة: "إنها فرقت بين الناس شر تفرقة في بداية عهد الحرية، وإعلان الدستور، حيث تأسست النوادي والتكتلات، لما اشتعلت نار الغيرة القومية مجدداً للتفريق بين الإخوة العرب النجباء، وبين الأتراك المجاهدين، عم الاضطراب، وسلبت راحة الناس، علماً بأن الإضرار بالناس بأعمال سلبية هو فطرة القومية العنصرية التي فطروا عليها، فالأتراك مسلمون في أنحاء العالم كافة، فقوميتهم مزجت بالإسلام ولا يمكن فصلهم عنها، وكذلك العرب فإن قوميتهم مزجت بالإسلام وهو حسبهم، إلا أن القومية العنصرية خطر عظيم"[2].

ويحذر النورسي الأتراك من مغبة إتباع مثل هذه الدعوات قائلاً: "اعلموا أن ملة الإسلام الدائمة الأبدية لا ترتبط مع العنصرية المؤقتة المضطربة، ولا تفلح ملقحاته وحتى لو حدث هذا التعظيم بلقحات العنصرية فإنها تفسد أمة الإسلام"[3].

وإذا كان النورسي يدافع عن الرابطة الإسلامية فإنه تعرض من قبل المغرضين إلى الوشاية بينه وبين طلابه، فقالوا لهم: "إنه كردي وأنتم أتراك، وهو شافعي وأنتم أحناف ... بغية إلقاء الرعب في قلوب الجميع وجعلهم يتجنبونه، ورد عليهم النورسي قائلاً: "إنني أفضل تركياً ذا دين وتقوى، على العديد من الأكراد غير الملتزمين"[4].

ويقول: "أقول لأولئك الملحدين، والمتسترين تحت ستار القومية وهم في الحقيقة أعداء لتركيا والأمة التركية ... أقول لهم إني على علاقة وثيقة جداً بمؤمني هذا الوطن الذين

الطبعة الأولى ١٤١٣.

1 انظر المكتوبات: ٤١٤ .

2 الملاحق: ٤١٥ .

3 المكتوبات: ٥٦٦ .

4 الشعاعات: ٤٤٣ .

يسمون بالأتراك المرتبطين ارتباطاً قوياً بأخوة صادقة أبدية حقيقية بالأمة الإسلامية"[1].

٢- اشتراك النورسي في الحرب العالمية الأولى:

في الحرب العالمية الأولى كانت روسيا تحاول الاندفاع نحو الأناضول وفي عام ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) استطاعت الجيوش الروسية ـ والتي كانت ثلاثة أضعاف الجيش العثماني ـ الدخول إلى مدينة "أرضروم" وأثناء هذه المعارك كان النورسي يقاتل هو وطلابه الجيش الروسي بكل ما أوتوا من جهد، وفي هذه المعارك ألف النورسي "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" باللغة العربية فكان يملي وتلميذه الملا/ حبيب يكتب وخلال المعارك جرح النورسي جرحاً بليغاً وسقط في بركة ماء تحت أحد الجسور مع أحد طلابه، وبقي على تلك الحالة ثلاثين ساعة مغشياً عليه نتيجة استمرار النزف، وعندما رأى تلميذه أن النزف المستمر والبرد الشديد سيقضيان على أستاذه، ذهب وأخبر الجنود الروس بالأمر.

وهكذا أسر النورسي وأرسل إلى أحد معسكرات الأسر في "قوصترما" في شرقي روسيا[2]، واستمر النورسي في الأسر سنتين ونصف، ولكنه، استطاع الهروب من الأسر، عند قيام الثورة البلشيفية في روسيا، واستطاع أن يعود إلى استنبول في عام ١٩١٨، فعين عضواً في دار الحكمة الإسلامية تقديراً له، وعندما عاد النورسي إلى تركيا كان السلطان محمود رشاد الخامس قد مات، وعين بدلاً منه أخوه وحيد الدين في ١٩١٨م، وأصبحت تركيا بعد هزيمتها في الحرب نهباً للدول الأوربية، وقد استطاع الجيش الإنجليزي أن يحتل استنبول وأن يسيطر على منابع النفط في العراق ١٩١٩م (١٣٣٧هـ)[3].

---

[1] المكتوبات: ٥٤٢ .

[2] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ٣٩ – ٤٠، وقد ضرب النورسي مثالاً رائعاً للعزة، فعندما كان خال القيصر "نيكولا فيج" يزور معسكر الأسرى قام له الأسرى إلا النورسي فقال له الظاهر إنك لم تعرفني فقال النورسي: بلى عرفتك، فقال: لم تستهين بي، فقال: لم أستهن بأحد وإنما فعلت ما تأمرني به عقيدتي ... ثم شكلت محكمة عسكرية بتهمة إهانة القيصر وتصدر المحكمة قرارها بالإعدام، والنورسي يرفض الاعتذار عن عدم قيامه، إلا أن القيصر عندما رآه يصلي قبل تنفيذ حكم الإعدام علم أنها عزة المؤمن، فعفا عنه واعتذر.

[3] وهذا ما تم بين بريطانيا وفرنسا في الاتفاق السري الذي سمي فيما بعد باتفاقية (سايكس – بيكو) حيث قسمت السلطنة العثمانية.

٣- نشر الخطوات الست لمقاومة الإنجليز واليونان:

بدأ القائد العام للجيش الإنجليزي الذي احتل استنبول[١] ببذر بذور الخلاف حتى إنه خدع شيخ الإسلام وبعض العلماء الآخرين، فجعل بعضهم يهاجم بعضاً، ووسع الخلاف

بين الاتحاديين وجماعة "الائتلاف"[٢] لكي يهيئ الجو لانتصار اليونان، وما أن دخل قائد القوات الإنجليزية استنبول حتى سلمت له رسالة " الخطوات الست " فعزم على إعدام النورسي لكنه تراجع عن هذا القرار عندما علم أن هذا العمل سيثير الناس ضد الإنجليز.

وفي أثناء ذلك الاحتلال سأل رئيس الكنيسة الإنجيليكية المشيخة الإسلامية ستة أسئلة وطلب الإجابة بست مئة كلمة فقط، فقالوا للنورسي - وكان حينذاك عضواً في دار الحكمة الإسلامية - أجب عنها فقال النورسي: "إن جواب هذه الأسئلة ليس ستمئة كلمة ولا ست كلمات ولا كلمة واحدة بل بصقة واحدة، لأنه عندما داست تلك الدول بأقدامها مضايقنا، وأخذت تفكر بخناقنا كما ترون، وينبغي البصاق في وجه رئيس أساقفتهم إزاء أسئلته التي سألها بكل غرور"[٣].

وفي هذه الأثناء كان سعيد النورسي يتهيأ للمرحلة الثانية من حياته، وذلك بعد أن حدث تحول هائل في وجدانه عندما تفكر في الشيخوخة التي بدت عليه تفكر في الموت ومآل الدنيا، يقول عن هذا التحول: "وبينما كنت أحس أني أسعد شخص في العالم نظرت إلى المرآة، ورأيت شعيرات بيضاء في رأس لحيتي، وإذ بتلك الصحوة الروحية التي أحسست بها في الأسر في جامع "قوصترما" تبدأ بالظهور ... ثم التفت إلى نفسي فوجدتها في منتهى العجز ! عندها صرخت روحي وهي التي تنشد البقاء دون الفناء"[٤].

---

[1] في ١٣/١١/١٩١٩م دخلت خمس وخمسون سفينة حربية لأسطول دول الحلفاء استنبول حسب هدنة مون دروس التي عقدت في ٣٠/١٠/١٩١٨م، ووجهت مدافعها نحو قصر الخليفة الذي أصبح في حكم الأسير في قصر "دولة باغجة" واحتل الإنجليز استنبول في ١٨ مارس ١٩٢٠م. انظرالسيرة الذاتية: ١٤٤.

[2] جماعة الاتحاديين هم جماعة الاتحاد والترقي الذين هرب قادتهم إلى الخارج بعد الهزيمة في الحرب العالمية الأولى، وجماعة الائتلاف يمثلون تياراً سياسياً ظهر بعد الحرب وكانوا يؤيدون الإنجليز ويخاصمون الاتحاديين.

[3] السيرة الذاتية: ١٤٥، وقد أجاب على تلك الأسئلة بدلاً من سعيد النورسي المفسر/ حقي الأزميرلي، الشيخ/ عبد العزيز جاويش، انظر المكتوبات: ٥٣٨ .

[4] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ٤٩ — ٥٠ .

يقول عن نفسه إنه توجه إلى القرآن فقط بعد قراءته لكتاب الجيلاني[1]، والإمام الرباني[2] فانسحب إلى تل "يوشع بن نون"، ودخل مسلك التفكير والتأمل نافضاً ما علق في ذهنه من لوثات الفلسفة، فكتب معاناته النفسية وانقلابه الروحي في "المثنوي" حتى خرج سعيداً جديداً في طريق قرآني هو: العجز والفقر والشفقة والتفكير.

وقد أرسل إليه مصطفى كمال أتاتورك ـــ بعد هزيمة اليونان على يد الجيش الإسلامي ـــ فذهب إليه النورسي إلى أنقرة سنة ١٩٢٢م وشاهد فرح المسلمين باندحار اليونان إلا أنه أبصر ـــ خلال موجة الفرح هذه ـــ زندقة[3] رهيبة تدب في صفوف المسلمين بخبث ومكر فتأسف على هذا الواقع وكتب برهاناً باللغة العربية يقطع رأس هذه الزندقة وطبعه في مطبعة "يني كون" في أنقرة إلا أنه لم يؤثر في الناس بسبب كونه مختصراً ومجملاً ولكونه باللغة العربية مع قلة المهتمين بها في تركيا.

وعندما دخل النورسي البرلمان في أنقرة وجد كثيراً من أعضائه لا يصلي فكتب بياناً وزعه على الأعضاء فغضب أتاتورك أشد الغضب قائلاً له: "إن أول عمل قمت به هو الكتابة حول أمور الصلاة، فبذرتم بذور الخلاف فيما بيننا" فأجابه النورسي محتداً: " باشا إن أعظم حقيقة في الإسلام ـــ بعد الإيمان ـــ هي الصلاة، ومن لا يصلي خائن وحكم الخائن

---

1 الشيخ عبد القادر: ابن أبي بن صالح أبو محمد الجيلي ولد سنة ٤٧٠، دخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخزومي الحنبلي، وكان من سادات المشايخ، من مصنفاته: كتاب الغنية، فتوح الغيب، والفتح الرباني، توفي وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له سنة ٥٦١هـ البداية والنهاية ٢٥٢/١٢ أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي دار الريان للتراث. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٨. كشف الظنون: ص ١٢١١، الطبقات الكبرى: ١٢٦/١ عبد الوهاب الشعراني ط دار الفكر العربي – القاهرة .، الأعلام: ٤٧/٤ .

2 هو أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي(ت ١٠٣٤) الملقب بمجدد الألفية الثانية، ونسبته إلى سهرند ومعناها غابة الأسد بين دلهي ولاهور، ومولده ووفاته فيها، ومن مؤلفاته (المبدأ والمعاد) و (إثبات النبوة) و (المعارف الدينية)، انتشرت الطريقة النقشبندية في أرجاء العالم الإسلامي، انظر الأعلام: ١٤٢/١ .

3 الزندقة لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرِّب، وتطلق الزندقة على كل من يشكك في الدين ويجمد شيئاً منه أو يتهاون في أداء عباداته أو يهزأ بها (انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ١٠٧٥/٢). وفي المعجم العربي الحديث الزنديق كل من هو على مذهب زرادشت. كما تطلق على كل من لا دين له، انظر المعجم العربي الحديث (لاروس) مادة زندق: ٦٣٢.

مردود"[1]، وقد حاول أتاتورك إغراءه بالمال وبالوظائف العليا ولكن النورسي رفض ذلـــك مؤكداً أن مهمته أصبحت إنقاذ الحياة الأخروية لملايين المواطنين.

وغادر النورسي "أنقرة" إلى "وان" في عام ١٩٢٣م ، وذلك بعد أن لمس عـــن كثـــب الحالة المزرية لمجلس المبعوثان "النواب" وأدرك أن أتاتورك يجر تركيا إلى الهاوية فأصابه الحزن العميق مما جعله يكثر من التهجد والعبادة والشكوى إلى الله مما آلت إليه أحوال المـــسلمين، فقضى كثيراً من أوقاته متروياً في إحدى الخرائب القديمة على جبل "آراك" وكانـــت هـــذه الحالة بداية لعدم اندماج النورسي في الحياة السياسية، والاتجاه إلى طريق العزلة والعبادة.

وفي عام ١٩٢٣م تم إعلان الجمهورية، وانتخاب أتاتورك أول رئـــيس للجمهوريـــة، وأصبحت أنقرة عاصمة الجمهورية، وبعد ذلك استطاع أتاتورك أن يحقق ما تم الاتفاق عليه في مؤتمر لوزان[2] من إلغاء الخلافة العثمانية، فأعلن سقوط الخلافة في مـــارس ١٩٢٤م، وتم طرد السلطان عبد الحميد وجميع أفراد عائلة آل عثمان إلى خارج حدود تركيا، ثم قام بتبرير سقوط الخلافة باستصدار بيان من بعض العلماء ذكر فيه أن مسألة الخلافة التي سادت أغلب فترات التاريخ الإسلامي مسألة خلافية ومن هنا بدأت تركيا تدخل ظلام التيارات العلمانية الوافدة بكل قوة، فقد أصدر أتاتورك عام ١٩٢٤م العديد من القرارات التي تهدف إلى مسخ الدولة وسلخها عن الإسلام تماماً، ومن ذلك إصدار قانون بتوحيد التدريس، وبموجبه ألغى تدريس الدين الإسلامي، وألحقت المدارس جميعاً بوزارة المعارف، وأغلقت مدارس القـــرآن الكريم، كما ألغى في نفس العام وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، والمحاكم الشرعية[3].

وكانت هذه الأعمال وراء ثورة الأقاليم الشرقية عام ١٩٢٥م على يد الشيخ "ســـعيد بيران"[4] وقد عرض على النورسي الاشتراك معهم ضد الحكومة، فرفض بحجة عدم رغبته في إراقة دماء المسلمين الأبرياء في حركة لا أمل فيها، وقد أخفقت هذه الحركـــة، فقتـــل

---

1 السيرة الذاتية: ١٨٦ .

2 لوزان مدينة سويسرية، عقد فيها ما بين ١٩٢٢، ١٩٢٣م مؤتمر دولي ضم الدول الغربية الحليفة واليونان وتركيا، وانتهى بالتوقيع على معاهدة كرست انتصار الدولة التركية في حربها ضد اليونان وإلغاء معاهدة سيفر المجحفة التي فرضها الحلفاء على تركيا، انظر الموسوعة السياسية: ٥/٥٠٥ .

3 الرجل الصنم: ٢٩٦ . ضابط تركي سابق. مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٧.

4 وقد قام الأكراد بثورات كثيرة منها ثورة الجنرال إحسان نوري باشا عام ١٩٢٧م، وثورة دير سيم عام ١٩٣٧م.

أفرادها وقبض على رؤساء العشائر الكردية، وتم نفيهم إلى مدن أخرى، ووضعوا تحت المراقبة، وكان النورسي ممن قبض عليهم ونفي إلى "بوردو".

وفي عام ١٩٢٥م أصدر أتاتورك "قانون القبعة" بإلزام الناس بلبس القبعة إمعاناً في التبعية والذلة، ومع أن إرتداء القبعة مسألة فرعية، إلا أن دلالتها كانت كبيرة في المجتمع التركي ــ العثماني ــ المحافظ الذي ينظر إلى القبعة بأنها بريد الكفر إن لم تكن هي من الكفر المبين، فكان قرار لبس القبعة يعبر عن رفض كل ما هو إسلامي، ولقد كان موقف النورسي من لبس القبعة موقفاً ثابتاً وهو عدم قبول لبسها مطلقاً مما سبب له المضايقات والمحاكمة، وقد أدانته المحكمة وفي ذلك يقول: " لقد أبرزوا عدم قيامي بلبس القبعة كسبب مهم لإدانتي، ولم يسمحوا لي بالكلام، علماً بأن المجتهدين وجميع شيوخ الإسلام منعوا لبسها، والآن يعودون لإيذائي وعقوبتي بدون وجه حق فكما لا يتعرض أحد إلى الذين يشربون الخمر جهاراً نهاراً في شهر رمضان، ولا يصلون باسم الحرية الشخصية فإن الذي يتهمني من أجل قيافتي مراراً وتكراراً بهذا العناء، سوف يسأل أمام الله"[1].

مرحلة سعيد الجديد (١٩٢٦ – ١٩٤٩م) (١٣٤٥– ١٣٦٨هـ):

هذه المرحلة من حياته تمثل مرحلة التأليف الغزير لرسائل النور وفيها انتشرت الرسائل في أنحاء تركيا، وهي تبدأ بنفيه إلى "بارلا" ــ من أعمال إسبارطة غرب الأناضول ــ وهناك عاش وحيداً في سكن معزول عن الناس وخلال فترات العزلة حدث انقلاب روحي عميق في حياته، ففي ليلة من ليالي منفاه يقول واصفاً وحشته: "حينما كنت في منفاي ــ ذلك الأسر الأليم ــ بقيت وحدي منعزلاً عن الناس على قمة جبل "جام" المطل على مراعي "بارلا" كنت أبحث عن نور في تلك العزلة ... وذات ليلة في تلك الغرفة الصغيرة غير المسقوفة، المنصوبة على شجرة صنوبر عالية، على قمة ذلك المرتفع، إذا بشيخوختي تشعرني بألوان وأنواع من الغربة المتداخلة، ففي سكون الليل حيث لا أثر ولا صوت سوى ذاك الصدى الحزين لحفيف الأشجار، أحسست بأن ذلك الصدى الأليم قد أصاب مشاعري، ومس أعماق شيخوختي وغربتي، فهمست الشيخوخة منذرة: كما أن النهار قد تبدل إلى هذا القبر الحالك، ولبست الدنيا كفنها الأسود، فسوف يتبدل نهار عمرك إلى ليل وسوف

---

[1] الشعاعات: ٥٠٧، السيرة الذاتية: ٤١٣.

ينقلب نهار الدنيا إلى البرزخ، وسوف يتحول صيف الحياة إلى ليل شتاء الموت، فأجابتها نفسي على مضض: نعم كما أنني غريبة هنا عن بلدتي ونائية عن موطني، فإن مفارقتي لأحبائي الكثيرين خلال عمري الذي ناهز الخمسين ولا أملك سوى تذارف الدموع وراءهم، هي غربة تفوق غربتي عن موطني ... ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الألم بدأت أبحث عن نور وعن قبس أمل، وعن باب رجاء سرعان ما جاء "الإيمان بالله" لنجدتي وشد أزري ومنحني أنساً عظيماً بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي أضعافاً مضاعفة لكان ذلك الأنس كافياً لشفاء نفسي"[1].

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من حياة النورسي ـــ سعيد الجديد ـــ (١٣٦٨ – ١٣٧٩هـ) بدأ فيها بأسلوب جديد، حيث اعتزل السياسة وقراءة الجرائد لمتابعة أحوال الناس، وخلال عزلته تلك سن أتاتورك تشريعات الكفر، فقد قام بإحلال القانون السويسري محل الشريعة الإسلامية، حتى في الأحوال الشخصية، فإذا التشريع الغربي الكافر قد اجتاح العالم الإسلامي، فإن الأحوال الشخصية بقيت على أصولها، أما تركيا فإنها لم تبق في عهد أتاتورك على هذا الاستثناء[2].

يقول النورسي عن ذلك: "أليس من الجناية في الإسلام أن نستجدي الأحكام من أوربا ولنا شريعة غراء تأسست قبل ثلاثة عشر قرناً إن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلى غير القبلة في الصلاة"[3]، ويقول: " إن الإسلام وشريعته الغراء هو الذي يحفظ حياتنا ويحقق وجودنا أمام الأجانب"[4].

وفي العام ١٩٢٧م فرض أتاتورك استعمال الحروف اللاتينية ومنع استعمال الحروف العربية في اللغة التركية، وجعل عقوبة من يكتب بالحروف العربية السجن ثلاثة أشهر مع الغرامة[5] وهذا القانون أدى إلى ضعف التعليم الديني وقراءة القرآن،ففرغت تركيا تدريجياً من

---

1 اللمعات: ٢١٤، السيرة الذاتية: ٢٢٣ .

2 انظر الرجل الصنم: ٣٥/١ .

3 صيقل الإسلام: ٥٢٧ .

4 انظر المرجع السابق.

5 موقف العقل والعلم والعالم: ٣٤٦/٤ . مصطفى صبري. دار إحياء التراث العربي.

العلماء والتراث الإسلامي بأكمله، وتبع تغير الحروف ترجمة القرآن إلى التركيـــة، وفـــرض الأذان باللغة التركية وقراءة خطبة الجمعة بالتركية الجديدة.

يقول النورسي عن تلك القوانين التي سنها الطاغوت أتاتورك: "طرق سمعي أن زنديقاً ـــ يقصد أتاتورك ـــ عنيداً قد نضح سوء طويته، وخبث قصده بإقدامه على ترجمة القرآن، فحاك خطة رهيبة للتهوين من شأنه، بمحاولة ترجمته حرفياً وصرح قائلاً: "ليترجم القـــرآن لتظهر قيمته أي ليرى الناس تكراراته غير الضرورية ولتتلى ترجمته بدلاً منه" إلى آخر ذلـــك من الأفكار السامة"[1]، وقد رفض النورسي إقامة الصلاة باللغة التركية، وكان يقيم الـــصلاة باللغة العربية هو وبعض أهالي "بارلا" وهذا ما أدى إلى سجنه مع عدد من أهالي "بارلا".

وعلى الرغم من أن بعض مؤلفات النورسي منذ بداية فترة سعيد الجديد تتعرض لبعض القضايا الشائكة تاريخياً في تلك الفترة إلا أنه كان متوجهاً إلى تأليف رسائل النور، حيـــث يحاول تأكيد وإثبات العقائد الإسلامية بأسلوب عصري قريب من فهم الناس، كوجود الله تعالى، وربوبيته، وإثبات نبوة محمد ﷺ ، وإثبات الحشر ... الخ.

وقد ساهمت هذه الرسائل وغيرها من الكتب والمؤلفات الإسلامية، في تخفيف التيارات الإلحادية الموجهة إلى تركيا في تلك الحقبة، وفي عام ١٩٣٥م حدثت اعتقالات كـــبيرة في صفوف الإسلاميين، وكان النورسي أحد المعتقلين وقدم للمحاكمة في محكمة "اسكي شهر" ووجهت له التهم بتأسيس طريقة صوفية وتأليف رسائل النور التي كانت تقف سداً منيعـــاً أمام "التحديث" للدولة وتأليف رسالة "الحجاب" التي تدعو إلى التستر في مواجهة دعـــوة أتاتورك إلى التكشف والعرى، وقد حكم على النورسي بالسجن أحد عشر شهراً[2].

بعد تمضية النورسي لفترة السجن أو "المدرسة اليوسفية الأولى" كمـــا أطلـــق عليهـــا النورسي بسبب رسالة الحجاب تم نفيه مرة أخرى إلى "قسطموني" في عام ١٩٣٦م، ووضع تحت الإقامة الجبرية لمدة سبع سنوات، وفي تلك الفترة كان أتاتورك قد هلك (عام ١٩٣٨م) وتولى بدلاً منه "عصمت أينونو" رئاسة الجمهورية، وقد سار أينونـــو علـــى درب رفيقـــه أتاتورك الذي لم يهلك إلا بعد أن أرسى قواعد الجمهورية العلمانية المتطرفة داخل المؤسسة

---

1 الكلمات: ٥٣٨.

2 انظر السيرة الذاتية: ٢٥٧ – ٢٥٨ .

العسكرية، والتي مازالت تدين بالولاء لمبادئ أتاتورك العلمانية، ولا تزال هـذه المؤسسة تواجه أية حركة إسلامية في تركيا، وقد أدخلت هذه المؤسسة تركيا في تيه وظلام العلمانية البغيضة، مما أفقدها ماضيها، وشل حاضرها، وهدد مستقبلها.

وفي "قسطموني" كان النورسي مازال يسير في درب منفى بارلا في تأليف رسائل النور وكل يوم يزداد فيه طلابه، وتنتشر فيه الرسائل في ربوع تركيا، وكان ضمن ما ألفه في تلك الفترة "الشعاع الخامس" الذي وصف فيه أتاتورك "بالدجال" وكان هذا الشعاع سبباً في محاكمته، وفي عام ١٩٤٣م[1] وبعد سبع سنوات من الإقامة الجبرية داهمت الشرطة منزل النورسي وقلبت البيت بحثاً عن الرسائل ولكنها لم تعثر إلا على الرسائل التي كانت منتشرة بين الناس، وقامت بتوقيف النورسي وساقته مع طلابه إلى أنقرة، وكانت التهمة الموجهة إليه هي تأليف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم وتسمية أتاتورك بالدجال وهادم الدين[2]، وقد تم نقل النورسي وطلابه – المئة والستة والعشرين طالباً – إلى سجن "دنيزلي" وسجن النورسي في سجن انفرادي، استمر تسعة أشهر، وقد عقدت المحكمة للنورسي في "دنيزلي" حيث قام فيه بالدفاع عن نفسه ضد جميع التهم المسندة إليه، وأكد أنه وطلابه ليس لهم علاقة بالسياسة وقد برأته المحكمة من جميع التهم ولكنه لم يطلق سراحه، واحتجز في فندق لمدة شهرين قبل أن ينقل منفياً إلى قضاء "أمير داغ" من أعمال ولاية "أفيون" وفي "أمير داغ" وضع على منزله شرطي لا يفارقه وقد حاولت السلطة أن تقتله، فوضعت له السم في طعامه، مما جعله يمرض ويتلوى من الألم ولكن الله نجاه من كيد أعدائه[3].

وفي عام ١٩٤٨م داهم البوليس بيت النورسي وبيت خمسة عشر من طلاب النور، وسيقوا جميعاً إلى مدينة "أفيون" وكانت التهم الموجهة إليهم هي التهم السابقة وعقدت له محاكمة في "أفيون" وحكم فيها على النورسي بعشرين شهراً، والحكم بمدد مختلفة على عدد من طلابه، وقد اعترض النورسي على الحكم في محكمة التمييز، والتي سرعان ما برأته بناء

[1] السيرة الذاتية: ٣٤٤ .

[2] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ص ٨٧ .

[3] المرجع السابق: ٩٥ .

على قرار المحكمة ديترلي التي برأت النورسي من التهم نفسها، وأفرج عنه في عام ١٩٤٩م، وبعد خروج النورسي وتغيير نظام الحكم من الجمهوري إلى الديمقراطي راجت رسائل النور كثيراً، وطبع منها آلاف النسخ، وبنهاية عام ١٩٤٩ انتهت مرحلة سعيد الجديد.

المرحلة الأخيرة/مرحلة العـودة إلى الـسياسة (١٩٥٠ – ١٩٦٠م) (١٣٦٩–١٣٧٩هـ)[1]:

في هذه المرحلة أخذت الأوضاع السياسية تتحسن شيئاً ما، وذلك بهزيمة الحزب الجمهوري الكمالي المتسلط، ووصل الحزب الديمقراطي إلى الحكم بقيادة "جلال بايار" الذي أصبح رئيساً للجمهورية و "عدنان مندريس" الذي أصبح رئيساً للوزراء، وقد قامت حكومة الحزب الديمقراطي بإصلاحات عديدة منها أداء الأذان باللغة العربية، وفتح مدارس ثانوية للأئمة والخطباء، وازدادت الجمعيات الإسلامية ولكن على كل حال لا تقارن بالجمعيات غير الإسلامية حتى إن الصحيفة الرسمية للحزب الديمقراطي " ظفر" عبرت عن هذا الرأي عام ١٩٥٨م بأن الحزب الديمقراطي قد وضع المبادئ النقية للإسلام وكان المرشد والمساعد للعلم والتقدم والفضيلة والأخلاق الحسنة،مع أن مندريس يقول في مناسبات كثيرة: لا رجوع عن فصل الدين عن الدولة إلا أن تركيا بلد إسلامي وستبقى كذلك.

وقد اقترح الحزب الديمقراطي تدريس دروس خاصة في أمور دينية للأطفال الذين أتموا المرحلة الابتدائية، وكان جراء سياسة هذا الحزب أن زاد عدد الأئمة والخطباء من ستة عشر إماماً في عام ١٩٥٦م (١٣٧٦هـ) إلى ١٢,٠٠٠ في عام ١٩٦٤م (١٣٨٤هـ).

وعموماً أدت سياسة الحزب الديمقراطي في الخمسينات إلى نتيجتين:

١) تكوين أو نشوء جمعيات إسلامية في الشأن السياسي التركي حيث قامت بعض الجماعات الإسلامية بحملة ضد صور وتماثيل أتاتورك مما جعل الحزب الديمقراطي في وضع حرج أمام الحزب الجمهوري الذي ينادي بالحفاظ على مفهوم أتاتورك في قيادة الدولة.

٢) نشوء اتجاهات إسلامية داخل الحزب الديمقراطي، فقد قام بعض الأعضاء من داخل الحزب بتقديم مذكرة إلى مؤتمر حزب محلي عقد في عام ١٩٥١م طالبت فيه المذكرة بإحلال الطربوش محل القبعة الأوربية وإعادة استعمال الحجاب، ونبذ الحروف اللاتينية، وإعادة

---

[1] وقد تسمى بـ "سعيد الثالث" انظر سعيد النورسي رجل القدر: ٢٤١ .

استخدام الأحكام الشرعية في المعاملات مع إباحة تعدد الزوجات، وهذا ما جعل مندريس يهاجم بشدة في مؤتمر عقد في شباط عام ١٩٥٣ الميول الإسلامية في الحزب حيث قال: "إن الحزب الديمقراطي ليس قسماً داخلياً يدفع أناساً يخالفون أفكار الحزب ومبادئه" لكن مندريس نفسه يراسل أحد القادة الإسلاميين ويذيل رسائله بـــ "وأقبل أيديكم"[1].

وقد فرح الناس بمجيء هذا الحزب للحكم، لا لأنه إسلامي بل لأنـــه أزاح الحـــزب الكمالي عن الحكم ولإعطاء بعض الحرية للنشاط الإسلامي، وعندما سمح الحزب بإرجـــاع الأذان باللغة العربية، خرج الناس إلى الشرفات وهم يبكون من الفرح ومن الشوق فكـــأن حبيباً رجع إليهم بعد طول غيبة.

وقد قام الحزب بفتح مدارس الأئمة والخطباء وأدخل دروس الدين إلى المدارس، كدرس اختياري، وكان النورسي من بين الذين استبشروا بزوال الحزب المعادي للإسلام، ومجـــيء حزب لا يعادي الإسلام، لذا فقد أرسل برقية تهنئة إلى رئيس الجمهوري "جلال بايار":

"جلال بايار"

رئيس الجمهورية:

نهنئكم وندعو الله تعالى أن يوفقكم لخدمة الإسلام والوطن والأمة.

عن طلاب النور

سعيد النورسي.

وقال لأحد طلابه سبب إرسال هذه البرقية:

" إنني أرسل هذه البرقية لأنني أعلم أن أعضاء حزب الشعب سيقولون لأنصار الحزب الديمقراطي صحيح أن سعيد النورسي ليس معنا ولكنه في الوقت نفسه ليس معكم كذلك، ذلك لأن له غاية أخرى وهدفاً آخر.

ويدفعونهم بهذا الكلام إلى استعمال السلطة ضد المتدينين، وضد طلاب النور، فعنـــدما يستلم الديمقراطيين هذه البرقية سيقولون لهم: إن سعيداً صديقنا، وبذلك لن يستعملوا سطوة الدولة بشكل خاطئ ضد المتدينين[2]".

---

[1] انظر الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: ٤٢ – ٤٧، ١٠٣ .

[2] انظر سعيد النورسي رجل القدر: ٢٥٢ .

وأرسل رئيس الجمهورية هذه البرقية الجوابية: بديع الزمان سعيد النورسي.

أمير داغ أشكركم على تهنئتكم القلبية التي أسعدتنا كثيراً. جلال بيار

وبعد أن قضى النورسي في أمير داغ سنتين سافر إلى "اسكى شهر" في عام ١٩٥١م واستقر في فندق "يلدز" ما يقارب الشهر والنصف، وبعث إلى طلابه رسالة بعنوان "الحقيقة هي التي تتكلم" شرح فيها الحكمة،والسر وراء ما لاقاه طوال هذه السنين الطويلة من الظلم والأذى، وقد نشرت رسالته هذه في مجلة: "سبيل الرشاد الإسلامية"[1].

وفي السنة نفسها سافر إلى إسبارطة حيث طبع رسالة "مرشد الشباب" بالحروف التركية الجديدة، مما ساعد على انتشارها بين الشباب فقامت الجهات المعادية للإسلام، برفع دعوى ضد النورسي لإخلاله بمادة (١٦٣) التي تدعو إلى عدم قيام الدولة على أسس دينية، مما اضطر النورسي للسفر إلى استنبول عام ١٩٥٢م ليمثل أمام المحكمة وبعد جلسات المحكمة المرهقة حكم رئيسها "نفعي دميرلي أوغلو" ببراءة النورسي.

وبعد حدوث الانقلاب العسكري عام ١٩٦٠م عاقب قادة ذلك الانقلاب رئيس المحكمة لأنه حكم ببراءة النورسي[2]،وبعد صدور الحكم بالبراءة قضى النورسي حياته متنقلاً بين أمير داغ، وإسبارطة وبارلا وأنقرة وقونية، وعند وصوله إلى أورفه، اشتد عليه المرض الذي كان يعانيه منذ زمن، فلم يستطع أن يغادرها، رغم أمر وزير الداخلية.

ومات النورسي يوم الأربعاء ٢٣ مارس ١٩٦٠م الموافق ٢٤ رمضان ١٣٩٧هـ، ودفن في أورفه، ولكن بعد وفاته وفي العام نفسه، أطاح الجيش بالحزب الديمقراطي وسيق أعضاء الحكومة إلى المحكمة التي أطلق عليها محكمة الدستور وحكمت المحكمة بالإعدام على "عدنان مندريس" رئيس الوزراء وعلى اثنين من وزرائه، وقامت السلطة في تلك الفترة بنقل رفات النورسي إلى مكان غير معلوم[3].

---

[1] السيرة الذاتية: ٤٤١ .

[2] سعيد النورسي رجل القدر: ٢٦٠ .

[3] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ١٣٦، سعيد النورسي رجل القدر: ٢٩١ . يذكر بعض الأتراك المعاصرين للنورسي – وقد كان من طلاب النور إلا أنه تركهم وعاب طريقهم فيما بعد – إن سبب ذلك الغلو عند قبر النورسي من التبرك وأكل التراب عند القبر وغير ذلك – والله أعلم –.

رسائل النور ومكانتها عند طلاب النورسي:

ماذا عن خصائص ومزايا رسائل النورسي ؟ وعن علاقة النورسي بهذه الرسائل ؟ وعلاقة الآخرين من عوام وطلاب وأئمة بهذه الرسائل ؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات التالية:

الخصائص والمزايا التي ذكرها النورسي لرسائل النور:

أطال النورسي كثيراً في بيان خصائص ومزايا الرسائل التي ألفها "رسائل النور" وذلك في أغلب الأجزاء[1] وربما يعود ذلك إلى حرصه على نشر العلم بين الناس، ولكن القارئ المنصف لهذه المزايا لا يوافق النورسي على ذلك.

من هذه الخصائص يقول عما أصاب العالم الإسلامي بعامة وتركيا بخاصة من لوثات الفكر الوافد وما هو الدواء الناجع لهذا المرض الفتاك: "نعم إنه لا يصح تجاه هذا المرض العجيب لهذا العصر العجيب ولسقمه الرهيب إلا رسائل النور الناشرة لأدوية القرآن المبين التي لها فعل المضاد للسموم"[2].

ويقول أيضاً: " إن الصعود إلى بعض حقائق الإيمان كان يستغرق أربعين يوماً بالسير والسلوك وقد يطول إلى أربعين سنة وإن الرسائل تختصر الطريق إلى أربعين دقيقة"[3]،فهو يعتقد أن "الكلمات التي كتبت لبيان أسرار القرآن هي أنجع دواء لأمراض هذا العصر وأفضل مرهم يمرر على جروحه وأنفع نور يبدد هجمات خيول الظلام الحالك على المجتمع الإسلامي، وأصدق مرشد ودليل لأولئك الحيارى الهائمين في وديان الضلالة"[4].

ويذكر الفوائد التي يجنيها طلابه من خلال الرسائل فيقول: "الذين دخلوا ميدان خدمة القرآن الكريم المقدسة بوساطة رسائل النور لا يهوون بإذن الله"[5]، وعن فوائدها العلمية يقول: "إن الذي يقرأ هذه الرسائل، وهذه الدروس في غضون سنة واحدة ويفهمها

---

1 انظر فهرس الملاحق حيث أفرد المترجم فهرساً خاصاً بمزايا رسائل النور وما ذكر عنها هنا إلا غيض من فيض.

2 الملاحق: ١٤٣ .

3 انظر المكتوبات: ٢٨ .

4 المرجع السابق والصفحة.

5 اللمعات: ٢٤٦ .

ويقبل بها يمكن أن يكون عالماً مهماً ذا حقيقة في هذا الزمن"[1].

ويذكر في موضع آخر أهمية الرسائل، وذلك بورودها في القرآن الكريم وإخبارات بعض الأئمة فيقول: "إنه من شأن القرآن الكريم وإعجازه العظيم، ومن مقتضى البلاغة المعجـزة للسان الغيب، أن ترد فيه رموز وإيماءات لجلب الأنظار إلى رسائل النور ــ التي هي معجزته المعنوية في هذا الزمان ــ بمثل إخبارات الإمام علي والشيخ الكيلاني قدس الله سره الـوارد بطرز إشاري ورمزي حول أهمية رسائل النور وقيمتها"[2].

ثم يتحدث عن رسائل النور من خلال قوله تعالى: **﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** [الأنعام: من الآية٥٩]. ويقول: "إن رسائل النور داخلة ضمن كلية المعنى الإشاري لهذه الآية عن طريق ما أسماه حساب الجمل والجفر"[3] لذلك فالنورسي يعتقد أن الرسائل لا يستطيع أحد أن يعارضها أو ينقدها، وذلك بسبب أن رائدها القرآن الكـريم، فيقول: "رغم أن رسائل النور نشرت بجهاد متواصل إلى الآفاق كافة في العصر العنيد الملحد، لم يستطع أحد أن يعارضها أو ينقدها،مما يثبت أن القرآن الكريم الذي هو رائدها ومنبعها ومرجعها وشمسها إنما هو سماوي من كلام رب العالمين،وليس بكلام بشر،حتى إن الكلمة الخامسة والعشرين وختام المكتوب التاسع عشر وهما حجة واحدة من بين مئات الحجج تقيمها رسائل النور لبيان إعجاز القرآن فتثبته بأربعين وجهاً إثباتاً حير كل من نظر إليها، فقدرها وأعجب بها ــ ناهيك عن أنهم لم ينقدوها ولم يعترضوا عليها قط ــ بل أثنوا عليها كثيراً"[4]، فهل لأن الرسائل تبين بعض قضايا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تكون بذلك معصومة عن الخطأ بحيث لا يستطيع الناس انتقادها؟، لاشك أن هذا الكلام باطل عقلاً وشرعاً، لأن كلاً يؤخذ من قوله ويترك، سوى الـنبي المعصوم محمد ﷺ انظر لقوله: "إن رسائل النور من نوع الصدقة المقبولة التي تكون وسيلة لـدفع المصائب، فمتى هوجمت تجد المصائب الفرصة سانحة أمامها فتترل، وأحياناً تغـضب الأرض

---

[1] المرجع السابق والصفحة.

[2] الملاحق: ١٧٩ .

[3] انظر الملاحق: ١٧٩ – ١٨٠ .

[4] الكلمات: ٥١٧ .

بالزلازل فما دامت الحقيقة هي هذه فلا تبارزوا مع رسائل النور المستندة إلى القرآن الكريم فإنها لا تُغلب، و إلا سيكون أمر هذه البلاد مؤسفاً إذا ما حاول أحـــد طمـــس نورهـــا"[1] ويقول: "ولعل الزلازل التي حدثت أثناء االمبارزة تثبت صدق حكم: سيكون أمر هذه البلاد مؤسفاً، وسوف تذهب إلى مكان آخر وتنور هناك"[2] ويحذرهم بقوله:"لا تحرمـــوني مـــن الرسائل و إلا ستكون خسارة جسيمة لهذا الوطن، فالأرض تحتد وتغضب بالزلزلة وبعـــد قولته هذه بثلاث دقائق وقعت زلزلة واستمرت ثلاث ثـــوانٍ وأظهـــرت غـــضب الأرض، وشبت النار في دائرة المعارف في وقت الهجوم على رسائل النور وطلابها، إن هذه الحوادث لا يمكن أن تكون مصادفة حتى إن الشتاء قد غضب غضباً شديداً في الوقت الـــذي شـــن الهجوم علينا وقد أظهر غضبه الهواء وحدته بالعواصف والبرد الشديد أنه متى مـــا توقفـــت الهجمات على الرسائل وطلابها فإن ابتهاج طلاب النور يبدل تلك العواصف القاســـية إلى أيام ربيع بهيجة"[3].

وفي خطاب لإخوانه وطلابه في سنواته الأخيرة يقول: "أثبتت تجارب كثيرة وحوادث عديدة بما يورث القناعة التامة، أن الأرض تهتز والسماء تبكي ببكاء رسائل النور وحزنهـــا وقد شاهدنا هذا مراراً بأم أعيننا وأثبتناه كذلك في المحكمة، وأعتقد أن توافق ابتهاج الصيف ـــ في بدايته ـــ في هذه السنة بانتشار رسائل النور سراً وتبسماً باستنـــساخها بـــالرونيو، وتطابق حدة الشتاء وغضبه وبكائه بالقلق على مصادرة الرسائل والتحريات الكثيرة في كل مكان وتوقف نشاطها، ما هو إلا أمارة قوية على أن رسائل النور معجزة كبرى ســـاطعة لحقائق القرآن الكريم تتجلى في هذا العصر حيث الأرض والسماء ذات علاقة معها"[4].

ويذكر النورسي مميزات كثيرة للرسائل نذكر منها:

١- قوله لا حفظ للإيمان إلا برسائل النور[5].

---

1 الشعاعات: ٤٧٨ .

2 الشعاعات: ٤١٠ .

3 انظر الشعاعات: ٤٩٨ .

4 الشعاعات: ٥٢٧ .

5 انظر الشعاعات: ٥٤٢ .

٢- إنها إلهام إلهي، وليست من بنات أفكاره يقول في ذلك: "تولد من صميم قلبي معانٍ جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم ... أمليتها على من حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليها (رسائل النور) إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم، لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني فأنا على قناعة ويقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته من أفكاري وإنما هي إلهام أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأني على يقين ألا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل"[1] ويدلل على أن الرسائل ليست من أفكاره بما يسمى بالمتوافقات بين الكلمات بشكل خارج عن إرادة المؤلف والمستنسخ للرسائل فيقول: "هذه المتوافقات موجودة لا محالة بشكل من الأشكال في الرسائل أياً كان المستنسخ، وكيفما كانت الأسطر والأحرف والصفحات، بحيث لا تدع شبهة من أنها ليست نتيجة المصادفة، ولا من نتاج تفكير المؤلف والمستنسخ، ولكن المتوافقات في خط بعض المستنسخين تلفت النظر أكثر، بمعنى أن لهذه الرسائل خطاً حقيقياً خاصاً بها، وأن بعض المستنسخين يقترب من ذلك الخط، ومن غرائب الأمور أن هذه المتوافقات أكثر ظهوراً لدى المستنسخين غير الماهرين مما يفهم أن المزايا والفضائل والظرافة في الكلمات، التي هي نوع من تفسير القرآن الكريم ليست ملك أحد بل أن ملابس الأساليب الموزونة المنتظمة التي تناسب قامة الحقائق القرآنية المباركة الجميلة المنتظمة، لا تفصل ولا تخاط باختيار أحد ولا بشعوره، بل إن وجودها الذي يقتضي أن يكون الأمر هكذا، وأن يداً غيبية هي التي تفصلها وتخيطها وتلبسها حسب تلك القامة"[2].

فما مدلول هذا الكلام عن الرسائل أيرمي إلى أنها وحي من الله أم أنها من عمل المؤلفين، يجيب النورسي على هذا التساؤل بالآتي:

٣- الرسائل فيض من نور القرآن ونور رسوله: "أما رسائل النور فهي بكلماتها وجملها تشهد أنها فيض من نور القرآن الكريم ونور محمد ﷺ، وذلك بانتسابها إلى القرآن الكريم وكونها تفسيراً خاصاً له، وبهذا الاعتبار فهي سماوية عرشية"[3].

---

1 نفس المرجع السابق والصفحة، انظر المكتوبات: ٤٨٧ .

2 المكتوبات: ٤٩٤.

3 المكتوبات: ٦٠٠ .

٤- يقول إن الرسائل صاحبها هو الله: "لا يمكن إطفاء رسائل النور وأكبر دليل على هذا هو أنه رغم ما حدث فقد انتشرت وسطعت أكثر، وذلك لأن صاحبها ومولاها هو الله ذو الجلال الذي بيده مقاليد كل شيء منذ الأزل إلى الأبد"[1].

٥- أنها العروة الوثقى وحبل الله: ففي بيانه لمزاياها يقول: "إن رسائل النور في هذا العصر، وفي هذا الوقت بالذات عروة وثقى، أي سلسلة قوية لا تنقطع، وهي حبل الله فمن استمسك بها فقد نجا"[2].

٦- المولى الكريم بعث رسائل النور: فعند حديثه عن حفظ الله لدينه قال: "كما أنه بعث الشيخ الكيلاني والإمام الغزالي و الإمام الرباني لعصور مضت فإن الله عز وجل بعث رسائل النور التي هي بحكم شخص معنوي وبعث طلابها الذين هم ـ بسر التساند والترابط ـ بحكم الفرد الفريد إلى هذا العصر"[3].

٧- لأن الرسائل معجزة قرآنية فإنه لا تفضل إحداها عن الأخرى، يقول: " أيما رسالة أقرؤها، أقول: هذه أولاها وأفضلها، ثم أطالع الأخرى وأقول: هذه أحسنها وهكذا الرسالة تلو الأخرى حتى اقتنعت قناعة تامة وتغمرني الحيرة ـ إن أجزاء رسائل النور لا تفضل إحداها على الأخرى فلكل منها رئاسة في مقامها ـ ولا غرو فإنها معجزة قرآنية تنور هذا العصر"[4].

٨- إن الرسائل ليست مسؤولة عن عيوب النورسي لأنها مرتبطة بالقرآن الكريم ـ بزعمه ـ والقرآن مرتبط بالعرش وما هو إلا طالب لها، ففي دفاعه أمام محكمة أفيون ذكر أن دفاعه يستند إلى تسعة أسس، وذكر الأساس السادس فقال: "لا يجوز التهجم على رسائل النور بحجة وجود قصور في شخصي أو في شخص بعض إخواني، ذلك لأن رسائل النور مرتبطة بالقرآن مباشرة، والقرآن مرتبط بالعرش الأعظم[5] إذاً فمن يجرؤ أن يمد يده

---

[1] المكتوبات: ٦٠١ .

[2] الملاحق: ٢٢٠ .

[3] الملاحق: ١٠١ .

[4] المرجع السابق: ١٠٣ .

[5] انظر لقول النورسي في كلام الله تعالى.

هناك، وأن يحل تلك الحبال القوية ؟ ثم إن رسائل النور لا يمكن أن تكون مسؤولة عن عيوبنا وعن قصورنا الشخصي ولا يمكن هذا ولا يجوز أن يكون أبداً"[1] ويقول عن نفسه: "لا أقبل إلا صفة طالب لرسائل النور التي هي معجزة معنوية للقرآن الكريم في هذا الوقت، مرتبط بها ارتباط تسليم لها وتصديق بها والحمد لله والشكر له"[2].

٩- ينبغي النظر للأمور بمنظار رسائل النور: يقول عن سبب فساد الهواء المعنوي بين الناس وازدياد المشكلات: "إن العلاج من هذا الداء والنجاة منه هو أنه ينبغي النظر إلى الأمور بمنظار رسائل النور، السعي في الخدمة السامية بجد أكثر وشوق أعظم كلما ازدادت المشكلات"[3].

١٠- الرسائل كرامة من كرامات معجزات الرسول: يتحدث النورسي عن منزلة الرسائل فيقول: "إنها كرامة من كرامات معجزات الرسول وعطية من عطياتها، وهي خارقة بأكثر من ثلاث وجوه:

الأول: أن تأليفها حدث خارق بلا شك، حيث ألفت من دون مراجعة لمصدر، اعتماداً على الذاكرة فقط رغم ما تشتمل عليه من روايات للأحاديث الشريفة.

الثاني: أن مستنسخها لا يمل من استنساخها مهما استنسخ منها، ومداومة القراءة فيها لا تذهب بحلاوتها رغم طولها".

الثالث: أن كلمة الرسول الأكرم ﷺ في الرسالة كلها، ولفظ القرآن الكريم قد توافقت عند المستنسخين دون أن يلتقي هؤلاء المستنسخون ما يدل على أن هذا سر من أسرار الغيب، وأن الرسالة كرامة من كرامات المعجزة الأحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[4].

١١- لا يقدر على تأليفها جماعة من العلماء والعباقرة مع سعيهم الدائب: يقول مدللاً على ربانية خاصة في تأليف هذه الرسائل: "لقد أنعم الله علي بتأليف ستين رسالة بهذا

---

[1] الشعاعات: ٤٢٤ .

[2] الملاحق: ١٦٦ وانظر الشعاعات: ٤٢٤.

[3] الملاحق: ١٢١ .

[4] انظر المكتوبات: ١١١ .

النمط من الإنعام والإحسان، إذ من كان مثلي ممن يفكر قليلاً ويتبع السنوح القلبي ولا يجد متسعاً من الوقت للتدقيق والبحث، يتم في يده تأليف ما لا يقدر على تأليفه جماعة من العلماء العباقرة مع سعيهم الدائب، فتأليفها إذاً على ذلك الوجه يدل على أنها إثر عناية إلهية مباشرة"[1].

١٢- أنه قد أعطى سيراً معيناً لينتج هذه الأنواع من الرسائل: يذكر إشارات عديدة يقول إنها تدل على عناية ربانية، ففي الإشارة السادسة يقول: "لقد تحقق لدي يقيناً بأن أكثر أحداث حياتي قد جرت خارجة عن طوق اقتداري، وشعوري وتدبيري، إذا أعطيت سيراً معيناً ووجهت وجهة غريبة لتنتج هذه الأنواع من الرسائل التي تخدم القرآن، بل كانت حياتي العلمية جميعها بمثابة مقدمات تمهيدية لبيان إعجاز القرآن الكريم بـ (الكلمات) ... حتى إنه في غضون هذه السنوات السبع من حياة النفي والاغتراب وعزلي عن الناس ـ دون سبب أو مبرر وبما يخالف رغبتي ـ أمضي حياتي في قرية نائية خلافاً لقريتي وعزوفي عن كثير من الروابط الاجتماعية التي ألفتها سابقاً ... كل ذلك ولد لدي قناعة تامة لا يخالجها شعور بالشك من أنه تهيئة وتحضير لي للقيام بخدمة القرآن وحده خدمة صافية لا شائبة فيها"[2]، ويقول في موضع آخر: "لقد كنت أعد قسم الخوارق التي ظهرت في عهد حياتي السابق، إنها سلسلة كرامات الشيخ الكيلاني، بينما تبين الآن أنها سلسلة كرامات رسائل النور فتوضح الأمر أن ذلك إنما كان لتهيئة الوسط الملائم لقبول رسائل النور لدى استنبول وعلمائها"[3].

١٣- قوله إن من كرامات رسائل النور أنها تقرأ في القبر، يتحدث عن أحد طلابه الميتين فيقول: "هناك أمارات قوية جداً تدل على أن ذلك البطل الشهيد منهمك في قبره برسائل النور، وأنه يجيب بها عن أسئلة الملائكة"[4]

١٤- قوله أن سيدنا عليًّا رضي الله عنه والكيلاني بشرا بهذه الرسائل وهذا نصه: "إن الحقائق

---

1 المكتوبات: ٤٨٢، انظر مزيداً من دلائله هذه في ٤٧٨ – ٤٩٤ .

2 المكتوبات: ٤٨٤.

3 الملاحق: ٢٢٥ .

4 اللمعات: ٤٠٦.

التي تحتوي عليها رسائل النور، والشخصية المعنوية التي يمثله كيان طلبتها، قد يممتا وجـــه تلك الحاجة شطرهما، ولاسيما في ظرف مثل ظرفنا ومثل وسطنا الحاليين، ومع أن حظـــي من الخدمة قد لا يبلغ الواحد من الألف، فإن البعض يعتقدون فيّ تجسيداً لتلـــك الحقيقـــة الخارقة وممثلاً لتلك الشخصية الأمينة المخلصة فيبدون نحوي ذلك النوع من الالتفـــاف ...

وربما يعود السبب في ذلك النوع من الالتفاف إلى إشارة مستقبلية للإمام علي رضي الله عنه وللشيخ الكيلاني قُدس سره، ولبعض الأولياء الآخرين، بإلهام إلهـــي إلى حقيقـــة رســـائل النـــور، وشخصية طلبتها المعنويين"[1]

١٥- زعمه أن بعض سور القرآن تشير إلى رسائل النور يقول: "حينما كنـــت أتلـــو القرآن

ــ المعجز البيان ــ في الشهر المبارك رمضان، تدبّرت في معاني الآيات الثلاثة الـــثلاثين ــ التي وردت إشارتها إلى رسائل النور في "الشعاع الأول" ــ فرأيت أن كل آية منـــها ــ بل آيات تلك الصفحة في المصحف وموضوعها ــ كأنها تطل على رسائل النور وطلابها من جهة نيلهم غيضاً من فيضها وحظاً من معانيها ــ لاسيما آية النور (في سورة النور) فهـــي تشير بالأصابع العشر إلى رسائل النور، كما أن الآيات التي تعقبها ــ وهي آية الظلمات ــ تطل على معارضي الرسائل وأعدائها بل تعطيهم حصة أكبر، إذ لا يخفى أن مقـــام تلـــك الآيات وأبعادها ومراميها غير قاصرة على زمان ومكان معينين بل تشمل الأزمنة والأمكنـــة جميعها، أي تخرج من جزئية الأمكنة والأزمنة إلى كلّيتهما الشاملة، لذا شعرت أن رســـائل النور وطلابها إنما يمثلون في عصرنا هذا ــ حق التمثيل ــ فرداً واحداً من أفراد تلك الكلية الشاملة"[2].

١٦- الأطفال منذ السنة السابعة يحبونه لأنهم يستشعرون أنهم سينالون السعادة برسائل النور يقول في ذلك: "ترى ما حكمة تراكض الأطفال الأبرياء الذين تتراوح أعمارهم مـــن السابعة إلى العاشرة لمجرد ملاحظتهم إياي وأنا أتجول في العربة الحصانية، ثم التفافهم حـــول يدي ؟ كنت أحار أمام هذا المنظر، ولكن إذا بخاطر يخطر إلى قلبي فأدركـــت أن هـــؤلاء

---

[1] الشعاعات: ٤٧٢.

[2] الشعاعات: ٣٠٣.

الأطفال الأبرياء يستشعرون بحس قبل الوقوع أنهم سينالون السعادة برسائل النور وسينجون من مهالك معنوية ستحيط بهم"[1].

١٧- بل إنه يدعي أن رسائله قد دخلت ضمن رضى رسولنا الكريم ﷺ إذ يقول: "أتاني "علي" الذي يعاونني في الأمور وقال: لقد رأيت فيما يرى النائم أنك وخسرو قد قبلتما يد الرسول الكريم ﷺ . وإذ بي استلم رسالة تتضمن أن مجموعة "عصا موسى" المكتوبة بخط خسرو قد شاهدها الحجاج في الروضة المطهرة. بمعنى أن تلك المجموعة قد قبلت اليد المعنوية للرسول الكريم ﷺ ونالت رضاه"[2].

١٨- يقول أن الإمام السرهندي الفاروقي قد بشر به أو برسائله: "لقد قال بعض العلماء في السابق أنه سيأتي أحد من المتكلمين ومن علماء الكلام وسيثبت بدلائل عقلية إثباتاً واضحاً جميع الحقائق الإيمانية والإسلامية، وياليتني أنا ذلك الشخص بل ربما هو أنا ــ وذكر في الحاشية أن المراد هو رسائل النور ــ"[3].

١٩- يقول ظهرت العناية الإلهية في رسائل النور بما لا يدع مجالاً أنها نظمت على إرادة غيبية يقول في ذلك: "لقد قلنا في حق تلك العناية الإلهية الظاهرة: أن التوافقات مشاهدة في كلمتي (القرآن الكريم) و (الرسول الكريم ﷺ) وفي الرسائل التي ألفناها، إلى حد لا تدع شبهه من أنها نظمت قصداً وأعطيت لها وضعاً موازياً، والدليل على أن القصد والإرادة ليسا منا، هو إطلاعنا على تلك التوافقات بعد حوالي أربع سنوات، أي أن هذا القصد والإرادة كانت غيبية وأثراً من آثار العناية الإلهية، فأعطيت تلكما الكلمتين ذلك الوضع الغريب تأييداً محضاً لمعجزات الرسول الكريم والإعجاز القرآني فأصبحت ببركة هاتين الكلمتين "التوافقات" ختم تصديق لرسالتي " المعجزات الأحمدية" و "المعجزات القرآنية" "[4]

٢٠- ويتصدى لمن يقول: "إن الرسائل لا تحمل ماهية علمية وقيمة راقية من حيث

---

[1] الشعاعات: ٤٩٥.

[2] الشعاعات: ٥٣٣.

[3] انظر الشعاعات: ٢١١.

[4] المكتوبات: ٤٨٨ – ٤٨٩.

تقديمها المعرفة إلى قرائها"[1] بقوله: "إنه لمثير للعجب والحيرة: أنه في الوقت الذي دقق علماء أجلاء من مصر والشام وحلب والمدينة المنورة ومكة المكرمة وعلماء من رئاسة الشؤون الدينية، مجموعات رسائل النور ولم ينتقدوها منها شيئاً، بل استحسنوها وقدروها حق قدرها ... أقول في الوقت الذي تقدر رسائل النور هكذا إذا بالذكي (!) يقول إن رسائل النور لا تحمل ماهية علمية..."[2].

لذلك نشأ من أقوال النورسي السابقة اعتقاد عميق لدى طلابه أن تلك الرسائل ليست مثل سائر المؤلفات، إذ هي طريق النجاة، وهي تفتح القلوب حتماً لمن قرأها ـ إلا من كان معانداً ـ وأن الله عز وجل سيحافظ عليها بل وينشرها بين الناس، وأنه ينبغي أن لا تترجم رسائل النور فتضيع معانيها الأصلية، وغير ذلك. وكانت تلك الآراء تعرض على النورسي ويقويها، ولا ينكرها، وهذه بعض آراء طلابه في رسائل النور:

١- إن نسخ الرسائل ونشره من القربات لأنها أمانة الله تعالى، وأمانة رسوله ﷺ ! يقول طالبه بكر أمر الله أوغلو: "شاهدت المفاتيح التي أظهرتها لي تلك الرسائل النورانية، أظهرت لي وكأنني أبلغت أن أفتح بهذه المفاتيح ما يجب فتحه من الأبواب. وكأنني أمرت بأن أبحث عن إخواني النورانيين وأبلغ تلك الأنوار المفاضة إلى من هو أهل له، بل اعتبرت بث الأنوار المشعة من تلك الرسائل مهمة أوكلت إلي.

وبعد تسلمي تلك المفاتيح من تلك الأنوار، ولأجل أن تشل أيدي الملحدين الخونة فتشت عن أولئك الأخوة والتقيتهم والحمد لله، وأودعت في أيديهم تلك الأنوار التي هي أمانة الله وأمانة رسوله الحبيب ﷺ فالحمد لله أولاً وآخراً على توفيقه سبحانه"[3]

٢- رسائل النور علاج كعلاج الخضر عليه السلام :

يقول حافظ علي أحد طلاب النورسي الأوائل يشبه رسائل النور بالعلاج النبوي ـ كالخضر عليه السلام ـ وهذا نصه: "في الوقت الذي بدأ كياني كله بالتعفن والفساد، باشرتم

---

[1] والباحث يؤكد صحة هذا القول من خلال قراءة كل رسائل النورسي أكثر من مرة. ومن الأمثلة على ذلك استشهادات النورسي بالأمثال الشعبية وأقوال الناس على أنها أحاديث نبوية.

[2] انظر الشعاعات: ٤٦٧.

[3] الملاحق: ٣٥ – ٣٦.

بإذن الله بالعلاج والضماد ــ كالخضر ولقمان الحكيم عليهما السلام ــ ووضعتم ذلك المرهم الشافي المستخلص من صيدلية الشفاء القرآني على الجروح والعفونات. فأنتم وسيلة لمنح الحياة، تلك التي تستحق أن تسمى حياة"[1].

٣- يرى طلاب النورسي أن النورسي يعرض عن الطالب الذي لا يقرأ رسائله:

يقول أحد أبرز طلاب النورسي وهو خلوصي في ذلك: " أستاذنا الفاضل الذي أدار ظهره إلى الدنيا ووفى بوظيفته حق الإيفاء، فالذي استخدمه في هذا الأمر الجليل سيعصمه بلا شك[2]. فلقد اقتنعت قناعة تامة بأن الأستاذ يدير ظهره للدنيا أيضاً إن قطعنا علاقتنا مع رسائل النور"[3].

٤- أن الله أظهر الرسائل وسيحافظ عليها وينشرها:

وهذا ما يقوله خلوصي عن الرسائل مخاطباً النورسي: "اطمأنوا يا أستاذي المحترم ! إن هذه الأنوار لا تبقى مهملة قطعاً. فالخالق الكريم الذي أظهرها لأنظار العالم بدلال القرآن وخادمه سينشرها وسيحافظ عليها حتى بأناس عاجزين كأمثالنا وممن لا يخطرون على بال. لذا أرجو من إخواني أن يكونوا على ارتباط وثيق برسائل النور"[4].

٥- التشبث بالأستاذ ورسائله واعتقاد أن النجاة في ذلك:

عندما سئل النورسي عن أيهما أفضل حفظ القرآن أم استنساخ الرسائل. أجاب إن الأفضل هو حفظ القرآن ثم قال: " ولكن لأن رسائل النور هي براهين لحقائق القرآن العظيم الإيمانية وحججه، ولكونها وسيلة إلى حفظ القرآن الكريم وتلاوته، ومفسرة لحقائقه وموضحة لها، ينبغي السعي لها أيضاً جنباً إلى جنب حفظ القرآن الكريم"[5]

فأصبح طلابه ــ أو كثير منهم ــ يغلو في معاملة الرسائل. فطالبه رأفت يقول إنه لا

---

1 الملاحق: ٥٤.

2 طلابه يرون أنه معصوم وأنه لا يخطئ ــ أو هذا رأي كثير من طلابه ــ لذا لا تجد الردود والتصحيحات على رسائل النور من قبل طلاب النورسي. وهذه نتيجة الغلو في المشايخ والمتبوعين.

3 الملاحق: ٥٦.

4 الملاحق: ٢٦.

5 الملاحق: ١٢٣.

يكفي للطالب أن يقرأ الرسائل مرة واحد، بل ينبغي قراءتها باستمرار[1].

وطالبة النور مزينة تقول: "نسأله تعالى أن يجعل لنا يوماً ننجو فيه ــ بتأثير الرسائل ــ من الأوضاع التي نفعلها دون اختيارنا وخارج إرادتنا ــ بإرشاد كلماتكم ــ كما نجا فيها أخونا المتقي المستقيم السيد لطفي"[2].

أما الطالب مسعود الذي يشتكي بأنه في حقيقة الأمر ليس سعيداً. يقول: "رأيت فيما يرى النائم أن أحداً يقول لي: لا تغادر طرف ثوب الأستاذ فهو الذي يجعلك مسعوداً ..."[3].

ويوجه طالبه "خلوصي" نداء لطلاب النورسي باغتنام الفرصة لشراء الجواهر في رسائل النور: " علينا أيها الأخوة اغتنام الفرص لشراء تلك الجواهر الثمينة النفيسة، وننقشها نقشاً في قلوبنا ودماغنا، لأنها ــ أي هذه الأنوار ــ ستكون مدار سلوان لنا في الدارين ... وأن نسعى لنشرها حسب استطاعتنا ونصونها مما قد يطرأ عليها من مؤثرات خارجية"[4]. وذلك لأنهم يرون أن جميع رسائل النور، بل كل منها، وكل موضوع من موضوعاتها، تحل ما لا يحصر من المشكلات، وهو أمر مشهود ومسلم به"[5].

وقد حذرنا نبينا ﷺ من اتخاذ سوى القرآن والسنة منهجاً وطريقاً، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: "من اقتراب (وفي رواية أشراط) الساعة أن ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار، ويفتح القول، ويخزن العمل، ويقرأ بالقوم المثناة، ليس منهم

---

[1] المرجع السابق: ٣٤.

[2] المرجع السابق: ٧٩.

[3] الملاحق: ٧٧.

[4] المرجع السابق: ٤١، انظر ٣٦ حيث يرون أن من يقرأ الرسائل دخل في الإيمان حتماً.

[5] المرجع السابق: ٣٣.

أحد ينكرها، قيل: وما المثناة ؟ قال: ما استكتب. سوى كتاب الله عزوجل"[1] قال ابن فارس المثناة:ما قرئ من الكتاب وكرر[2]،وقال الجوهري: "هي التي تسمى بالفارسية (دوبيتي) وهو الغناء"[3].

ولا يصح تفسير من فسر المثناة في هذا الحديث بأنها أخبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام فهو تحذير للأمة المسلمة مما سيقع، فهذا التفسير بعيد كل البعد عن ظاهر الحديث، وإن المثناة من علامات اقتراب الساعة فلا علاقة لها بما فعل اليهود قبل بعث النبي ﷺ[4].

والواقع يصدق ذلك فهذا سعيد النورسي له كتاب من مجموع رسائله باسم (المثنوي العربي النورسي) وقد سماه بالمثنوي مع أنه ليس ديوانًا للشعر، والواقع أن رسائل سعيد النورسي تدخل في هذا النهي من عدة وجوه ومن أبرزها حض طلابه على قراءة بعض رسائله بشكل دوري، يقول النورسي في اللمعة الحادية العشرين: " تقرأ هذه اللمعة كل

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك: ٥٥٤/٤ للحاكم وفي ذيله "تلخيص المستدرك" للذهبي، دار الفكر بيروت.، والدارمي في سننه: ص ٤٨٢، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي تحقيق فواز أحمد زولي، خالد السبع العلمي نشر دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٧ وابن أبي شيبة في مصنفه: ج ١٦٥/١٥ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة تحقيق كمال يوسف الحوت مكتبة الرشد الطبعة الأولى ١٤٠٩.، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة المجلد السادس القسم الثاني/ ٢٨٢١، وقال هو في حكم المرفوع لأنه لا يقال بمجرد الرأي، وقال رحمه الله : "هذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد تحقق كل ما فيه من أنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بالمثناة، وهي كل ما كتب سوى كتاب الله عز وجل، وقال: فكان المقصود بالمثناة الكتب المذهبية المفروضة على المقلدين ... الخ، فكيف بغيرها من كتب البدع".

[2] معجم مقاييس اللغة: ٣٩٢١ . ابن فارس. ت.عبد السلام هارون. مكتبة الحلبي، مصر الطبعة الثانية.

[3] الصحاح: ٢٢٩٤/٦ . الجوهري ت أحمد عبد الغفور عطا مطابع دار الكتاب العربي – مصر. طبع على نفقة حسن شربتلي.

[4] السلسلة الصحيحة:٧٧٦/٦. : محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥ مكتبة المعارف للنشر والوزيع – الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧.

خمسة عشر يوماً في الأقل"[1]، وفي موضع آخر يقول أحد طلابه وهو/ رأفت البارودجي[2] عن الرسائل إنه كلما قرئت زاد شوق القارئ لقراءتها لذا لا تكفي قراءتها مرة واحدة بل ينبغي قراءتها باستمرار[3].

٣- سعيد النورسي من خلال رسائل النور:

رسائل النور التي كتبها النورسي لم تكن كلها في المنهج الذي رسمه لطلابه، فقد أفرد بعض صفحات رسائله للحديث عن نفسه من حيث مكانته الإيمانية والتربوية وغير ذلك. وأرى أن هذا المنهج غير سديد، فالأصل أن المصلحين يغفلون أنفسهم في الدعوة إلى الله تعالى، فهو أدعى للإخلاص، وأرجى لقبول العمل.

يتحدث النورسي عن شخصيته فيقول: "إن في أخيكم هذا الفقير ثلاث شخصيات كل منها بعيدة عن الأخرى كل البعد ، بل بعداً شاسعاً جداً .

أولها: شخصية مؤقتة خاصة خالصة لخدمة القرآن الكريم وحده، بكوني دلالاً لخزينة القرآن الحكيم السامية، فما تقتضيه وظيفة الدعوة إلى القرآن والدلالة عليه من أخلاق رفيعة سامية ليست لي ، ولا أنا أملكها. وإنما هي سجايا رفيعة يقتضيها ذلك المقام الرفيع وتلك الوظيفة الجليلة .فكل ما ترونه من أخلاق وفضائل من هذا النوع فهي ليست لي، وإنما هي خاصة بذلك المقام فلا تنظروا إلي من خلالها..."[4].

وهذا نوع من مدح الذات - كما يظهر لي -. فهذه الأخلاق الرفيعة السامية والسجايا والفضائل إن لم يكن يقصد النورسي أنها من صفاته فصفات من تكون ؟ والحقيقة أن الإجابة على هذا التساؤل ستوضح لنا مدى الأثر الذي تتركه هذه الألفاظ في إقناع طلابه بأنه يمتلك صفات لا يملكها الناس ولا يستطيعونها هذا من جهة، ومن جهة أخرى

---

1 اللمعات: ٢٤٠ .

2 هو العقيد/ رأفت البارودجي، لازم النورسي في بارلا وسجن معه عدة مرات، أصبح إماماً في مسجد باستنبول حتى وفاته عام ١٩٧٥ انظر الملاحق: ٣٤.

3 الملاحق: ٣٤ .

4 الشعاعات: ٤٨٤.

ينفي أن تلك الصفات له بل هي للقرآن ؟ لأنه يقوم بالدعوة إلى القرآن! . فهو مثلاً يقـــول عن عدم استطاعته للشعر إن ذلك ليس بسبب قصور فيه بل لأن الله منعه منـــه . أو منـــع شخصيته التي تخدم القرآن أن تقرض الشعر يقول:"رغم أن الشعر وسيلة مهمة للتعبير فـــإن الخيال يقضي فيه بحكمة، فيختلط بالحقيقة ويغير من صورها، وأحياناً تتداخل الحقائق. و لم يفتح القدر الإلهي باب الشعر أمامنا ، عناية وفضلاً منه تعالى ،لأنه كان من المقدر أن نكون في المستقبل في خدمة القرآن الكريم التي هي حق خالص ومحض الحقيقة فالآية الكريمة **(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ)** [يّـــس:من الآية٦٩]متوجهة إلى هذا المعنى"[1]،ومما يدل على ما سبق كثير. يقول:" إن رسالة اللوامع التي اشترك السعيدان [2] في تأليفها بين هلالي شهر رمضـــان والتي اتخذت شكلاً شبيها بالمنظوم خارج إرادتي هي الأخرى يمكن أن تدخل ضـــمن رســـائل النور"[3].

ولا يخفي أثر الشعر في الدعوة. فالشعر منقبة لا يُفتخر بفقدها وقد قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت "اهج قريشاً ، فإنه أشد عليهم من رشق النبل"[4]. ويقول الإمام الذهبي عن أبي العتاهية "رأس الشعراء الأديب الصالح الأوحد " [5].

بل إن إمام مذهب النورسي ـــ في الفروع ـــ الإمام الشافعي كان من الشعراء المتميزين وله ديوان مشهور متداول. فهل نقص من علمه أو عمله لنشر دين الإسلام شيء ؟ والظاهر أن النورسي أراد إيهام طلابه بأن في شخصيته جزءاً مقدساً ـــ إن جاز التعبير ـــ أو علـــى الأقل جزء لا يخضع للنواميس التي وضعها الله للبشر الآخرين ـــ كما سيأتي ـــ لـــذا فهـــو يقول: "إن قسماً من أهل الحقيقة يحظون باسم الله (الودود) من الأسماء الحسنى وينظرون

---

1 الملاحق : ٨١.

2 يقصد نفسه في مرحلة سعيد القديم وسعيد الجديد.

3 الملاحق :١٦٠ .

4 أخرجه البخاري كتاب الغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب (٤١٢٤)، ومسلم من حديث عائشة وانظر مختصر مسلم ١٧١٦.

5 انظر سير أعلام النبلاء:١٩٥/١٠. للذهبي ت شعيب الأرناؤوط وآخرين مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الـــسابعة ١٤١٠.

إلى واجب الوجود من خلال نوافذ الموجودات بتجليات المرتبة العظمى لـذلك الاسـم ،كذلك أخوكم هذا الذي لا يعد شيئاً يذكر ، وهو لا شيء قد وهب له وضع يجعله يحظى باسم الله (الرحيم) واسم الله (الحكيم) من الأسماء الحسنى، وذلك أثناء ما يكون مستخدماً لخدمة القرآن فحسب ..." [1].

ومن ذلك أيضاً قوله إن بعض العلماء السابقين بشروا بقدومه[2]، فقـد قـال علمـاء محققون، كالإمام الرباني: "سيبين أحدهما في آخر الزمان علم الكـلام والمسـائل الإيمانيـة الكلامية لمذهب أهل الحق - بياناً جلياً بحيث يفوق على جميع ما كتبـه أهـل الكـشف والطريقة الصوفية"[3] .

وقد ذكر النورسي في رسائله كثيراً من الادعاءات التي تعزز مكانته عند مريديه. فهـو يقول إن الجو يبرد برداً شديداً غضباً له:" حينما كنت مضطرباً وقلقاً على عدم تحمل العيش في هذا الازدحام الكثير ،إذا بالجو يبرد برداً شديداً - علامة على الغضب - بحيث لو كنت مكاني لما تحملته قطعاً فانقلب لي العسر يسراً، ونزلت بي تلك الشدة رحمة منـه تعـالى"[4]. ويقول :" إن الشتاء قد غضب غضباً شديداً، في الوقت الذي شن الهجوم علينا وقد أظهـر غضب الهواء وحده بالعواصف والبرد الشديد، أنه متى ما توقفت الهجمات على الرسـائل وطلابها ،فإن ابتهاج طلاب النور يبدل تلك العواصف القاسية إلى أيام ربيع بهيجة"[5]، بـل إنه يقول إن الأرض تغضب حتى تتزلزل حين يهاجم: " بعد أخذ إفادته التي دامـت أربـع ساعات ونصف الساعة يذكر حوادث الحريق التي نشبت في دائرة المعارف في أنقـرة وفي جراج السيارات وفي معمل أزمير وفي عمارة كبيرة في أظنه. ثم يذكر قوله : لا تحرموني من الرسائل وإلا تكون خسارة جسيمة لي ولهذا الوطن فالأرض تحتد وتغضب بالزلزلة وبعـد قولته هذه بثلاث دقائق وقعت الزلزلة ودامت ثلاث ثوانٍ ،وأظهرت غضب الأرض وشبت

---

1 المكتوبات : ٢٣.

2 انظر الملاحق :٧٥.

3 الشعاعات :٦٢٧.

4 الشعاعات :٦٢٧.

5 الشعاعات :٤٩٩.

النار في دائرة المعارف في وقت الهجوم على رسائل النور وطلابها ، وقد ثبت هذا فعلاً لدى المحكمة أن حدوث الزلازل ونشوب الحريق تلازم وقت الهجوم على رسائل النور فهذه الحوادث لا يمكن أن تكون مصادفة.

لقد أصبحت رسائل النور وسيلة لدفع كثير من البلايا في هذه البلاد فهناك وقائع كثيرة جداً تدل على هذا"[1] ومثل هذا الربط بين الرسائل وبين الأحداث الطبيعية يخالف سنة النبي ﷺ الذي يقول: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا[2]". وبمثل الخسوف والكسوف يقال لشدة البرد والحر[3] والزلازل والبراكين وسائر الأحوال الطبيعية في الكون فإنها من الله يعاقب بها من يشاء من عباده يقول تعالى:**(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** [السجدة:٢١] قال ابن عباس: يعني مصائب الدنيا وأسقامها وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه[4]، فقطع النبيﷺ التوهم بأن الشمس خسفت لموت إبراهيم ابن النبي ﷺ حيث اعتقد بعض الناس أنها خسفت من أجل موته تعظيماً له وهذا من عقائد الجاهلية الباطلة التي قال رسول الله ﷺ فيمن أحياها " أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه"[5].

يقول ابن حجر عند هذا الحديث:" وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل

---

1 الشعاعات : ٤٩٨.

2 البخاري كتاب: بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر (ح٣٢٠١) .

3 انظر مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٩٠/٢٥ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة ١٤١٦. ، وانظر الوابل الصيب ٢٢٠/١ ابن قيم الجوزية، ت عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق الطبعة الثانية ١٣٩٩، والنبوات ١٩٠/١، ٢٠٩ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. نشر المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٦.

4 انظر: تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير: (٤٧٠/٤).

5 البخاري كتاب الديات باب من طلب دم امرئٍ بغير حق (ح٦٨٨٢).

الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره ، والحليف بحليفه، ونحو ذلك ويلتحق بذلك ما كان يعتقدونه والمراد منه ما أمر الإسلام بتركه ، كالطيرة والكهانة،وغير ذلك "[1].

فلا يمكن لأحد أن يعلم أن له عند الله الحسنى فيقول إن الأرض تتزلزل لأجله وهل قالها أحد من السلف الصالح حاشا بل كان عمر الفاروق يسأل حذيفة ويستحلفه بالله هل عده رسول الله ﷺ من المنافقين ؟[2]. وأبو ذر كان يقول يا ليتني كنت شجرة تعضد[3] . ويقول ابن أبي مليكه :" أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه[4]"[5] ، ويقول عطاء الخفاف عن سفيان الثوري[6] ما لقيت سفيان إلا باكياً فقلت ما شأنك ؟ قال:" أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقياً"[7] ، وقد كان هذا دأب الصوفية الأوائل أيضاً فهذا شيخ الصوفية الجنيد بن محمد كان نقش خاتمه :" إن كنت تأمله فلا تأمنْه" [8].

ونتيجة لأقوال النورسي عن نفسه نجد أن طلاب النورسي يعتقدون فيه ما لا يجوز ،يقول أحد طلابه المعاصرين[9] " أنه حلال المشاكل وكشّاف الصراط المستقيم الذي يوصل إلى المقصد بسرعة وبشكل صحيح دون خطأ في كل عمل وأمر"[10].

---

1 انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢١١/٢ ابن حجر العسقلاني المطبعة السلفية القاهرة..

2 أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف : (١٠٧/١٥) برقم (٣٨٥٤٥).

3 أخرجه الإمام أحمد في المسند : (١٧٣/٥) (ح٢١٥٥٥).

4 أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم، كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

5 انظر مجموع الفتاوى ٤٧٠/٧.

6 هو سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الكوفي، إمام الحفاظ، وشيخ الإمام مالك ت سنة ١٦٢ انظر الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٥٠ – ٣٥٢ برقم (٢٦٤١) وتاريخ بغداد: ٩/ ١٥٣ – ١٧٣ رقم ٤٧٦٣ الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

7 انظر سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧.

8 انظر سير أعلام النبلاء ٦٦/١٤.

9 هو عبد القادر بادللي : ولد سنة ١٩٣٦م، والتقى النورسي سنة ١٩٥٣، تعلم العربية والفارسية، ودرس القرآن والتجويد واللغة العثمانية على مشايخ قريته،وحوكم سبع عشرة مرة بتهمة قراءة رسائل النور وجهوده محصورة في نشر تلك الرسائل.

10 أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان :٥١٩.(بديع الزمان والأسرار الدينية: عبد القادر بادللي) طبع نسل إستانبول- الطبعة الأولى ١٩٩٦..

ويقول النورسي عن نفسه :إنه فاز بكمال الإيمان " الحمد لله حمداً كثيراً بعدد الذرات، الذي وفقني للفوز بكمال الإيمان، وأنقذني من الأوهام والضلالات فزالت بفضله جميع ما لدي من شبهات وريب. الحمد لله على دين الإسلام وكمال الإيمان"[1]. ويحدد النورسي درجة الإيمان هذه فيقول :" لقد فتح الله علي يوماً في سجدة في صلاة ، بعض المعاني والأنوار المشعة من كلمة (سبحان ربي الأعلى) بما يقرب من فهم الصحابة رضوان الله عليم أجمعين من هذه الكلمة المقدسة .فتبين لي يقيناً أنها خير من عبادة شهر ، فأدركت بها المترلة العظيمة والدرجة العالية التي يحظى بها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين"[2] .

ثم يوجه خطابه لطلابه ومريديه ولمن أراد أن يبلغ ما بلغه يقول :" إلى الذين يريدون أن يفهموا هُوِّيتي الشخصية وماهيتي الإنسانية كما هي لكل مؤمن وإلى الذين يرغبون أن يكونوا مثلي عليهم أن ينظروا إلى تفسير نفسي (أنا) في جمع (نا) في الآية الكريمة ويتدبروا في موقعه في ذلك الجمع ، وليفهموا ما وجودي وجسمي الذي يبدو ضئيلاً وفقيراً لا أهمية له، كوجود كل مؤمن وليعلموا ما الحياة نفسها بل ما الإنسانية ؟! وما الإسلام؟ وما الإيمان الحقيقي؟ وما معرفة الله؟ وكيف تحصل محبة الله؟ فليفهموا ... وليتلقوا درساً في ذلك"[3] .

وقد اتُّهم النورسي بأنه مدعٍ وأنه منذ السابق يدعي النبوة ، ويتخذ طور المجدد في خدمة القرآن والإيمان ،أي أنه يتصرف أحيانا تصرف منجذب بجذبة روحية[4] والملاحظ في حال سعيد النورسي يجد أن لهذا الاتهام ما يبرره إلى حد ما فهو كما يقول عن نفسه قد منعه الله من الشعر للدعوة إلى القرآن .وهو يقول عن رسائله إنه قد يكتب المقدمة لبعض

---

1 اللمعات :٢٩٨ وعن الصراع بين الإسلام والكفر يقول : إن الصراع سيميل في صالح الإسلام والقرآن ورسائل النور وإلى مسلكنا لا محالة ، انظر الملاحق :١٧١.

2 اللمعات ٥٥٥.

3 اللمعات :٣٩١ ولعل النورسي قد تأثر بقول عمر الخيام في قوله:

سبقت العالمين إلى المعالي	بصائب فكرة وعلو همة
ولاح بحكمتي نور الهدى	في ليالٍ الضلالة مدلهمة
يريد الجاهلون ليطفئوه	ويأبى الله إلا أن يتمه

4 انظر الشعاعات ٣٩٨.

رسائله فتطول المقدمة دون اختيار منه في ذلك[1] وأنه يكتب دون تنقيح أو تغيير من المسودة [2] لماذا ؟ يجيب عن ذلك بقوله :" نظراً لورود هذه اللمعة فطرياً دون تكلف وتعمد ،فقد كتبت في المرتبة السادسة دواءات، وإحجاماً عن الإقحام في فطريتها ،فقد تركناها كما هي و لم نجرؤ على تبديل شيء منها خوفاً من وجود سر في المسألة"[3].

ويزيد الأمر وضوحاً لطلابه فيقول: "إن هذه المسائل البالغة الخطورة والأهمية والتجلي الأعظم لاسم الله (القيوم) الطافح على وجه الحياة والقاضي في أعماق الوجود، لم تتوارد إلى القلب تواردا متعاقباً منتظماً الواحدة تلو الأخرى بل سطعت دفعة واحدة في سماء القلب كالبروق الخاطفة ،وانقدح زناد القلب، فاستنار الوجدان بها فدونتها كما خطرت لي و لم أجر عليها أي تعديل أو تغيير أو تشذيب فلا جرم أن يعتريها شيء من الخلل في الأداء البياني، والسبك البلاغي فأرجو أن تتكرموا بالصفح عما تشاهدونه من قصور في الشكل لأجل جمال المضمون وحسن محتواه"[4].

ويقول أحد طلاب النورسي ــ مترجم رسائل النور إلى العربية ــ عند وجود سقط في بعض رسائله وهو قول النورسي: "فتأملت فيها فوجدتها مطابقة تماماً للمعنى ... وهي كالتالي ... " قال: "انتهى النص هنا وكأن الستار أسدل أمام الأستاذ فلم يستمر بالكتابة، ولعل الظروف المحيطة به حالت دون ذلك، فاكتفى بالفقرات السابقة"[5].

وأي ستار يقصد هذا الطالب ؟ ألا يكتفي بتفسيره الثاني أو يدع الأمر بدون تفسير فلا زال السقط في المؤلفات العلمية، و لم يفسر الناس ذلك بأنه إسدال للستر، أو انقطاع للإلهام، وغير ذلك. وهذا طالبه المقرب "خلوصي" يقرب المعنى فيقول مخاطباً فيها أستاذه: " إن هذه الخدمة ليست محصورة برأيكم ، بل أنتم تستخدمون فيها ، فأنا على قناعة تامة من أن مهمة

---

1 انظر الشعاعات : ٣٠١.

2 انظر اللمعات: ٥٢٨.

3 اللمعات :٣٢٠.

4 اللمعات : ٥٧٣.

5 الشعاعات : ٣٠١.

أستاذي المحترم إذا ما كملت فإنه تعالى يلهم قلبه بختام مهمته .مثلما بلغ بختام الرسالة مبلغ القرآن فخر العالمين ، حبيب رب العالمين سيدنا محمد ﷺ بالآية الكريمة ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾[المائدة: من الآية٣]"[1] . ولكن لن نتعجب كثيراً من مسلك طلاب النورسي هذا إذا علمنا طريقة تدريسه لهم فهو يدعي أنه يراقب قلوب طلابه يقول " جاءني الحافظ علي" وقلت له إن خط الأخ (فلان) أجودَ من خطه وأنه أكثر منه عملاً ونشاطاً، وإذا بي أجد أن الحافظ علي يفتخر بإخلاص ومن الصميم بتفوق الآخر عليه ،بل التذ بذلك وانشرح ، وذلك لأن الآخر قد استطاع جلب محبة أستاذه وثناءه عليه. راقبت قلبه وأمعنت فيه بدقة ، وعلمت أنه ليس تصنعاً قط، بل شعرت أنه شعور خالص . فشكرت الله تعالى على أن في إخواننا من يحمل هذا الشعور السامي"[2] .

والزعم أن الشيخ يراقب قلوب مريديه من أساليب الصوفية في تربية طلابهم، وهذه وصية قديمة من الطريقة التيجانية لأرباب التصوف يقول فيها:

"وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاجة"[3].

ويقول عبد العزيز الدباغ :

"إن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره"[4].

وهذا الغلو في المشايخ هو من أسباب دخول الشرك في الأمة الإسلامية فإن هؤلاء الشيوخ الضالين لا يزالون يرفعون مكانتهم حتى يوهمون طلابهم أنهم يشاركون الله في صفاته، فهذا أحمد الرفاعي يقول:

"إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ثم ترتفع صفته إلى

---

1 الملاحق : ١٩.

2 الملاحق : ٥٩ – ٦٠ .

3 رماح حزب الرحيم: ٥٢/١.

4 الإبريز : ١٥٣.

أن تصير صفة من صفات الحق فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره"[1].

فإذا كان الشيخ عندهم بهذه الصفة فإنه لابد أن يتعلق الطالب بالشيخ أكثر من تعلقه بالله عز وجل، وهذه هي الغاية عندهم ، فمن أقوالهم:

"اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل ، وحفظ صورته بالخيال، ولو عند غيبته ، أو بعد وفاته، ولها صور: أهونها: أن يتصور المريد صورة شيخه كامل بين عينيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزال متوجهًا إليه بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب ... وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ"[2].

ومن بدهيات عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يعلم الغيب إلا الله ولا يعلم ما في قلوب العباد إلا الله وحديث أسامة مشهور في ذلك [3] ،بل إن النورسي يتفاخر بأنه خادم للقرآن في دعوته حتى إنه مستعد أن يدخل جهنم بدلاً من بعض المساكين من أهل الإيمان يقول:"إن طلاب النور يعرفون هذا كما أنني سردت الحجج التي أظهرت في المحاكم أنني لم أسع من أجل مقام أو رتبة لشخصي أو من أجل الحصول على مرتبة أو مقام أو شهرة معنوية أو أخروية، بل سعيت بكل ما أملك من قوة لتوفير خدمة إيمانية لأهل الإيمان ، ربما كنت مستعدا لا للتضحية بالمراتب الدنيوية الفانية وحدها بل ــ إن لزم الأمر ــ بالتضحية حتى بالمراتب الأخروية الباقية لحياتي في الآخرة ، مع أن الجميع يسعون للحصول على هذه المراتب ، ويعلم أصدقائي المقربون بأنني – إن لزم الأمر – أقبل ترك الجنة

---

[1] الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر : ١٤٨.

[2] السعادة الأبدية: ٢٢، ٢٣.

[3] عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً. فقال: لا إله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقال لا إله إلا الله وقتلته" البخاري كتاب الديات، باب: {ومَن أحياها} (ح٦٨٧٢)، مسلم كتاب الإيمان باب من قتل رجلاً من الكفار وبعد أن قال لا إله إلا الله.(٩٦)

والدخول إلى جهنم من أجل أن أكون وسيلة لإنقاذ بعض المساكين من أهل الإيمان"[1].

وهذا ما يرده القرآن صراحة، حيث يقول الله تعالى: **{يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه}** [عبس: ٣٣، ٣٤].

[1] الشعاعات : ٤٥٩.

المبحث الثاني:

النورسية نشأتها ومراحلها

يصعب على الباحث في النورسية الفصل بين سعيد النورسي والنورسية وذلك لشفافية الحاجز بينهما أو لعدمه. فأفكار سعيد النورسي هي أفكار واتجاهات النورسية[1] وهذا لا يخرج عنه أحد من أتباعها ، خاصة في الأمور العقدية ، وهذا الخلل التنظيمي والعلمي الذي أصاب جماعة النوريين "جعلهم يدورون في فلك القائد المؤسس ويجمدون عند تعاليمه، حتى ولو تجاوزها الزمن في بعض الأحيان"[2] مما يستوجب إلقاء الضوء على طلاب النورسي بعد وفاته.

قام بعض طلاب النور المقربين من النورسي بتسلم قيادة الجماعة [وذلك بعد وفاته في الخامس والعشرين من رمضان عام ١٣٧٩هـ"١٩٦٠م"] فوجهوا عنايتهم إلى نشر الدعوة من خلال المدارس التي أنشؤوها في كثير من المدن التركية، حيث يندر أن تجد مدينة في تركيا إلا وفيها مدرسة أو أكثر[3]، وقد كانت هذه المدارس تشمل السكن للطلاب، حيث يتم تنشئة الطلاب بعيداً عن المؤثرات الخارجية، وفي هذه المساكن يقومون بقراءة مؤلفات النورسي على شكل حلقة كبيرة .وتكون هذه القراءة بعد الصلوات وأحياناً يعقد لها جلسات خاصة.

وقد قام طلاب النورسي بطبع مؤلفاته في مجلدات كبيرة وترجمتها إلى مختلف اللغات،وأصدروا الصحف والمجلات الإسلامية ، ومنها جريدة " ذو الفقار" الصادرة في أزمير ، و "الأخوة" التي حلت محلها بعد إغلاقها وجريدة " الاتحاد " التي باشرت العمل في الواحد والعشرين من رجب ١٣٨٧هـ[الرابع والعشرين من تشرين الثاني "نوفمبر" عام ١٩٦٧م]. وأغلقت في الثالث عشر من ربيع الثاني عام ١٣٩١هـ [السابع من حزيران "يونيو" عام ١٩٧١م][4].

وقد أصدروا سلسلة تبين التلازم بين العلم والدين الإسلامي وقد طبعت كتب من تلك

---

1 انظر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي: ٨٧ . جمال الأحمر، دار الشهاب للنشر، عمار قرفي – باتنة الطبعة الأولى١٤٠٤.

2 الحركة الإسلامية الحديثة: ١٥١ مصطفى محمد طحان، ألمانيا الغربية، الطبعة الأولى ١٤٠٤.

3 انظر تركيا المتغير تبحث عن ثوب جديد: ١١٥. هاينتس كرامر، تعريب: فاضل جتكر، العبيكان الطبعة الأولى ١٤٢٢. وقد فتح "فتح الله غولن" مئة مدرسة في الجمهوريات السوفيتية التركية انظر: ١١٩.

4 انظر الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري: ٤٢٣ نقلاً من التكوينات الإسلامية في تركيا:٨٩.

السلسلة فمن ذلك:

١.الانفجار الكبير.

٢. الإنسان ومعجزة الحياة.

٣. دارون ونظرية التطور.

وقد أصدروا موسوعات عديدة منها:

١. موسوعة التاريخ القريب لتركيا في (١٥) جزء.

٢. موسوعة سلاطين آل عثمان: في ثلاثة أجزاء.

٣. موسوعة الطبيعة وخوارقها في جزئين.

٤. موسوعة علماء الإسلام في مجلد.

٥. موسوعة الصحابة الكرام في جزئين.

وفي عام ١٩٩٣م (١٤١٤هـ) قام طلاب النور بإنشاء محطتي إذاعة إسلامية خاصة لطلاب النور (وقد سبقهم إلى هذا بعض التجمعات الإسلامية) وإنشاء محطات بث فضائي في مستوى دولي موجهة إلى تركيا وإلى الجمهوريات المسلمة في آسيا الوسطى وإلى أوربا حيث توجد أقليات تركية[1].

وبهذه الجهود المتنوعة لطلاب النور تضاعف عدد الطلاب المنتمين لجماعتهم بخاصة الشباب الجامعي المثقف، وهذه الجهود من طلاب النور وغيرهم في الدعوة إلى الإسلام؛ جعلت لجنة حقوق الإنسان تصدر في حزيران عام ١٩٩١م تقريراً تُعَيِّبُ فيه على تركيا نشاط الدعوة الإسلامية فيها[2].

الانقسامات الداخلية:

وقعت خلافات بين طلاب النور عام ١٣٩١هـ [١٩٧١م] فعندما نفذ قادة الانقلاب العسكري وعودهم بالانسحاب من الحكم وتسليمه للمدنيين قامت أحزاب جديدة كان أهمها (حزب النظام الوطني)[3] الذي يتزعمه البروفسور "نجم الدين اربقان" وقد أعلن هذا

---

1 انظر سعيد النورسي رجل القدر: ٣٠٠ – ٣٠٢ .

2 انظر الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: ٨٧ من كتاب "رسائل من ميت تهز تركيا" ٥ .

3 اشترك في تأسيس حزب النظام الوطني الحركة النقشبندية بزعامة الشيخ محمد زاهد كتكو، وبعض طلاب النورسي

الحزب أنه يسعى لإقامة دين الله في الأرض، وتوحيد المسلمين في تركيا تحت كيان سياسي موحد لهم. ولظروف سياسية تبدل اسم هذا الحزب إلى (حزب السلامة الوطني) أولاً ثم إلى (حزب الرفاة) وأخيراً (حزب الفضيلة). ومن الأحزاب المهمة حزب العدالة الذي سرعان ما تسلم سليمان ديميرل قيادته وقد حل محل الحزب الديمقراطي السابق، أما حزب الشعب الجمهوري فظل على اسمه وزعامته السابقة بقيادة "عصمت اينونو".

وقد وقع الانقسام في صفوف طلاب النور لأسباب كثيرة لعل من أبرزها موقفهم من هذه الأحزاب.

فبادر بعض أفراد جماعة النور إلى تشجيع حزب النظام الوطني اقتناعاً منهم بأهمية إبراز كِيَان سياسي موحَد لهم، بحيث يواجه التيارات العلمانية بعامة ويقف في وجه حزب العدالة بخاصة، خاصة بعدما تأكد لكثير منهم أن حزب العدالة لا يختلف كثيراً في مبادئه ونظرته للحياة والدين عن الحزب الجمهوري، وبادر بعض أفراد الجماعة إلى إعطاء أصواقم إلى حزب العدالة الذي هو امتداد للحزب الديمقراطي . وذلك بسبب تأييد النورسي له عام ١٣٦٩هـ [١٩٥٠م] اجتهاداً منه بضرورة كسر شوكة الحزب الجمهوري الذي عانى المسلمون منه الشدائد، ولم يكن تأييد النورسي للحزب الديمقراطي إلا مرحلياً. حيث لم يشجع الحزب الديمقراطي إلا أنه رأى فيه مَيْزاتٍ يستحق لأجلها التشجيع، وقال: إن تأييده للحزب الديمقراطي لا يرتبط بزمن فهو تأييد مطلق للحزب، لذا فيجب ــ كما يرون ــ أن يؤيده طلاب النور.

وفي المقابل رأت مجموعة من الطلاب أن هذا فهم خاطئ لمراد الأستاذ؛ فإنه حين أرسل بخطابات إلى الحزب الديمقراطي مناصحاً فإنه قام بالفعل نفسِه مع الحزب الجمهوري وإنه لم

يبق هناك مبرر لتشجيع حزب العدالة مع وجود حزب إسلامي ينادي بإقامة شرع الله. وكان لمناصري حزب العدالة مبرراتٌ منها:

١- أن إعطاء الأصوات إلى (حزب النظام الوطني) وهو حزب ناشئ سيؤدي إلى تشتت أصوات جهة اليمين وبالتالي سيكون المستفيدون من ذلك (حزب الشعب الجمهوري) الذي كان تاريخه حافلاً بعداء الإسلام والمسلمين.

عام ١٩٧٠.

٢- إن الظروف في تركيا (داخلية وخارجية) لم تكن ملائمةً لوصول حزب إسلامي إلى الحكم، فبعد ذلك سيقع انقلاب عسكري يدخل البلاد في دوامة من الإرهاب الدموي ضد المسلمين والحركات الإسلامية، خاصة وأن تركيا تحتل موقعاً جغرافياً وسياسياً حساساً.

٣- عدم الثقة في قدرة حزب النظام الوطني عل التمثيل الجيد للإسلام وإدارة أمور الدولة بكفاءة كادره الناشئ غير المجرب[1].

ولهذه الأسباب وغيرها انقسمت جماعة النور إلى عدة أقسام:

القسم الأول: جماعة (يني آسيا) التي لا تزال مستمرةً في تشجيع حزب العدالة (الذي أصبح حزب الطريق المستقيم) مدعية أنها لا تتدخل في السياسة وتكتفي بالإدلاء بأصواتها في الانتخابات، وتصدر هذه الجماعة مجلة (كوبري) التي من خلالها تحاول الجماعة تبرير بعض مواقف هذا الحزب المنافية للدين، وإظهار زعيمه بمظهر مجدد الدين مع ما اشتهر عن هذا الحزب وزعيمه وكثير من أعضائه من الانتماء إلى الماسونية.

ويرى بعض الباحثين أن هذه الجماعة قامت بتحريف رسائل النور حسب هواها وذلك لتنفيذ مآربها السياسية[2].

القسم الثاني: جماعة فتح الله كولن. نسبة إلى زعيمها فتح الله كولن وقد افتتحت هذه الجماعة المدارس المتوسطة والثانوية الأهلية في أنحاءَ مختلفة من تركيا، وقامت بتجهيز هذه المدارس بأحدث الأجهزة والمختبرات العلمية التي يحتاجها الطلاب. مع توفير الجو العلمي والإسلامي للطلاب مما ساعد على تفوق طلاب تلك المدارس على أقرانهم في المدارس الحكومية. وقد افتتحت مدارس فتح الله كولن في الجمهوريات الإسلامية التركية وذلك بعد انفصالها عن الاتحاد السوفيتي، وقد سبقت غيرها في افتتاح قناة تلفزيونية خاصة تعرض فيها الأخبار والأفلام العلمية.

القسم الثالث: جماعة مدرسة الزهراء. وقد كان تركيز هذه الجماعة على إنشاء جامعة تحمل الاسم نفسه، وهي الجامعة التي كان النورسي يريد افتتاحها في مدينة (وان) للقيام

---

1 انظر سعيد النورسي رجل القدر: ٢٩٧، انظر الحركة الإسلامية الحديثة: ١٥٢ – ١٥٣.

2 انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ٤٢٨.

بنشر الدعوة في قارة آسيا، وقد كان رئيسها عز الدين يلدرم[1] حريصاً على الاستفادة من التجارب الدعوية الأخرى دون النظر إلى منهاجهم في الدعوة، وتعتبر هذه الجماعة الأكثر انفتاحاً على كتب العلماء والدعاة السابقين، وبعض الباحثين يرجح أنها أقرب الجماعات إلى فكر الأستاذ النورسي.

القسم الرابع: جماعة الخدمة، ويرأسها الأستاذ (عبد الله يغين) وقد كان من مرافقي الأستاذ النورسي، وهذه الجماعة انفصلت من جماعة (يني آسيا)، ولها نشاط جيد في كثير من المدن التركية.وبعض الدول الأوربية خاصة في ألمانيا، وهناك جماعات صغيرة مثل جماعة النساخ، وهم لا يرون طباعة رسائل النورسي، ويعتقدون أنهم مثل كُتاب الوحي يحصلون على الأجر باستنساخ الرسائل بأيديهم.

وهذا الانقسام في حركة النور كان له أسباب عديدة من أهمها:

١. افتقاد الجماعة بعد وفاة النورسي ــ لشخصية قيادية تستطيع الإمساك بزمام الأمور وتقف سداً منيعاً أمام الفرقة والاختلاف.

٢. ظهور جوانب النقص في نفوس عدد من القادة.

٣. التدخلات الخارجية.

٤. الانتماءات السياسية[2].

٥. ضعف التأصيل الشرعي لدى طلاب النور بصفة عامة، ومن ذلك معارضة الكثير منهم لنشر رسائل النورسي باللغة التركية الحديثة، حيث قالوا إن علم النورسي علم موهوب وإن التصرف في كلامه لا يوصل المعنى المطلوب، لأن كلمات النورسي الأصلية ذات معانٍ لا توازيها كلمات أخرى. وعلى اتساع حجم الحركة إلا أننا لا نجد لهم عالماً شرعياً يرجع إليه، سواء كان على مستوى الجماعة، أو على مستوى الأحزاب الصغيرة، هذا مع وجود أعداد كبيرة من المفكرين والكتاب في صفوف الجماعة.

[1] قال لي الشيخ عز الدين يلدرم – رحمه الله – إنه زار المملكة العربية السعودية ليتثبت من قول النورسي أن الوهابية خوارج ومبتدعة، فطاف ببعض مدنها ابتداءً من مدينة الرياض. فلم يجد مما قاله النورسي شيئاً بل وجد أن الدين ظاهر والسنة منتشرة ــ ولله الحمد ــ فأقر أن النورسي قد أخطأ في تقديره ذلك.

[2] انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ٤٢٧ – ٤٣٠ .

٦. الاعتقاد بأن النورسي بديع عصره (بديع الزمان) ووحيد دهره، وأنه لم ينشأ في هذا العصر مثلُه، فما يصفه من العلاج هو الصحيح دون غيره لذا يجبُ هجرُ جميع مؤلفات العلماء سوى ما كتبه النورسي. وهذا هو ما أراده للأسف ــ النورسي من طلابه[1]. وقد نتج عن هذا السبب أن النورسي لم يسم خلفاً له، لأنه ربما اعتقد أن هذا سوف يؤدي إلى استغلال هذه الفكرة ومن شأنه أيضاً أن يقود إلى الاختلاف في داخل طلاب النور، ومن وجهة نظره أن الحركة يجب أن تكون جماعية[2].

٧. بعد وفاة سعيد النورسي أصبح طلابُ النور يعملون بشكل علني فقاموا بإصدار المجلات والصحف لنشر مفاهيمهم الفكرية في السلوك السياسي الداخلي التركي، وبما أن هذا كان بعد وفاة الأستاذ النورسي فإن ذلك كان سبباً لاختلافهم خاصة في المسائل المتعلقة بالسياسة؛ فرفض عامة طلاب النور الخوض في المعترك السياسي،واهتم آخرون بالسياسة انطلاقاً من مفهوم أن الأستاذ النورسي دخل إلى السياسة إلى حد ما، عندما أدلى بصوته للحزب الديمقراطي. وقد أصبحت هذه المسألة واضحة منذ أن فكر نجم الدين أربقان ــ الذي كان من طلاب النور ــ بإيجاد حزب إسلامي.

٨. اختلفوا في أسلوب العمل، فقسم منهم رأى أن أهم عمل هو القيام بنشر رسائل النور وقراءتها والدعوة إليها[3].وقسم آخر أضاف إلى هذا النشاط نشاطات علمية وثقافية أخرى!

والناحية الإيجابية في الانقسام الداخلي في صفوف حركة النور، أنه لا يكاد يلاحظ هذا الاختلاف من ليس منهم. فهم في الغالب لا يتخاصمون فيما بينهم[4]؛ بل إنني ألتقيت ببعض المسؤولين في الحركة وكان ذلك بالتنسيق بينهم بشكل ودي بل أخوي، وهذا قد ينـدر في الحركات الإسلامية الأخرى.

---

1 انظر المكتوبات: ٤٤٢ حيث عد نشر رسائل النور أجل وظيفة في حياة طلابه !

2 انظر الأوضاع الثقافية في تركيا: ٤٢٧ – ٤٣٠ .

3 انظر الحركات الإسلامية في تركيا: ١٢٢ – ١٢٤ .

4 انظر سعيد النورسي رجل القدر: ٣٠٠ .

الباب الأول:

مصادر التلقي عند النورسية ونهجهم في الاستدلال

وفيه : أربعة فصول.

الفصل الأول: الكتاب والسنة.

الفصل الثاني: علم الكلام.

الفصل الثالث:التصوف.

الفصل الرابع:الفلسفة.

الفصل الأول :

الكتاب والسنة وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من الخبر.

المبحث الثاني: موقفهم من العقل.

المبحث الثالث: موقفهم من التأويل والتفويض.

المبحث الرابع: موقفهم من الجفر.

المبحث الأول:موقفهم من الخبر.

لم يقع خلاف في القرآن الكريم عند مَن يُعتد به في الأمة لا في ثبوته، ولا في حجيته، والاستدلال به،سواء كان في أبواب الاعتقاد أو غيرها، ولكن الخلاف وقع في طرق فهم النص القرآني، والاستنباط منه. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المباحث التالية كتقديم العقل على النقل، والتأويل والجفر، ولكن يحسن التنبيهُ إلى مسألة أصيلة في هذا المبحث عند النورسي وهو أنه يوحي لمن يقرأ رسائله بأنه يكتفي بالقرآن دون السنة وقد يستشهد البعض بقوله في ذلك: "إن سعيداً الجديد لا يقتني أي كتاب كان غير القرآن الكريم منذ عشر سنوات، ويقول حسبي القرآن كتاباً، ولا يسعني الوقت للتدقيق والبحث في مثل هذه المسائل الفرعية ــ يقصد مسائل إيمان والدي الرسول ﷺ وجده عبد المطلب ــ في جميع كتب الأحاديث كي أتمكن من الوصول إلى أقوى الأخبار وأصحها"[1] والصحيح أن قوله "حسبي القرآن كتاباً" لا يفهم منه أن النورسي لا يتخذ السنة مرجعاً بل هو في نفس هذا الجواب يقول إنه لا يتمكن من الرجوع إلى كتب السنة بسبب ظروف السجن ويقول أيضاً عن الحديث النبوي: إنه " معدن الحياة وملهم الحقائق"[2].

وبما أن النورسي يرى أن القرآن هو بحر المعجزات حيث يقول : " اعلم أن القرآن الذي هو بحر المعجزات والمعجزة الكبرى يثبت النبوة الأحمدية والوُحْدانية الإلهية إثباتاً، ويقيم حججاً، ويسوق براهين ويبرز أدلة تغني عن كل برهان"[3] فهو يرى أن القرآن أشار إلى بعض المعجزات العلمية فيقول: "إن القرآن الكريم الذي يخاطب البشرية قاطبة لم يهمل هذا الجانب من حياة البشر، بل قد أشار إلى تلك الخوارق العلمية ــ كالطائرات والكهرباء والقطار واللاسلكي ومنجزات العلم والصناعة ــ من جهتين:

الجهة الأولى: أشار إليها عند إشارته إلى معجزات الأنبياء عليهم السلام.

الجهة الثانية: أشار إليها عند سرده بعض الحوادث التاريخية. فعلى سبيل المثال: فقد

---

1 المكتوبات : ٤٩٨ .

2 صيقل الإسلام :٣٦ .

3 المثنوي العربي النوري: ٦٩ ، والكلمات : ٢٦٤ سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، نشر دلر سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٢.

أشار إلى القطار في الآيات الكريمة التالية:

(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)

[البروج:٤ — ٨]

وأيضاً: **(فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ)**

[يّـس:٤١ -٤٢]

والآية الكريمة الآتية ترمز إلى الكهرباء علاوة على إشارتها إلى الكثير من الأنوار والأسرار: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)**

[النور: من الآية٣٥][1]

ويتبين ما في هذا التفسير من التكلف عدا الآية الثانية، ولا يعني هذا نفيَ وجود الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ولكن لا يقبل تفسير الآيات القرآنية بمعنى يخرج عن ظاهرها إلا بدليل يجب الرجوع إليه؛ فمن خالف ظاهر القرآن فقوله مردود، والظاهر المقصود به هنا هو ما يتبادر للذهن من المعاني وأنه ليس لها معنى باطن يخالف ظاهرها.

وهنا أسوق بعض الملاحظات في هذا الباب (على سبيل الاختصار) تتلخص في حقيقة كلام الله، ووحدة الوجود، التأويل، إعجاز القرآن:

١- القرآن الكريم كلام الله تعالى على الحقيقة كما قال الله تعالى: (**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ**)[التوبة: من الآية٦] فقال: "حتى يسمع كلام الله ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، فهذه الآية فيها رد على قولهم: إن المسموع هو عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله"[2]. والنورسي يقرر قول الأشاعرة في كلام الله تعالى فيقرر في رسائله: "أن الكلام النفسي كالعلم والإرادة صفة أزلية بسيطة

---

[1] الكلمات : ٢٧٨.

[2] شرح العقيدة الطحاوية: ١٩٤ علي بن أبي العز ت د. عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣.

معلوم الوجود والثبوت، مجهول الكنه والكيفية. وأن الكلمات لا نهاية لها"[1]. ويؤكد أن الله تعالى لا يتكلم بحرف وصوت وأن كلامه أزلي بقوله: "لا يدع سبحانه تعريف ذاته ودلائل وجوده ووحدانيته، محصوراً في شهادة مخلوقاته وحدها، بل يتكلم كلاماً أزلياً يليق بذاتـــه، فلا حد ولا نهاية لكلام من هو حاضر وناظر بقدرته وعلمه في كل مكان ... إن الـــتكلم وفق مفاهيم البشر وبمستوى عقليتهم هو الذي يطلق عليه التنزلات الإلهية إلى عقول البشر. فتقتضي ربوبيتُه أن يصب معاني كلامه الأزلي في كلمات يتيسر للبـــشر أن يتلوهـــا بـــين كلامهم"[2]. يقول الشوكاني في تفسير لقوله تعالى: **(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْـــدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)** [الأنبياء:٢]: "إنما النزاع في الكلام النفسي، وهذه مـــسألة قـــد ابتلي بها كثير من أهل العلم والفضل في الدولة المأمونية والمعتصمية والواثقية، وجرى للإمام أحمد بن حنبل ما جرى من الضرب الشديد والحبس الطويل وضرب بسببها عنق أحمد بـــن نصر الخزاعي، ولقد أصاب أهل السنة بامتناعهم عن الإجابة إلى القول بخلق القرآن وحدوثه وحفظ الله بهم أمة نبيه عن الابتداع"[3].

لكن ما حقيقة الخلاف بين قولي المعتزلة والأشاعرة في كلام الله تعالى. يقول شـــارح القصيدة النونية: "إنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً ســـوى هـــذا[4]، والأشعرية تثبت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى وأن المعتزلة يقولون إن المخلوق كلام الله والأشعرية لا يقولون إنه كلام الله. نعم يسمونه كلام الله مجازاً هذا قول جمهور متقدميهم، وقالت طائفة من متأخريهم لفظ كلام الله يقال على هذا الكلام المنزل الذي نقرؤه ونكتبه في مصاحفنا وعلى الكلام النفسي بالاشتراك اللفظي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به، وهم مع هذا لا يقولون إن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله المعتزلة مع قولهم إن كلامه حقيقة، بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله، وهو كلامه حقيقة.

---

1 المثنوي العربي النوري: ٤٦٤.

2 انظر الشعاعات: ١٦٢.

3 فتح القدير: ٣٩٧/٣ . الشوكاني وثق أصوله وعلق عليه: سعيد اللحام دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢.

4 أي أن كلام الله تعالى مخلوق.

قال شيخ الإسلام: "وهذا شر من قول المعتزلة، وهذا حقيقة قول الجهمية"[1] ثم أضاف إن أهل السنة والجماعة: "لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي، بل ينفونه أشد النفي، ويرونه من أعظم الباطل، والكلام عندهم اسم للفظ والمعنى جميعاً"[2].

والقول بالكلام النفسي يلزم منه أن يسمى الأخرس متكلماً، لأنه قد قام بنفسه معانٍ كثيرة، وهذا مطابق لقول الأشاعرة فهم يقولون إن الملَك فهِم معنى قائماً بنفس الله تعالى، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً ثم عبر عنه[3].

ثم يقال في قوله تعالى: **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)** [الإسراء:٨٨] فيقال لهم القرآن المقصود به في الآية هل هو المتلو المسموع الذي بين يدي الناس أم هو المعنى القائم بنفس الله تعالى. فالجواب إنه القرآن المتلو المسموع. أما ما في نفس الله تعالى فلا حيلة للوصول إليه[4] والكلام لا يسمى كلاماً إلا إذا خرج بحرف وصوت ومن ذلك حديث معاويةَ بنِ الحكم[5] أن النبي ﷺ قال: "إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"[6]. ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به"[7].

ويلزم القول بأن كلام الله تعالى نفسي أزلي، أن كلامه عز وجل لا يتعدد ولا يتبعض

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى : ٢١/١٢، شرح قصيدة الإمام ابن القيم: ٢٦٧/١ أحمد بن إبراهيم عيسى. ت: زهير لشاويش المكتب الإسلامي. الطبعة الثالثة ١٤٠٦.

[2] المرجع السابق: ٢٨٣/١.

[3] انظر مجموع الفتاوى" ٥٢١/١٢، ٥٥٢.

[4] انظر شرح العقيدة الطحاوية: ٢٠٣.

[5] معاوية بن الحكم السلمي صحابي معدود في أهل المدينة روى عنه عطاء بن يسار، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١٥٣/٤ (٤٩٨٢): أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة. مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨.

[6] مسلم كتاب المساجد ومواقع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (٥٣٧) مسلم بن الحجاج بن الحسين القشيري النيسابوري ت محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار لإحياء التراث العربي.

[7] البخاري كتاب الأيمان باب إذا حنث ناسياً في الأيمان (٦٦٦٤).

فيكون معنى كلامه ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء: من الآية٣٢] هو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [البقرة: من الآية٤٣] وهذا ظاهر الفساد[1]. ويلزم منه أن موسى عليه السلام عندما سمع كلام الله تعالى فإنه يكون قد سمع كلام الله تعالى كله وهذا ظاهر البطلان، أو يقولون أنه سمع بعضه، فيكونوا قد نقضوا مذهبهم وقالوا: يتبعض[2].

٢- للنورسي ميل كبير إلى قول ابن عربي في وحدة الوجود. والقائلون بوحْدة الوجود يعتقدون أن كل كلام في الكون هو كلام الله ــ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ــ يقول ابن عربي في ذلك:

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

يعم به أسماع كل مكّون فمنه إليه بدؤه وختامه

ولا سامع غير الذي كان قائلاً فمندرج في الجهر منه اكتتابه[3]

يقول أبو الحسين النوري – وهو من أئمة الصوفية في القرن الثالث – عندما سمع نباح الكلب: "لبيك وسعديك"[4].

٣- من الجناية على القرآن الكريم التأويلات الباطنية التي لا دليل لها من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس، ولا توافق لغة العرب فلا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل، وهذا التأويل الباطل كثير عند الصوفية وغيرهم من طوائف المبتدعة أو الملاحدة، يقول ابن عربي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٦ – ٧] وكيف يؤمنون بك يا محمد وقد ختمت على قلوبهم، فلم أجعل فيها متسعاً لغيري ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون كلاماً في العالم إلا مني ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ

[1] انظر مجموع الفتاوى: ١٢٢/١٢، ٧١/١٧.

[2] انظر شرح الطحاوية: ١٩٨، ومنهاج السنة: ٤١٩/٥.

[3] الفتوحات المكية: ١٤١/٤ ابن عربي (محيي الدين) القاهرة ١٣٢٩.

[4] اللمع: ٣٩٢. أبي نصر السراج الطوسي، ت عبد الحليم محمود وآخرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٠م، انظر مبحث وحدة الوجود ص ١٩٦.

غِشَاوَةٌ) من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي"[1].

ومن تأويلات النورسي الباطلة في الكتاب العزيز إنكاره للدابة التي تخـــرج في آخـــر الزمان يقول: "إن تلك الدابة ـــ والله أعلم ـــ هي نوع وليست فرداً، لأنه لو كانت فـــرداً أو حيواناً واحداً ضخماً جداً، لما بلغ كل شخص في كل مكان، فهو إذن طائفة حيوانيـــة مخيفة، وربما هي حيوان كالأرضة التي تقضم الخشب وتأكله كما تشير إليها الآية الكريمـــة **(إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ)**[سبأ: من الآية١٤] فهذا الحيوان أيضاً يقضم عظام الإنسان وينخرها كنخر تلك الدابة الخشب ويستقر في جميع أجزاء جسم الإنسان من أســـنانه إلى أظفاره"[2]

٤- ومن الإعجاز القرآني: تحدي الناس أن يأتوا بمثله: وافق النورسي المعتزلة وغيرهـــم من أن هذا بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها، أو بسلب القدرة الجازمة؛ يقول النورسي في ذلك: "فالعلماء الذين يقولون لا يمكن معارضة القرآن حتى بكلمة واحد هو كلام حق لا مراء فيه، لأن الله سبحانه قد منعهم عن ذلك إظهاراً للإعجاز فلا يـــستطيعون إذن أن يتفوهوا بشيء للمعارضة"[3].

والقول بالصرفه قول فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْـــضُهُمْ لِـــبَعْضٍ ظَهِيراً)** [الإسراء:٨٨] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القـــدرة لم يبـــق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره[4].

---

[1] الفتوحات المكية: ٢٠٦/٢

[2] الشعاعات: ١٢١، انظر مبحث: التأويل والتفويض: ١٠٥.

[3] المكتوبات: ٢٤٦.

[4] انظر مباحث في علوم القرآن: ٢٦١ صبحي الصالح دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثامنة. انظر رد الألوسي على القائلين بالصرفة. روح المعاني: ٢٨/١ لشهاب الدين محمد السيد الألوسي. دار إحياء التراث بيروت. وانظر الإتقان في علوم القرآن: ٣١٥/٢ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي دار الفكر لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦ ت. ســـعيد المندوب. ولمزيد من موقف النورسي من الكتاب العزيز انظر الكشف ، الإلهام ، الجفر، التأويل وغيرهـــا، انظـــر ص٣٩٠.

ثانياً: النورسي خلال كلامه عن الحديث والسنة المطهرة يذكر كلاماً يوافق فيه قول أهل السنة والجماعة عن خبر الآحاد حيث يقول عن خبر الواحد: "القسم الأعظم مما نقل إلينا من دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ هو: بالتواتر الصريح أو المعنوي[1] أو السكوتي، وقسم منها بخبر الآحاد،إلا أنه ضمن شروط معينة ممحصة أخذ وقبل من قبل أئمة الجرح والتعديل من أهل الحديث النبوي فأصبحت دلالته قطعية كالتواتر. ولاشك إذا ما قبل بصحة خبر الآحاد محدثون محققون من أصحاب الصحاح الستة وفي مقدمتهم البخاري ومسلم وهم الحفاظ الجهابذة الذين كانوا يحفظون مالا يقل عن مئة ألف حديث، وإذا ما رضي به ألوف من الأئمة العلماء المتقين، ممن يصلون صلاة الفجر بوضوء العشاء زهاء خمسين سنة من عمرهم. أقول: إذا ما قبل هؤلاء بصحة خبر الآحاد، فلا ريب إذاً في قطعيته ولا يقل حكمه عن التواتر نفسه"[2]

ويقول عن المتواتر "إن الآثار المنقولة إن كانت متواترة فهي قطعية الثبوت وتفيد اليقين.

والتواتر قسمان:

الأول: التواتر الصريح أو التواتر اللفظي.

الثاني: التواتر المعنوي وهذا قسمان:

ــ الأول سكوتي، أي إبداء الرضا والسكوت عنه

ــ و القسم الثاني من المتواتر المعنوي: هو اتفاقهم على القدر المشترك بين أخبارهم وإن كانت الروايات متنوعة"[3] ويقول :"إن معجزات نبينا ﷺ نقلت بهذا التواتر المفيد للقطع فيقول مخاطباً للملحد: "فما أفسد قلبك وأنت تسمع ألوف المعجزات وكلها

---

[1] المتواتر اللفظي: ما رواه جمع كثير. والمعنوي: ما روي من طرق متعددة بألفاظ مختلفة إلا أنها اتفقت في إفادة شيء واحد وذلك مثل الأخبار التي نقلت شجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثلاً فإنها نقلت وقائع مختلفة ولكنها اتفقت في معنى واحد وهو الشجاعة. ومثاله في الحديث: أحاديث رفع اليدين في الدعاء لكنها في قضايا ووقائع مختلفة فكل واقعة منها تتواتر لكن القدر المشترك بينها وهو الرفع عند الدعاء تواتر باعتبار المجموع:تدريب الراوي: ١٩١ للسيوطي ت عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥.

[2] المكتوبات: ١٢٠ .

[3] المكتوبات: ١١٩ – ١٢٠ .

ثابتة بطرق التواتر المعنوي ومع ذلك لا يطمئن قلبك"[1] .

ويُذكّر طلابه بأهمية الحديث وأنه ملهم للحقائق[2] وأن المحبة العاطفية المجردة للرسول ﷺ ليست هي المطلوبة فحسب، بل مع ذلك يجب اتباع سنته وهديه، يقول: "نعم إن الاشتياق إليه ومحبته إنما هو باتباع سنته السنية وشريعته الغراء"[3] .

وعند بيانه للفوائد المستنبطة من قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾** [آل عمران: من الآية٣١]. يقول: "تعلن هذه الآية العظيمة إعلاناً قاطعاً عن مدى أهمية اتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها، نعم إن هذه الآية تقول: إن كان لديكم محبة الله، فلابد من الاتباع لحبيب الله. وإن لم يكن هناك اتباع فليس لديكم إذاً محبة الله. إذ لو كانت هناك محبة حقاً فإنها تولد حتماً اتباع السنة الشريفة لـ "حبيب الله" "[4] ويؤكد لطلابه أن هذا الطريق أكثر الطرق قبولاً وأزيدها استقامة ولكنه لم ينفِ طريقة أخرى غير طرق نبينا ﷺ فهو يقول: "إن من يؤمن بالله يطعه، ولا ريب أن أقصر طريق إليه وأكثرها قبولاً لديه، وأزيدها استقامة ـــ ضمن طرق الطاعة المؤدية إليه ـــ لهي الطريق التي سلكها وبينها حبيب الله ﷺ "[5] فهو هنا يصرح إن طريق النبي ﷺ من ضمن طرق الطاعة المؤدية إليه. وفي موضع آخر يذكر طريقاً من تلك الطرق ولا يشير إلى السنة الشريفة فيقول: "إن رسائل النور تسد الحاجة التي تخص الحقائق الإسلامية فلا تدع حاجة إلى مراجعة مؤلفات أخرى. ولقد عُلم بتجاربَ كثيرة قاطعة: أن أقصر طريق وأسهله لإنقاذ الإيمان وتقويته وجعله تحقيقياً هو في رسائل النور. نعم إن رسائل النور تقطع ذلك الطريق في خمسة عشر أسبوعاً بدلاً من خمس عشرة سنة فتبلغ المرءَ الإيمانَ الحقيقي.

وبينما كان أخوكم الفقير شغوفاً بالمطالعة قبل عشرين سنة حتى كان يطالع بنهم كتاباً

---

[1] صيقل الإسلام: ١٤٠ .

[2] انظر صيقل الإسلام: ٣٦ .

[3] المكتوبات: ١٧٢ .

[4] انظر اللمعات: ٨٤ — ٨٥ .

[5] نفس المرجع السابق والصفحة.

مجلداً أحياناً في يوم واحد، فقد كفاه منذ ما يقرب من عشرين سنة القرآن الكريم ورسائل النور المفاضه منه. فلم أحتج حتى إلى كتاب واحد. و لم أحتفظ بأي كتاب عندي.

وعلى الرغم من أن أبحاث رسائل النور تدور حول حقائقَ متنوعة جداً. فإنني لم أجد حاجة إلى مراجعة أي كتاب كان في أثناء تأليفها منذ عشرين سنة. فلا شك أنكم لا تحتاجون كذلك إلى مؤلفات أخرى وتستغنون عنها أكثر مني بعشرين درجة.

ثم إنني لما كنت اعتمدت عليكم ومازلت معتمداً[1] فلا ألتفت إلى غيركم، ولا أنشغل بسواكم، فينبغي لكم أيضاً أن تثقوا برسائل النور وتطمئنوا بها، بل هذا هو الألزم في هذا الوقت"[2]، وبمثل هذه العبارات من النورسي طبع طلابه على الانغلاق الفكري وعدم الإطلاع على كتب العلماء والمحققين المسلمين المتقدمين منهم والمتأخرين. فلا نجد في مكتباتهم ــ إلا جماعة عز الدين يلدرم كما شاهدتُ ذلك ــ إلا كتب النورسي مع كتاب الله عز وجل. بل لا نجد كتب السنة والحديث لنفس السبب. وهذا انحراف منهجي واضح. ومثل هذا التناقض نجده عندما يتكلم النورسي عن الأحاديث الصحيحة. فهو يقول إن الأمة لا يجب أن تعمل بالأحاديث الضعيفة والموضوعة فمثلاً: "إسناد قسم من الأحاديث الموضوعة إلى ابن عباس رضي الله عنه وأمثاله من الصحابة الكرام لأجل الترغيب والترهيب، إثارة العوام وحضاً لهم، إنما هو جهل عظيم. نعم ! إن الحق مستغن عن هذا، والحقيقة غنية عنه، فنورهما كافيان لإنارة القلوب. تسعنا الأحاديث الصحيحة المفسرة للحقيقة للقرآن الكريم ونثق بها ونطمئن إلى التواريخ الصحيحة الموزونة بميزان المنطق"[3].

وهذه الحقيقة لم يطبقها النورسي في منهجه العلمي والعملي:

١- فهو يقول عن الإيمان بأشراط الساعة إنها لا تحتاج إلى الدليل قطعي من آية محكمة ولا حديث صحيح فيقول: "اعْلم يا من يتوسوس من اختلافات الروايات في أمثال مسألة المهدي، وقرب الساعة والملاحم الاستقبالية ! أتريد إيماناً ضرورياً في كل مسألة ؟ حتى في المسائل الفرعية التي ليست من ضروريات الاعتقاد ؟!! بل يكفي فيها القبول التسليمي،

---

1 هذه العبارة لا تجوز بهذا الإطلاق

2 الملاحق: ١٢٨ .

3 صيقل الإسلام: ٣٩ .

وعدم الرد، لا الإذعان اليقيني القصدي حتى تحتاج إلى طلب البرهان القطعي"[1].

والبرهان القطعي في المسائل التي ذكرها وارد، فالمهدي صحت فيه أحاديث حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي. فمن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً (يعني: حججاً)[2]، وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "المهدي من أهل البيت، يصلحه الله في ليلة القدر"[3] وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله هذه الأمة"[4] وعند الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم"[5] وعند مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة". قال: "فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة"[6]

وفي خبر الدجال صحت أحاديث عند الشيخين وجاءت بالوصف الدقيق للدجال. فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أنا نائم أطوف بالبيت ... فإذا رجل جسيم، أحمر، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه

---

1 الشعاعات : ٣٤٠.

2 مستدرك الحاكم: ٥٥٧/٤ – ٥٥٨، وقال "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. وقال الألباني: "هذا سند صحيح رجاله ثقات" انظر السلسلة الصحيحة ٣٣٦/٢ ح ٧١١ .

3 مسند الإمام أحمد: ٥٨/٢ ت أحمد شاكر دار المعارف بمصر ١٩٧١.

4 مسلم كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٤١٢).

5 صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٣٤٤٩). وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حاكماً (١٥٥).

6 صحيح مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حاكماً (١٥٦).

عنبة طافية، قالوا هذا أقرب الناس به شبهاً ابن قطن رجل من خزاعة"[1]،

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: "إن الله تعالى ليس بأعور ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية"[2] وعن نزول المسيح ابن مريم أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أراني ليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجّلها، فهي تقطر ماء متكئاً على رجلين أو على عوائق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هذا ؟ فقيل: هذا المسيح بن مريم" [3].

وأخرج البخاري ما يدل على يأجوج ومأجوج وهو قوله ﷺ : "أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف"[4] وفي الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: "ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلَّق بين أصابعه"[5].

وما ورد من الخسوفات الثلاثة فقد أخرجها مسلم في صحيحه وغيره. فعن بن أسيد رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: "إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات فذكر منها: وثلاثة خسوف: خسوف بالمشرق، وخسوف بالمغرب، وخسوف بجزيرة العرب"[6].

أما الدخان فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: "بادروا

---

1 صحيح البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٧١٢٨)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام والدجال (٢٧٧).

2 صحيح البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٧١٢٧)، وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال.

3 الآدم هو الأسمر الشديد السمرة. انظر في غريب الحديث ١/ ٣٢.

4 صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨).

5 البخاري كتاب الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج (٣١٦٨) ، مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠).

6 صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١)

بالأعمال ستاً: الدجال والدخان"[1].

وقد وردت الأحاديث الصحيحة أيضاً في طلوع الشمس من مغربها فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"[2].

ومن أشراط الساعة الكبرى الدابة فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"[3].

فهذه الأدلة وغيرها كثير تدل على مسائل أشراط الساعة وتحتاج للإيمان اليقيني لا مجرد الإذعان والتسليم كما يقول النورسي.

٢- وأما من الناحية العملية لقول النورسي تسعنا الصحاح ـــ فإنه لم يلتزم بها.

وهذه بعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة الواردة في كتب النورسي، والتي اقتصر عليها الباحث طلباً للاختصار:

١- "ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن"[4]

هذا مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف[5] ومعناه وسْع قلب المؤمن الإيمان بالله ومحبته وإلا فمن قال إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من اليهود والنصارى الذي خصوا ذلك بالمسيح وحده[6] ونقل أن هذا حديث موضوع[7].

---

[1] صحيح مسلم كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال، انظر البخاري كتاب التفسير باب "فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين".

[2] صحيح البخاري كتاب الرقاق(٦٥٠٦)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان(١٥٧)

[3] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٨)

[4] المثنوي العربي النوري: ٣٨٣.

[5] انظر التذكرة في الأحاديث المشتهرة: ١٣٥/١ للزركشي ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٦.

[6] انظر كشف الخفاء: ٢٥٥/٢، ٤٣١ العجلوني ت أحمد القلاش مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٥

[7] انظر المصنوع: ١٦٤/١ للقاري ت عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٣٩٨.

٢- "سيد القوم خادمهم"[1].

حديث أن النبي ﷺ أطعم أصحابه لقمة لقمة وقال: "سيد القوم خادمهم"كذب مفترى على النبي ﷺ[2].

٣- "اتقوا فراسة المؤمن"[3]

لا يصح عن النبي ﷺ [4].

٤- "القدرية مجوس هذه الأمة"[5]

حديث موضوع من حديث المصابيح[6]، وقد ورد عن الزيدية وهو موضوع أيضاً[7]

٥- "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[8] وهو وإن كان معناه صحيح إلا أنه لا أصل له و لم

---

1 المكتوبات: ٥٦٢.

2 انظر كشف الخفاء: ٥٦٢/١، الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة: ٣٩٥/١ – ٣٩٦ مرعي المقدسي ت د. محمد لطفي الصباغ دار الوراق الطبعة الثالثة ١٤١٩. انظر الفردوس بمأثور الخطاب: ٣٢٤/٢ لشيروية ت السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

3 المكتوبات: ٣٣٤.

4 الموضوعات: ٣٣٣/٢ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر الطبعة الثامية ١٤٠٣. انظر اللآلئ المصنوعة: ٢٧٨/٢ وقال أنه ضعيف جداً وعده صاحب ميزان الاعتدال من مناكير محمد بن كثير القرشي: ٣١٠/٦، وانظر لقول الإمام أحمد: حرقنا حديثه، والإمام البخاري منكر الحديث، انظر المعجم الأوسط: ٢٣/٨ للطبراني ت حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية ١٤٠١.

5 المكتوبات: ١٣٧.

6 الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة:٢١٣/١[ملا علي القاري ت محمد الصباغ، نشر دار الأمانة- مؤسسة الرسالة ١٣٩١].وانظر المصنوع:١٠٧/١،العلل:٢٨٩/٨ للدارقطني ت محفوظ الرحمن زين الله السلفي دار طيبة الطبعة الأولى ١٤٠٥ لسان الميزان:٣٣٢/٢ ابن حجر ت دائرة المعارف النظامية الهند. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الطبعة الثالثة ١٤٠٦. كشف الخفاء: ٥٣٥/١.

7 النخبة البهية: ٦٦/١ المالكي ت زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٩. الفوائد المجموعة: ٤٨٥/١ الشوكاني ت عبد الرحمن بن يحي المعلمي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٠. المقاصد الحسنة: ٧٥٤/١ للسخاوي ت محمد عثمان الخشت دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٥ في سنده يحي بن سابق المدني، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات (وقد حسنه الألباني انظر صحيح الجامع ٤٤٤٢).

8 اللمعات: ٨٧.

يأت بطريق يصح[1].

٦- "كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق ليعرفوني"[2].

ليس بكلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وهذا واقع كثيراً من كلام الصوفية، حيث اعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم[3].

٧- "إن من أكمل المؤمنين إيماناً أن يعده الناس مجنوناً"[4]

لم أقف عليه في الكتب التي أطلعت عليها. ولو أراد بذلك حديث "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون"[5] فإن المعنى مختلف حيث الأول جعل الجنون من صفات المؤمن، والآخر جعل كثرة الذكر من صفات المؤمن. وهو لا يصح.

٨- "خير شبابكم من تشبه بكهولكم وشر كهولكم من تشبه بشبابكم"[6].

حديث ضعيف[7].

٩- "الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه"[8]

الصحيح أنه من الكلام المشهور على ألسنة الناس[9].

١٠- "أول ما خلق الله نوري"[10].

هذا من أكاذيب القصاص، وهو أصل القول بالحقيقة المحمدية[11].

---

1 التذكرة في الأحاديث المشتهرة: ١/١٦٠.

2 الشعاعات: ٢٧.

3 انظر كشف الخفاء: ٢/١٧٣، انظر الجد الحثيث: ١/١٧٥ للعامري ت بكر عبد الله أبو زيد، دار الراية الطبعة الأولى ١٤١٢.حيث ذكر إنكار ابن تيميةوالزركشي وابن حجر والسيوطي وغيرهم لهذا الحديث.

4 الشعاعات: ٤٠١.

5 ضعيف الجامع (رقم ١١٠٨) الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩.وشعيب الأرناؤوط: ٣/٩٩.

6 اللمعات: ٣٨٦.

7 انظر ضعيف الجامع برقم (٢٩١١)، والمغني عن حمل الأسفار: ١/٩١ أبو الفضل العراقي، ت أشرف عبد المقصود مكتبة طبرية الطبعة الأولى ١٤١٠.، العلل المتناهية: ٢/٧١٠.

8 اللمعات: ١٣١.

9 انظر كشف الخفاء: ١/١٤٠.

10 المثنوي العربي النوري: ٢٢٤.

11 انظر الآثار المرفوعة: ١/٤٣. النكفوي ت محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد ١٩٨٩.

المبحث الثاني: موقفهم من العقل.

موقفهم من العقل:

تعريف العقل:

التعريف اللغوي:

العقل في اللغة: مصدر عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً، تقول عقَلْتُ البعير أي أعقِله عقْلاً، والعقل الحِجر والنُّهى ضد الحُمق. وسمي عقل الإنسان عقلاً لأنه يعقله أي يمنعه من التورط في الهلكة كما يقال يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه، وكذلك العقل يعقل الإنسان عن مشابهة الحيوان.[1]

التعريف الاصطلاحي:

لا يخرج في المعنى عن الأصل اللغوي لمادة عقل، وقد عرفه ابن سيدة نقلاً عن الأصمعي بقوله: "العقل الإمساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسن"[2].

والعقل يستعمل بمعنى الغريزة التي ميز الله تعالى الإنسان بها عن سائر الحيوان وهي التي تسقط التكاليف بسقوطها، ويطلق العقل أيضاً على إدراك المعارف وتحصيلها ويطلق بعض العلماء على هذا العقل: العلم كما ذكره الأصبهاني في الحجة، ثم عقد مقارنة بينه وبين العقل بالإطلاق الأول مفضلاً العلمَ عليه[3]

والعقل له عدة استعمالات، فلا يصح تعريف العقل ببعض المعاني دون بعض، ومن هذه الاستعمالات :

الأول: الغريزة المُدْرِكة في الإنسان، التي بها يعلم، وهي فيه كقوة البصر في العين، وهي مناط التكليف.

---

[1] انظر لسان العرب:١١/٤٥٨ ابن منظور دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤.مادة "عقل"، ومقاييس اللغة ٤/٦٩ مادة "عقل"، وتهذيب اللغة ١/ ٢٣٨ – ٢٤٠ الأزهري حققه عبد السلام هارون راجعه محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للثقافة. وانظر مختار الصحاح: ٤٤٦، والقاموس المحيط: ١٣٣٦، والتعريفات : ١٥٧ – ١٥٨ للجرجاني ت إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥. ومعجم لغة الفقهاء مادة "العقل": ٣١٨.

[2] المخصص: ١/٣/١٦.

[3] الحجة في بيان المحجة ٢/٣٠٥ أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني الملقب بقوام السنة. ت/محمد ربيع، ومحمد أبو رحيم، الرياض، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١.

الثاني:العلوم الضرورية:وهي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات، والواجبات، والممتنعات.

الثالث: العلوم النظرية: وهي التي تحصل بالاستدلال والنظر، ويتفاوت الناس فيها جلياً.

الرابع: الأعمال التي تكون بموجب العلم، وفي التتريل قول أصحاب النار: **﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** [الملك:١٠][1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل، وإنما يعلمه مجملاً إلى غير ذلك من الوجوه. على أن الوجوه الأساطين من هؤلاء الفحول: معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية. وإذا كان هكذا فالواجب علم ذلك من النبوات"[2] هذا المعنى أخص من العلم؛ لأن صاحبه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب، ولأن الإدراك مراتب بعضها أقوى من بعض فأولها الشعور ثم الفهم ثم المعرفة ثم العلم ثم العقل[3].

يقول ابن القيم في بيان أقسام العقل:"العقل عقلان؛ عقل غريزي طبعي، وهو أبو العلم ومربيه ومثمره،وعقل كسبي مستفاد،وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته،فإذا اجتمعا في العبد استقام أمره وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء،وإذا فقدهما أحد فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه، وإذا فقد أحدهما أو انتقص، انتقص صاحبه بقدر ذلك"[4]

والنورسي كغيره من المتكلمين يعتبرون الدلالة العقلية المحضة هي الأصل في الاستدلال، ثم ينظرون بعد ذلك في دلالة النصوص، فإن وافقت ما تقرر لديهم مما يسمونه بالعقليات أخذوا بها لا لثبوتها، وإنما لموافقتها لأصولهم العقلية، وأما إذا خالفت تلك النصوص التي قرروها ــ مسبقاً ــ فلابد عندهم من تأويل النصوص لتوافق أصولهم العقلية، وإذا لم يمكن تأويل النص عمدوا إلى تفويضها وجعلوا معناها الظاهر من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. يقول النورسي: " من الأصول المقررة أنه: إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلاً

---

1 انظر: العقل : د: عبد القادر عطا صوفي مجلة البحوث الإسلامية العدد ٧٩.

2 مجموع الفتاوى: ٢٩/٥ – ٣٠ .

3 انظر مفتاح دار السعادة: ١٢٥/١ : ابن القيم تصوير دار الفكر، لبنان، على طبعة مصر.

4 مفتاح دار السعادة: ١١٧/١ .

ويؤول النقل ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً"[1].

ورأيهم في ذلك أن العقل هو الذي دل على صحة الشرع، وذلك بمعرفة الله وصـدق الرسول، فلو قدم العقل على النقل لكان في ذلك تقديم للفرع على الأصل، و لكان فيـه إبطال للأصل، وإذا بطل الأصل الدال على الفرع بطل بالتالي الفرع المترتب عليه.

يقول الغزالي: "من كذب العقل فقد كذب الشرع ولولا صدق دليل العقل لما عرفنـا الفرق بين النبي والمتنبي، والصادق والكاذب، وكيف يكذب العقل بالشرع وما ثبت الشرع إلا بالعقل، وهؤلاء هم الفرقة المحقة وقد نهجوا نهجاً قويماً ... الوصية الثانية أن لا يكـذب برهان العقل أصلاً، فإن العقل لا يكذب، ولو كذب العقل فلعله كذب في إثبات الـشرع، فكيف يُعرف صدق الشاهد بتزكية المزكي الكاذب، و الشرع شاهد بالتفاصيل، والعقـل مزكي الشرع"[2]، وهذا الذي قاله الغزالي تأثر به الأشاعرة من بعده، ومن أبرزهم الـرازي فيلسوف الأشاعرة، صاحب القانون الكلي حيث يقول: "اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور ثلاثة:

١- إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال.

٢- وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وهذا باطل؛ لأنه لا يمكننـا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على محمد ﷺ .

٣- ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول ولـو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة. فثبت أن القدح في العقل لتـصحيح النقـل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الثلاثة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة و إلا فإن المراد منه غير ظواهرها.

---

[1] صيقل الإسلام: ٢٩، وعده الشيخ محمد عبده أحد أصول الإسلام وادعى اتفاق الأمة عليه،انظر الإسلام بين العلم والمدنية: ١١٩.

[2] قانون التأويل: ٢٣٨-٢٤٠ ابن حامد الغزالي - ط عزت الحسيني - القاهرة ١٣٥٩. نشر محمد زاهر الكوثري.

ثم إن جوزنا التأويل على سبيل التبرع بذكر التأويلات على التفصيل وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات، وبالله التوفيق"[1].

ويقوم هذا القانون الكلي على ثلاثة أصول اتفقوا عليها وهي:

١- إمكان التعارض بين العقل والنقل.

٢- تقديم العقل على النقل عند التعارض.

٣- تأويل النقل بما يوافق العقل عند التعارض إن أمكن، وإن لم يمكن التأويل لزم التفويض حتى تسلم دلالة العقل من المعارضة. وهذا القانون غالباً ما يأتي به الأشاعرة في موضعين:

أحدهما: نفي العلو عن الله تعالى.

والثاني: نفي الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله تعالى، كالاستواء، والنزول، والمجيء، وكلام الله إذا شاء وغيرها، وأيضاً نفي الصفات الخبرية كالوجه اليدين وغيرهما. وقد بنوا هذا المانع العقلي ــ المعارض للنصوص ــ على دليل حدوث الأجسام، وحدوث الأجسام دليله أنها مستلزمة للأعراض وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث والنتيجة أن كل ما دل على التجسيم عندهم كإثبات العلو أو الصفات الفعلية أو الخبرية فيجب نفيه أو تأويله حتى يسلم لهم دليل حدوث العالم، لأن إثبات هذه الصفات لله يقتضي أن يكون الله حادثاً وهذا باطل[2].

والنورسي في موقفه من العقل والنقل لا يجعله قانوناً مطرداً له في جميع المسائل بل هو يقتصر على تقديم العقل على النقل في المسائل المذكورة آنفاً فهو يقول: "تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي ... ثم لأن عقل كل واحد لا يكفي في درك العدالة، احتاج

---

[1] أساس التقديس: ١٦٨-١٧٣، الفخر الرازي - مؤسسةالكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥. وقد بلغ من تقديس العقل ما قاله محمد بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥) في شرحه (العقيدة الكبرى) ٥٠٢ : "وأما من زعم أن الطريق إلى معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجتهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضاً فقد وقعت ظواهر من اعتقادها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتداع".

[2] انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٨٢٠ عبد الرحمن المحمود. مكتبة الرشد. الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥.

النوع إلى وضع قوانين كلية ... ثم لمحافظة تأثيرها ودوامها لابد من مقنن يجريها"[1].

إذاً فالنورسي لا يعتد بكل عقل بشري، بل لابد من ضابط لضبط أحكام العقل في الدنيا حتى يحافظ النوع على العدالة. ويقال إن الكلام في المسائل الإلهية أولى بالاحتياط هذا، فأي عقل نأخذ في المسائل الإلهية: العقل المعتزلي، أم العقل الأشعري، أم العقل الفلسفي، على ما بينها من تفاوت، أم نأخذ الدين من مصدره الأساسي وهو الوحي مع إعمال العقل في مجاله في تلك المسائل والمطالب الإلهية، ولذا يقول حمد بن محمد الخطابي في الرسالة "الغنية في علم الكلام" منتقداً أهل الكلام الذين تابعوا أهل اليونان في فلسفتهم المنحرفة في فهم الدين يقول:"وإنما هذا الشيء – منهج الفلاسفة العقلي في الاستدلال – أخذتموه عن الفلاسفة وتابعتموهم عليه، وإنما سلكت الفلاسفة هذه الطريقة لأنهم لا يثبتون النبوات ولا يرون لها حقيقة، فكان أقوى شيء عندهم في الدلالة على إثبات هذه الأمور: ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء، فأما مثبتو النبوات فقد أغناهم الله – تعالى – عن ذلك كله، وكفاهم كلفة المؤنة في ركوب هذه الطريقة المنعرجة."[2]

---

[1] صيقل الإسلام: ١٣٨.

[2] صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام: ٩٤. جلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية بيروت.

المبحث الثالث : التأويل والتفويض

التأويل

التأويل لغة: الترجيع والصيرورة بالشيء إلى أصله، قال صاحب التعريفات أبو الحسن الجرجاني[1]: "التأويل في الأصل: الترجيع"[2] ويعني بقوله في الأصل: أي في اللغة. والتأويل تفعيل من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه.

فالتأويل: التصيير، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه فآل وتأول، وهو مطاوع أولته[3]. وقال صاحب الصحاح[4]: "التأويل ـــ تفسير ما يؤول إليه الشيء ، وقد أولته وتأولته تأولاً. قال الأعشى:

على أنها كانت تُأَول حبها ... تأوُّل رِبْعِيِّ السقاب فأصحبا[5]

قال أبوعبيدة: "يعني تفسير حبها ومرجعه أي أنه كان صغيراً في قلبه فلم يزل ينبت حتى صار قديماً كهذا السقب الصغير، لم يزل يشب حتى صار كبيراً مثل أمه وصار له ابن يصحبه"[6]

وجاء في لسان العرب: " الأول: الرجوع. آل الشيء يؤول أوْلاً ومآلاً .

رجع وأوّل إليه الشيء: رجعه، وألْتُ عن الشيء: ارتددت، والإِيّل والأَيَّل: من الوحش، وقيل: هو الوعل. قال الفارسي: سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه، وقال أبوعبيدة في قوله: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**) [آل عمران: من الآية٧] قال: التأويل: المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه"[7].

---

[1] هو علي بن محمد الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني، ولد في تاكو قرب استرأباد عام ٧٤٠هـ وتوفي بشيراز عام ٨١٦هـ ، له كتب عديدة في التفسير والفقه والحديث والمنطق والكلام والبلاغة، ومن بين كتبه كتابه الشهير "التعريفات " انظر الأعلام:٧/٥.

[2] التعريفات : باب التاء ، ص ٢٨ .

[3] الصواعق المرسلة : ١٧٥/١ ابن قيم الجوزية. ت: د.علي دخيل الله. دار العاصمة. الرياض. الطبعة الثانية ١٤١٢.

[4] إسماعيل حماد الجوهري أبو نصر. أشهر كتبه "الصحاح" وله كتاب في "العروض" مات سنة ٣٩٣ هـ . انظر الأعلام: ٣١٣/١.

[5] الربعي : ولد الناقة في أول الإنتاج ، السقاب : جمع سقب وهو ولد الناقة ساعة يولد .

[6] الصحاح: ١٦٢٧١٤.

[7] لسان العرب : ٣٢/١١-٣٤ .

إذاً فالتأويل: هو ما أول إليه الكلام أو يؤول إليه، أو تأول هو إليه. والكـلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول ويُؤَوَّل إلى حقيقته التي هي عين المقصود به كما قـال بعـض السلف في قوله تعالى: (**لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ**) [الأنعام: من الآية٦٧] قال: " حقيقة "[1].

التأويل في الاصطلاح :

التأويل عند السلف يطلق على معنيين:

الأول: التأويل بمعنى تفسير اللفظ وبيان معناه، وهوكثير في استعمال السلف.جاء في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عنه قوله: "ورسول الله بين أظهرنا وعليه يترل القرآن، وهـو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به"[2] يعني تفسيره وبيانه بأقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم.

قال ابن القيم: "فعلمه صلوات الله وسلامه عليه بتأويله هو علمه بتفسيره وما يـدل عليه، وعمله به هو تأويل ما أمر به ونهى عنه"[3] ويقول ابن تيمية عن التأويل عند السـلف: "أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفـسير عند هؤلاء متقارباً أو مترادفاً وهذا ــ والله أعلم ــ هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله. ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل قوله: كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير"[4].

الثاني: حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وهو معنى يرجـع إلى العاقبـة والمـصير[5] وهـو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة كقوله تعالى: (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّاتَأْوِيلَهُ يَـوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**)[لأعراف: من الآية٥٣]

---

[1] انظر مجموع الفتاوى : ٢٩٣/٣-٢٩٤ .

[2] رواه مسلم كتاب الحج، باب "حجة النبي صلى الله عليه وسلم" ٨٨٧/٢ ، وأبو داوود في السنن ٢كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم /٤٥٩ .

[3] الصواعق المرسلة ١٨/١ .

[4] مجموع الفتاوى: ٢٨٨-٢٨٩. وعلى هذا جاءت بعض أسماء كتب السلف مثل (تأويل مشكل القرآن) و (تأويـل مختلف الحديث) لابن قتيبة. انظر شرح قصيدة ابن القيم: ١٣/٢.

[5] انظر التدمرية: ٥٥/٣-٥٦ . ابن تيمية ت محمد بن عودة السعدي الطبعة الأولى ١٤٠٥. انظر شرح القصيدة ابن القيم : ٤٨/٢ في التأويل المنفي والتأويل المثبت .

ومنه قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسـول الله يكثـر أن يقـول في ركوعـه وسجـوده :

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفرلي، يتأول القرآن "[1].

يقول ابن تيمية: "والمعنى الثاني في لفظ السلف: هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفـس الـشيء المخبر به"[2].

أما التأويل عند المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحـوهم فهـو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به[3].

وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عنه في أصول الفقه ومـسائل الخلاف،فـإذا قـال أحدهم: هذا الحديث أو هذا النص مؤول وهو محمول على كذا، قال الآخر: هـذا نـوع تأويل، والتأويل يحتاج إلى دليل. والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الـذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه من المعنى الظاهر،وهذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات إذا صنف بعضهم في إبطال التأويل، أو ذم التأويل، أو قال بعـضهم آيات الصفات لا تؤول، وقال الآخر: بل يجب تأويلها، وقال الثالث: بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك عند المصلحة، أويصلح للعلماء دون غيرهم، إلى غير ذلك من المقالات والتنازع[4].

فالتأويل الصحيح هو القسمان الأولان وهما حقيقة المعنى وما يـؤول إليـه في الخارج ، أو تفسيره وبيان معناه. وهذا التأويل يعم المحكم والمتشابه والأمر والخبر[5]، وهـو

---

[1] متفق عليه رواه البخاري كتاب الأذان ، باب التسبيح والدعاء في السجود ٤٩٦٨/٢ ، ومسلم في كتاب الـصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٤) .انظر "جناية التأويل الفاسد على العقيدة الاسلامية": ٨٠ محمد احمد لوح دار ابن عفان للنشر والتوزيع ط١ ١٤١٨

[2] مجموع الفتاوى ٢٨٩/٣ ، وانظر ٦٨/٤-٧٠ .

[3] انظر شرح قصيدة ابن القيم "ابن عيسى" : ١٣/٢.

[4] انظر مجموع الفتاوى ٢٨٨/١٣ ، وانظر ٢٨/٥-٣٦ ، والصواعق المرسلة ١٧٥/١ .

[5] انظر الصواعق المرسلة: ١٨١/١ .

موافق للسنة وما سار عليه السلف لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، ليس تفسيراً لـــه بـــالرأي، والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله[1].

وللتأويل الصحيح عند السلف ضوابط منها:

١- أنه لا تعارض بين نصوص الشرع ودلالات العقل، حتى يقبل حجة للتأويل فالله تعالى أنزل الكتاب وأنزل الميزان ــ وقياس العقل منه ــ فهما في الإنزال أخوان، وفي معرفة الأحكام شقيقان، وقد تقدم ألّا تعارض بين نصوص الشرع، وكذلك الميزان، والقيـــاس أو العقل الصحيح الصريح لا يتعارض في نفسه ولا يتناقض، وأيـــضاً لا يتعـــارض الـــشرع الصحيح الصريح مع الميزان الصحيح الصريح، فلا تجد نصاً شرعياً صحيحاً صريحاً ــ أي في ثبوته ودلالته ــ معارضاً لقياس صحيح صريح، هذا لا يمكن بحال بل يشهد أحدهما بصحة الآخر[2].

يقول ابن تيمية: "ومتى تعارض في ظن الظان الكتاب والميزان، فأحد الأمرين لازم. إما فساد دلالة ما احتج به من النص بأن لا يكون ثابتاً عن المعصوم، دالاً على ما ظنه، أو فساد دلالة ما احتج به من الميزان (أي القياس) بفساد بعض مقدماته أو كلها، لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة"[3]

لذلك قال بعض أهل العلم: أول من استعمل القياس إبليس (لعنه الله)[4] فعمـــدة مـــن يخالف النصوص الشرعية هو الاحتجاج بقياس فاسد أو نقل كاذب، أو خطاب ألقي إليهم

---

[1] انظر مجموع الفتاوى : ٢١/٦ .

[2] انظر إعلام الموقعين: ٣٣١/١-٣٣٢ ابن قيم الجوزية. ت: عبد الرحمن الوكيل نشر دار الكتب الحديثة. القـــاهرة. بتصرف. يقول ابن القيم في نونيته :

فإذا تعارض نص لفظ وارد	والعقل حتى ليس يلتقيـــــان
فالعقل إما فاســـــد ويظنه	الرأي صحيحاً وهو ذو بطلان
أو أن ذاك النص ليس بثابت	ما قاله المعصوم بالبرهـــــــان

[3] انظر الرد على المنطقيين : ٣٧٣ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، نشر عبد الصمد شرف الدين، المطبعة القيمة، بمباي ١٣٦٨.

[4] انظر إعلام الموقعين :٢٥٤/١، وانظر معارج القبول: ١٢٢٠/٣ حافظ بن أحمد الحكمي دار ابن القـــيم. الـــدمام الطبعة الأولى ١٤١٠ حيث ذم القياس الفاسد، وانظر لكلام ابن تيمية في القياس الفاسد في الرد على الأخنائي: ٩٧/١ شيخ الإسلام ابن تيمية ت عبد الرحمن المعلي المطبعة السلفية. القاهرة (انظر مجموع الفتاوى ٢٧)

اعتقدوا أنه من عند الله وكان من إلقاء الشياطين. وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلاً.

فألأول يسميه صاحبه: عقلاً وضرورة. وليس الأمر كذلك، والثاني يسميه صاحبه: نصاً وشرعاً. وليس هو كذلك في نفس الأمر. بل هو إما نقل مكذوب، أو دلالة ضعيفة، والثالث يسميه صاحبه: مكاشفة وإلهاماً، وإنما هي من تنزلات الشياطين.

وأشنع من ذلك من يحتج بذوقه أو وجده أو مكاشفته أو مخاطبته ويجعل ذلك ديناً وشرعاً يعارض به نصوص الوحي[1]. فإن وافقت النصوص ما أصله هو بعقله وذوقه ووجده ومكاشفته احتج بها اعتضاداً لا اعتماداً وإن خالفت كانت له معها إحدى طرق ثلاث:

الأولى: رد النصوص وتكذيبها إن كانت أحاديث.

الثانية: صرفها عن ظواهرها التي وضعت لها بأنواع من التحريفات ، ويسمونه تأويلاً.

الثالثة: ابقاؤها على ظواهرها مع اعتقاد نفي مقتضى الظاهر، ويسمى ذلك: تفويضاً فهم كالذين (**لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ**) [البقرة: من الآية٧٨].

٢- كلام الله تعالى وكلام رسوله جار على معهود العرب، وهذا الموضع زلت فيه أقدام كثير من الناس، حيث تأولوا كثيراً من النصوص في أبواب الصفات والمعاد وغيرها، بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة[2].

لذلك كانت سنة الله تعالى في خلقه أن يرسل كل رسول بلسان قومه حتى يحصل المقصود من الرسالة، فلا يصح العدول عن عرف العرب في كلامها، كما لا يصح أن يفهم كلام الله ورسوله على نحو لا تعرفه العرب من لغتها[3] وكل من كان بلغة العرب أعرف ولأساليبها في الخطاب أجمع، كانت معرفته بمعاني نصوص الكتاب والسنة أشد، وفهمه أرسخ. ومن صرف الكلام عن حقيقته المعهودة فعليه بالدليل، لأنه لا يجوزالعدول به عن حقيقته إلا بدليل أقوى يسوغ إخراج الكلام عن جقيقته وأصله. قال ابن تيمية: "والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه

[1] انظر مجموع الفتاوى: ٦٤/١٣ ، ٦٨ ، ١٤٢ .

[2] انظر مختصر الصواعق: ١٥/١ اختصره محمد بن الموصلي توزيع رئاسة البحوث العلمية والافتاء في الرياض تصحيح زكريا علي يوسف ١٤٠٠هـ.

[3] انظر الموافقات: ٨٢/٢ ابن اسحاق طبي، علق عليه: عبد الله دراز، ومحمد عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت.

عن المعنى الظاهر"[1] ويقول ابن القيم: "فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم"[2].

٣- ألّا يعود التأويل على أصل النص الشرعي بالإبطال والنقض، وذلك كتأويل قوله تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) [طـه:٥] بالاستيلاء. هذا تحريف للنص الشرعي وإبطال له؛ لأنه لم يأت في اللغة تفسير الاستواء بالاستيلاء. قال ابن الأعرابي[3] جواباً لمن سأله عن معنى قوله تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) قال: هو على عرشه كما أخبر عز وجل. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه؛ إنما معناه "استولى" فقال: اسكت ما أنت وهذا، لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل:

استولى ألا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استوى على الأمد[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل من تأول: استوى بمعنى استولى ونحوه. فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له. بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته" ثم قال: "واصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى"[5].

٤- أن لا يعارض التأويل ما ذهب إليه الصحابة والتابعون وتابعوهم في تفسير نفس النص وذلك لأنه أقرب عصراً من النبوة، وأعمق صلة بكلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأصح لساناً وأفصح بياناً ففهمهم للنصوص الشرعية حجة على من بعدهم.

---

1 مجموع الفتاوى: ٢٨٨/١٣ .

2 إعلام الموقعين: ٢١٨/١.

3 هو محمد بن زياد أبو عبد الله المعروف بابن الأعرابي:راوية علامة باللغة من أهل الكوفة. قيل: لم ير أحد في علم الشعر أغزر منه،وهو ربيب ا لمفضل بن محمد صاحب المفضليات.مات بسامراء عام ٢٣١هـ .الأعلام ١٣١/٦، وفيات الأعيان: ٤٩٢/١ ابن خلكان. طبع بمصر ١٣١٠.

4 انظر اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢٦٥، وهذا البيت للنابغة الذبياني، انظر ديوان النابغة الذبياني: ٢٠.

5 درء تعارض العقل والنقل : ٥/ ٣٨٢ – ٣٨٣ شيخ الإسلام ابن تيمية ت د. محمد رشاد سالم. انظر جناية التأويل الفاسد على العقيدة الاسلامية:١٦

فطريق السلف أسلم وأعلم وأحكم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن هنا قال من قال من النفاة: إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم، لأنه ظن أن طريقة الخلف فيها معرفة النفي للذي هو عند الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم: علم بمعقول، وتأويل لمنقول، ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيه ــ أيضاً ــ رد على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عنده، عدم النظر في فهم النصوص، لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم؛ لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان، فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة.

فلو كان قد تبين لهذا وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات، وفهم ما دلت عليه، وتدبره أو عقله، وإبطال طريقة النفاة، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول ــ علماً أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم وأهدى إلى الطريق الأقوم وأن طريقة النفاة المنافية لما أخبر به الرسول، طريقة باطلة شرعاً وعقلاً، وأن من جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الآيات، وعدم إثبات ما تضمنته من الصفات فقد قال غير الحق إما عمداً وإما خطأ ... وهؤلاء النفاة هم كذابون إما عمداً أو خطأً على الله ورسوله وعلى سلف الأمة وأئمتها، كما أنهم كذابون إما عمداً وإما خطأً على عقول الناس، وعلى ما نصبه الله تعالى من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية"[1].

وموقف النورسي من التأويل لا يختلف عن موقف الأشعرية. بل هو يقرره في ثنايا كلامه في أكثر من موضع، بأن الدليل إذا عارضه دليل قطعي كظهور تشبيه الخالق بالمخلوق ــ كما يقررون ــ فإنه لابد أن يؤول الدليل ويؤخذ بدلالة العقل. وهذا من الأصول المنهجية التي يقوم عليها منهج الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين.ويظهرأن النورسي لم يكتف بالتأويل في الصفات الاختيارية،بل تكاد تأويلاته تشمل أغلب مسائل الدين كالنبوة، والصحابة، والحشر، وأحاديث الفتن بحيث يجعل لها تفسيراً لا يستند فيه إلى نص أو إجماع أو قول صحابي. ومن ذلك :

---

[1] انظر درء تعارض العقل والنقل : ٣٧٨/٥-٣٧٩ .انظر"قضية التأويل لدى شيخ الاسلام ابن تيمية" د. محمد الجلينيد

أولاً: الصفات:

يقول عن صفة الاستواء لله تعالى: "إن مما يحوج إلى التمثيل عمق المعنى ودقته ليتظاهر بالتمثيل، أو تفرق المقصد وانتشاره ليرتبط به. ومن الأول متشابهات القرآن الكريم؛ إذ هي عند أهل التحقيق نوع من التمثيلات العالية، وأساليب لحقائق محضة، ومعقولات صرفة، ولأن العوام لا يتلقون الحقائق في الأغلب إلا بصورة متخيلة، ولا يفهمون المعقولات الصرفة إلا بأساليب تمثيلية لم يكن بد من المتشابهات كـ (**اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**)[الأعراف:من الآية٥٤] لتأنيس أذهانهم ومراعاة أفهامهم"[1].

ويقول عن وجود المتشابهات والمشكلات في القرآن: "أعلم أن الجمهور الأكثر هم عوام، والأقل هم تابع للأكثر في نظر الشارع؛ لأن الخطاب الموجه نحو العوام يستفيد منه الخواص ويأخذون حصتهم منه، ولو عكس لبقي العوام محرومين. وإن جمهور العوام لا يجردون أذهانهم عن المألوفات والتخيلات، فلا يقتدرون على درك الحقائق المجردة والمعقولات الصرفة إلا بمنظار متخيلاتهم وتصويرها بصورة مألوفة لكن بشرط ألا يبقى نظرهم على الصورة نفسها حتى يلزم المحال،كالجسمية، أو الجهة. بل يمر نظرهم إلى الحقائق.

مثلاً: إن الجمهور إنما يتصورون حقيقة التصرف الإلهي في الكائنات بصورة تصرف السلطان الذي استوى على سرير السلطنة، كما في قوله تعالى: (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) [طه:٥] فإذا كانت حسيات الجمهور في هذا المركز، فالذي يقتضيه منهج البلاغة رعاية أفهامهم ومراعاة أفكارهم. فهذه المنازل التي يراعى فيها عقول البشر تسمى بـ "التنزلات الإلهية" فهذا التنزل لتأنيس أفهامهم"[2].

وعند حديثه عن مسألة العلو لله تعالى يقول: "الاستدلال على وجود الإيمان في العامي يثبت بالاستفسار والاستيضاح منه بأن تستفسر بالسؤال المتردد بين النفي والإثبات هكذا: أيها العامي ! أيمكن في عقلك أن يكون الصانع الذي كان العالم بجهاته الست في قبضة

---

[1] إشارات الإعجاز : ١١٨ بديع الزمان سعيد النورسي. ت إحسان قاسم الصالحي. دار سوزلر إستنبول الطبعة الثالثة ١٤٢٠.

[2] انظر صيقل الإسلام : ١٥٢-١٥٣، وانظر للتنزلات عند التفتازاني في شرح المقاصد في علم الكلام: ١٥٧/٢ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني دار المعارف النعمانية باكستان الطبعة الأولى ١٤٠١.، وانظر فتح الباري: ٤٢٦/١٣ باب قوله تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**) [القيامة:٢٢].

تصرفه[1] أن يتمكن[2] في جهة من جهاته أو لا ؟ فإن قال: لا فنفي الجهة ثابت في وجدانه وذلك كافٍ. وقس على هذا"[3].

ويقول في موضع آخر عن صفة العلو وأنه منزه عن المكان:"فهذا الذات الأقدس الذي لا مثيل له، وهو الواجب الوجود، والمجرد عن المادة والمنزه عن المكان المحال عليه التجزؤ والانقسام"[4].

ثانياً: النبي عليه الصلاة والسلام وأصل الخلق:

يرى النورسي أن المخلوقات تشكلت من النور، وأن ذلك النور سيتجسد في ذاته ﷺوذلك لأن الإنسان هو ثمرة المخلوقات، وأن أفضل ثمرات نوع البشر، وأنورها وأحسنها، وأعظمها، وأشرفها، وألطفها، وأجملها، وأنفعها هو محمد ﷺ فلابد أن النور ــ كما يقول ــ سيتجسد في ذاته. ويشرح هذا أكثر فيقول:

"أيها المستمع ! لا تستبعد خلق هذه الكائنات البديعة العظيمة من ماهية جزئية لإنسان. فإن القدير ذا الجلال الذي يخلق شجرة صنوبر ضخمة ــ وكأنها عالم بذاته ــ من نواة صغيرة لها، كيف لا يخلق، أو يعجز عن خلق الكائنات من نور محمد ﷺ.[5]، نعم إن شجرة الكائنات شبيهة بشجرة طوبى الجنة، جذعها وجذورها متوغلة في العالم العلوي، وأغصانها وثمراتها متدلية إلى العالم السفلي لذا فإن هناك خيطاً ذا علاقة نورانية ابتداء من مقام الثمرة في الأسفل إلى مقام النواة الأصلية"[6].

---

1 عدم إثباته لصفة اليد لله تعالى كما قال تعالى:(**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**) [الزمر:من الآية٦٧].

2 يتحيز في مكان .

3 إشارات الإعجاز : ٥١ .

4 اللمعات: ٥٧٦.

5 انظر اجتماع الجيوش الإسلامية: ١٢/١ وقوله أن قول الله تعالى (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)[النور: من الآية٣٥] يعود لنور الله تعالى لا لنور محمد صلى الله عليه وسلم، وانظر الملل والنحل: ٣١/٢ عبد القادر البغدادي ت ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت.

6 الكلمات : ٦٩٣ .

ثالثاً: ميدان الحشر:

ميدان الحشر عند النورسي هو ما تخطه الكرة الأرضية أثناء سيرها في الفضاء. يقول جواباً عمن سأله عن ميدان الحشر: "الجواب: العلم عند الله ... وإن حكمة الخالق الحكيم الرفيعة التي يظهرها في كل شيء حتى في ربط حكم كثيرة جليلة بشيء صغير جداً، تشير صراحة إلى أن الكرة الأرضية لا تخط أثناء سيرها السنوي دائرة عظيمة عبثاً وعلى غير هدى بل إنها تدور حول شيء عظيم، وتخط دائرة محيطة لميدان عظيم، وتعين حدوده، وتجول حول شهر عظيم، وتسلم محاصيلها المعنوية إليه، لتعرض تلك المعروضات أمام أنظار الناس في ذلك المحشر، بمعنى أن ميدان حشر عظيم سيبسط من منطقة الشام ــ كما في رواية[1] ــ التي ستكون في حكم نواة تملأ دائرة عظيمة محيطها يبلغ ما يقرب من مسافة خمس وعشرين ألف سنة .

وترسل الآن محاصيل الأرض المعنوية إلى دفاتر وألواح ذلك الميدان المعنوي المحجوب عنا تحت ستار الغيب، وحينما يفتح الميدان في المستقبل ستفرغ الأرض أيضاً أهليها إلى الميدان نفسه وتمضي محاصيلها المعنوية تلك من الغيب إلى الشهادة.

نعم إن الكرة الأرضية في حكم مزرعة، وبمثابة نبع ، وكأنها مكيال، قد أنتجت من المحاصيل الوفيرة ما يملأ ذلك الميدان الأكبر، وسالت منها مخلوقات كثيرة يستوعبها ذلك الميدان ... نعم كما أن نقطة نورانية تخط خطاً أو دائرة بحركتها السريعة، فالكرة الأرضية كذلك تكون سبباً لتمثيل دائرة وجود بحركتها السريعة والحكيمة، وتلك الدائرة مع محاصيلها تكون محورتشكل ميدان الحشر الأكبر (قل إنما العلم عند الله)"[2].

رابعاً: أحاديث أشراط الساعة:

يقول النورسي: "إن الأحاديث النبوية التي تخبر عن حوادث ستقع في آخر الزمان تحمل معانٍ عميقة جداً كـ (المتشابهات) القرآنية فلا تفسر كـ (المحكمات) ولا يتمكن كل واحد من معرفتها، بل ربما يؤولها العلماء بدل تفسيرها. وإن تأويلاتها تفهم بعد وقوع

---

[1] لعله يقصد قوله عليه الصلاة والسلام: "إنكم تحشرون رجالاً [يمشون على أرجلهم] وركباناً ، وتجرون على وجوهكم ههنا ، وأومأ بيده نحو الشام " مسند الإمام أحمد رقم ٢٠٩٦، ٢٠٠٤٣، وصحيح ابن حيان: ٧٣٢٨ محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي ت شعيب الأرناؤوط نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٤.

[2] المكتوبات : ٤٦ ، وانظر ص ٤٥٤ – ٤٦١.

الحادثة، ويعرف عندئذ المراد منها بمضمون الآية الكريمة: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**) [آل عمران: من الآية٧] ويبين تلك الحقائق الراسخون في العلم ويقولون (**آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**) [آل عمران: من الآية٧]"[1].

وهذه بعض تأويلات النورسي في حوادث آخر الزمان:

ــ عن مكان وقوع حوادث آخر الزمان وما ورد في الأحاديث أنها تقع في الشام وفي الجزيرة العربية قال: "إن تأويلاً لهذا والله أعلم هو: أن مركز الخلافة في السابق كان في العراق والشام والمدينة، لذا فسر الرواة ــ باجتهادهم الشخصي ــ وصوروا تلك الأحداث التي تقع حول مركز الدولة الإسلامية ــ وكأن الخلافة ستظل هكذا ــ فقالوا: في الشام ... في حلب ... ففصلوا باجتهادهم الشخصي ما ورد مجملاً في الأحاديث"[2].

وعن نزول عيسى بن مريم وقتله للدجال يقول:"إن عيسىعليه السلام الذي يمثل الشخص المعنوي للعيسوية يقتل الدجال الممثل للإلحاد في العالم بمعنى أنه يقتل مفهوم إنكارالألوهية"[3].

وفي موضع آخر يقول: "في رواية صحيحة أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال الأكبر ولهذا أيضاً وجهان والعلم عند الله:

الوجه الأول: أن الدجال الذي يحافظ على نفسه بأموره الخارقة التي يستدرج بها الناس ويسخرهم باستخدام السحر والتنويم المغناطيسي والأرواح وأمثالها لا يقدر على قتله وتغيير مسلكه إلا من هو خارق، وذو معجزات ومرضي لدى الجميع ومن هو أكثر علاقة وارتباطاً ويعتقد بنبوته أغلب الناس، ذلك النبي عيسى عليه السلام.

والوجه الثاني: أن الذي سيقتل الشخصية المعنوية لشخص الدجال ــ المقتول بسيف شخصي عيسىعليه السلام ــ ويبيد كيان الإلحاد الهائل والمادية الرهيبة التي كونها ويفني ما يدعو إليه من الكفر بإنكار الألوهية هم الروحانيون النصارى، فهؤلاء الروحانيون[4] يهلكونه ــ ويقتلونه معنى ــ بقوة نابعة من مزجهم حقيقة النصرانية مع حقائق الإسلام حتى أن ما

---

[1] انظر الشعاعات : ١٠٣ وما بعدها .

[2] الشعاعات : ١١٣ .

[3] المكتوبات : ٦

[4] انظر عالم الروحانيات .

ورد أن عيسى عليه السلام سيترل ويقتدي بالمهدي في الصلاة[1] يشير إلى هذا الاتفاق وإلى ريادة الحقيقة القرآنية وهيمنتها"[2].

وعن سبب طلوع الشمس من مغربها يقول: "أما طلوع الشمس من مغربها فهو علامة بديهية لقيام الساعة ولبداهته أصبح معناه ظاهراً لا داعي لتفسيره، ولا حاجة إلى التأويل إذ هو حادثة سماوية يغلق بها باب التوبة المرتبط باختيار العقل ... إلا أن هناك أمراً هو:

أنه حالما يرفع القرآن من الأرض ـــ الذي هو بمثابة عقلها ـــ تفقد الأرض صوابها ـــ كما يفقد الإنسان صوابه إذا فقد العقل ـــ فتصطدم ـــ بإذن إلهي ـــ بكوكب سيار آخر فتعود القهقرى عن حركتها، وتصبح دورتها ـــ بإرادة الله سبحانه ـــ من الشرق إلى الغرب بدلاً من الغرب إلى الشرق، وعندها تبدأ الشمس بالطلوع من مغربها. نعم إذا انقطعت قوة جاذبية القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين والذي يشد الأرض بالشمس، والفرش بالعرش انحلت عرى الكرة الأرضية فتظل تدور دوراناً تائهاً سائباً فتطلع الشمس من مغربها بعدم انتظام حركتها وبعكسيتها"[3].

ويذكر تأويلاً آخر وهو: "أن القيامة تقوم نتيجة التصادم بالكواكب السيارة بأمر إلهي مقدر"[4].

---

[1] متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فيترل عيسى، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة" رواه مسلم كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم:"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم"(١٩٢٠)، ونحوه في البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون"قال البخاري: وهم أهل العلم (٧٣١١).

[2] الشعاعات : ١١٥ .

[3] الشعاعات : ١٢٠ .

[4] الشعاعات : ١٢١ .

التفويض

التفويض في اللغة يأتي بعدة معانٍ: منها:التساوي[1]،والمجاراة[2]،والاختلاط[3]، والاشتراك[4]، والتفرق[5]، والرد إلى الشيء[6].

والمعنى الأخير هو الذي قصده النورسي، في حديثه عن التفويض. وقد قال الجوهري في هذا المعنى: "فوض إليه الأمر: أي رده إليه، والتفويض في النكاح: التزويج بلا مهر"[7].

وقال النووي: "قال أهل اللغة: فوض إليه الأمر إذا وكله ورده إليه"[8].

يقول ابن القيم عند حديثه عن الفاتحة ــ كما سيأتي إن شاء الله ــ : "وقد قيل إن موضع الرقية منها إياك نعبد وإياك نستعين ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء فإن فيهما من عموم التفويض، والتوكل، والالتجاء، والاستعانة، والافتقار، والطلب، والجمع بين أعلى الغايات، وهي عبادة الرب وحده وأشرف الوسائل وهي الاستعانة به على عبادته ما ليس في غيرهما"[9].

وفي السنة أنه ﷺ قال: "فإذا قال مالك يوم الدين. قال: فوض إلى عبدي"[10] وعند الإمام مسلم: "وإذا قال مالك يوم الدين قال:مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلى عبدي"[11]

---

1 انظر الصحاح: ١٠٩٩/٣

2 انظر تاج العروس: ٧١/٥ الزبيدي، تصوير عن طبعة بولاق، دار الفكر.

3 انظر الصحاح: ١٠٩٩/٣

4 انظر الصحاح: ١٠٩٩/٣

5 انظر تاج العروس: ٧١/٥

6 انظر الصحاح: ١٠٩٩/٣

7 المرجع السابق والصفحة.

8 تهذيب الأسماء واللغات: ٧٥/١، ٧٦ يحي بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

9 زاد المعاد: ١٧٨/٤ ابن قيم الجوزية، ت شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسال، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٧.

10 أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٤١/٢

11 صحيح مسلم كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة حديث رقم (٣٩٥).

وفي حديث دعاء النوم: "وفوضت أمري إليك"[1].

قال ابن الأثير الجزري[2]: " أي رددته يقال: فوض إليه الأمر تفويضاً إذا رده إليه وجعله الحاكم فيه"[3].

يقول ابن القيم إن: "التوكل جامع لمقام التفويض والاستعانة والرضا لا يتصور وجوده بدونها"[4]. وفي موقع آخر يقول: " فصل الدرجة السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء الأمور كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه ورحمته وتمام كفايته وحسن ولايته له وتدبيره له"[5].

ويقول ابن الجوزي عن صفات المؤمن : " صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم يكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله وفوض أمره إلى الله.." [6].

وليس معنى تفويض الأمر إلى الله هو أن يكون العبد مع الله كالميت بين يدي الناس حتى يترك العمل بالأمر والنهي ، حتى يضعف عنده النور والفرقان فلا يميز بين ما أمر الله به وما نهى عنه[7]. بل إن حقيقة تفويض الأمور لله هي حقيقة التوكل.

---

[1] صحيح البخاري كتاب الوضوء، باب إذا بات طاهراً (٥٩٥٢)، مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم (٢٧١٠).

[2] هو مبارك بن محمد بن محمد الجزري المحدث اللغوي الأصولي ولد سنة ٥٤٤ من كتبه . جامع الأصول في أحاديث الرسول" والنهاية في غريب الحديث" مات سنة ٦٠٦هـ انظر وفيات الأعيان ٤٤١/١. وطبقات الشافعية الكبرى: ١٥/٥ للسبكي ت محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٦٤م، والكامل ١١٣/١٢ ابن عدي دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤، والأعلام ٢٧٢/٥.

[3] النهاية في غريب الحديث : ٤٧٩/٣ ابن الأثير ، ت طاهر الزاوي، محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ١٩٦٣.

[4] مدارج السالكين ١٣٦/١ . ابن قيم الجوزية ت محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية – القاهرة ١٩٥٦.

[5] المرجع السابق ١٢٢/٢.

[6] مناقب الإمام أحمد : ٢١٤– ٢١٥ أبي الفرج ابن الجوزي، ت عبد الله التركي، مطبعة الخانجي، مصر ١٩٧٩.

[7] انظر التحفة العراقية في الأعمال القلبية: ٤٨/١ ابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى ج ١٠)

يقول النورسي في حقيقة التفويض، إن "تفويض الأمر إلى الله في ترتب النتيجة توكل يأمر به الشرع"[١]. ولماذا يفوض العبد أمره إلى الله ؟ يقول لأن الأمر كله لله وليس للعبد من الأمر من شيء فلا هو موجد لنفسه ويدخل فيها أفعاله ــ ولا لغيره ، يقول رداً على أهل الاعتزال: "إن مذهب أهل السنة والجماعة هو الصراط المستقيم، وما عداه إما إفراط وإما تفريط. منها: أنه قد تحقق أن لا مؤثر في الكون إلا الله فإذا لا تفويض"[٢] فبما أن الإنسان لا يملك في حقيقة الأمر وليس له من أفعاله إلا الكسب الذي يؤول بالمعنى الذي فسره النورسي إلى الجبرية فإنه من اللازم أن يقول لا تفويض فكيف يفوض الإنسان أمره إلى الله والإنسان عنده لا يملك أمره فهو كالريشة في مهب الريح فالمؤثر الحقيقي هو الله تعالى وهو الذي يفعل ما يشاء دون إرادة حقيقية من الإنسان.

ويفرق في التفويض بين التوكل والتواكل بقوله: "إن تفويض الأمر إلى الله في ترتيب المقدمات كسل[٣]، بينما في ترتب النتيجة توكل"[٤].

ويقول عن تفويض الموحد وتفويض المشرك: "إذا فوض أمر جميع الأشياء إلى ذات الواحد الأحد فإن خلق الكون كله وتدبير أمره يكون سهلاً كسهولة خلق شجرة أو يكون خلق شجرة وإنشاؤها سهلاً كسهولة خلق ثمرة واحدة ... بينما إذا فوض في طريق الشرك خلق فرد واحد إلى الأسباب والطبيعة، فإنه يكون صعباً كصعوبة خلق النوع"[٥].

[1] الكلمات : ٨٧٠.

[2] إشارات الإعجاز : ٧٩ وانظر صيقل الإسلام : ٢٠٣.

[3] إذ إن ذلك من واجب العبد وفي مقدوره دونما ترتب النتائج.

[4] انظر صيقل الإسلام : ٣٣٣ ، انظر تلبيس ابليس: ٣٤٢/١ ابن الجوزي صححه وعلق عليه: محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

[5] انظر الشعاعات : ٢٨، ٣١، ٦٩٨، انظر المثنوي العربي النوري: ١١٤، ١٢١.

المبحث الرابع : الجفر

الجــفــر

ماهيته ومصدره:

الجفر من ولد الشاة، ما جَفُرَ جنباه أي: اتسع[1].

الجفر من إفرازات المذاهب الباطنية، وهو يطلق في المعتقدات الباطنية على علم مـــن العلوم الغيبية المستمدة من أسرار الحروف وحساب الجمل، ويستدل بها على المغيبات حـــتى وقت قيام الساعة متى سيكون[2].ويدعي الباطنية أنه علم أسرّه النبيﷺ إلى الإمام علي رضي الله عنه وأمر بتدوينه،فكتبه الإمام على حروفٍ متفرقة وأخذه جعفر الصادق عنه[3]،وهو أيضاً عندهم علم يحيط بكل شيء ويستدل منه على تفسير معاني القرآن على أساس بـــاطن الكلمـــات

---

[1] انظر: المصباح المنير: ١٠٣/١، المكتبة العلمية بيروت.

[2] ذكر في أبجد العلوم ٢١٤/١ صديق بن التنوجي، دار الكتب العلمية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الطبعة الثانية ١٩٧٨ دمشق."علم الجفر والجامعة قال أهل المعرفة بهذا العلم هو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر" وانظر أيضاً ١٦٣/٦٩/١، ٢١٥ . وقال صاحب الفهرست ٣٨٧/٢ محمد بن اسحاق بن النديم، دار المعرفة بيروت ١٣٩٨. في ترجمة عبد الله بن سرور انصراني " وله كتاب الجفر تفسير كتاب العمل بالإســطرلاب..." وفي كشف الظنون ٥٩١/١ " علم الجفر والجامعة هو العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر ... والجفر لوح القضاء الذي هو عقل الكل... والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل " وانظر أيضاً ١٦/١ ، ٥٧٧ حيث نسبه إلى جعفر الصادق. ويسمى هذا عند الغرب بعلم الأرقام أو "علم التارو" وهو خاص بالكهنة.

[3] يقول ابن تيمية في ذلك " في الصحيح أنه قيل لعلي رضي الله عنه: هل ترك عندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس فقال: "لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبدا في كتابـــه، ومـــا في هـــذه الصحيفة. وفيها العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر. وبهذا الحديث ونحوه من الأحاديـــث الـــصحيحة، استدل العلماء على أن كل ما يذكر عن علي وأهل البيت، من أنهم اختصوا بعلم خصهم به النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرهم كذب عليهم، مثل ما يذكر منه الجفر، والبطاقة والجدول، وغير ذلك وما يأثره القرامطة الباطنية عنـــهم، فإنه قد كذب على جعفر الصادق رضي الله عنه، ما لم يكذب على غيره من أئمة أهل البيت؛ انظر مجموع الفتاوى: ٢١٧/٢، ٧٨/٤-٧٩، ١٨٣/٥، وبغية المرتاد الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد: ٣٢٨ ابن تيمية ت موسى الدرويش الطبعة الأولى ١٤٠٨ مكتبة دار العلوم. ومنـــهاج الـــسنة ٤٦٤/٢، ٥٤/٤، ١٣٦/٨ شيخ الإسلام ابن تيمية ت د. محمد رشاد سالم نشر مكتبة ابن تيمية الطبعة الثانية ١٤٠٩.

والعبارات لا على ظاهر معناها. وهذا مما تشترك فيه المذاهب الباطنية كالإسماعيلية[1]، والنصيرية[2]، واليزيدية[3]، والقرامطة[4]، والدروز[5].

وأما الأحباش[6] فاستعمالهم الجفر جاء عن طريق النقشبندية والرفاعية حيث إن أتباع الحبشي نقشبنديون ورفاعيون.

أهميته في التلقي عندهم:

والأمور الغيبية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ يقول عنها النورسي إنها ليست في درجة واحدة فمنها أمور علمها تفصيلاً لا مجال للتدخل فيها، ومنها أمور هي من قبيل الاجتهاد الشخصي للرسول ﷺ فإنه: "ترك أمر تصويرها وتفصيلها إلى اجتهاده ﷺ كالأحاديث التي تدور حول الحوادث الكونية والأحداث المستقبلية التي هي ليست من

---

[1] الإسماعيلية: من غلاة فرق الشيعة، نسبتهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهم من الفرق الباطنية الذين يقولون إن للنص ظاهراً وباطناً، وحقيقة مذهبهم الكفر. انظر التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرقة الهالكة:٣٨ أبو المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني ت: كمال الحوت الطبعة الأولى ١٤٠٣ عالم الكتب- بيروت،البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان:٨١، الإسماعيلية المعاصرة:٣١ محمد أحمد الجوير الطبعة الأولى ١٤١٤.

[2] النصيرية: من غلاة الشيعة الباطنية، أتباع محمد بن نصير النميري، قالوا بألوهية علي بن أبي طالب، وبالتناسخ. انظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: ٦٧ السكسكسي الحنبلي ت د.بسام العموش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨.، والملل والنحل: ١/٢٢٠ – ٢٢١.

[3] اليزيدية: فرقة منحرفة نشأت سنة ١٣٢إثر انهيار الدولة الأموية، أصبحت في طورها الأخير تقدس يزيد بن معاوية وإبليس الذي يطلقون عليه (طاووس ملك). انظر "اليزيدية ومنشأ نحلتهم"احمد تيمور

[4] القرامطة: ينتسبون إلى حمدان قرمط. يتولون محمد بن إسماعيل بن جعفر. وهم من الغلاة الباطنية ينكرون المعاد، ويقولون بالتناسخ.انظر مقالات الإسلاميين: ١/١٠٠ – ١٠١ لأبي الحسن الأشعري، ت محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٩،التنبيه والرد:٣١ – ٣٢ أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي علق عليه محمد زاهر الكوثري الطبعة الثانية، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين:٧٩ الفخر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨..

[5] الدروز: أتباع هشتكين الدرزي، وهم من غلاة فرق الشيعة، يقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، والتناسخ. انظر "عقيدة الدروز" محمد احمد الخطيب مكتبة الاقصى ط١ ١٤٠٠، مجموع الفتاوى: ٣٥/١٦١.

[6] الأحباش:طائفة ضالة تنسب إلى عبد الله الحبشي،ظهرت حديثاً في لبنان تدعو إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية.انظرفرقة الأحباش: ٨٥ وما بعدها سعد بن علي الشهراني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٣.

أسس الإيمان . فالرسول هو الذي يصور ويفصل ببلاغته ــ بأساليب التشبيه والتمثيل ــ تلك الأمور بما يوافق حكمة التكليف"[1].

ثم ذكر مثالاً على ذلك الحديث الذي رواه مسلم أن رسول الله ﷺ سمع وجبة (أي سقطة) فقال النبي ﷺ : "تدرون ما هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها"[2] قال إنه بعد مرور بضع دقائق على هذا الحديث المثير أتى من يخبر أن المنافق الفلاني وهو يناهز السبعين من عمره قد مات وولى جهنم وبئس المصير، فأظهر تأويل البلاغة الفائقة لكلام الرسول ﷺ.[3]

ومن هنا فقد أجاب عن سؤال عن حياة الخضر عليه السلام هل هو على قيد الحياة؟ فقال: "إنه على قيد الحياة، إلا أن للحياة خمس مراتب وهو في المرتبة الثانية منها، ولهذا شك عدد من العلماء في حياته"[4]. ويروي حوادث أهل "الكشف" و " الشهود" من الأولياء التي تثبت هذه الطبقة من الحياة. وهذا التفسير يعتمد على أصل عند النورسي وهو أن النصوص الشرعية لها ظاهر وباطن كما يقول: "لكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع"[5]. ولذا فهو يعتقد أن للحروف أسراراً تعلم عن طريق حساب الجمل[6] وعلم الجفر: "فهذه الحروف المقطعة في

---

[1] الشعاعات : ١٠٤.

[2] صحيح مسلم كتاب " الزهد وصفة الجنة والنار" باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين رقم ٢٨٤٤.

[3] الشعاعات : ١٠٥ ومن هذه الحوادث التي تدخل في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم – كما زعم – أشراط الساعة والفتن والملاحم.

[4] المكتوبات : ٥.

[5] الكلمات: ٤٥١، وهذا يتفق عليه المتصوفة انظر لكلام الرفاعي في البرهان المؤيد: ١٧٧/١، وانظر لقول الزمخشري في معنى "ظهر وبطن وحد ومطلع" الفائق: ٣٨١/٢ محمود بن عمر الزمخشري ت علي البجاوي – محمد أبو الفضل، دار المعرفة لبنان، الطبعة الثانية، انظر: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" للقاري، ١٥٨/٢.

[6] حساب الجمّل بتشديد الميم الحروف المقطعة على أبجد قال ابن دريد لا أحسبه عربياً، وقال بعضهم حساب الجمل بالتخفيف انظر لسان العرب: ١٢٨/١١، وقد عد بعض العلماء أن المراد بالحروف المقطعة في أوائل السور. حساب الجمل انظر إيضاح الدليل: ٩٨١ محمد إبراهيم بن سعد بن جماعة، ت وهبي سليمان غاوجي الألباني. دار السلام للطباعة الطبعة الأولى ١٤١٠.

أوائل السور والتي هي شفرات ورموز إلهية تبين خمساً أو ستاً من أسرار لمحات إعجاز أخرى، بل إن علماء علم أسرار الحروف والمحققين من الأولياء قد استخرجوا من هذه المقطعات أسراراً كثيرة جداً، ووجدوا من الحقائق الجليلة ما يثبت لديهم أن المقطعات معجزة باهرة بحد ذاتها، أما نحن فلن نفتح ذلك الباب لأننا لسنا أهلاً لأسرارهم"[١]. وبهذه الكلمات التي تحض على تعلم ما يسمى بالجفر سأله أحد طلابه أن يعلمه هذا العلم فقال: "تطلبون فيه درساً يكون مفتاحاً لعلم "الجفر" الجواب: أننا يا أخي لسنا في هذه الخدمة القرآنية بإرادتنا ولا تدبيرنا للأمور، بل إن اختياراً ـــ هو خير لنا ـــ فوق اختيارنا وخارج إرادتنا يهيمن على أعمالنا واختيارنا[٢].

اعلم أن علم الجفر يشغل الإنسان عن وظيفته الحقيقية ويصرفه عنها، لما فيه من ذوق وولع، حتى كانت تحل لي أسرار تخص القرآن بذلك المفتاح لمرات عدة، ولكن ما أن أتوجه إليها بشوق وذوق توصد الأبواب دوني، فوجدت في هذا الأمر حكمتين :

الأولى: احتمال الوقوع في موضع ينافي الأدب اللائق بالقاعدة الأساسية "لا يعلم الغيب إلا الله".

الثانية: أن العمل على إرشاد الأمة إلى حقائق الإيمان والقرآن بواسطة البراهين الدامغة، له من الفضائل والمزايا ما يفوق مئة درجة العمل بإرشادهم بالعلوم الخفية، كعلم الجفر. حيث إن الحجج القاطعة والدلائل الثابتة لا تدع مجالاً للإشارة في تلك الوظيفة السامية. بينما علم الجفر وأمثاله من العلوم الخفية غير المنضبطة بقواعد محكمة، قد يساء استعماله بولوج الماكرين فيه، على أنه متى ما احتاج الأمر إليه لخدمة الحقائق، فإن الله سبحانه يحسن نبذه منه حسب الحاجة"[٣] ثم يبين أن للجفر مفاتيح عدة ولكن أحسنها عنده هو التوافقات. حيث يقول: "واعلم أن أيسر مفتاح من بين مفاتيح علم الجفر، وأنقاها، بل وأجملها وأحسنها هو أنواع التوافقات الناشئة من اسم "البديع" والتي أظهرت شعاعاً من نورها في

---

[1] الكلمات : ٤٣١.

[2] هذه العبارات تتردد كثيراً في كلام النورسي مما يوهم أن أعماله لا إرادة فيها أصلاً حيث يدخل فيها الارادة الالهية فتكون بذلك موفقة ومسددة وخالية من العيوب والأخطاء البشرية . وهذا ديدن كثير من الصوفية.

[3] اللمعات : ٥٧.

توافق لفظ الجلالة في القرآن الكريم وزينت الآثار التي نقوم بنشرها، علماً بأنه وضح شـــيئاً منها في عدة مواضع من رسالة الكرامة الغوثية. نذكر منها:

أن التوافق إذا ما أظهر شيئاً في عدة جهات، فهو إشارة بدرجة الدلالة، على أنه قـــد يكون توافقاً واحداً أحياناً مع بعض القرائن بمثابة دليل ويحل محله"[1]. وفي موضع آخر يقول عن التوافق: "غدت التوافقات أظهر تلك العنايات الإلهية. وهي ليست أقواها بل الأخريات أقوى منها ، إلا أنها أعمها، ولهذا اضطررت إلى بيان حقيقة معينة في صورة موازنة ومقارنة دفعاً للشبهات التي تثار حولها التوافقات"[2]. ويقول عن التوافق في كلمتي القـــرآن الكـــريم والرسول الكريم وفي الرسائل التي ألفها: إنه توافق إلهي يصدق به رسالتين هما (المعجـــزات الأحمدية) و (المعجزات القرآنية): "لقد قلنا في حق تلك العناية الظـــاهرة: أن التوافقـــات مشاهدة في كلمتي (القرآن الكريم) و (الرسول الكريم).

وفي الرسائل التي ألفناها إلى حد لا تدع شبهة من أنها نظمت قصداً وأولت لها وضعاً موزاياً. والدليل على أن القصد والإرادة ليسا منا، هو إطلاعنا على تلك التوافقـــات بعـــد حوالي أربع سنوات، أي أن هذا القصد والإرادة كانت غيبية وأثراً من آثار العناية الإلهيـــة، فأعطيت تلكما الكلمتين ذلك الوضع الغريب تأييداً محضاً لمعجزات الرسول الكـــريم ﷺ والإعجاز القرآني. وأصبحت بركة هاتين الكلمتين "التوافقات"،خـــتم تـــصديق لرســـالتي "المعجزات الأحمدية" و "المعجزات القرآنية"[3].

ولبيان أهمية الجفر يذكر أنه منذ القدم كان "العلماء" يعملون به فيقول: "قد جـــرت بين العلماء منذ القدم دستور حساب الجمل والجفر ـــ حساب الأبجدية ـــ لإيجاد القـــرائن والحجج، فهذا الطراز من الحساب لا يخدش الآية الكريمة ولا يجرح معناها الصريح، بل قد يكون وسيلة لبيان إعجاز القرآن وعظمة بلاغته، فلا اعتراض على هذه الإشارات الغيبية، إذ الذي لا يستطيع إنكار ما لا يعد ولا يحصى من استخراجات أهل الحقيقة من الإشـــارات القرآنية التي لا تحصى، ما ينبغي له أن ينكر هذا بل لا يمكنه ذلك"[4]. ويقول عن الحـــروف

[1] المرجع السابق:٥٧.

[2] المكتوبات : ٤٨٨.

[3] المكتوبات : ٤٨٦.

[4] الملاحق : ١٨٠.

المقطعة إنها إشارات إلى رسوله ﷺ كشفها علم أسرار الحروف: "إن التقطيع إشارة إلى أن قيمة الحروف ليست في معانيها فقط بل بينها مناسبات فطرية كمناسبة الإعداد ، كشفها علم أسرار الحروف"[1] ويرسل إلى طلابه فهرسًا بالحروف القرآنية قائلاً : " أرسلت لكم بخطي " فهرس الحروف القرآنية" من دون تصحيح، للاطلاع عليه لدقائق، والحال أنكم تأملتم فيه لساعات طوالاً بدلاً من دقائق قليلة ودونتموه لأيام عدة. فأدركت من هذا أنكم تهتمون بذلك الفهرس اهتماماً بالغاً. لذا أرسل لكم القائمة نفسها بعد تبييضها فيمكنكم استنساخها. ولكن اعلموا أن هذا الفهرس قد كتب بشكل تقريبي ليكون مرجعاً مؤقتاً، فقد كتبته في ظرف تسع ساعات مع خطي الرديء وكتبت قسماً منه استناداً إلى محفوظاتي السابقة والآخر بناء على مقياسين اثنين، ثم أدركت أن هناك تفسيراً في هذا الباب فجلبناه، وقابلناه مع قائمتنا فشاهدنا أن الغالبية العظمى متوافقة، إلا أن هناك خلاف في عدد قليل من المجموعات وفي حوالي خمسة عشر موضعاً من المواضع الجزئية. ونتيجة التحقيقات أدركنا أن المخالفة هي نتيجة أخطاء مطبعية للتفسير والمستنسخين بينما صححنا مسودتنا في مكانين أو ثلاثة، ثم أدركنا أننا أخطأنا في ذلك التصحيح، فلم نغير بعد قائمتنا، وظننا أن التفسير بحاجة إلى تصحيح من جراء الأخطاء المطبعية. ولكن لم أجرأ على التصحيح لأن صاحبه مدقق عظيم والمطبعة قريبة للجامع الأزهر وقد أشرف على الطبع علماء أزهريون.

أبعث إليكم التفسير نفسه مع الفهرس المبيض، لتطالعوهما، ولكن لا تحاولوا الانتقاد، لأن قائمتي تقريبية فلم أجعلها تحقيقية، وأما التفسير فهو يعتمد على الروايات على الأغلب. ثم أن هناك بعض السور المكية دخلت فيها آيات مدنية وربما لم يدخلها في العد. فمثلاً ذكر حروف سورة العلق أنها مئة ونيف، ومراده النصف الأول منها النازل أول مرة. فقد أصاب. أما أنا فاستناداً إلى ما حفظته سابقاً أخطأت فيما أصاب فيه حيث أخذت السور بمجموعها.

ثم إن أسرار التوافقات تأخر بنظر الاعتبار للمجاميع الكلية. فالفهرس التقريبي كاف لنا. والتوافقات المذكورة في النكات الثلاث لدعاء "كنز العرش"[2] لا تتغير بتغير الكسور .

[1] إشارات الإعجاز : ٤٣.

[2] قال المترجم : دعاء طويل يبدأ بالتوسل بالبسملة وبدايات السور القرآنية سورة سورة ثم بكل حرف من حروف القرآن مع ذكر أعدادها في القرآن الكريم.

ولا تفسد تلك التوافقات حتى بتغير المجاميع الكبيرة. مثلاً سورة الكهف ومعها تسع وثلاثون سورة تتفق في عدد الألف. فإذا ما فقدت إحدى السور أو اثنتين منها ذلك العدد الألف فلا يفسد ذلك للتوافق. وهكذا. رغم أن الكسور لها أسرار فإنها لم تفتح أمامنا بعد فتحاً جلياً. ونسأل أن يفتحها لنا وعندها يأخذ الفهرس صورته التحقيقية"[١]. وبعد هذا الكلام الطويل للنورسي هل لمنصف أن يقول إن هذا العلم من هدي السلف الصالح ؟! وكما يسميهم النورسي أهل السنة والجماعة وأين نور السنة ووضوحها من تلك الرموز والحروف المبتدعة، ولا شك أن هذه الأمور من أساليب الشيخ أبي مرة[٢] في إضلال العباد. ولا عاصم إلا من رحم الله.

ومن هنا نجد النورسي يدعو بحق أسرار تلك الحروف فيقول: "... بحق أسرار هذه الكلمات اجعل ناشر هذه الرسالة ورفقاءه وصاحبها سعيداً من الموحدين... "[٣] بل إنه يدعو بأسرار بعض الأنبياء قائلاً: "نسألك بأسرار أصحاب هذه الدعوات المستجابات أن تحفظني وتحفظ ناشر هذه الرسائل..."[٤]. ويقول عن الكلمة الثلاثين إنها الكلمة التي كشفت عن لغز الكون وطلسمه وحلت سراً عظيماً من أسرار القرآن[٥]. فماذا كان يفعل الناس قبل تلك الكلمة ؟بل ماذا كان يُعلّم؟ ولا نعجب من ذلك إذا عرفنا سنده ومرجعه في تلك المقولات، حيث إنه يقول عن القرآن إن "إخباره الغيبي عن المستقبل لهذا القسم أنواع كثيرة:

القسم الأول: خاص بقسم من أهل الكشف والولاية. مثلاً: أن محي الدين بن عربي وجد كثيراً من الأخبار من الغيب في سورة الروم **(الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ)** [الروم:١– ٢] وأن الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي، قد شاهد في المقطعات التي في بدايات السور

---

[1] الملاحق : ٧٥-٧٧.

[2] أي إبليس وهذه كنيته.

[3] المكتوبات : ٣٣٤ وانظر اللمعات : ١٥٥.

[4] المكتوبات : ٤٤٤.

[5] انظر الكلمات : ٦٣٤.

كثيراً من إشارات المعاملات الغيبية. وبالنسبة لعلماء الباطن فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره نوع من الإخبار عن الغيب"[1].

وهذه بعض تفسيرات النورسي لآيات القرآن عن طريق الجفر.

"نقل الكثيرون: أن دجال المسلمين[2]كان متلهفاً إلى معنى السورة الكريمة : **(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)** [التين:١] ويستفسر عنه. ومن الغريب أن سورة: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** [العلق:١]هي عقب هذه السورة، وفيها الآية الكريمة **(كَلَّا إِنَّ الْأِنْسَانَ لَيَطْغَى)** التي تشير إلى مكانه وشخصه بالذات ــ بمعناها وبحساب علم الجفر ــ فضلاً عن دلالتها على طغيانه على المصلين والمساجد. أي أن ذلك الشخص المستدرج يشعر أن سورة قصيرة ذات علاقة به، ولكنه يخطىء فيطرق باب جارها"[3].

ــ وعن إشارات القرآن لرسائله يقول: "إن من شأن القرآن الكريم وإعجازه العظيم ومن مقتضى البلاغة المعجزة للسان الغيب أن ترد فيه رموز وإيماءات لجلب الأنظار إلى رسائل النور ــ التي هي معجزته المعنوية في هذا الزمان ــ بمثل إخبارات الإمام علي رضي الله عنه والشيخ الكيلاني قدس الله سره الوارد بطرز إشاري ورمزي حول أهمية رسائل النور وقيمتها"[4]. ويواصل في هذا فيقول عن سبب اعتزازه بنفسه وهو لا يزال صغيراً بأن: "رسائل النور كانت تشعر بنفسها بحسٍ مسبق"[5] ويصرح أن علي بن أبي طالب أخبر عن رسائله قائلاً: "إن رسائل النور التي أخبر عنها الإمام علي رضي الله عنه بإشارات تبلغ حوالي الأربعين وبدرجة الصراحة أحياناً، هي ضماد لجروح هذا الزمان، ولهذا كفتنا هذه الدائرة فلا نخرج منها"[6].

وعن ثواب أحرف القرآن يقول: "نال القرآن ميزات قدسية حيث إن لكل حرف من حروفه عشرة أثوبة وعشر حسنات في الأقل، وعشر ثمار خالدة، بل إن لكل حرف من

---

[1] الكلمات: ٤٦٩ العلماء عنده علماء باطن وظاهر وشريعة وحقيقة وطريقه . انظر: الكلمات ٤٥٧.

[2] يقصد الهالك: مصطفى كما أتاتورك.

[3] الشعاعات : ١٢٦.

[4] الملاحق : ١٧٩.

[5] الملاحق : ٢٥٣.

[6] الملاحق : ٣٠٣.

حروفه قسم من الآيات والسور يثمر مئة أو ألفاً أو أكثر، من ثمار الآخرة، ويتصاعد نــور كل حرف وثوابه وقيمته في الأوقات المباركة من عشرة إلى المئات ..."[1].

وكثير ممن لم يتبع السنة وقع في هذا الادعاء، فهذا عضد الدين الأيجي يقول: "الجفــر والجامعة هما كتابان لعلي رضي الله عنه قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف والحــوادث الــتي تحدث إلى انقراض العالم ... "[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إنه نسب إلى جعفر الصادق كذباً: "إنه ما كذب على أحد ما كذب على جعفر الصادق حتى نسبوا إليه كتاب الجفر"[3].

ــ ويقول عن نسبة الجفر لعلي بن أبي طالب: "كل ما يذكر علي وأهل البيت، مــن أنهم اختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون غيرهم كذب عليهم مثل ما يذكر منه الجفــر وغير ذلك"[4].

---

[1] الكلمات : ٥٢٤.

[2] المواقف: ٦٠/٢.

[3] منهاج السنة النبوية: ٤٦٤/٢، انظر ٥٤/٤، ١٣٦/٨.

[4] انظر مجموع الفتاوى: ٢١٧/٢.

الفصل الثاني:علم الكلام. وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الاستعانة بأدلة المتكلمين

المبحث الثاني: علم الكلام الجديد

المبحث الأول : الاستعانة بأدلة المتكلمين

الاستعانة بأدلة المتكلمين :

حال الدعوة الإسلامية في عصر النورسي دفعته إلى تغيير أسلوب وطريقة خطابه يقول النورسي عن هذا: "إنني استمعت إلى الوعاظ فلم تؤثر في نصائحهم فتأملت في السبب فرأيت أنه فضلاً عن فساد قلبي هناك ثلاثة أسباب :

١ـ أنهم يتناسون الفرق بين الماضي والحاضر فيبالغون كثيراً في تصوير دعاويهم، محاولين تزويقها دون إيراد الأدلة الكافية التي لابد منها للتأثير وإقناع الباحث عن الحقيقة فالزمن الحاضر أكثر حاجة إلى إيراد الأدلة.

٢ـ أنهم في ترغيبهم في أمر، وترهيبهم منه يسقطون قيمة ما هو أهم منه، فيفقدون بذلك المحافظة على الموازنة الدقيقة الموجودة في الشريعة، أي لا يميزون بين المهم والأهم.

٣ـ أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي أرقى أنواع البلاغة فلابد أن يكون الكلام موافقاً لحاجات العصر، إلا أنهم لا يتكلمون بما يناسب تشخيص علة هذا العصر كما أنهم يسحبون الناس إلى الزمان الغابر، فيتحدثون بلسان ذلك الزمان، فعلى الوعاظ والمرشدين أن يكونوا محققين ليتمكنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضاً مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر وعليهم أن يزنوا الأمور بميزان الشريعة"[١] .

وبمثل هذه المقولات للنورسي اقتنع الكثير من الباحثين في فكر النورسي أنه قدم الدعوة الإسلامية بشكل مختلف تماماً عمن سبقه من العلماء والدعاة تقول شكران واحدة[٢] عن النورسي: "إنه اقتنع أن علم الكلام على الطراز القديم لم يعد يكفي لإزالة الشبه التي تشاع بحق الدين الإسلامي بمعنى أنه جعل علم الكلام تابعاً أيضاً للتجديد"[٣] .

ويلاحظ قارئ رسائل النور أن النورسي لم يقدم تجديداً فعلياً في أصول وأدلة المتكلمين السابقين. بل كان جل همة تبسيط بعض المسائل وطرحها في قالب قصصي مشوق

---

[1] صيقل الإسلام : ٤٧٣.

[2] ولدت في انكلترا عام ١٩٤٨م تخرجت من قسم الأدب التركي بجامعة درهام عام ١٩٨٠م اعتنقت الإسلام وهي لا تزال مقيمة في تركيا وقد قامت بترجمة رسائل النور إلى الإنكليزية. انظر: المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان النورسي: ١٠٨ .

[3] انظر المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان : ١١٠.

يقوم في أساسه على قياس الغائب على الشاهد، والاستدلال بصحة الشيء على صحة مثله، وجعل المتفق عليه دليلاً على المختلف فيه. وغير ذلك لكنه في أصل الدليل وأس المسألة موافق لعلم الكلام القديم وإنما كان التغيير في الشكل لا الجوهر حيث كانت الأدلة الكلية واحدة تقريباً وهذه بعض الشواهد:

أولاً: تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذه المسألة جوهرية في المسائل الإيمانية والاعتقادية، فنجد أن النورسي لم ينقض هذا الأصل الكبير الذي قال به أحد شيوخه المعنويين وهو الغزالي: "إنه يجب تأويل كل ما قضى العقل باستحالته"[1].

وسبق قول النورسي تقريراً لهذا الأصل ومؤكداً عليه: "إذا تعارض العقل والنقل يعد العقل أصلاً ويؤول النقل ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً"[2].

ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الأمر بقوله: "الكتاب والسنة لا يعارضهما معقول بين قط، ولا يعارضهما إلا ما فيه اشتباه واضطراب وما علم أنه حق، لا يعارضه ما فيه اضطراب واشتباه لم يُعلم أنه حق. بلى نقول قولاً عاماً كلياً، إن النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول. فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، وإنما الذي يعارضها شُبه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة"[3].

ثانياً: تقريره لمعنى توحيد الربوبية على أنه التوحيد الذي بعث لأجله الرسل متابعة لمن سبقه من علماء الكلام. فعلماء الكلام يرون أن التوحيد هو الاعتقاد بأن الله هو الخالق المدبر لهذا الكون بمن فيه، فمن اعتقد بذلك فقد دخل في الإسلام ولإثبات هذه العقيدة يستدلون بأدلة متنوعة وأشهرها ما يسمى بدليل الحدوث. وعامة المتكلمين يستدلون بهذا

[1] انظر الاقتصاد في الاعتقاد : ١٣٣ أبي حامد الغزالي دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣، انظر الصواعق المرسلة: ٤٥١/٢، ٨٢٣/٣.

[2] صيقل الإسلام : ٢٩.

[3] درء التعارض : ١٥٥/١- ١٥٦

الدليل على إثبات وجود واجب الوجود، وهذا الدليل في الأصل مـأخوذ مـن المعتزلـة والجهمية، والتي أخذها أبو الهذيل العلاف[1] عن الفلسفة اليونانية أو الفلسفة الهندية[2].

ولم يعرض النورسي هذه الأدلة على طلابه كما هي عند علماء الكلام السابقين، بل إنه عرض أصل الدليل بطريقة سهلة ميسرة على المستمع حتى يستطيع فهم المراد، لاسـيما وأن أكثر مريديه من غير طلاب العلم يقول عن هذا الدليل: "إن حقيقـة الحـدوث قـد استولت على الكون، فالعين ترى أكثرها والعقل يرى القسم الآخر منها، ذلك لأننا نشاهد أنه مع حلول الخريف في كل سنة يموت عالم عظيم جداً، فتموت معه أفراد غير محدودة لمئة ألف نوع من النباتات والحيوانات الصغيرة، كل نوع منها بحكم كون ذي حيـاة، ولكـن ذلك الموت يجري في غاية الانتظام، بحيث تودع تلك الأفراد بذورها ونواها وبويـضاتها ـــ التي تصبح مداراً لحشرها ونشورها، والتي هي بذاتها معجزات الرحمة والحكمـة وخـوارق القدرة والحكم ـــ تودعها أمانة لدى حكمة الحفيظ ذي الجلال، والتي هي بذاتها معجزات الرحمة والحكمة وخوارق القدرة والعلم ـــ تودعها أمانة لدى حكمة الحفيظ ذي الجـلال وتحت رعايته وحمايته مسلمة إلى أيديها صحف أعمالها، وبرامج ما قدمت من وظائف وبعد ذلك تموت"[3].

وبالنظر إلى أدلته في إثبات وجود الخالق يعلم مدى تأثر النورسي بأدلة المتقدمين مـن علماء الكلام[4].

---

[1] هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، أبو الهذيل العلاف من أئمة المعتزلة ،كف بصره في آخر عمره توفي بسامراء (٢٣٥) انظر الأعلام: ١٣١/٧.

[2] انظر مذاهب الإسلاميين ١٨٤/١ عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١م.

[3] الشعاعات : ١٨٢.

[4] انظر مبحث أدلته في وجود الخالق .

المبحث الثاني : علم الكلام الجديد

علـــــم الكــــلام الجـــديد :

الكثير من العلماء يرى أن علم الكلام سبب جموداً في العلم والشعور لـــدى المتلقـــي وافتقد الإسلام من خلال مصطلحات هذا العلم ما اتسم بـــه مـــن الوضـــوح والجاذبيـــة والنورسي ممن يرى أن علم الكلام "القديم" يجب أن يغير من لغته وأسلوبه لأن الزمان قـــد تغير وبالتالي يحتاج الناس إلى الوضوح واليسر في كافة أمورهم لاسيما في مـــسائل دينـــهم يقول النورسي عن الرسائل وأسلوبها الجديد في بسط المسائل العقدية:"إن الكلمات تصديق، وليست تصوراً وإيماناً، وليست تسليماً وتحقيقاً، وليست تقليداً وشهادة شهود، وليـــست معرفة وإذعاناً وليست التزاماً، وحقيقة، وليست تصرفاً وبرهاناً ضمن الدعوى، وليـــست ادعاءً وحكمة هذا السر هي:

أن الأسس الإيمانية كانت متينة في العصور السابقة وكان الانقياد تاماً كاملاً إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناقم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل.

أما في الوقت الحاضر فقد مدت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانـــه فوهب لي الحكيم الرحيم الذي يهب لكل صاحب داء دواءه المناسب وأنعم علي ســـبحانه شعلة من "ضرب الأمثال" التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها؛ رحمة منه جـــل وعلا لعجزي، وضعفي، وفقري، واضطراري، لأنير بها كتاباتي التي تخـــص خدمـــةالقرآن الكريم فله الحمد والمنة"[1]

ويرى النورسي أنه قدم علماً جديداً للكلام وهو ما يطلق عليه "تجديد الدين والإيمان" يقول في رسالة له:"إنه ينبغي لهذا العصرمن مجدد له شأنه ليقوم بتجديدالـــدين والإيمـــان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة،وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية. ولكن أهـــم تلك الوظائف،هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية فهي أجل وأعظـــم تلـــك الوظائف الثلاث ولذا تبقى دوائر الشريعة، والحياة الإجتماعية، والسياسية في الدرجة الثانية، والثالثة، والرابعة، ثم إنه يبدو بعيداً جداً بل يكاد يكون غير ممكن اجتماع هذه الوظـــائف الثلاث كلها في شخص واحد،أو في جماعة واحدة في هذا العصر،وعلى الوجه الأكمل،ومن دون أن تعيق إحداها الأخرى، بل قد لاتجتمع أصلاً تلك الوظائف إلا في السيد المهـــدي.

[1] المكتوبات : ٤٨٦-٤٨٧.

فلله الحمد بما لا يتناهى من الحمد، أن دفع الشخص المعنوي لطلاب رسائل النور[1] وحقيقتها ــ في هذا العصر ــ لأداء وظيفة التجديد من حيث المحافظة على الحقائق الإيمانية"[2].

ويقارن ما قدمه علماء الكلام مع ما جادت به رسائل النور فيقول: "إن علماء الكلام وإن تتلمذوا على القرآن الكريم، وألفوا ألوف الكتب ــ بعضها عشرات المجلدات ــ إلا أنهم لترجيحهم العقل على النقل كالمعتزلة، عجزوا أن يوضحوا ما تفيده عشر آيات من القرآن الكريم وتثبته إثباتاً قاطعاً، بما يورث القناعة والاطمئنان، ذلك لأنهم يحفرون عيوناً في سفوح جبال بعيدة ليأتوا منها بالماء إلى أقصى العالم بوساطة أنابيب، أي بسلسلة الأسباب، ثم يقطعون تلك السلسلة هناك فيثبتون وجود واجب الوجود، وا لمعرفة الإلهية التي هي كالماء الباعث على الحياة. أما الآيات الكريمة، فكل واحدة منها كعصا موسى تستطيع أن تفجر الماء أينما ضربت، وتفتح من كل شيء نافذة تدل على الصانع الجليل وتعرفه، ومن هذا السر أيضاً نجد أن جميع أئمة الفرق الضالة الذين توغلوا في بواطن الأمور، واعتمدوا على مشوداتهم من دون اتباع السنة النبوية، فرجعوا من أثناء الطريق، وترأسوا جماعة وشكلوا لهم فرقة ضالة هؤلاء قد زلوا إلى مثل هذه البدع، وا لضلالة، وساقوا البشرية إلى مثل هذه السبل الضالة لأنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على تناسق الحقائق وموازنتها"[3]. وعن هذا النهج الشمولي في عرض الحقائق الإيمانية يقول د . محسن عبد الحميد: "أسلوب النورسي في الحديث عن أصول العقائد الإسلامية أسلوب فريد في بابه؛ لأنه يعتمد على الأسلوب التفصيلي الذي يدخل قارئه إلى جذور القضايا، ويقدم خريطة كونية[4] دقيقة تظهر عليها الكائنات إلى حد الخلايا البعيدة، بعكس علماء الكلام السابقين الذين كانوا يخاطبون الفلاسفة، وتلامذة العلم العقلي التجريدي، فكانوا يعتمدون على الإيجاز الشديد، والمقدمات العقلية المصاغة، والمصطلحات العلمية المعروفة، لا يتجاوزونها، أما النورسي فأسلوبه يعتمد على المخطط الشامل المتنوع الدقيق الذي قد يكون مملاً عند من لا علم له بحقيقة ما

[1] يقصد نفسه ، سعيد النورسي .

[2] انظر الملاحق : ١٩٦-١٩٧.

[3] الكلمات : ٥١٤-٥١٥. هذه الكلمات الجامعة التي يجب أن يُنظر لرسائل النور من خلالها.

[4] هذا ليس في قدرة المخلوق ، فالأولى الابتعاد عن هذه الألفاظ الموهمة .

كــان يعانيه من الصراع في المعركة ذات الوجوه المتعــددة بــين الأمــة الإسلاميــة والحضارة المادية الحديثة"[١].

وقد كان من معالم علم الكلام الجديد الذي قدمه النورسي للعالم الإسلامي رفــضه للسياسة حيث اشتهرت عبارته "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة" لقد أضرب النورسي عن السياسة بعد تعاطيها في بداية أمره، يقول عن ذلك: "لقد سأل قسم من النواب المتــدينين سعيداً القديم أوائل عهد الحرية: إنك تجعل السياسة تابعة للدين في كل شيء بــل تجعلــها وسيلة منقادة للشريعة، ولا تقبل الحرية إلا على أساس الوجه المشروع بمعنى إنك لا تعترف بالحرية والمشروطية بدون الشريعة ولأجل هذا جعلوك في صفوف المطالبين بتطبيق الشريعة في حادثة ٣١ مارس. فأجابهم سعيد القديم بالآتي:

أجل إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام وإلا فــلا ولا يمكــن أن تذوق الأمة السعادة في الدنيا أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية"[٢] ولكن بعد مرحلة سعيد القديم، نجد أن النورسي يستعيذ من السياسة كما يــستعيذ مــن الشيطان لأنه يرى أن من اهتم بالسياسة ترك أمر دينه، يقول: "إن الذين اتخذوا الــسياسة هدفاً لهم، يأتي الدين لديهم في المرتبة الثانية ويكون حكمه حكم التابع أما المتــدين حــق التدين، فيرى العبودية لله تعالى أعظم غاياته في الكون، فلا ينظر إلى السياسة نظر العاشــق الولهان، بل ينظر إليها حسب مرحلتها في المرحلة الثانية أو الثالثة، ويستطيع أن يجعلــها أداة طيعة للدين والحقيقة"[٣] وكان سبب ترك النورسي للسياسة هو الحفاظ على "سلامة القلب وراحة الروح"[٤] لذلك فهو يقول: "إن السياسة الحاضرة الدائرة على المنافع وحش رهيب ، فالتودد إلى وحش جائع لا يدر عطفه بل يثير شهيته ، ثم يعود يطلب منك أجــرة أنيابــه وأظافره "[٥] وبهذا ترك طلاب النور الأمور السياسية حتى يومنا هذا انطلاقــاً مــن كــلام النورسي هذا الذي يرى فيه البعض أنه توجه مرحلي حتى تزول فترة أتــاتورك وعــصمت

---

1 النورسي متكلم العصر الحديث : ٧٨.

2 انظر صقيل الإسلام : ٥٢١.

3 الملاحق : ١٥٩.

4 انظر الملاحق : ١٥٢.

5 الكلمات : ٨٥٠.

اينونو، وأيا كان موقف النورسي من السياسة قبولاً أو رفضاً، فلا يجب أن يتـــرك العلمـــاء والدعاة وطلاب العلم هذا الميدان الخطير لمرضى النفوس والمنافقين وغيرهم، فيسوسوا العباد على غير شرع الله تعالى ويتكلموا في قضايا الأمة المصيرية بلا علم ولا هدى، بينما العلماء وطلاب العلم يصرفون كل أوقاهم في شؤوهم الشخصية علمية كانت أو عملية أو حـــتى اشتغالاً بدعوة الناس لفروع الدين والله المستعان، وهذا ما يقوله النورسي صراحة لطلابـــه حيث يقول: "إن خدمة القرآن هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة بل أنـــستني حـــتى التفكير فيها"[١]، وهذا الفصام بين الشرعي والدنيوي غريب على المسلمين وعلـــى العلمـــاء الربانين على امتداد التاريخ الإسلامي.

وقد أثر هذا الموقف الجديد الذي وقفه سعيد النورسي تأثيراً شديداً في أنصاره وأتباعه من بعد، فصار أكثرهم ينفر من كلمة سياسة، وصار بالتالي وعيهم السياسي ضعيفاً جداً مما أوقعهم في حبائل السياسيين من حيث لا يشعرون.

وقد سئل أحد طلاب النور المثقفين (وكان أستاذاً في الجامعة)لماذا أعطوا أصـــواهم في الانتخابات لحزب العدالة ــــ وهو حزب علماني ــــ ومنعوها عن حزب السلامة ــــ وهـــو حزب إسلامي ــــ ؟ فأجاب: "إن أربكان شخصية نظيفة وينبغي أن يبتعد عن السياسة فلا يليق بالدعاة المسلمين أن يشغلوا أنفسهم بالسياسة، فهي رجس من عمل الشيطان" والسؤال هنا، كيف يستقيم في حس المسلم أن حياته يمكن أن تستقيم بأن يـــصلي ويـــصوم وفـــق الشريعة الإسلامية ... ويسلم بعد ذلك السلطة إلى: حزب علماني ليحكمه ويدير اقتصاده وسياسته وفق شرع الغرب أو الشرق"[٢].

ويمتاز منهج النورسي في علم الكلام الجديد. بالتكرار في مـــسائل محـــددة في جميـــع رسائله كالإيمان بوحدانية الله تعالى في ذاته، وصحة نبوة نبينا محمد ﷺ وغير ذلك، ومن أسماء تلك الرسائل مثل لمعات، شعاعات، مكتوبات، والتي تعني أن تلك الرسائل تـــأتي إلى ذهن كاتبها كاللمعة، والشعاع الذي يوضح مسائل تلك الرسائل بأوضح بيان. معتمداً في ذلك على الأمثلة والقصص وغير ذلك. يتبين لنا منهجه الفكري الذي قد يغفل أحياناً النص

[1] المكتوبات : ٥٩.

[2] مقدمة سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان .

الشرعي، خاصة ما يكون نصاً نبوياً في معالجة قضية فقهية أو فكرية أو اعتقادية، مما نتج عنه عدم الاعتناء بالعلم الشرعي في مجالس طلاب النور العلمية، حيث إن حقيقة اجتماع طلاب النور من زمن سعيد النورسي حتى هذا اليوم هو فقط قراءة رسائل النور دون قراءة كتب السنة والفقه وغيرها من تراث المسلمين "[1].

وعند هجوم النورسي على علماء الكلام، فإن ذلك ينصرف إلى علماء المعتزلة الذين قدموا أحكام العقل على النقل، ولم يهاجم كبار المتكلمين من الأشاعرة ـــ مثلاً ـــ كالغزالي[2] و الأيجي[3] والباقلاني[4] و الرازي[5]، وهذا الهجوم على المتكلمين قد سبقه إليه ابن عربي حيث يقول: "وأما أصحاب النظر وأرباب الفكر من القدماء والمتكلمين في كلامهم في النفس وما هيتها فما منهم من عبر على حقيقتها ولا يعطيها النظر الفكري أبداً. فمن

---

[1] يخرج من هذا القول جماعة الزهراء والتي كان رئيسها الشيخ عز الدين يلدرم ـــ والله أعلم ـــ وقد حدثني الأستاذ / شكري (وهو من جماعة فتح الله قولين البارزين) : أنه طلب من فتح الله قولن تدريس الحديث والفقه للطلاب ، وترك رفع الأيدي مقلوبة بواطنها إلى الأرض بعد الصلاة لأنه لا يدل عليه دليل وغير ذلك . ولكن الشيخ فتح الله قولن لم يوافق وتابع يقول : ليس في النورسية طالب أتم قراءة كتابين في الفقه ولو كانت من المختصرات .

[2] الغزالي: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي الملقب، بحجة الإسلام، فقيه الشافعية في عصره، صاحب كتاب إحياء علوم الدين، والمستصفى من علم الأصول وغيرها، وقع في بعض الأخطاء الصوفية، ورد عليه العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية، مات رحمه الله سنة ٥٠٥هـ .

انظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ١٢٤/١٧ – ١٢٧ رقم ٣٧٧٩ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دائرة المعارف العثمانية الطبعة الأولى ١٣٥٩. ووفيات الأعيان: ٢١٦/٤ – ٢١٩رقم ٥٨٨، وطبقات الشافعية الكبرى: ١٩١/٦ – ٣٨٩ رقم ٦٩٤.

[3] الأيجي: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الأيجي الشيرازي الشافعي، الملقب بعضد الدين كان عالماً في العلوم العقلية والمعاني والبيان والنحو والفقه، مان سنة ٧٥٦هـ .

انظر طبقات الشافعية الكبرى: ٤٦/١٠ – ٧٨، الدرر الكامنة: ٤٢٩/٢، بغية الوعاه: ٧٥/٢ – ٧٦ للسيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ عيسى البابي الحلبي القاهرة. مفتاح السعادة ومصباح السيادة: ١٩٥/١ – ١٩٦ طاش كبرى زادة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

[4] الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري ثم البغدادي المالكي المعروف بالباقلاني، سكن بغداد وسمع بها الحديث، أخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري، ولذلك كان من المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ويعد من أفضلهم: توفي ببغداد سنة ٤٠٣.

انظر شذرات الذهب: ١٦٨/٣ – ١٦٩، ومعجم المؤلفين: ٣٧٣/٣ تر ١٣٨٢٢ عمر رضا كحاله دار إحياء التراث العربي بيروت

[5] الرازي: أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الحسين التيمي البكري الطبرستاني الرازي المعروف بابن خطيب الري، والفخر الرازي، ولد بالري عام ٥٤٤هـ ، وطاف بلاد كثيرة، فاق أهل زمانه في علم الكلام، وكان مفسراً أديباً طبيباً، وقد كان أشعرياً. مات سنة ٦٠٦.

انظر شذرات الذهب: ٢١/٥ – ٢٢ لابن العماد الحنبلي المكتب البخاري بيروت. ومعجم المؤلفين: ٥٨٨/٣ – ٥٥٩ تر ١٥٠٠.

طلب العلم بها من طريق النظر الفكري،فقد استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ [الكهف:١٠٤] فمن طلب الأمر من غير طريقة فما ظفر بتحقيقه "[1].

وقد أنكر كثير من الصوفية على العقل القدرة على فهم الشريعة وأحكامها[2]، وجعلوا القلب هو الطريق الوحيد لفهم الشريعة وأحكامها، وفهم ما يجري في الكون. فوقعوا في أخطاء ظاهرة البطلان حيث اصطدمت أحكامهم مع مسلمات العلم وبدهياته . وقد كان للنورسي من هذا نصيب، فهو يقول عن الذباب أنه لا يصح أن نقول إنه ينقل الجراثيم: ".. وكذا والذبابة لها وظائف أهم مما ذكر: ـ فهي مأمورة بتنظيف ما لا يراه الإنسان من جراثيم مرضية، وتطهير المواد السامة. فهي ليست ناقلة للجراثيم، بل العكس تهلك تلك الجراثيم المضرة وتحمينا بمصها لها وأكلها، وتحيل تلك المواد السامة إلى مواد أخرى فتحول دون سريان كثير من الأمراض، وتوقفها عند حدها. والدليل على أن الذباب موظفات صحيحات، ومأمورات تنظيف وكيماويات حاذقات، وأن لوجودها حكمة إلهية واسعة، هو كثرتها المتناهية، إذ المواد النافعة والثمينة تكثر منها[3]، ... انظر إلى فائدة واحدة للذباب تعود عليك فحسب بما سوى فوائده ومنافعه للحياة، وتخل عن عدائك له، فكما أنه يورثك الأنس والسلوان في الاغتراب والوحدة والانفراد، كذلك يوقظك من نوم الغفلة وغمرات تشتت الفكر، فيذكرك بوظائف إنسانية كالحركة والنشاط والنظافة الدائمة بوضوئه وصلاته وتنظيفه وجهه وعينه، كما هو مشاهد أن العداء للذباب لا معنى له، بل هذا ظلم وإجحاف بحق تلك الحيوانات التي تعاون الإنسان، وتسعى لصداقته وتتحمل أذاه. وإنما يجوز مكافحة المضرة منها فحسب، وذلك دفعاً لأضرارها كدفع ضرر الذباب عن الأغنام"[4].

ويرى أن لحوم الحيوانات الأليفة الحية حرام على السباع. وأنه لا يجوز للسباع الأكل إلا من الميتة من الحيوانات. يقول: "إن الرزق الحلال للحيوانات الوحشية المفترسة هو لحوم

---

[1] الفصوص : ١٢٥.

[2] انظر رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي : ٤١ جمع وتحقيق الدكتور: موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى ١٤١٠

[3] ثم يذكر في الهامش تأملات الصوفي (يونس أمره) عن الذباب ليؤكد لنا جذور هذه التأملات قائلاً (حملت جناح ذباب على أربعين حمل ، فعجزت الأربعين عن حملها وظلت مسطورة) .

[4] انظر اللمعات : ٤١٣.

الحيوانات الميتة، وحرام عليها لحوم الحيوانات الحية، بل لها جزاء إن أكلت منها فالحديث الشريف: "حتى تقتص الجماء من القرناء"[1] يدل على أن الحيوانات التي تبقى أرواحها رغم فناء أجسادها، لها جزاء وثواب يناسبها في دار البقاء فعلى هذا يصح القول أن لحوم الحيوانات الحية حرام على المفترسات"[2] .

أما عن تطبيق الأحكام القلبية الذوقية في علم الكلام على المسائل الشرعية فهي متنوعة، فمنها قوله إن الشهداء لا يعلمون حين يقتلون أنهم قد ماتوا يقول: "إن الشهداء الذين ضحوا بحياتهم الدنيوية في سبيل الحق ينعم عليهم سبحانه وتعالى بكمال كرمه، حياة شبيهة، بالحياة الدنيوية في عالم البرزخ، إلا أنها بلا آلام ولا متاعب ولا هموم حيث لا يعلمون أنهم قد ماتوا"[3].

وهذه الأحكام سوى أنها أحكام ذوقية إلا أنها في نفس الوقت تخالف أحكام العقل السليم بل والشرع الحنيف.

ومما يمتاز به علم الكلام عند النورسي:

دعوة النورسي إلى قفل باب الاجتهاد.

يرى البعض من طلاب النورسي أنه لم يناد بقفل باب الاجتهاد إلا بعد أن رأى الفتاوى الخاطئة والجريئة البعيدة عن روح الشرع، كمنع مقاومة المحتل، وإباحة سفر المرأة بلا محرم.

يقول النورسي: "إن باب الإجتهاد مفتوح، إلا أن هناك ستة موانع في هذا الزمان تحول دون الدخول فيه:

١- من الجناية في حق الإسلام فتح أبواب جديدة في قصره المنيف، مما يمهد السبيل للمتسللين والمخربين باسم الاجتهاد.

٢- يتحتم صرف الجهود في هذا الزمان لضروريات الدين، ويكفي اجتهاد السلف في المسائل الأخرى، فالانصراف عن اجتهادات السلف إلى غيرهم خيانة مبتدعة.

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاه الجلحاء من الشاء القرناء) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (٢٥٨٢).

[2] اللمعات : ٤١٢.

[3] المكتوبات : ٦، انظر شرح قصيدة ابن القيم: ١٠٦/١٠، ١٧٥/٢.

٣- في العصر الحاضر تحكمت الحضارة الأوروبية، وتسلطت الفلسفة المادية وتعقدت متطلبات الحياة اليومية مما أدى إلى تشتت الأفكار وحيرة القلوب، فضعفت قدرات العلماء على الاجتهاد.

٤- إن التوسع في الدين إن كان ناشئاً لدى الذين تركوا الضروريات وتأثروا بالفلسفة فإنه الهدم والخراب .

٥- إن الاجتهادات الأرضية ليست اجتهادات شرعية .

٦- ضيق المسافة بين الكذب والصدق في هذا الزمان،وكثافة الحجب أمام مجتهدي الأمة[1] .

وإن كان النورسي لا يسد باب الاجتهاد بل يذكر موانعه في عصره، إلا أن ذلك ساهم في إيجاد بيئة علمية جامدة، فشلت بهذا حركة الاجتهاد في فروع الشريعة، وأدت بالفقه الإسلامي إلى الجمود والركود وفي عصر النورسي لم يكن القول بقفل باب الاجتهاد شيئاً جديداً أو حتى مستنكراً. حيث إن الأصل وقتئذ هو قفل باب الاجتهاد، خاصة في الدولة العثمانية، حيث ادعوا أنه لا يوجد من تتوفر فيه شروط الاجتهاد لكن نتائجه على الأمة كانت خطيرة[2]. قال الشوكاني رحمه الله: "قد جفاني جماعة من الذين لا يعرفون الحقائق لصدور اجتهادات مني مخالفة لما ألفوه وعرفوه، وهذا دأبهم خلفاً عن سلف، لا يزالون يعادون من بلغ رتبة الاجتهاد وخالف ما دأبوا عليه ودرجوا من مذاهب الآباء والأجداد"[3].

ولتصور مسألة الاجتهاد في عصر النورسي أسوق واقعة ما يسمى "بحادثه المجتهدين"حيث اجتمع جملة من العلماء منهم الشيخ جمال الدين القاسمي[4]، والشيخ عبد الرزاق البيطار[5]، للمذاكرة والدرس فوشى بعض الحاسدين بهم إلى والي الشام عثمان نوري

---

[1] انظر الكلمات : ٥٦٢-٥٦٨.

[2] انظر واقعنا المعاصر ، ١٥٩.

[3] البدر الطالع : ٣٩١/١ الشوكاني مطبع السعادة الطبعة الأولى ١٣٤٨ مصر نشر دار المعرفة بيروت.

[4] جمال الدين القاسمي: جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق من سلالة الحسين السبط إمام الشام في عصره كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، رحل إلى مصر وزار المدينة، مات سنة ١٣٣٢هـ . انظر الأعلام: ١٣٥/٢.

[5] عبد الرزاق البيطار: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار المدني الدمشقي، عالم بالدين ضليع في الأدب والتاريخ، مولده ووفاته بدمشق، اقتصر في آخر عمره على علمي الكتاب والسنة. انظر الأعلام: ٣٥١/٣.

باشا.وكان من وشايته أن هؤلاء العلماء عدوا أنفسهم من أصحاب الحديث، وأنهم يجتمعون على قراءة الحديث ويريدون أن يستنبطوا منه كل معنى، وأنهم يتدارسون أقوال الفقهاء ويبحثون فيها ويتطلبون الأدلة على تلك الآراء، وقد وصلت هذه القضية إلى المحاكم بدعوى اجتهاد هؤلاء العلماء وأنهم يردون أقوال المتقدمين"[1].

وقد أصاب النورسي عندما حذر من الاجتهاد في الأصول والقطعيات حيث يقول: "إن الضروريات الدينية التي لا مجال فيها للاجتهاد لقطعيتها وثبوتها، والتي هي في حكم القوت والغذاء قد أهملت في العصر الحاضر وأخذت بالتصدع"[2].

وعن المجتهد الذي يجتهد للأمة قال: إن هذا خاص بفقهاء المذاهب وهذا نص قوله: " تتبدل الشرائع بتبدل العصور، وقد تأتي شرائع مختلفة، وترسل رسل كرام في عصر واحد حسب الأقوام، وقد حدث فعلاً، أما بعد ختم النبوة وبعثة خاتم النبيين والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام، فلم تعد هناك حاجة إلى شريعة أخرى لأن شريعته العظمى كافية وواقية لكل قوم في كل عصر، أما جزئيات الأحكام غير المنصوص عليها التي تقتضي التبديل تبعاً للظروف فإن اجتهادات فقهاء المذاهب كفيلة بمعالجة التبديل فكما تبدل الملابس باختلاف المواسم، وتغير الأدوية حسب حاجة المرض، كذلك تبدل الشرائع حسب العصور وتدور الأحكام وفق استعدادات الأمم النظرية؛ لأن الأحكام الشرعية تتبع الأحوال البشرية، وتأتي منسجمة معها وتصبح دواء لدائها"[3].

وفي موضع آخر نجد عبارته أكثر وضوحاً في الاكتفاء باجتهادات فقهاء المذاهب السابقين حيث يقول: "إن الجوانب النظرية للإسلام قد استثرت بأفكار السلف الصالحين وتوسعت باجتهاداتهم الخالصة حتى لم تعد تضيق بالعصور جميعاً لذا فإن ترك تلك الاجتهادات الزكية والانصراف عنها إلى اجتهادات جديدة اتباعاً للهوى إنما هو خيانة مبتدعة"[4].

[1] انظر جمال الدين القاسمي وعصره : ٤٨-٦٩.

[2] الكلمات : ٥٦٢.

[3] م . ن : ٥٦٩.

[4] الكلمات : ٥٦٣.

وعن الاجتهادات في العصر الحاضر، وأنها اتباعاً للهوى وخيانة، يفصل في هذه المسألة ويقول: "هناك ثلاث نقاط تدعو إلى التأمل والنظر، تجعل اجتهادات هذا العصر أرضية وتسلب منها روحها السماوي، بينما الشريعة سماوية والاجتهادات بدورها سماوية لإظهارها خفايا أحكامها. وهذه النقاط هي:

أولاً: أن علة كل حكم تختلف عن حكمته ، فالحكمة والمصلحة سبب الترجيح وليست مناط الوجود، ولا مدار الإيجاد، بينما العلة هي مدار وجود الحكم ... وخلافاً لهذه الحقيقة يتوجه نظر الاجتهاد في هذا العصر، إلى إقامة المصلحة والحكمة بدل العلة، وفي ضوئها يصدر حكمه فلا شك أن اجتهاداً كهذا أرضي وليس بسماوي.

ثانياً: إن نظر هذا العصر متوجه أولاً وبالذات إلى تأمين سعادة الدنيا، وتوجه الأحكام نحوها والحال أن قصد الشريعة متوجه أولاً وبالذات إلى سعادة الآخرة، وينظر إلى سعادة الدنيا بالدرجة الثانية، ويتخذها وسيلة للحياة الأخرى، أي أن وجهة هذا العصر غريبة عن روح الشريعة ومقاصدها فلا تستطيع أن تجتهد باسم الشريعة.

ثالثاً: أن القاعدة الشرعية "الضرورات تبيح المحظورات" ليست كلية، لأن الضرورات إن كانت ناشئة عن طريق الحرام، لا تكون سبباً لإباحة الحرام وإلا فالضرورة التي نشأت عن سوء اختيار الفرد أو عن وسائل غير مشروعة لن تكون حجة ولا سبباً لإباحة المحظورات ولا مداراً لأحكام الرخص، وحيث إن أهل اجتهاد هذا الزمان قد جعلوا تلك الضرورات مداراً للأحكام الشرعية، لذا أصبحت اجتهاداتهم أرضية وتابعة للهوى ومشوبة بالفلسفة المادية. فهي إذن ليست سماوية، ولا تصح تسميتها اجتهادات شرعية قطعاً"[1].

ويضيف النورسي سبباً آخر لعدم فتح باب الاجتهاد، وهو ضعف التحصيل الشرعي فهو يرى أن هذا العصر قد شتت القلوب، وبعثر الحلم عن سبيل الطلب؛ ولئلا يتكلم في الإسلام من ليس من أهل العلم منع الاجتهاد في زمانه فيقول: " ... بينما في العصر الحاضر فإن تحكم الحضارة الأوروبية، وتسلط الفلسفة المادية وأفكارها، وتعقد متطلبات الحياة اليومية كلها تؤدي إلى تشتت الأفكار وحيرة القلوب، وتبعثر الهم، وتفتت الاهتمامات، حتى أضحت الأمور المعنوية غريبة عن الأذهان.

[1] الكلمات : ٥٦٥-٥٦٦ باختصار .

لذا لو وجد الآن من هو بذكاء سفيان بن عيينه الذي حفظ القرآن الكريم وجـالس العلماء وهو لا يزال في الرابعة من عمره لاحتاج إلى عشرة أمثال ما احتاجه ابن عيينه ليبلغ درجة الاجتهاد، أي أنه لو كان قد تيسر لسفيان بن عيينه الاجتهاد في عشر سنوات، فـإن الذي في زماننا هذا قد يحصل عليه في مئة سنة، ذلك لأن مبدأ تعلم سفيان الفطري للاجتهاد يبدأ من سن التمييز ويتهيأ استعداده تدريجياً كاستعداد الكبريت للنار، أما نظيره في الوقـت الحاضر، فقد غرق فكره في مستنقع الفلسفة المادية، وسرح عقله في أحداث السياسة، وحار قلبه أمام متطلبات الحياة المعاشية، وابتعدت استعداداته وقابلياته عن الاجتهاد، فلا جرم أنه قد ابتعد استعداده عن القدرةعلى الاجتهادات الشرعية بمقدار تفننـه في العلـوم الأرضـية الحاضرة، وقصر عن نيل درجة الاجتهاد بمقدار تبحره في العلوم الأرضية، لذا لا يمكنـه أن يقول لم لا أستطيع أن أبلغ درجة سفيان بن عيينه، وأنا مثله في الذكاء ؟ نعم لا يحق له هذا القول، كما أنه لا يلحق به ولن يبلغ شأوه أبداً"[1]. ويدعو النورسي إلى قفل باب الاجتهاد لأنه يرى أنه مدخلٌ للمخربين تحت ستار الاجتهاد وهذا نص قوله: "كما تسد المنافذ حتى الصغيرة منها عند اشتداد العواصف في الشتاء، ولا يستصوب فتح أبواب جديدة وكمـا لا تفتح ثغور لترميم الجدران، وتعمير السدود عند اكتساح السيول، لأنه يفـضي إلى الغـرق والهلاك ... كذلك من الجناية في حق الإسلام فتح أبواب جديدة في قصره المنيـف وشـق ثغرات في جدرانه، مما يمهد السبيل للمتسللين والمخربين باسم الاجتهاد ولاسيما في زمـن المنكرات، ووقت هجوم العادات الأجنبية واستيلائها، وأثناء كثرة البدع وتزاحم الـضلالة ودمارها"[2]. وحتى ممن يملك حق الاجتهاد، فإنه لا يرى له الاجتهاد في قضايا الأمـة، بـل يقتصر اجتهاد المجتهد على نفسه يقول: "من يملك استعداداً للاجتهاد يـستطيع أن يجتهـد لنفسه إلا أنه لا يستطيع أن يشرع"[3].

[1] الكلمات : ٥٦٤.

[2] الكلمات : ٥٦٢.

[3] المكتوبات: ٣٠٦.

الفصل الثالث : التصوف

وفيه مقدمة وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الاصطلاحات الصوفية

المبحث الثاني : الكشف والإلهام

المبحث الثالث : الرؤيا

المبحث الرابع: رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته

مقدمة:

قد يبدو موقف النورسي من التصوف مضطرباً وغير واضح ، حيث إنه في الوقت الذي يوجه فيه سهامه إلى الصوفية والطرقية،بل وينفي تهمة التصوف عنه تصريحاً ، ويبين حاجة الأمة للعلم المستند إلى الدليل الواضح والمنطق السليم. نجده يبرر سلوك الغلاة من الصوفية ، ويمتدح الكثير من زعماء الطرق ويدعي أنه لا حفاظ للإيمان دون هذه الطرق!

ولبيان موقف النورسي من الصوفية بدقة، لا بد من جمع النصوص وعرضها في سياقها التاريخي حتى نخرج بقول مستند على البرهان والدليل.

يقول النورسي في مواضع كثيرة أنه ليس صوفياً بل عالم ديني، ففي خطابه إلى أصدقائه والمسؤولين أثناء محاكمته ــ وهذه المحاكمة كانت في عهد حكومة أتاتورك ــ يقول لمن سأله: إن شيوخ الصوفية يتدخلون في أمور الدولة وأنت شيخ لأن الناس يطلقون عليك اسم الشيخ فيجيب نافياً عته هذه التهمة: "أقول: أيها السادة إنني لست شيخاً صوفياً إنما أنا عالم ديني والدليل على هذا هو أنني لو كنت قد علمت أحداً من الناس الطريقة الصوفية طوال هذه السنوات الأربع التي قضيتها هنا لكان لكم الحق في الارتياب والوقوع في الشكوك،ولكني لم أقل لمن أتاني إلا أن الزمان ليس زمان الطريقة.الإيمان ضروري والإسلام ضروري"[١].

ويقول: "وحيث إن مسلكنا حقيقة علمية وليست طريقة صوفية، فلا نرى أنفسنا مضطرين مثلهم إلى مباشرة تلك الرابطة بالافتراض والخيال"[٢].

ويقول إن الطرق الصوفية لا يحتاجها طلاب النور لأنهم في غنى عنها بالرسائل: "إنما في درس رسائل النور للحقائق من علم الحقيقة الذي يمنح فيض الولاية الكبرى النابعة من سر الوراثة النبوية، لا يدع حاجة للانتماء إلى الطرق الصوفية خارج الدائرة، إلا من فهم الطريقة على غير وجهها، وكأنها رؤى جميلة وخيالات وأنوار وأذواق"[٣].

---

[1] المكتوبات: ٧٩، وانظر اللمعات: ٢٤٥.

[2] اللمعات: ٢٤٦.

[3] اللمعات: ٢٤٦.

ولكن هل كان موقف النورسي من الصوفية هذا عن قناعة تامة ببطلان المسلك الصوفي؟

الجواب بالنفي، وذلك لأسباب كثيرة، ولعل من أبرزها أن التصوف عم العالم الإسلامي بعنف في تلك الفترة، حتى أصبح التصوف هو الدين. لذا حارب الكماليون التصوف من هذا الباب، ولذا فهو لا يتنكر للصوفية باعتبارها مسلكاً عقدياً وفكرياً غير صحيح دخل فيه البدع والخرافات ما يجعل العلماء يتصدون له. بل هو يرفض التصوف لما قد يسبب من أضرار تصده عن دعوة الناس للإسلام، فهو يبين أن الانتماء للطرق الصوفية من طلابه قد يسبب له الضرر فيقول : " إن الشغف بالطرق الصوفية التي نفعها قليل في الوقت الحاضر، واحتمال إلحاقها الضرر بوضعنا الحالي ممكن"[1]، وحتى يكون طلابه على قناعة تامة بغلق هذا المسلك الصوفي المعتاد فلابد إذاً من إقناع الطلاب بهذا المسلك فيقول عن زعماء الطرق المشهورين: " لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشاه النقشبندي، والإمام الرباني، وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، وذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وأن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي، نعم لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها كثيرون جداً دون تصوف، فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة والحقائق الإسلامية خبز"[2].

أما عن الطرق فيقول: "إن قبول أقوال الأشخاص العظام لا يفيد اليقين والقطعية ــ في عالم المنطق ــ بغير دليل، بل ربما تكون قضية مقبولة يقتنع بها الإنسان بالظن الغالب. أما البرهان الحقيقي ــ كما هو في المنطق ــ فلا ينظر إلى مكانة الشخص إنما إلى الدليل الذي لا يجرح.

فجميع حجج رسائل النور هي من هذا القسم أي من البرهان اليقيني، وأن ما يراه أهل الولاية الصوفية من الحقائق في العمل، والعبادة، والسلوك، والرياضة الروحية، وما يشاهدونه من الحقائق الإيمانية وراء الحجب، فرسائل النور أيضاً مثلهم. غير أنها في موضع العلم شقت طريقاً إلى الحقيقة من خلال العلم، وفي موضع السلوك والأوراد فتحت سبيلاً

---

[1] اللمعات: ٤٣١.

[2] المكتوبات: ٢٧.

إلى حقيقة الحقائق ضمن براهين منطقية وحججاً عقلية، وفي موضع علم التصوف والطريقة فتحت طرق (الولاية الكبرى) ضمن علم الكلام، وعلم العقيدة وأصول الدين. لـــذا فقـــد انتصرت على الضلالات الفلسفية المعاصرة، وتغلبت عليها، في حين أن تيار (الحقيقـــة) و (الطريقة) قد تراجعا أمامها"[1]. بهذا يكون "قد حصل عند طالب النور يقين في دعوة الناس إلى الإيمان، لا تصرفه عنها جميع الدعوات الأخرى ومنها الصوفية"[2]، وقد حرص النورسي على تحصين طلابه من أي دعوة أو طريقة أو منهج آخر بشكل لافت للنظر حتى وصل إلى أن من خرج من دائرة دعوته إلى طريقٍ آخر فإنه لاشك فاقد للنور والهداية"[3].

ومن الشواهد على أن النورسي صاحب طريقة صوفية ما يلي:

أولاً: أن مرجعيته العلمية والسلوكية مستمدة من زعماء الطرق المشهورة. يقول عن الطريقة النقشبندية التي تعد الجادة الكبرى عندهم وقد لخص قواعدها بعض أقطابها بأنه يلزم في الطريق النقشبندي ترك أربعة أشياء: ترك الدنيا بأن تجعلها مقصوداً بالذات، وترك الآخرة بحساب النفس، وترك النفس أي أن تنساها، ثم ترك الترك. أي ألا تفكر بهذا الترك، لئلا تقع في العُجب والفخر. بمعنى أن معرفة الله والكمالات الإنسانية الحقيقيتين لن تحصل في ترك ما سوى الله[4].

ويحدث عن نفسه أنه مر بأزمة روحية حادة،عندما كـــان عـــضواً في دار الحكمـــة الإسلامية واعتراه قلق رهيب وانتابه اضطراب فكري مخيف، فاستمد حينها مـــن الـــشيخ الكيلاني مدداً قوياً جداً، فأمده بهمته[5] وبكتابه "فتوح الغيب" حتى جـــاوز ذلـــك القلـــق والاضطراب، ثم وجد كتاب "مكتوبات" للإمام الفاروقي السرهندي، فتفاءل بالخير تفاؤلاً خالصاً"[6]

---

[1] الملاحق: ٩٠.

[2] بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ٢٠٤.

[3] انظر الملاحق: ٣٥.

[4] انظر الكلمات: ٥٨٢.

[5] وهذا من المنكرات الشنيعة، وهو من الشرك وطلب النفع من الموتى، نسأل الله السلامة.

[6] السيرة الذاتية: ١٦١.

والنورسي يحرص على الطرق الصوفية وعلى الانتساب إليها. بل إن إيمان الإنسان عنده لا يثبت بدون هذه الطرق، فيقول عن أهمية الطرق في الحفاظ على الإيمان: "أن الولاية حجة الرسالة، وإن الطريقة برهان الشريعة، ذلك لأن ما بلغته الرسالة من الحقائق الإيمانية تراها الولاية بدرجة عين اليقين بشهود قلبي وتذوق روحاني فتصدقها، وتصديقها هذا حجة قاطعة لأحقية الرسالة.

وأن ما جاءت به الشريعة من حقائق الأحكام، فإن الطريقة برهان على أحقية تلك الأحكام، وعلى صدورها من الحق تبارك وتعالى بما استفاضت منها واستفادت منها واستفادت بكشفياتها وأذواقها ... ومما يؤسف له بالغ الأسف أن عدداً من علماء أهل السنة والجماعة الذين يحكمون على الظاهر وقسماً من أهل السياسة الغافلين المنسوبين إلى أهل السنة والجماعة يسعون لإيصاد أبواب تلك الخزينة العظمى، خزينة الولاية والطريقة، متذرعين بما يرونه من أخطاء قسم من أهل الطريقة وسوء تصرفاتهم، بل يبذلون جهدهم لهدمها وتدميرها، وتجفيف ذلك النبع الفياض بالكوثر الباعث على الحياة ... لاريب أن حسنات الطريقة التي هي ضمن دائرة أهل السنة المطهرة، لهي أرجح من سيئاتها"[1].

ويقول مؤكداً على أهمية الطريقة الصوفية: "فالذي ليس له حظ من الطريقة، و لم يشعر قلبه بالحركة، من الصعوبة بمكان في هذا الوقت أن يحافظ على نفسه محافظة تامة أمام دسائس الزنادقة الحاليين، ولو كان عالماً مدققاً"[2].

وبما أن للطرق هذه الأهمية فإنه يعفي طالبه خلوصي من الدخول في الطريقة النقشبندية لأنه دخل ضمن "المشيخة" الصوفية. يقول طالبه خلوصي مخاطباً النورسي: "بينما كنت أقضي عمري الماضي بالتحري عن الحقيقة، ساقني القدر الإلهي وأنا الضعيف العاصي إلى الطريقة النقشبندية، وذلك قبل خمس سنوات، تلك الطريقة المتوجهة نحو الشيخ "محمد الكفوري"الذي استلمها من الشاه النقشبند،ولكن بعد ذلك انسد علي الطريق بعد كسوف عابر، فظل هذا العاجز يتخبط في طريق شائك مظلم، وإذ بي أخرج من الظلمات إلى النور،

---

[1] انظر المكتوبات: ٥٧٣ – ٥٧٤.

[2] نفس المرجع السابق والصفحة.

ومن الدوامات المغرقة إلى ساحل السلامة، ومن المهالك الخطرة إلى السعادة الدائمة، بواسطة أنوار "الكلمات" المؤلفة من قبلكم فالحمد لله ... وهذا من فضل ربي ... خلوصي"[1].

ولذلك يقول النورسي يجب على الطالب الذي انضم إلى طلاب النور ألا يتخذ شيخاً من خارج دائرة رسائل النور: "إن طلاب النور لا يتحرون نوراً خارج دائرة رسائل النور، وما ينبغي لهم. ولو تحرى منهم أحد فلا يجد إلا مصباحاً بدلاً من شمس معنوية تضيء من نافذة رسائل النور. بل قد يفقد الشمس.

ثم إن ما في دائرة رسائل النور من مشرب الخلة ومسلك الأخوة، هذا المشرب الخالص والمسلك القوي الذي يكسب الفرد أرواحاً كثيرة ويظهر سراً من أسرار الأخوة التي ورثها الصحابة الكرام من نور النبوة، هذا المشرب لا يدع حاجة إلى البحث عن المرشد الوالد في الخارج ـــ مع أضرار به من ثلاث جهات ـــ بل يوجد له بدلاً عن الوالد المرشد الواحد إخواناً كباراً كثيرين. فلاشك أن ما تسبغه أنواع الشفقة النابعة من قلوب إخوة كبار يزيل شفقة الوالد الواحد.

نعم إن الذي اتخذ لنفسه شيخاً قبل دخوله الدائرة يمكنه أن يحافظ على رابطته بشيخه أو مرشده ضمن الدائرة أيضاً، ولكن من لم يكن له شيخٌ بعد الدخول في الدائرة، ليس له أن يتخذ شيخاً إلا ضمن الدائرة"[2].

لكن في موضع آخر يمتدح رسائله باعتبار أنها تُعنى بالعلم الشرعي فيقول: "بينما أظهرت رسائل النور بالمعجزة المعنوية للقرآن الكريم ـــ كما هو ماثل أمامكم ـــ أن في المدارس الشرعية أيضاً طريقاً قصيراً توصل إلى أنوار الحقيقة وفي العلوم الإيمانية ينبوع ثر هي أصغر وأنقى من غيرها"[3].

والمطلع على الرسائل يلاحظ أنها لا تُعنى بالمسائل الشرعية من الأحكام والمسائل والأصول على الإطلاق بل هي تعنى بالناحية الوجدانية والتربوية.

ثانياً: المصطلحات التي يستخدمها النورسي في رسائله هي نفس المصطلحات التي تستخدمها الطرق الصوفية. ففي رسائل النور الكثير من تلك المصطلحات بمعناها المتعارف

---

[1] الملاحق: ٢٤.

[2] اللمعات: ٤٢٧.

[3] الملاحق: ٢٠٨.

عليه عند الصوفية. هذا بالإضافة إلى مصطلحات جديدة أضافها ولا يلزم من ذلك أن كل هذه المصطلحات ذات معنى مخالف للشرع، فهذا غير مقصود.

فمثلاً ما يطلق عليه النورسي المعنى الاسمي والمعنى الحرفي معناه يدل عليه الشرع والعقل وذلك بألا تجعل هذه المخلوقات غاية نظرك، بل هي دليل على أن هناك من أوجدها وخلقها **(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)** [الطور:٣٥]، ويوجد في هذه المصطلحات ما يخالف النصوص الشرعية في معناه، مثل الجفر، والحقيقة، والطريقة الشرعية، والقطب الأكبر، والفناء، والكشف، والذوق، والوجد... وغيرها، يقول عن السماع عند قوله تعالى: **(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[البقرة: من الآية٧] "فبناء على هذا السر أحل الشرع بعض الأصوات، وهو ما هيَج عشقاً علوياً وحزناً عاشقياً، وحرم بعضها وهو ما أنتج اشتهاءً نفسياً، أو حزناً يتيمياً، وما لم يُرِكَ الشرع فميزه بتأثير في روحك ووجدانك"[1]، وعند الفناء يقول: "قد نجا أهل الطرق من الرياء بوسائل قتل النفس الأمارة والأخذ بقاعدة: "الفناء في الشيخ" و "الفناء في الرسول" ... فإن إحدى تلك الرسائل هي "الفناء في الإخوان" أي إذابة الشخصية الفردية في حوض الشخصية المعنوية لإخوانه وبناء أعماله على وفق ذلك.

أقول: إنه كما قد نجا أهل الحقيقة بتلك الرسائل من ورطة الياء، ينجو بإذن الله طلاب النور بهذا السر أيضاً"[2].

ثالثاً: أذكاره وأوراده هي الأذكار والأوراد الصوفية، خاصة الطريقة النقشبندية، خلال حديثه عن كتابه الكلمات يقول: "إنها تمنح كل من رآها واطلع عليها وعرفها شعور الولاء والانحياز التام والتسليم الكامل. بل أظهرت براهين الإيمان والإسلام قوية راسخة رسوخ الموجودات كلها، وكثيرة كثرة الذرات، فيعطي من الإذعان والرسوخ مالا منتهى لهما في الإيمان، حتى أنني حينما أقرأ ـــ أحياناً ـــ كلمة الشهادة في أوراد النقشبند أقول: على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نبعث غداً أشعر بمنتهى الالتزام، بحيث لا أضحي بحقيقة إيمانية واحدة لو أعطيت الدنيا بأسرها"[3].

---

[1] إشارات الإعجاز: ٧٨.انظر التلال الزمردية: ١٨ فتح الله كولن

[2] الكلمات: ٢٢٩.

[3] المكتوبات: ٤٣. انظر لأذكار طلابه في "أسئلة العصر المحيرة":١٤٥

وينبه طلابه على الإخلاص في الذكر وألا ينتظر فيها الجزاء الدنيوي: "لكن إذا صارت الفوائد الدنيوية علة، أو جزءاً من العلة لتلك العبادة أو ذلك الورد أو الذكر فإنها تبطل قسماً من تلك العبادة أو ذلك الورد الذي له خصائص عدة عقيماً دون نتيجة ... فالذين لا يفهمون هذا السر ويقرؤون "الأوراد القدسية للشاه النقشبند" مثلاً التي لها مئات من المزايا والخواص أو يقرؤون الجوشن الكبير الذي له ألف من المزايا والفضائل وهم يقصدون بعض تلك الفوائد بالذات، لا يجدون تلك الفوائد"[1].

وغالباً ما يختم النورسي مكتوبات بـ "الباقي هو الباقي" فما هو أصل هذه العبارة.

يقول عند قوله تعالى: **(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** [القصص: من الآية٨٨] "هذه الآية العظيمة تفسرها جملتان تعبران عن حقيقتين مهمتين بحيث اتخذها قسم من شيوخ الطريقة النقشبندية بمثابة زبدة الأوراد لديهم، يؤدون بها ختمتهم الخاصة، والجملتان هما: يا باقي أنت الباقي، يا باقي أنت الباقي.

ولما كانت هاتان الجملتان تنطويان على معانٍ جليلة لتلك الآية الكريمة فسنذكر بضع نكات لبيان الحقيقتين اللتين تعبران عنهما ..."[2].

رابعاً: قوله إن أفضل طريقة لعمل القلب عمله عبر سبيل الطريقة: فجواباً لمن سأله ما الطريقة ! قال: "إن غاية الطريقة وهدفها هو معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني، وجدانية ذوقية بما يشبه الشهود. فالطريقة والتصوف سر إنساني رفيع وكمال بشري سام ... فإن فاطر ذلك القلب الذي خلقه على هذه الصورة قد أراد تشغيل هذا القلب وتحريكه والكشف عن قدراته والانتقال به من طور "القوة" إلى طور "الفعل". فما دام سبحانه وتعالى قد أراد هكذا، فعلى القلب إذاً أن يقوم بعمله الذي خلق من أجله، كما يقوم العقل بعمله، ولاشك أن أعظم وسيلة لعمل القلب وتشغيله هو التوجه إلى الحقائق الإيمانية، بالإقبال على ذكر الله ضمن مراتب الولاية عبر سبيل الطريقة"[3].

وبعد ذكره لبعض فوائد الذكر، وكيف يأنس الإنسان بذكر الله تعالى (ذكر صيغة الذكر وهو الله ... الله !) قال: "إن أهل الطريقة يحافظون على إيمانهم أثناء هجوم أهل

---

[1] اللمعات: ١٩٩ – ٢٠٠.

[2] اللمعات: ٢١.

[3] المكتوبات: ٥٧١ – ٥٧٢.

الضلالة. حتى أن منتسباً اعتيادياً مخلصاً من أهل الطريقة يحافظ على نفسه أكثر من أي مدعٍ للعلم كان. إذ قد ينقذ إيمانه بما قد حصل له من الذوق الروحي في الطريقة ولا يحكم عليها بسيئات مذاهب ومشارب أطلقت على نفسها ظلماً اسم الطريقة، وربما اتخذت لها صورة خارج دائرة التقوى بل خارج نطاق الإسلام.

لو صرفنا النظر عن النتائج السامية التي توصل إلى الطريقة سواء منها الدينية أو الأخروية أو الروحية، ونظرنا فقط نتيجة واحدة منها ضمن نطاق العالم الإسلامي نرى أن الطريقة هي في مقدمة الوسائل الإيمانية التي توسع من دائرة الأخوة الإسلامية بين المسلمين وتبسط لواء رابطتها المقدسة في أرجاء العالم الإسلامي، وقد كانت الطرق الصوفية ومازالت كذلك إحدى القلاع الثلاث التي تتحطم على جدرانها الصلدة هجمات النصارى بسياساتهم ومكايد الذين يسعون لإطفاء نور الإسلام. فيجب ألا ننسى فضل أهل الطرق في المحافظة على مركز الخلافة الإسلامية "استنبول" طوال خمس مئة وخمسين عاماً رغم هجمات عالم الكفر وصليبية أوروبا. فالقوة الإيمانية، أو المحبة الروحانية، والأشواق المتفجرة من المعرفة الإلهية لأولئك الذين يرددون (الله ... الله) في الزوايا والتكايا المتممة لرسائل الجوامع والمساجد، والرافدُ لهما بجداول الإيمان، حيث كانت تنبعث أنوار التوحيد في خمس مئة مكان، لتشكل بمجموعها لأعظم نقطة ارتكاز للمؤمنين في ذلك المركز الإسلامي"[1].

خامساً: شرح المناهج والطرق الصوفية لطلابه وبيان أنها طرق خاصة بخواص الناس دون التحذير منها أو الدعوة إلى الكتاب والسنة كما هو حال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فأين الحجة للنورسي على مشروعية ما يشرحه للطلاب. يقول عن سلوك طريق الولاية: "إن سلوك طريق الولاية مع سهولته هو ذو مصاعب، ومع قصره فهو طويل جداً ومع تناسقه وعلوه فهو محفوف بالمخاطر، ومع سعته فهو ضيق جداً. فلأجل هذه الأسرار الدقيقة، قد يغرق السالكون في هذه السبيل، وقد يتعثرون ويتأذون، بل قد ينهكون على أعقابهم ويضلون الآخرين[2]. هناك السير الأنفسي والسير الآفاقي وهما مشربان ونهجان في الطريقة.

---

[1] المكتوبات: ٥٧٤ – ٥٧٥.

[2] فما الداعي إذاً للدخول إلى هذه المفاوز التي هي طريق الهلاك والعياذ بالله، وقد أغنانا الله عن ذلك. يقول عليه الصلاة والسلام: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً" انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣٥٥/٤(١٧٦١)

فالسير الأنفسي يبدأ من النفس، ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخـــارج ويحدق في القلب مخترقاً أنانيته. ثم ينفذ منها ويفتح القلب ومن القلب سبيلاً إلى الحقيقة ... ومن هناك ينفذ إلى الآفاق الكونية فيجدها منورة بنور قلبه، فيصل سريعاً لأن الحقيقة الـــتي شاهدها في دائرة النفس يراها بقياس أكبر في الآفاق، وأغلب طرق المجاهدة الخفية تسير وفق هذا السبيل.

وأهم أسس هذا السلوك هو كسر شوكة الأنانية وتحطيمها، وترك الهـــوى وإمارتـــه النفس. أما المنهج الثاني فيبدأ في الآفاق ويشاهد صاحب هذا المنهج تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة ثم ينفذ إلى دائرة النفس، فيرى أنوار تلك التجليات بمقاييس مصغرة في آفاق كونه القلبي. فيفتح في هذا القلب أقرب طريق إليه تعالى، ويشاهد أن القلب حقاً مرآة الصمد. فيصل إلى مقصوده، ومنتهى أمله.

وهكذا في المشرب الأول إنْ عجز السالك عن قتل النفس الأمارة، ولم يتمكن مـــن تحطيم الأنانية بترك الهوى، فإنه يسقط من مقام الشكر على موقع الفخر، ومنه يتـــردى إلى الغرور، وإذا اقترن هذا بما يشبه السكر الناشئ من انجذاب آت من المحبة، فسوف يصدر عنه دعاوى أكبر من حده، وأعظم من طوقه، تلك التي يطلق عليها الشطحات فيـــضر نفـــسه ويكون سبباً في الإضرار بالآخرين"[1].

ويقول عمَّا يسمى بـــ "القطب الأعظم": "إن كثيراً من أهل الولاية ممن يرى نفـــسه أكبر وأعظم بكثير ممن هم أرقى وأسمى منه، بل من نـــسبته إلـــيهم كنـــسبة الـــذباب إلى الطاووس. ولكنه ـــ أي صاحب الدعاوى ـــ يرى نفسه كما يصف، ويراها كما يقـــول، محقاً في رؤيته. حتى أنني رأيت من يتقلد شارات القطب الأعظم ويدعي حالتـــه ويـــتقمص أطواره، وليس له من صفات القطبية إلا انتباه القلب وصحوته، وسوى الشعور بسر الولاية من بعيد..."[2].

---

[1] المكتوبات: ٥٧٥ – ٥٧٦.

[2] المكتوبات: ٥٧٦.

وسر هذه المسألة هو الآتي: "مادام الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وقد خاطبه الله سبحانه باسم البشرية وممثلاً عنها، فلابد ألا تسير البشرية خارج الصراط الذي بينه، فالانضواء تحت لوائه ضروري.

لكن مادام هذا الجذب والاستغراق ليسا مسؤولين عن مخالفتهم، لما في الإنسان من لطائف لا ترضخ للتكاليف الشرعية، فعندما تتحكم فيه تلك اللطيفة لا يبقى مسؤولاً أمام التكاليف الشرعية، ومادام في الإنسان لطائف أخرى لا ترضخ لإرادة الإنسان كعدم رضوخها للتكاليف، بل لا تنقاد لتدبير العقل ولا تذعن لأوامر القلب والعقل... فلابد أن تلك اللطيفة عندما تستحوذ على شخص ما فإنه لا يسقط من مرتبة الولاية بمخالفته الشرع، وإنما يعد معذوراً ــ في تلك الأثناء فقط ــ بشرط ألا يصدر عنه شيء ينافي حقائق الشرع وقواعد الإيمان إنكاراً أو تزييفاً أو استخفافاً، وينبغي أن يصدق بأحقية الشرع وإن لم يكن يؤدي حقه حق الأداء ... وإلا غلبت عليه الحال، وصدر عنه ما يُشم منه التكذيب وإنكار لتلك الحقائق المحكمة ــ نعوذ بالله ــ فذلك علامة الهلاك"[1].

والأولياء الكاملون الذين قال عنهم النورسي أنهم أعدموا بسيف الشريعة لم يُشم منهم فقط التكذيب والإنكار بل كان منهم التصريح بالكفر الصريح والتزييف والاستخفاف مما جعل حكمهم القتل عند علماء الإسلام، ومن هؤلاء: الحسين بن منصور الحلاج[2] الذي قتل على زندقته. وهذا الرجل مقدم عند الطريقة النقشبندية فكتبهم تكثر من الاستدلال بأقواله و امتداحه. يقول الشيخ الراميني: "لو كان أحد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبد القادر الفجدواني موجوداً لما صلب الحلاج"[3].

سئل شيخ الإسلام: ما تقول أئمة الإسلام في الحلاج ؟ وفيمن يقول: أنا اعتقد ما يعتقده الحلاج ماذا يجب عليه ؟ ويقول أنه قتل ظلماً كما قتل بعض الأنبياء ؟ ويقول:

---

[1] المكتوبات: ٥٨٦.

[2] هوالحسن بن منصوربن محيي الملقب بالحلاج،المقتول على زندقته،تبرأ منه العلماء وأغلب الصوفية، تعلم السحر وقال بالحلول. تكلم بما يخرجه من الدين فافتى العملاء بإباحة دمه فقتل سنة ٣١١. انظر ميزان الاعتدال: ١/ ٥٤٨(٢٠٥٩) البداية والنهاية: ١٣٢/١١ مجموع الفتاوى: ١١٠/٣٥.

[3] الأنوار القدسية: ١٢١ عبد الوهاب الشعراني حققه وقدم له طه عبد الباقي سرور الطبعة الأولى. المواهب السرمدية: ٢٩٩ محمد أمين الكردي الأربلي.

الحلاج من أولياء الله فماذا يجب عليه بهذا الكلام ؟ وهل قتل بسيف الشريعة ؟ فأجاب رحمه الله: "الحمد لله ... من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين. فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد، كقوله: أنا الله، وقوله: إله في السماء وإلــه في الأرض" ... ويقــول الشيخ: إن الحلاج كانت له مخاريق وأنواع من السحر، وله كتب منسوبة إليه في الــسحر. ويقول: "هذا الذي أثنى على الحلاج ووافقه على اعتقاده ضال من وجوه أحــدها: أنــه لا يعرف فيمن قتل بسيف الشرع على الزندقة أو أنه قتل ظلماً وكان ولياً لله ... الوجه الثاني: أن الاطلاع على أولياء الله لا يكون إلا ممن يعرف طريق الولاية وهو الإيمان والتقوى، ومن أعظم الإيمان والتقوى أن يجتنب مقالة أهل الإلحاد ــ كأهل الحلول والاتحاد ــ فمن وافــق الحلاج على مثل هذه المقالة، لم يكن عارفاً بالإيمان والتقوى، فلا يكون عارفاً بطريق أولياء الله، فلا يجوز أن يميز بين أولياء الله وغيرهم. الثالث: أن هذا القائل قد أخبر أنه يوافقــه في مقالته، فيكون من جنسه، فشهادته له بالولاية شهادة لنفسه ... "[1].

أما ما يقوله النورسي أن هؤلاء يعذرون فيما يــصدر عنــهم لأن أهــل الجــذب والاستغراق ليسوا مسؤولين عن مخالفتهم. فيقول ابن تيمية في ذلك عن الحلاج: "أما كونه إنما كان يتكلم بهذا الكلام عند الاصطلام فليس كذلك، بل كان يصنف الكتــب ويقولــه وهو حاضر ويقظان"[2].

ولما قتل الحلاج لم يظهر له وقت القتل شيء من الكرامات، وكل من ذكر أن دمــه كتب على الأرض اسم الله، وأن رجله انقطع ماءها، أو غير ذلك فإنه كاذب وهذه الأمور لا يحكيها إلا جاهل أو منافق، وإنما وضعها الزنادقة وأعداء الإسلام حتى يقول قائلــهم: إن شرع محمد بن عبد الله يقتل الأولياء ... ولهذا إنما يعظمه من يعظم الأحــوال الــشيطانية والنفسانية"[3].

---

[1] الفتاوى: ٤٨٠/٢ – ٤٨٦ بتصرف.

[2] الفتاوى: ٤٨٦/٢.

[3] انظر مجموع الفتاوى: ١١٠/٣٥ – ١١١، العقيدة الأصفهانية: ١١٥/١ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت إبــراهيم سعيداي مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥. الاستقامة: ١١٤/١وما بعدها لشيخ الإسلام ابــن تيميــة ت: محمد رشاد سالم نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة. منهاج السنة النبويــة: ٣٧٣/٥ – ٣٧٩، الــصفدية: ٩٧/١ شــيخ الإسلام ابن تيمية ت محمد رشاد سالم شركة مطابع حنيفة الرياض ١٩٧٦.

سادساً: الدعوة للطرق الصوفية بذكر فضائل الأولياء والأقطاب من الصوفية وذكر مزايا الطرق وفوائدها ــ على حد قوله ــ يقول عن ثمار الطرق: "نذكر هنا مجملاً تسع ثمار من الثمار الوفيرة للطريقة وفوائدها:

الأولى: هي ظهور الحقائق الإيمانية وانكشافها ووضوحها إلى درجة عين اليقين بواسطة الطريقة الصحيحة المستقيمة.

الثانية: تحقيق الوجود الحقيقي للإنسان بانسياق لطائفه جميعاً على ما خلقت لأجله.

الثالثة: التخلص من وحشة الانفراد والوحدة في السير والسلوك بالالتحاق بإحدى سلاسل الطريقة عند سيرها فتندفع الأوهام والشبه عن النفس باستناد المريد إلى إجماعهم واتفاقهم باعتبار أن كل استناد مرشد حجة قوية وسند لا يضعف في دفع الأضاليل والأوهام التي ترد إلى الذهن.

الرابعة: خلاص الإنسان من الوحشة الهائلة التي تكتنفه في حياته الدنيا وذلك بما تقوم به الطريقة الصائبة الصافية من تفجير ينابيع محبة الله ومعرفته في الإيمان.

الخامسة: الشعور بالحقائق اللطيفة في التكاليف الشرعية، وتقديرها بواسطة القلب المنتبه بدوام الله.

السادسة: نيل مقام التوكل، ودرجة الرضا والتسليم. هذه المقامات هي السبيل إلى تذوق السعادة الحقيقية ...

السابعة: نجاة الإنسان من الشرك الخفي والرياء والتصنع وأمثالها من الرذائل.

الثامنة: جعل الإنسان عاداته اليومية بحكم العبادات وأعماله الدنيوية بمثابة أعمال أخروية.

التاسعة: العمل للوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل[1]، وذلك بالتوجه القلبي إلى الله طوال سيره وسلوكه"[2].

---

[1] الإنسان الكامل هو البرزخ بين الوجوب والإمكان،والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه،وبين صفات الحدثان، والواسطة بين الحق والخلق، وبه وبمرتبته يصل فيض الحق والمدد – الذي سبب بقاء ما سوى الحق – إلى العالم كله: علواً وسفلاً، ولولاه من حيث برزخيته التي لا تغاير الطرفين: لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الوَحَّداني، لعدم الارتباط والمناسبة، و لم يصل إليه. والإنسان الكامل، أريد به محمد صلى الله عليه وسلم. والإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية. انظر معجم المصطلحات الصوفية: ٢٧ محمد عبد الرازق (رسالة دكتوراة مخطوط)

[2] انظر المكتوبات: ٥٩١ – ٥٩٣ بتصرف.وانظر التلال الزمردية:٤٢،٦٠،١١٤

ولنا أن نتسائل بعد هذه الأهداف المزعومة للطريقة ما هي الطريقة السليمة من الاعتقادات الباطلة التي تذهب ببعض الفوائد المذكورة. هل الطريقة النقشبندية أسمى الطرق وأفضلها ؟ لعل بعض نصوص أتباع الطريقة ترشد إلى مدى صحة ذلك من عدمه. يقول الشيخ: أحمد الفاروقي: "كثيراً ما كان يعرج بي فوق العرش المجيد، ولقد عرج بي مرة، فلما ارتفعت فوقه بقدر ما بين مركز الأرض وبينه، رأيت مقام الإمام شاه نقشبند ورأيت فوق ذلك قليلاً مقامات بعض المشايخ ـــ وذكر أسماء عديدة ـــ ثم

قال: "واعلم أني كلما أريد العروج تيسر لي ذلك"[1].

وقال: "رأيت الكعبة المطهرة تطوف بي تشريفاً من الله تعالى وتكريماً لي"[2] ويذكر عن الشيخ محمد المعصوم: "رأيت أن الكعبة المعظمة تعانقني وتقبلني باشتياق تام ... ولما فرغت من طواف الزيارة، جاءني ملك بكتاب قبول الحج من رب العالمين"[3] ونقل عنه أنه تكلم في التوحيد وهو ابن ثلاث سنوات وكان يقول: "أنا الأرض أنا السماء" ويقول: "أرى نفسي نوراً سارياً في كل ذرة من ذرات العالم، والعالم يتنور به كالشمس"[4].

وزعموا أن شيخهم محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني يخبر بالأمر قبل وقوعه فيقع كما أخبر، وكان في الاطلاع على خواطر المريدين مرآة صقيلة يلوح فيها أدنى الخطوات كأعلاها، وكان لا يسأل المريد عن أحواله بل هو الذي يخبر المريد بأطواره[5].

أما الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند[6] مؤسس الطريقة والمشتق اسمها من اسمه، فقد كان من المعظمين جداً عند النقشبندية ولا غرابة في ذلك فهو شيخ الطريقة. يقول الشاه النقشبند: "كنا نتذاكر في المعارف فمازلت كذلك حتى انجر الكلام بنا إلى العبودية فقال لي: إلى أي حد تنتهي العبودية ؟ فقلت له: تنتهي إلى درجة إذا قال صاحبها لأحد "مت" مات

---

[1] المكتوبات: ٤٤٢.

[2] المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية: ٢٣١ – ٢٣٢، الأنوار القدسية: ٢٠٧.

[3] المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية: ١٨٥.

[4] ن . م: ١٩٢.

[5] الأنوار القدسية: ٢٧٢.

[6] هو محمد بهاء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية، ولد في قرية قصر عرفان، قرب بخارى، ودرس في سمرقند، تزوج في السنة الثامنة عشر من عمره وانتسب إلى شيوخ كثيرين وعاد أخيراً إلى بخارى ولم يغادرها حتى وفاته، وأنشأ فيها طريقته ونشرها، مات عام ٧٩١هـ من مؤلفاته: الأوراد البهائية، تنبيه الغافلين.

في الحال، قال: ثم وقع لي أني قلت ساعتئذ "مت" فمات حالاً واستمر ميتاً ... فانزعجت لذلك وتحيرت كثيراً ... ثم رجعت عنده فنظرت إليه فوجدته قد تغير من فرط الحر فازددت قلقاً، فألقي إلي وقتئذ أن قل يا محمد أحيني فقلت له ذلك ثلاث مرات فأخذت تسري به الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر إليه حتى عاد إلى حالته الأولى"[1]. ويروى عنه أنه قال: "صحبت الدرويش خليل ... ثم أمرني بخدمة الحيوانات ... حتى كنت إذا لاقاني في الطريق كلب وقفت حتى يمر هو أولاً لئلا أتقدم عليه، و لم أزل كذلك سبع سنين، ثم بعد ذلك أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحفرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الإمداد وقال "شيخه" : إنك ستصل إلى كلب منهم تنال بخدمته سعادة عظيمة فاغتنمت نعمة هذه الخدمة و لم آل جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبة ببشارته، حتى وصلت مرة إلى كلب فحصل لي من لقائه أعظم حال فوقفت بين يديه واستولى علي بكاء شديد، فاستلقى في الحال على ظهره ورفع قوائمه الأربع نحو السماء، فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوهاً وحنيناً فرفعت يدي تواضعاً وانكساراً وجعلت أقول: آمين. حتى سكت وانقلب"[2] من يقول هذا الكلام عن نفسه هو من قالت عنه النقشبندية: "هو الغوث الأعظم، وعقد جيد لمعارف النظم، انزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغيار، وعادت الأشرار ببركة أسراره من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار"[3]

---

[1] ما أشبه هذا بقول النمرود عليه من الله ما يستحق (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)[البقرة: من الآية٢٥٨] انظر القصص في إحياء مشايخ الطرق للموتى تاريخ السلطنة السنارية: ٣٣.

[2] الأنوار القدسية: ١٣٠.

[3] المواهب السرمدية: ١٠٨.

المبحث الأول: الاصطلاحات الصوفية

المقـــام

هو الإقامة والوقوف والاستقرار. كقوله تعالى: **(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَـا أَهْـلَ قَرْيَـةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ)**[الكهـف: الآية٧٧]

ويطلق المقام على المكان والزمان. فمن إطلاق المقام على المكان قولهﷺ :" إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا"[١]

ومن إطلاق المقام على المدة من الزمان حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قـال: "جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : جئت أهب نفسي ، فقامت طويلاً، فنظر وصوب ، فلما طال مقامها ، قال رجل: زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة" [٢].

وقد ورد المقام في الكتاب والسنة وأريد به:

١- مقام إبراهيم عليه السلام لبناء البيت قال تعالى : **(وَاتَّخِـذُوا مِـنْ مَقَـامِ إِبْـرَاهِيمَ مُصَلّىً)**[البقرة: من الآية١٢٥]

٢- الدرجة التي يبلغها النبي ﷺ في أرض المحشر يوم القيامة وهي الشفاعة العظمـى فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" من قال حين يسمع النداء ، اللـهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه اللـهم مقامـاً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة "[٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : **(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)**[الإسراء: من الآية٧٩] سئل عنها قال : هي الشفاعة [٤].

---

[1] أخرجه البخاري من كتاب المغازي باب غزوة أحد برقم (٤٠٤٢).

[2] أخرجه البخاري من كتاب اللباس باب خاتم من حديد برقم (٥٨٧١).

[3] أخرجه البخاري من كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء برقم (٦١٤).

[4] أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة الإسراء برقم (٣٠٣٧).

والمقام عند المتصوفة هو بمعنى مقام العبد عند الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضيات والانقطاع إلى الله عز وجل . كما قال تعالى: **﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾** [إبراهيم: من الآية١٤]

وقد روي عن أبي حفص النيسابوري قوله: "التصوف كله آداب لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات ، بلغ مبلغ الرجال ،ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ،ومردود من حيث يرجو القبول "[1]ويذكر الهجويري أن المقام هو إقامة الطلب على أداء حقوق المطلوب ، بشدة اجتهاد وصحة نية ، فكل من طلب الحق سبحانه وتعالى له مقام، وهو السبب لأهل البداية الذي به طلبوا ربهم ، ومع أن الطالب يستفيد بعض الفائدة من كل مقام يمر عليه، فإنه يسكن إلى مقام مخصوص في النهاية لأن المقام والبحث عنه يشكل التركيب والرسم، لا الأخلاق والمعاملة،وقد قال تعالى : **﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** [الصافات:١٦٤]

فمقام سيدنا آدم عليه السلام التوبة، ومقام سيدنا نوح عليه السلام الزهد، ومقام سيدنا إبراهيم عليه السلام التسليم، ومقام سيدنا موسى عليه السلام الإنابة، ومقام سيدنا داود عليه السلام الحزن، ومقام سيدنا عيسى عليه السلام الرجاء، ومقام سيدنا يحي عليه السلام الخوف ، ومقام رسولنا الكريم عليه السلام الذكر، وقد أخذ كل منهم بعض الشيء من المقامات الأخرى ، لكن كل واحد منهم رجع في النهاية إلى أصل مقامه[2] .

وتقسيم هذه المقامات على أنبياء الله ورسله رجماً بالغيب إذ لا دليل على ذلك ، فالأنبياء هم السابقون لكل الخيرات والناس لهم تبع.

يقول النورسي عند حديثه عن البسملة:" وكذا في البسملة جهات:من الاستعانة والتبرك والموضوعية بل الغايتية والفهرستية للنقط الأساسية في القرآن.وأيضاً فيها مقامات :

---

[1] طبقات الصوفية : ١١٩ أبي عبد الرحمن السلمي ت نور الدين شريبة نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٦.

[2] انظر كشف المحجوب : ٤٤٩ علي عثمان الهجويري، ت أسعد قنديل، دار النهضة، بيروت ١٩٨٠. وعرف صاحب كتاب " الكشف عن حقيقة الصوفية" محمد عبد الرؤوف القاسم. المكتبة الإسلامية الأردن. الطبعة الثانية ١٤١٣ الحال بأنه هو أوائل المقام إذ يرد على القلب فجأة دون تعمد ثم يزول بسرعة . أما المقام فهو استمرار الحال ودوامه واستقراره بحيث يصبح صفة دائمة لصاحبه. انظر : ٣٨

كمقام التوحيد ومقام التتريه ومقام الثناء ومقام الجلال والجمال ومقام الإحسان وغيرها "[1] وللسائح عند النورسي مقامات منها مقام المعرفة الغيبية وبعدها مقام أرفع وهو مقام الحضور والمخاطبة.

"ثم إن السائح الذي أتى إلى الدنيا وبحث عن خالقها وصعد في ثماني عشرة مرتبة وبلغ عرش الحقيقة بمعراج إيماني ، ارتقى من مقام المعرفة الغيابية إلى مقام الحضور والمخاطبة" [2] .

وعن سبب انخداع بعض الناس في المهدي وحقيقته حيث إن الكثير يدعي أنه المهدي فيصدقه بعض الناس على ذلك ، يقول النورسي إن سبب ذلك ليس هو كذب ذلك المدعي بل هو اختلاط والتباس في المقامات يقول:"أهم سبب لهذا الالتباس هو كون بعض مقامات الأولياء فيه شيء من خواص المهدي ووظائفه ، ويشاهد فيه انتساباً خاصاً مع القطب الأعظم وعلاقة خاصة بالخضر ، فهناك مقامات لها علاقات وروابط مع بعض المشاهير ، حتى يطلق على تلك المقامات " مقام الخضر " و " مقام أويس" و " مقام المهدية" . وعليه فالواصلون إلى ذلك المقام ، وإلى جزء منها أو إلى ظل من ظلالها ، يتصورون أنفسهم أنهم هم أولئك الأفذاذ المشهورون ، فيعتبر الواحد منهم أنه هو الخضر أو المهدي ،أو يتخيل أنه القطب الأعظم "[3]

وقد عدد النورسي بعض المقامات منها مقام التوكل[4]،ومقام الرضا [5]، ومقام الشكر[6]، ومقام المحبوبية [7]، ومقام النبوة [8]، ومقام الولاية [9].

يقول محمود القاسم إن أول من تكلم بمقاماتهم الموهومة ،ووضع لها بعض الأسماء هو ــ كما يقولون ــ ذو النون المصري[1]، ولعله أراد بذلك الدعاية للتصوف ولعل الجنيد أراد

---

[1] انظر إشارات الإعجاز : ٤٠انظر لتفريق كولن بين الحال والمقام "التلال الزمردية":٦٥

[2] الشعاعات : ١٨٦.

[3] المكتوبات : ٥٧٧.

[4] المكتوبات : ٥٩٢.

[5] المكتوبات : ٣٦١.

[6] المكتوبات : ٥٦٧.

[7] المكتوبات : ٢٧٥.

[8] المكتوبات : ٥٩٠.

[9] المكتوبات : ٥٧٧، ٥٨٩

منافسته فسبقه بأشواط[2]. وإن كان الجنيد لا يُقارن بغيره من منحرفي الصوفية، وقد أثنى عليه أهل العلم، كابن تيمية وغيره.

اللـــوح المحفـــوظ:

اللوح المحفوظ : هو أم الكتاب ، كتب فيه مقادير الخلائق، قبل أن يخلق الـــسموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالى: **(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۞ فِـــي لَـــوْحٍ مَحْفُـــوظٍ)** [البروج:٢١ – ٢٢].

واللوح المحفوظ عند الفلاسفة والصوفية هو النفس الفلكية وهذا كلام ابـــن ســـينا، والغزالي في كتابيه الأحياء والمضنون وغيرهما ـــ كما كان في كلام من سلك سبيلهم بـــأن اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية ـــ ويعنون أن العارف قد يقرأ ما في اللوح المحفوظ[3]

ويعتبرون اللوح المحفوظ أم الهيولي[4] لأن الهيولي صورة ماوجد في العالم على حـــسب مـــا اقتضته الهيولي من الفور والمهلة[5]. ومنهم من يدعي أن العارف يطلع على اللوح المحفوظ وأنه يعلم أسماء مريديه من اللوح المحفوظ[6].

وسئل شيخ الإسلام عن المحو والإثبات في قوله تعالى: **(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِـــتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)** [الرعد:٣٩]. قال: "إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه وتعالى فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالماً به، فلا محو ولا إثبات.

وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات على قولين. والله سبحانه وتعالى أعلم"[7].

---

[1] ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري، أبو الفيض،نوبي الأصل وهو أول من تكلم في مقامات أهـــل الولايـــة اقمـــه المتوكل العباسي بالزندقة توفي سنة ٢٤٥. انظر الأعلام: ١٠٢/٢.

[2] انظر الكشف عن حقيقة التصوف : ٣٨٩.

[3] انظر درء تعارض العقل والنقل: ٣٩٨/٩، وانظر مجموع الفتـــاوى: ٢٤٥/١، ٤٧٠/٢ انظـــر أســـئلة العـــصر المحيرة:٣٤٠

[4] الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وفي الاصطلاح : هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم. المعجم الفلسفي: ٥٣٦/٢.

[5] معجم اصطلاحات الصوفية :٩٠،٩١ عبدالرزاق الكاشاني ط دار المنار القاهرة ١٩٩٢وانظر الفتوحات:١:١٢٩

[6] الرد على المنطقيين: ٤٧٥/٢، والنبوات: ٨٨/١، والجواب الصحيح: ٣٤٤/٥ مكتوب تعريف عن الكتاب.

[7] انظر مجموع الفتاوى: ٤٨٨/١٤ – ٤٩٢.

والنورسي يقول بوجود ألواح متعددة غير اللوح المحفوظ. كما أن اللوح المحفوظ عنده يشمل الكتاب المبين والإمام المبين يقول: "والذي سجل جميع حوادث الموجودات في إمـــام مبين وفي كتاب مبين وهما سجلا اللوح المحفوظ"[1] ويقول: "كان باطن تلك الشجرة ماكينة خارقة في غاية الانتظام والاتزان. فكما أن أولها تعرفه عجيبة، وآخرها فهرســـته خارقـــة يشيران إلى الإمام المبين كذلك إن ظاهرها كحلة عجيبة الصنعة، وباطنها كماكينة في غاية الانتظام يشيران إلى الكتاب المبين، فكما أن القوات الحافظات في الإنسان تشير إلى اللـــوح المحفوظ وتدل عليه"[2]

وعن معنى الإمام المبين والكتاب المبين يقول موضحاً : "إن الإمام المبين هو في حكـــم فهرس وبرنامج شجرة الخلق، الممتدة عروقها وأغصانها وفروعها حول الماضي والمـــستقبل وعالم الغيب. فالإمام المبين بهذا المعنى سجل للقدر الإلهي، وكراس دساتيره. فالذرات تساق إلى حركتها ووظائفها في الأشياء بإملاء من تلك الدساتير وبحكمها.

أما الكتاب المبين فهو يتوجه إلى عالم الشهادة أكثر من توجهه إلى عالم الغيـــب. أي ينظر إلى الزمان الحاضر أكثر مما ينظر إلى الماضي والمستقبل فهو عنـــوان للقـــدرة الإلهيـــة وإرادتها، وسجل لهما وكتاب أكثر مما هو عنوان للعلم الإلهي وأمره. وبتعبير آخر: أنـــه إذا كان الإمام المبين سجلاً للقدر الإلهي فالكتاب المبين سجل للقدرة الإلهية"[3].

للمحو والإثبات عند النورسي لوح مستقل عن غيره فهو نوع من أنواع ســـجلات اللوح الأزلي يقول: "أما لوح المحو والإثبات فهو سجل متبدل للوح المحفوظ الأعظم الثابت الدائم، ولوحة "كتابة ومحو" له دائرة الممكنات إي الأشياء المعرضة دوماً إلى الموت والحياة، إلى الفناء والوجود"[4].

وعند حديثه عن أهل الكشف وكيف أن ما يقولونه لا يطابق الواقع في أحيان كثيرة خرَّج ضلالهم وهذيانهم بقوله: " إن المقدرات عندما تأتي من الغيب للوقوع، تأتي مرتبطـــة ببعض الشروط. فتتأخر عن الوقوع بتأخر الشروط. فتتأخر أيضاً المقدرات التي اطلع عليها

---

[1] الشعاعات: ٦٥.

[2] انظر الشعاعات: ٢٦٩. انظر أسئلة العصر المحيرة:١٣

[3] المكتوبات: ٤٥.

[4] نفس المرجع والصفحة.

الأولياء من أصحاب الكشف إذ ليست مقدرات مطلقة، بل مقيدة ببعض الشروط، فلعــدم حدوث تلك الشروط لا تقع تلك الحادثة. إذ تلك الحادثة كالأجل المعلق، وقد كتبــت في لوح المحو والإثبات، الذي هو نوع من أنواع سجل اللوح الأزلي، فالكشف قلما يرقى إلى اللوح الأزلي، بل لا يستطيع معظم الكشوف الرقي إلى هناك"[1].

وهذا الاعتقاد بأن بعض الأولياء قد يطلعون على ما في اللوح المحفوظ ذكــره شــيخ الإسلام في معرض رده على الفلاسفة والقرامطة حيث قال: من أصولهم في القرآن الكــريم: "الأصل الثاني من الأصلين الفاسدين:كون روح العبد تطالع اللوح المحفوظ فإن هذا هو قول

هؤلاء المتفلسفة والقرامطة من أن اللوح المحفوظ هو العقل الفعال، أو النفس الكليــة وذلك ملك من الملائكة"[2] ويسمي النورسي نوعاً آخر من الألواح وهو " الألواح المثاليــة" وهي عنده نماذج مصغرة من اللوح المحفوظ[3] ويقول:"اللوح المحفوظ هو نموذج عــن عــالم المثال كما أن القوى الحافظة (الذاكرة) نماذج الألواح المحفوظة"[4].

---

1 الشعاعات: ١٥٧.

2 بغية المرتاد: ٣٢٦.

3 الشعاعات: ٢٦٩، ٢٣٩.

4 المكتوبات: ٣٧٩، ٣٨٢، اللمعات: ١٢٧.

الفناء:

الفناء لم يمدح لا في الكتاب ولا السنة ولا في كلام الصحابة والتابعين بل لم يذكره شيخ من مشايخ الصوفية المتقدمين بمدح ولا ذم.[1]

يقول: شيخ الإسلام ابن تيمية إن الفناء هو نوع من نقص الشهود[2].بل إن حال البقاء أفضل من حال الفناء[3] حيث إن الفناء عند أكثر هؤلاء هو الفناء في توحيد الربوبية والاصطلام في شهود القدر الجاري.[4]ويقول شيخ الإسلام عن أقسام الفناء إنه "ثلاثة أقسام: فناء عن وجود السِّوَى وفناء عن شهود السِّوَى وفناء عن عبادة السِّوَى فالأول هو فناء أهل الكفر والملاحدة ... والثاني هو ما يعرض لكثير من السالكين ـــ وهو مقام الاصطلام ـــ "[5]

وعن الفناء المحمود يقول: "الفناء المحمود عند العارفين هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ... فيتحقق بتحقق قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله " فاعبده وتوكل عليه"[6]

أما إن أريد بالفناء: الفناء عن شهود السوى وهو المراد للسكر والغيبة، كأن تغلب عليه شدة الوجد والمحبة فيكون بمترلة المغمى عليه فهذا لابد من تفصيله، فإن كان هذا الفناء بسبب من عند نفسه، بمعنى أنه سعى للوصول إليه فهو مؤاخذ غير معذور. لأن هذه الحالة قد تستمر معه وقتاً فتؤدي إلى تأخير الصلوات عن وقتها والانصراف عن أداء الواجبات، لأنه في هذه الحالة لا شعور له فلا تصح منه عبادة.[7]

وإن كان هذا الفناء بسبب لا من عند نفسه بحيث غلبه داعي المحبة والوجد فسكر، لضعف نفسه وقوة الوارد عليه فهو غير مؤاخذ لقوله تعالى:**(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)** [البقرة: من الآية٢٨٦]، ولقوله ﷺ : "إن الله تجاوز عن أمتي في الخطأ والنسيان وما

---

[1] انظر مدارج السالكين: ٣٧٧/٣.

[2] انظر الرد على البكري: ٧٤٨/٢.

[3] انظر بغية المرتاد: ٢٢٦/١، وانظر ١٥٧/١، ١٥٨.

[4] انظر الرد على البكري: ٣٥١/١.

[5] مجموع الفتاوى: ٣١٣/٢ بتصرف يسير. الاصطلام: أن يبقى في عين الجمع بحيث لا يفرق بين ما يؤلم وما يلذ، انظر: مجموع الفتاوى: ٣١٠/٨.

[6] انظر الرد عل المنطقيين: ٥٢٠/١ باختصار.

[7] انظر العبودية (لابن تيمية): ١٢٧ [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧ سنة ١٤٢٦هـ]، طريق الهجرتين: ٣٩٣ [دار ابن القيم الدمام ط٢ ١٤١٤هـ ت: عمر محمود].

استكرهوا عليه"[1].

" ثم إنه إن تكلم في هذه الحال فهو غير مؤاخذ بما تكلم به، بل ما ورد عنه في هـــذه الحال يطوى ولا يروى ولا يؤدى فهو بمثابة النائم والمغمى عليه"[2]

وعند كلام النورسي عن الفناء نلاحظ أن ثمة علاقة بين الفناء وأسماء الله تعالى يقول: "رأيت أن زوال الأشياء إنما هو تجديد لها ولأمثالها، فهو تجديد ممتع ملذ، شـــبيه بتجديـــد لجمال حباب النهر الجاري تحت ضوء الشمس، لذلك علمت يقيناً أن زوال الأشياء وفناءها إنما هو تجديد للتجليات الجمالية لأسماء الله الحسنى"[3] بل إن الأشياء ليست للفناء بل للبقاء[4].

وعن علاقة الفناء بالأسماء الحسنى يقول صاحب كتـــاب (الكـــشف عـــن حقيقـــة الصوفية): " يرى المجذوب أثناء الجذبة[5] رؤى" ومشاهدات تختلف بـــاختلاف الأشـــخاص والأزمنة والأمكنة والثقافات، واختلاف الرؤى حسب الثقافات.

فالجذبة حالة يفقد فيها المجذوب الشعور بما حوله، ويرى ويسمع أشياء لا وجود لها، وقد تأتيه الجذبة ماشياً أو قائماً أو قاعداً أو مستلقياً أو منفرداً أو في جماعة إن كـــان مـــن الكمّل، ونظرياً يمر الولي (الذي وصل إلى الجذبة) بالمراحل التالية:

ــ تكون الجذبات الأولى قصيرة ومتباعدة وخفيفة، والعكس ممكن.

ــ مع الاستمرار على ممارسة الرياضة، وبعد زمن قد يطول وقـــد يقـــصر، تـــزداد الجذبات عمقاً وطولاً وتقارباً.

ــ أما المشاهدات (الكشوف) فكثيراً ما تتجاوز حدود المقاييس العاديـــة، وحـــدود المعقول لتتخطاها إلى اللامعقول، فيرى نفسه أطول من السموات، ويرى نفسه يعرج فيهـــا

---

[1] ابن ماجة كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي رقم ٢٠٤٣ محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ت محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار الفكر.

[2] انظر مجموع الفتاوى: ٣١٣/٢، ٣١٤.

[3] الشعاعات: ٢١.

[4] انظر المثنوي العربي النوري: ٩٦.

[5] الجذبة: أن يجذب الله الصوفي إلى حضرته، ويكشف له الحجاب: بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات، محمد حامد الناصر.

من سماء إلى سماء حتى يصل إلى العرش، وطبعاً يراها كما يتوهم أنها هكذا، لاكما هي على حقيقتها.

ــ وقد يرى مخلوقات ضخمة بأشكال مختلفة، يخال بوهمه، أو بتوجيهات شيخه أنهــا ملائكة.

ــ وقد تكون الرؤى في المقاييس العادية، فيرى أشخاصاً يتوهم أنهم أنبياء أو أوليــاء حسب توجيهات شيخه وطموحاته.

ــ يستمر السالك في المجاهدة ويزداد إصراراً عليها لأن كل هذه الرؤى ليست غايته، حتى يرى نفسه جالساً مع الله (جل جلاله) يحادثه ، وهذا كله تابع لتوجيهــات الــشيخ، ويكون الحضور مع الله (جل وتعالى عن ذلك) بشكل من الأشكال التالية:

- إما أن يرى المجذوب نفسه يعرج في السموات حتى يصل إلى العرش، وهناك يجتمع مع الله (تعالى الله).
- أو أن يرى الله تعالى يترل إلى جانبه ويحادثه، وقد يرفعه بين يديه ويجوله في السموات.
- أو أن يرى نفسه مجتمعاً مع الله تعالى في مكان آخــر. وهــذا مــا يسمونه المحاضرة.

وفي كل الحالات يجد لذة عظيمة، ورغم كل ذلك فليس هذا هو الغاية.

ــ يستمر السالك في المجاهدة. وتتكرر المحاضرات وتتطور حتى يــرى المجــذوب في إحدى جلساته مع الله (جل وعلا) أن الله سبحانه يدمجه في اسم من أسمائه، أو في مكان ما من ذاته (سبحانه عما يصفون) وهذا ما يسمونه "المكاشفة" ويسمونه (الفناء في الله) وقــد يسميه بعضهم "الإحسان".

ــ ويستمر السالك في المجاهدة، ويتطور الفناء في الله ويزداد عمقاً ونــشوة ولــذة، وينتقل من اسم إلى اسم حتى يصل إلى الفناء في الاسم "الرب" أو "الرحمن" على اخــتلاف بينهم، وهذا الاسم هو أعلى الصفات الإلهية عنده، فيكون قد وصل إلى قمة المكاشفة، ومع

ذلك فليس هذا هو الغاية، إن الغاية هي التحقق بالاسم "الصمد" أو "الله" وهو حتى يصل إلى الفناء في الاسم الأعظم الجامع لكل الأسماء والصفات"[1].

يقول النورسي عن حب البقاء الذي يجده الإنسان فطرة في نفسه وعن علاقتها بالأسماء الإلهية:"إن ما فيَّ من عشق البقاء، ليس متوجهاً إلى بقائي أنا، بل إلى وجود ذلك الكامل المطلق وإلى كماله وبقائه. وذلك لوجود ظل تجل من تجليات اسم من أسماء الكامل المطلق – ذي الكمال والجمال – في ماهيتي، وهو المحبوب لذاته – أي دون داع إلى سبب – إلا أن هذه المحبة الفطرية ضلت سبيلها وتاهت بسبب الغفلة، فتشبثت بلا ظل وعشقت بقاء المرآة.

ولكن ما إن جاءت "حسبنا الله ونعم الوكيل" حتى رفعت الستار، فأحسست وشاهدت وتذوقت بحق اليقين: أن لذة البقاء وسعادته، موجودة بنفسها، بل أفضل وأكمل منها، في إيماني وإذعاني وإيقاني ببقاء الباقي ذي الكمال، وبأنه ربي وإلهي، لأنه ببقائه سبحانه يتحقق لي حقيقة باقية لا تموت، إذ يتقرر بشعور إيماني أن ماهيتي تكون ظل لاسم باق، الاسم سرمدي فلا تموت"[2] .

وتأكيداً لما سبق يقول: "أيها الفاني كفاك بقاءً، إنك مشهودة في علمه ومعلومة في شهوده بعد فنائك من بعض الوجوه"[3] وكراهية الموت فطرة فطر الناس عليها. وفي الحديث أن الله أرى آدم ذريته فقال: "أي رب ما هؤلاء فقال هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم قال يا رب من هذا قال هذا ابنك داود وقد كتبت له عمر أربعين سنة. قال: يا رب زده في عمره. قال ذاك الذي كتبت له قال: يا رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال أنت وذاك قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد

---

[1] انظر الكشف عن حقيقة الصوفية – بتصرف يسير – : ٣٩٨ – ٤٠٠.

[2] الشعاعات: ٧٠. انظر أسئلة العصر المحيرة:٣٢٧ فتح الله كولن

[3] المثنوي العربي النوري: ٤١٨.

كتب لي ألف سنة قال: بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت أن رسول الله ﷺ قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه". فقالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت. قال: "ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه"[2]

والفناء الكامل عند النورسي غير موجود حيث إن الأشياء والمخلوقات متعلقة بالله عز وجل من حيث خلقه فلا تفنى، وهنا تبرز العلاقة بين الأشياء وأسماء وصفات الله عز وجل عند النورسي حيث يقول: "ما يحكم به بعض أصحاب الكشف المفرطين في أفكارهم من حيث حدوث الفناء المطلق، فليس حقيقة ولا صواباً، لأن ذات الله سبحانه وتعالى دائمة وسرمدية، فإن صفاته وأسمائه دائمة وسرمدية. ولما كانت صفاته وأسماؤه دائمية فلا بد أن أهل البقاء والباقيات الموجودة في علم البقاء ــ التي هي مراياها وجلواتها ونقوشها ومظاهرها ــ لا تذهب بالضرورة إلى الفناء المطلق قطعاً"[3].

وعن سبب عدم وجود الفناء المطلق يقول: "ليس فانياً، لأن فيه جلوات ظاهرة لأسماء باقية فلا يكون معدوماً، لأنه يحمل ظلاً لوجود سرمدي، وله حقيقة ثابتة وهي حقيقة سامية لأنها نالت نوعاً من ظل ثابت لاسم باق"[4].

والله تبارك وتعالى يقول لمن لا تكليف عليه يوم القيامة كوني تراباً فهو عز وجل يحكم عليها بالعدم قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "إذا كان يوم القيامة مدت الأرض من الأديم

---

[1] الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المعوذتين(٣٣٦٨)،وهو في سنن البيهقي١٠/١٤٧حديث ٢٠٣٠٧ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت محمد عبد القادر عطا نشر مكتبة دار الباز ١٤١٤. وصحيح ابن حيان ١٤/٤٠، قال محققه إسناده قوي على شرط مسلم .

[2] البخاري كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه(٦٥٠٧)، ومسلم كتاب الذكروالدعاءباب من أحب لقاء الله(٢٦٨٣).

[3] المكتوبات: ٧٤.

[4] المكتوبات: ٧٥.

وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة الجمّاء من القرناء بنطحها فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها كوني تراباً فتكون تراباً فيراها الكافر فيقول يا ليتني كنت تراباً"[1].

وبما أن الإنسان عند النورسي هو الآية الحاملة لتجليات الاسم الأعظم وهو الذي يعكس تجليات الأسماء الحسنى[2] فإنه يذكر أن الاسم الأعظم هو القدوس. يقول: "لقد تجلت لي نكتة من نكات هذه الآية الكريمة وتجل من تجليات اسم الله القدوس وهو الاسم الأعظم أو أحد أنواره الستة"[3] ، ولكن في موضع آخر وربما بذوق آخر ـــ يقول إن الاسم الأعظم هو الرحمن دليل ذلك قوله: "نعم إن اسم الرحمن الذي هو من أعظم أسمائه سبحانه وتعالى يعقب لفظ الجلالة "الله" الذي هو الاسم الأعظم والاسم العَلمَ والذات الأقدس.

فهذا الاسم الرحمن يشتمل برعايته الرزق، لذا يمكن الوصول إلى أنوار هذا الاسم العظيم بالشكر الكامن في طوايا الرزق."[4].

والكلام هنا ليس عن أسماء الله تعالى وصفاته، بل عن علاقة الأسماء الحسنى بما يسمى بالفناء في اسم من أسمائه الحسنى، أو الفناء في الله (تعالى الله عما يصفون) يقول النورسي عن تعدد الطرق في الوصول إلى الله (عز وجل) عن طَرْق أكثر من اسم من أسمائه:

" إن الأسماء الحسنى كل منها يتضمن الكل إجمالاً، كتضمن الضياء للألوان السبعة ... وكذا كل منها دليل على كل منها، ونتيجة كل منها، بينها تعاكس كالمرايا. فيمكن كالقياس الموصول النتائج متسلسلاً، وكالنتيجة المترتبة الدلائل. إلا أن الاسم الأعظم الواحد يتضمن الكل فوق هذا التضمن العام. فيمكن للبعض الوصول إلى نور الاسم الأعظم بغيره من الأسماء الحسنى. فيتفاوت الاسم الأعظم بالنظر إلى الواصلين. والله أعلم بالصواب"[5].

---

[1] انظر المستدرك على الصحيحين: ٦١٩/٤ حديث رقم ٨٧١٦.

[2] انظر الشعاعات: ٢٧٢ — ٢٧٣.

[3] انظر اللمعات: ٥١٧.

[4] انظر المكتوبات: ٤٧٢.

[5] المثنوي العربي النوري: ٢٣٦.

ليلة القدر:

هي الليلة المباركة التي هي فضلها سبحانه، قال الله تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)** [الدخان:٣] وهي خير من ألف شهر كما في قوله عز وجل: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ۞وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)** [القدر:١،٢،٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[١].

وليلة القدر عند الصوفية هي ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه، قال الكاشاني: " "ليلة القدر" هي ليلة مختصة من بين سائر الليالي بتجلٍ لا يكون في غيرها، وأهل الظاهر يخصونها ببعض ليالي رمضان، وأكثرها في العشر الأواخر منه، وعند أهل الطريق أنها لا تتقيد بل تقع في جميع ليالي السَّنة، وذكر الشيخ ابن العربي أنه رآها في ليلة النصف من شعبان وفي غيرها من الليالي"[٢]

وعن ليلة القدر يقول النورسي إنها ليلة من ليالي السنة – فهو لا يقيدها برمضان –. وعلى من أراد إدراكها أن يحرص على إدراكها طيلة أيام السنة، قال في ذلك: "إن هناك طريقين لإدراك ليلة القدر التي مضت ليلتها بالأمس وغدت ماضياً:

الأولى: معاناة الأيام يوماً بعد يوم سنة كاملة، لأجل الوصول إلى تلك الليلة المباركة مرة أخرى ومقابلتها وموافقتها،فلا بد من السير والسلوك وقطع سنة كاملة للظفر بهذه "القربية الإلهية".وهذا هو مسلك معظم السالكين من أهل الطرق.

الثانية: إنسلال الجسم المادي المقيد بالزمان من غلافه، والتسامي روحياً بالتجرد، ورؤية ليلة القدر مع ليلة العيد المقبلة بعد يوم حاضرتين ماثلتين كأنهما اليوم الحاضر،حيث إن الروح ليست مقيدة بالزمان. فحينما تسمو الأحاسيس الإنسانية إلى درجة رهافة الروح يتوسع ذلك الزمان الحاضر ــ ويطوي فيه الماضي والمستقبل ــ فتكون الأوقات الماضية والمستقبلة بالنسبة للآخرين بمثابة الحاضر بالنسبة إليه.

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية برقم (١٩٠١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان برقم(٧٦٠).

[2] لطائف الإعلام: ٢/٢٦٠ .

في ضوء هذا التمثيل، يكون العبور إلى ليلة القدر الماضية بالأمس، بالرقي إلى مرتبة الروح ومشاهدة الماضي كأنه الحاضر"[1].

وعن كيف تكون ليلة واحدة خير من ألف شهر. قال إن ذلك له علاقة بما سماه "بسط الزمان" وهي القاعدة المقررة لدى أهل الولاية والحقيقة، تلك هي: "الذي يثبته ويظهره فعلاً المعراج النبوي، فقد انبسطت فيه دقائق معدودة إلى سنين عدة، فكانت لساعات المعراج من السعة والإحاطة والطول ما لألوف السنين، إذ دخل ﷺ بالمعراج إلى عالم البقاء، فدقائق معدودة من عالم البقاء تضم ألوفاً من سني هذه الدنيا."[2]

ويدلل على ما يقول بـ : "ما وقع من حوادث غزيرة للأولياء الصالحين، فقد كان بعضهم يؤدي في دقيقة واحدة ما ينجزه في سنة كاملة وبعضهم ختموا القرآن في دقيقة" [3].

وبسط الزمان هذا من عبارات الصوفية، وعند أهل السنة أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وهذا من فضائل الزمان قال الله تعالى : **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)** [القصص:٦٨].

---

[1] المكتوبات: ٦٣.

[2] اللمعات: ٢٦. في الفيزياء النظرية مسائل تتعلق بهذه القضية ولكنها على نحو مختلف مما هو عند الصوفية انظر القرآن الكريم والفيزياء الحديثة: ١١٣ إبراهيم محمد عوير دار الفارابي. بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١.

[3] نفس المرجع السابق والصفحة.

السير والسلوك:

من المصطلحات التي يكثر منها النورسي في رسائله، مصطلح "السير والسلوك" وهذا مصطلح مهم عند النقشبندية، وقد يقتصرون على ذكر أحدهما بقصد الجمع بينهما كما اختاره أحمد ضياء الدين الكمشخانوي[1]"[2].

ويقول السيد محمد أبو الفيض المنوفي ــ وهو أحد أدباء المتصوفة وأعلامهم في عصرنا ــ في كتابه المعروف بعنوان "معالم الطريق إلى الله" :

"معنى سلوك الطريق، التحقق بمقامات اليقين وأحوال القرب من الله عز وجل بالعلم والعمل والمقام والحال سلوكاً على يد شيخ عارف بمعالم الطريق ومفاوزه، فيدل السالك على السبيل الأقرب إلى الله بما يرشده إليه من أنواع الرياضة والذكر والخلوة وغير ذلك"[3].

وينحصر السير والسلوك عند النقشبندية في الخلوة يقول النورسي:"لقد رأيت أحد المتقين من أهل القلب في زاوية التكيه يزاول السير والسلوك، ولكن بعد مضي أربعة أيام شاهدته في المدرسة بين طلاب العلوم الشرعية، فسألته لَمَ تركت الزاوية التي تفيض الأنوار وأتيت إلى هذه المدرسة ؟ قال: هؤلاء النجباء ذوو الهمم العالية يسعون لإنقاذ الآخرين مع إنقاذهم لأنفسهم بينما أولئك يسعون لإنقاذ أنفسهم وحدها إن وفقوا إليها، فالنجابة وعلو الهمة لدى هؤلاء ، ولأجل هذا جئت إلى هنا"[4].

وفي الغالب أن هذه المدرسة هي مدرسة رسائل النور كما يسميها، ويدعي أنها مدرسة شرعية. ومع ذلك فهو ينصح الدعاة أن يدخلوا في السير والسلوك لأجل أن يدخلوا العرش الأعظم يقول: "لأجل فهم جميع المقاصد الإلهية العليا والنتائج العظمى المتدرجة في الكون... ولأجل أن يكون داعياً إلى الله سبحانه وتعالى. فلا بد أن يكون هناك سير في تلك

---

[1] هو أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن الكمشخانوي ضياء الدين عالم بالحديث، تركي الأصل والمنشأ تعلم في الأستانة وتوفي بها سنة ١٣١١هـ . انظر الأعلام: ١/٢٥٨.

[2] انظر جامع الأصول : ١٠٧نقلاً من كتاب الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها: ١٢٠ فريد صلاح الهاشمي العبر للنشر والتوزيع إستانبول الطبعة الثانية ٢٠٠١.

[3] انظر معالم الطريق إلى الله : ٢٩٩ نقلاً عن نفس الكتاب السابق والصفحة، ويطلق قطع الطريق عند الصوفية على السير والسلوك انظر التعريفات: ٥٨٧.

[4] اللمعات : ٤٣١.

الطبقات، سلوك في تلك الدوائر، إلى أن يدخل في العرش الأعظم الذي هو عنوان دائرتـــه العظمى سبحانه وتعالى، ويدخل في قاب قوسين[1] أي يـــدخل في مقـــام بـــين "الإمكـــان والوجوب" المشار إليه بـــ " قاب قوسين "، ويقابل الذات الجليلة الجميلة. فهـــذا الـــسير والسلوك والمقابلة هو حقيقة المعراج"[2].

وكيف لا تكون طريقة العبادة عن طريق ما يسمونه بالسير والسلوك، وشـــيخهم في ذلك هو إمام النورسي أحمد الفاروقي[3].

يقول النورسي: "إن الإمام الرباني قد عبر عن اللطائف العشر بالقلب والروح والـــسر والخفي والأخفى. وذكر أن لكل عنصر من العناصر الأربعة في الإنسان لطيفـــة إنـــسانية ملائمة ومنسجمة معه، وذكر إجمالاً من رقي كل لطيفة من تلك اللطائف وأحوالها في كل مرتبة أثناء السير والسلوك"[4].

وعن طريق السير والسلوك المبتدع تسلل الكفار إلى تعليم طلاب الصوفية. "فقد كان فيما مضى شخص غير مسلم، قد وجد وسيلة لبلوغ مرتبة خليفة الـــشيخ ضـــمن الـــسير والسلوك في طريقة صوفية، وشرع بوظيفة الإرشاد، وعندما بدأ مريدوه الذين يتولى تربيتهم بالرقي الروحي، كشف أحدهم أن مرشدهم هذا في منتهى السقوط والتردي. ثم أدرك ذلك الشخص أيضاً ـــ بفراسته ـــ أنه قد كُشف حاله، فقال لذلك المريد: لقد عرفتني إذاً.

قال له المريد: ما دمتُ قد بلغت هذا المقام بإرشادكم، سأجلك وأوقـــرك بعـــد الآن أعظم من قبل "وبدأ بالتضرع إلى العلي القدير أن يهدي مرشده إلى سواء الـــسبيل، حـــتى أنقذه الله مما فيه، وفاق مريديه كلهم في الرقي الروحي"[5].

في هذه الحادثة التي قصها النورسي لطلابه ليأخذوا العبرة أبين دليـــل علـــى منـــهج النورسي في التعليم والدعوة. فهذا الكافر استطاع أن يتسلل إلى هذه الطريقة الصوفية بـــل

---

[1] قاب قوسبن: الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية، انظر التعاريف: ٤٠٧ محمد عبد الرؤوف الحناوي ت د. محمد رضوان الدين دار الفكر المعاصر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠.

[2] الكلمات: ٦٧٥-٦٧٦.

[3] انظر اللمعات : ٨١.

[4] اللمعات : ١٧١.

[5] الشعاعات : ٣٧٨.

ويتزعم مكان المرشد ويقوم هو بإرشاد الطلاب. فبماذا يرشد الطلاب وهو كافر، وفاقد الشيء لا يعطيه، إلا إذا كان ما يتعلمه هؤلاء الطلاب شيئاً آخر غير دين الإسلام. ويرجح الاحتمال الأخير أن الطلاب ترقوا روحياً كما زعم النورسي. ثم انظر لموقف الطالب حين كشف هذا المعلم الكافر. يقول إنه سيجله ويوقره أعظم من ذي قبل. أين البراء من الكفار ؟ كما قال تعالى: (**كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) [الممتحنة: من الآية٤].

ويقول تعالى: (**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [المجادلة:٢٢].

العشق الإلهـــــــــي

للعشق الإلهي في مؤلفات الصوفية كلام طويل نثراً ونظماً. وأول مـــن تكلـــم فيمـــا يسمونه العشق الإلهي: رابعه العدوية[1]. وكان هذا في التعبير منها على علاقة العبـــد بربـــه، فظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً مـــن النار[2] وهذه مخالفة صريحة لقوله تعالى: (**وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً**) [الأنبياء: من الآية٩٠].

وكان من نتائج ذلك أيضاً ترك المتصوفة للعلم الشرعي وانصرافهم لهـــذه المواجيـــد والأذكار وغيرها. و يحكي بعضهم حكاية في هذا المعنى بأن رابعة العدوية أتت ليلة بالقدس تصلي حتى الصباح وإلى جانبها بيت فيه فقيه يكرر على طلابه باب الحيض إلى الـــصباح. فلما أصبحت رابعة قالت له:يا هذا وصل الواصلون إلى ربهم وأنت مشتغل بحيض النساء[3]. ولا ريب أن الذي أوتى العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أوتوا الإيمـــان فقـــط فـــالعلم الشرعي من ميراث الأنبياء فمن أخذه أخذ بحظ وافر[4].

يقول ابن الفارض[5] الذي يسميه المتصوفة بـــ "سلطان العاشقين" متغنياً بحب الله:

فَفِي الـــنَّشْـــأةِ الأُولى تـــراءَتْ لآدَمَ بمظـــهر حـــواءَ قبـــلَ حكمِ النبوةِ

وتظهر للعشـــاق في كل مظـــهرٍمن اللبس في أشـــكال حســـن بديعةٍ

ففـــي مرة لبـــني وأخـــرى بثينـــة وآونـــة تدعـــى بعـــزة عـــزت[6]

يقول عبدالرحمن الوكيل بعد إيراده أبيات ابن الفارض في هذا العشق:

---

[1] رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير مولاة آل عتيك، صالحة مستورة، من أهل البصرة، لها أخبار في العبادة والنسك. انظر الأعلام: ٣/١٠. انظر التصوف بين الحق والخلق : ٥٧، الدار السلفية ط٣ ١٤٠٣هـــ.

[2] قال القاضي أبو يعلى: "ذهبت الحلولية إلى أن الله عز وجل يعشق" انظر تلبيس إبليس: ١/٢١١.

[3] هذه المقارنة بين مسائل الحيض والعبادة أو مسائل الحيض والجهاد ... هي مقارنة قديمة حديثة. يقصد من ورائهـــا التقليل من شأن العلم بالأحكام وهذه مقارنة جائرة في صورتها فلماذا لم يقل الاشتغال بالأحكام الفرعية دون ذكـــر مسائل الحيض وما إليه .

[4] انظر مجموع الفتاوى١١/٣٩٦، وانظر تكذيب ابن تيمية لبعض القصص المنسوبة لرابعة العدوية ٢/٢٨٨، ٢/٣١٠

[5] عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، أشعر المتصوفين يلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة وحدة الوجود، اشتغل بفقه الشافعية ثم تصوف توفي سنة ٦٣٢هـــ . انظر وفيـــات الأعيـــان: ١/٣٨٣ وشذرات الذهب: ٥/١٤٩ — ١٥٣.

[6] ديوان ابن الفارض : ١٧٥ عمر بن علي الفارض، المكتبة الثقافية، بيروت.

"فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خطيئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه ويُعربـد في جسدها الرخيص أنيابه وأظفاره ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه التي يعرف أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم، وليصحح مؤرخو الأدب تاريخه فابن الفارض يؤكد أن أولئـك العشاق قيس، وجميل، وكثير، وكل شعراء العشق لم يريقوا خمور الغزل إلا للذات الإلهيـة متجسدة في صور عشيقاتهن القواتل"[١].

وهذه هي عقيدة وحدة الوجود عن طريق ما سموه الحب أو العشق الإلهي. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كما قال ابن الفارض في قصيدته التي نظمها علـى مذهبـهم وسماها نظم السلوك ... ومضمونها القول بوحدة الوجود وهو مذهب ابن عـربي وابـن سبعين[٢] وأمثالهم"[٣]. ويقول في موضع آخر: "لهذا حدثونا أن ابن الفارض لما احتضر أنـشد بيتين :

إن كان منـزلتي في الحب عنـدكم	ما قد لقيت: فقد ضيعت أيامـي
أمنية ظفرت نفسي بـها زمنـاً	واليوم أحسبها أضغاث أحلام[٤]

يقول محمد شفقة:" ويرى ابن عربي أن المحبوب على الحقيقة في كل ما يحب إنما هـو الحق الذي يتجلى فيما لا يتناهى من صور الجمال سواء أكانت حسية أم معنوية أم روحية وهو إذا تغنى بحب ليلى وسعدى وهند وغيرهن فإنما يرمز بالاسـم إلى حقيقـة المـسمى وبالصورة إلى صاحب الصورة ولا يعنيه الرمز قدر ما يعنيـه المرموز إليه، وقد كتب ديواناً بأكمله هو: "ترجمان الأشواق" يتغزل فيه "بالنظام" ابنة الشيخ مكين الدين بن شجاع بن رستم الذي لقيه بمكة حين نزل بها، ويصف فيه محاسن هذه الغادة الخلقية"[٥].

---

[1] انظر هذه هي الصوفية : ٣١ عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٤. وانظر درء التعارض : ١٦٨/٦.

[2] عبد الحق بن إبراهيم بن نصر بن سبعين الإشبيلي من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجـود درس العربيـة والآداب في الأندلس وتوفي سنة ٦٦٩. انظر شذرات الذهب: ٣٢٩/٥، ولسان الميزان: ٣٩٢/٣.

[3] مجموع الفتاوى ٢٤٣/٢، وانظر ترجمة ابن عربي ص: .

[4] مجموع الفتاوى: ٢٦٧/٢، ٣٥٧/١٤، وانظر منهاج في السنة النبوية: ٣٧٢/٥، وشرح قـصيدة ابـن القـيم : ١٧٠/١، ٣٣٨.

[5] انظر التصوف بين الحق والخلق : ٥٩ محمد فهرشفقة، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣.

ويقول جلال الدين الرومي :

لاتن عنى لاتن عنـــــــــي	نفسي أيها النـــور المشرق
لا تن عني لاتن عنـــــــــي	حبـــي أيها المشهد المتألق

انظر إلى العمامة أحكمتها فوق رأسي

بل انظر إلى زنار زرادشت حول خصري

أحمل الزنار ، وأحمل المخلاة، لا بل أحمل النور

فلاتن عني، فلاتن عني

مسلم أنا ولكني نصراني ، وبرهمي وزرادشتي

توكلت عليك أيها الحق الأعلى.

فلاتن عني، فلاتن عني.

ليس لي سوى معبد واحد، مسجدٍ أو كنيسة أو بيت أصنام

ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي

فلا تن عني فلا تن عني[١].

والنورسي يمتدح ما يسمى بالعشق الإلهي. بل يجعله نتيجة لهذا الخلق "إن ما يخفق به قلب الكون من حب جاد وعشق صادق، يدل على معشوق دائم باق (يقصد الله عز وجل) إذ كما لا يظهر شيء في الثمرة ما لم يوجد في الشجرة نفسها، فكذلك العـــشق الإلهـــي العذب الذي يستحوذ على قلب الإنسان ــ وهو ثمرة شجرة الكون ــ يـــبين أن عـــشقاً خالصاً ومحبة صادقة بأشكال شتى، مغروزة في كيان الكون كله، وتتظاهر بأشكال شتى"[٢].

ويقول: "إن الذي يحبب نفسه إلى مخلوقاته ويحبهم ويرحمهم بإسباغ نعمـــه وألطافـــه عليهم على هذه الصورة المطلقة، تقتضي حياته السرمدية عشقاً مطلقاً (لاهوتيـــا إذا جـــاز التعبير). ومحبة مقدسة مطلقة، ولذة ــ منه ــ منزهة سامية ... وأمثالها من الشؤون الإلهية

[1] انظر أخبار جلال الدين الرومي : ٣٧٥.

[2] الكلمات ٨١٧-٨١٨.

المقدسة اللائقة بقدسيته والمناسبة لوجوب وجوده، فتلك الشؤون الإلهية بمثل هذه الفعالية التي لا حد لها، وبمثل هذه الخلاقية التي لا نهاية لها، تجدد العالم وتبدله وتخضه خضا"[١].

ولكن كيف تجدد العالم وتخضه وتبدله ؟ يقول: "إنها تجدد الكائنات عامة وعلى الدوام بتجلياتها وتبدلها استناداً إلى ذلك العشق الإلهي المقدس، وبناء على سر القيومية الإلهية، وذلك لأجل إبراز لوحات لا نهاية لها من شيء محدود، وعرض شخوص لا حد لها من شخص واحد، وإظهار حقائق كثيرة جداً من حقيقة واحدة"[٢].

[1] اللمعات : ٥٨٥. يقول الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي: "وأما العشق فالله سبحانه لا يُعشق ولايَعْشق" انظر أقاويل الثقات: ٧٩.

[2] اللمعات: ٥٨٦ وفي هذا النص يظهر قوله بوحدة الوجود الذي يعالج في فقرة تالية.

وقد بالغت بعض الفرق في إنكار ذكر العشق في القرآن حيث قالت فرقة العجاردة "إن سورة يوسف ليست من القرآن لأنها في شرح العشق والعاشق والمعشوق ومثل هذا لا يجوز أن يكون كلام الله تعالى". انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٤٧.

الحقـــيقـــة المحـــمـــديـــة

هذه من الطوام التي قالت الصوفية بها. وهي اعتقادهم بأن نبينا ﷺ أول من خُلــق وأنه خلق من نور، وأن جميع المخلوقات إنما خلقت منه، ولأجله، ويقولــون: إنــه غايــة المخلوقات ونتيجتها.

يقول ابن عربي: "بدأ الخلق الهباء وأول موجود فيــه الحقيقــة المحمديــة الرحمانيــة الموصــوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرشي الإلهي،ولا أيــن يحــصرها لعــدم التميز،وممَ وجد؟ وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم، وفيم وجد ؟ في الهباء.

وعلى أي مثال وجد ؟ على المثال القائم بنفس الحق المعبر عنه بالعلم به. ولم وجد ؟ لإظهار الحقائق الإلهية. وما غايته ؟ التخلص من المزجة فيعرف كل عالم حظه من منشئه من غير امتزاج. فغاية إظهار حقائقه ومعرفة أفلاك العالم الأكبر"[1].

ويقول في فصوصه عن النبي محمد ﷺ : "ثم تممها الجامع للكل محمد ﷺ بما أخبر به عن الحق بأنه عين السمع والبصر واليد"[2].

وهذا البوصيري[3] ذائع الصيت – ينشد في البردة :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيــا من العدم

فإن من جودك الدنيا وضرتهــــا ... ومن علومك علم اللوح والقلم[4]

والجيلي[5] كذلك يجعل الحقيقة المحمدية هي الأصل لكل مخلوقات الله فيقول:

---

[1] الفتوحات المكية : ١٥٢/١.

[2] فصوص الحكم : ١١٠.

[3] محمد بن سعيد بن حماد الصهناجي البوصيري المصري شاعرٌ حسن الديباجة نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف بمصر) أشهر شعره البردة، توفي سنة ٦٩٦هــ . انظر الأعلام: ١٣٩/٦.

[4] برده المديح : ١٤-٣٥ محمد بن سعيد البوصيري. ت محمد سعيد الكيلاني، القاهرة مطبعة الحلبي، الطبعة الثانيــة ١٩٧٣.

[5] عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي بن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني،من علماء المتصوفين.له كتب كثيرة من أشهرها الإنسان الكامل، توفي سنة ٨٣٢هــ ، انظر الأعلام: ٥٠/٤.

" إن العقل الأول المنسوب إلى محمد ﷺ ، خلق الله جبريـــل الْكَلِيْهِ منـــه في الأزل فكان محمد ﷺ أبا لجبريل وأصلاً لجميع العالم ... وسمي العقل الأول بالروح الأمين لأنـــه خزانة علم الله وأمينه ويسمى بهذا الاسم جبريل من تسميه الفرع باسم أصله"[1].

ويقول محمد بن سليمان الجزولي[2] في دعائه: "اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك ... إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك المتقـــدم مـــن نـــور ضيائك"[3].

وعن الحقيقة المحمدية يقول الحلاج: "هو الدليل وهو المدلول بالحق موصـــول غـــير مفصول، ولا خارج عن المعقول. العلوم كلها قطرة من بحره، الأزمان كلها ساعة من دهره، الحق وبه الحقيقية،هو الأول في الوصلة، وهو الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظـــاهر بالمعرفة، الحق ما أسلمه إلى خلقه، لأنه هو، وإني هو، وهو هو "[4].

ويقول بعضهم: إن الحقيقة المحمدية أفضل من الحقيقة الإلهية[5]ــ أعاذنا الله من الزللـــ.

ونختم هذه النصوص الكفرية بنص للجيلي، لا يحتاج معه إلى استنباط أو تأويل حيث يقول: "اعلم أن الإنسان الكامل ــ الحقيقة المحمدية ــ هو الذي يستحق الأسمـــاء الذاتيـــة والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضي الذاتي"[6].

وفي ضوء ما سبق من زندقة وإلحاد ما هو موقف النورسي من هذه العقيدة هل كذبها وحذر منها ومن دعاها ؟ خاصة وأنه يقول: إن منهجه يعتمد القرآن والسنة ــ أم أنه قال بنفس معتقد هؤلاء ؟

---

[1] الإنسان الكامل : ٣ عبد الكريم بن إبراهيم الجيليز الطبعة الرابعة ١٣٩٥.

[2] محمد بن سليمان بن داوود بن بشر الجزولي الشاذلي من أهل سوسة المراكشية تفقه بفاس وحفظ المدونـــة في فقـــه مالك، توفي سنة ٨٧٠هـــ ، انظر الأعلام: ١٥١/٦.

[3] دلائل الخيرات : ١٠٠ محمد سليمان الجزولي. طبع في مصر ١٣٤٢.

[4] الجملة الأخيرة تبين عقيدته بوحدة الوجود . حيث أطلق على محمد عليه الصلاة والسلام صفات الرب ــ عز وجل – انظر أخبار الحلاج طاسين السراج" :٨٢ تعليق وتصحيح عبد الحفيظ بن محمد مدني هاشم. رمـــل الإســـكندرية الطبعة الثانية ١٣٩٠.

[5] انظر رسالة التوحيد "للدهلوي": ١٣٩ إسماعيل عبد الغني الدهلوي، نقل الأصل إلى العربية وقدم له وعلق عليه أبو الحسن النووي ١٤١٧. وانظر لتعريف الحقيقة المحمدية في التعريفات: ١٢٢.

[6] الإنسان الكامل : ١٠٤.

المطلع على رسائل النور يعلم أن النورسي من المناضلين دفاعاً عن ما يسمى الحقيقة المحمدية إذ يقول عن الحقيقة المحمدية إنها سراج للعالمين كليهما[1].ويقول بنظرية الجيلي في الإنسان الكامل وأنه هو صاحب الحقيقة المحمدية.

كما أنه مدار فخر الإنسانية، وهو الإنسان الكامل الحقيقي، محمد ﷺ يدعو الله..."[2].

فهذا الإنسان الكامل عند النورسي (محمد ﷺ) يقول عنه: "فلجامعية الإنسان صار الإنسان الكامل سبب خلق الأفلاك علة غائية له وثمرة له"[3].

وقد اعتقد النورسي أن الحقيقة المحمدية من عقائد المسلمين التي يتلقاها من نصوص الوحي فقال بلا دليل ولا برهان: "إن مليارات من أهل الإيمان قد رضوا وصدقوا بلا ريب أن أساس تلك الدعوى ـــ وهو الحقيقة المحمدية[4] ـــ هي البذرة الأصلية للكون وسبب خلقه وأكمل ثمرته"[5].

ودليله على هذه العقيدة حديث لا يصح وهو قوله:لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك[6] "أي لولا محمد ﷺ ما خلق الله الخلق حيث يقول إن "الحقيقة المحمدية هي سبب خلق العالم ونتيجته وأكمل ثمرته"[7].

واعتقاد النورسي هنا قاده إلى نتيجة ضالة أخرى.حيث يعتقد أن الحقيقة المحمدية بعد موت الرسولﷺ تغيث الإنسان فيحدث عن نفسه "بينما أنا في هذه الحالة المحزنة إذا بالنور الذي أتت به الحقيقة المحمدية ﷺ يغيثني ـــ مثلما يغيث كل مؤمن ويسعفه فبدل تلك الأحزان والغموم التي لا حدود لها مسرات وأفراحاً لا حد لها"[8].

---

[1] انظر الكلمات : ٥٣٦.

[2] انظر الكلمات : ٣٧٨.

[3] المثنوي العربي النوري ، ٣١١، وانظر الشعاعات: ٦٦٧.

[4] الجملة التي بين حاصرتين من كلام النورسي .

[5] الشعاعات : ٦٦٨ .

[6] سبق تخريجه .

[7] الشعاعات : ٦٥٥.

[8] الكلمات : ٥٣٩ وانظر ص ٥٣٦، والشعاعات : ٤٢، ٢٧٢، ٣١٣-٣١٦.

ومن المعلوم في معتقد أهل السنة والجماعة أن هذه العقيدة خرافة لا أصل لها في دين الله الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ. وهذه من المسائل التي تصورها كافٍ في ردها وإبطالها يقول ابن القيم:"هذه حقيقة كفرية اتحادية وهي مع ذلك خيال فاسد وعقل منكوس وذوق من عين فتنه وكفر أهلها أعظم من كفر كل ملة فإنهم جحدوا الصانع حقاً، وإن أثبتوه جعلوا وجوده وجود كل موجود. والذين أثبتوا الصانع وعدلوا به غيره سووا بينه وبين غيره في العبادة مقالتهم خير من مقالة هؤلاء الذين جعلوا وجوده كل موجود وعين كل شيء تعالى عما يقول الكاذبون المفترون علواً كبيراً .. فعليك بالفرق بين السائرين إلى هذه الحقيقة والسائرين إلى عين الحقيقة الكونية الحكمية، السائرين إلى عين الحقيقة المحمدية الإبراهيمية الحنيفة التي هي حقيقة جميع الأنبياء والمرسلين"[1].

وقد استدل النورسي بأدلة موضوعة على هذا الاعتقاد. فيستدل بحديث "لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك"[2]. وإذا حملنا المعنى على أنه لولا الإنسان ما خلق الله الشمس والقمر وغيرها. لكان ذلك مقبولاً. لكن هذه المقولة قديمة عند المتصوفة وهم على معنى أن الخلق كله خلق من نوره ﷺ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومحمد سيد ولد آدم، وأفضل الخلق، وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: "إن الله خلق من أجله العالم، أو أنه لولا هو لما خلق عرشاً، ولا كرسياً، ولا سماء ولا أرضاً ولا شمساً ولا قمراً لكن لم يرد في هذا حديث عن النبي ﷺ لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث، عن النبي ﷺ ، بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام لا يدري قائله"[3].

ويقول في موضع آخر تحذيراً من تحريف عقائد الناس بهذه الموضوعات: "ومثل هذا لا يجوز أن تبنى الشريعة عليه ولا أن يحتج به في الدين باتفاق المسلمين إن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا يعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي ﷺ وهذه لو نقلها مثل

[1] انظر طريق الهجرتين : ٥١٢/١.

[2] موضوع: انظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : ٣٢٦، محمد بن علي الشوكاني، المكتب الإسلامي – بيروت ط٣ ، ١٤٠٧ هـ ، ت: عبد الرحمن المعلمي.

[3] انظر مجموع الفتاوى : ٩٦/١١-٩٧.

كعب الأحبار[1] ووهب بن منبه[2] وأمثالها ممن ينقل أخبار المبتدأ وقصص المتقدمين عند أهل الكتاب لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين فكيف إذا نقلها من لا ينقلها لا عن أهل الكتاب ولا عن ثقات علماء المسلمين بل إنما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف لا يحتج بحديثه ولا ينقل ذلك ولا ما يشبه أحد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم وإنما هي من جنس ما ينقله إسحاق بن بشر[3] وأمثاله في كتب المبتدأ وهذه لو كانت ثابتة عن الأنبياء لكانت شرعاً لهم ولكان الاحتجاج بها مبنياً على أن شرع من قبلنا هو شرع لنا أم لا ؟ والتراع في ذلك مشهور، لكن الذي عليه الأئمة وأكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا محمد ﷺ أو بما تواتر عنهم لا بما يروى على هذا الوجه فإن هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع أحد من المسلمين[4].

---

[1] كعب بن ماتع بن ذي هجن الحيري تابعي كان من كبار علماء اليهود وأسلم في زمن أبي بكر الصديق أخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، توفي بحمص سنة ٣٢هـ ، انظر الأعلام: ٢٢٨/٥.

[2] وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني الذماري مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، يُعد من التابعين وأصله من أبناء فارس مات بصنعاء سنة ١١٤هـ ، انظر الأعلام: ١٢٥/٨.

[3] إسحاق بن بشر بن محمد الهاشمي بالولاء مؤرخ استوطن بخارى واشتغل بالحديث فوسم بالكذب، له كتاب المبتدأ، توفي ببخارى سنة ٢٠٦هـ ، انظر الأعلام: ٢٩٤/١.

[4] انظر التوسل والوسيلة: ٨٥ – ٨٧ .

الأقطـــــــــاب:

الأقطاب جمع قطب والقطب لغة: ما عليه مدار الشيء وملاكه، ومنه قطب الرحى"[1].

وعند الصوفية: "القطب وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعـــم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات غير المجعولة، فهو يفـــيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكيـــة الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته"[2].

والقطبية ليست درجة واحدة بل هي قطبية كبرى وقطبية صغرى. يتحدث الجرجاني عن الأولى فيقول: "القطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة محمـــد ﷺ فلا يكون خاتم الولاية، وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة"[3].

يقول التجاني[4] وهو يشير بإصبعيه السبابة والوسطى: "روحي وروحه ﷺ هكـــذا، روحه تمد الرسل والأنبياء، وروحي تمد الأقطاب والأولياء من الأزل إلى الأبد"[5]. فالقطـــب عند الصوفية " سيد الوجود في كل عصر، وهو للوجود بمترلة الروح للجسد ، فكمـــا أن الجسد لا قيام له إلا بالروح ، فكذلك الوجود كله قائم بالقطب ، فإذا زالـــت روحانيـــة القطب من الوجود انعدم الوجود كله"[6].

والنورسي يذكر القطبية. وأنها مترلة عالية ومرتبة سامية من مراتب الأولياء والصالحين في دين الله. وأن هذه المترلة ليست بدرجة واحدة فهناك ما يسميه بالقطب الأعظم يقـــول عمن تتلبس به الشياطين فيفعل أو يقول الإثم: "إن مثل صاحب الشطحات كمثل ضـــابط

---

[1] انظر القاموس المحيط مادة (قطب).

[2] التعريفات للجرجاني ١٧٧-١٧٨.

[3] المرجع السابق والصفحة.

[4] محمد بن المختار التجاني ولد سنة ١١٥٠هـــ ، من أهم كتب التجانيه جواهر المعاني، توفي سنة ١٢٣٠هـــ . انظر الأعلام: ١/٢٤٥.

[5] انظر إلى التصوف يا عباد الله : ٤١.

[6] نفس المرجع السابق والصفحة.

صغير برتبة ملازم. تستخفه نشوة القيادة وأذواقها في محيط دائرته الصغرى، فيتخيل نفسه في لحظة إنتشاء وكأنه المشير الذي يقود الفيالق والجحافل، فتختلط في ذهنه الأمور، ويلتبس عليه أمر القيادة ضمن دائرته الصغرى في القيادة الكلية الواسعة ضمن دائرتها الكبرى، تماماً كما يلتبس في النظر على بعض الناس صورة الشمس المنعكسة من مرآة صغيرة، مع صورتها المنعكسة من سطح البحر الشاسع، من حيث تشابههما في صورة الانعكاس، رغم اختلافهما في السعة والكبر، وكذلك فإن كثيراً من أهل الولاية ممن يرى نفسه أكبر وأعظم بكثير ممن هم أرقى وأسمى منه، بل ممن نسبته إليهم كنسبة الذباب إلى الطاووس"[1].

وعن هذه الدرجة الدينية يقول عن طلابه: "إن طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فوق كل شيء. بل حتى لو مُنحوا درجة القطبية يرجحون عليها خدمة الإيمان حفاظاً على الإخلاص"[2].

وهو يرى أن هذه القطبية أدنى درجة من إرشاد الناس يقول: "إنني أرى أن إرشاد عشرة من الناس إرشاد خادم لحقائق الإيمان ارشاداً خالصاً حقيقياً وتعليمهم أن حقائق الإيمان تفوق كل شيء أهم من إرشاد ألف من الناس بقطبية عظيمة لأن النوعية تفضل على الكمية"[3].

ولكن هل للأقطاب أو مرتبة القطبية ـــ كما يقولون ـــ سند شرعي، يقول ابن تيمية في ذلك: "رووا عن النبي ﷺ أنه قال: "هذا واحد من السبعة" وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم وإن كان قد رواه أبو نعيم في الحلية، وكذا كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاث مئة وثلاثة عشر، أو القطب الواحد، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ "الأبدال" وفيه حديث منقطع ليس بثابت"[4].

---

[1] المكتوبات : ٥٧٦.

[2] الملاحق : ١٤٥.

[3] الملاحق : ٢٦٦-٢٦٧.

[4] انظر مجموع الفتاوى : ١٦٧/١١.

وعند سؤاله عمن تسمى بغوث الأغواث وقطب الأقطاب، وقطب العالم، والقطب الكبير، وخاتم الأولياء. أجاب رحمه الله: "أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة، والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثلاث مئة: فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح"[1].

---

[1] مجموع الفتاوى:٢/١١،٢٦٥/٤٣٣،وانظر بغية المرتاد: ٢٠٢/١، ٣٩٣، بيان تلبيس الجهمية: ٣٣/١، ٢١٨، الرد على المنطقيين ١٦٣/١، ١٦٥، ٢٥٩ ، الرد على البكري ٤٢٧/١، ومنهاج السنة ٩٣/١، ٩٥.

وحــدة الوجــود:

وحدة الوجود: عقيدة الملاحدة الذين يقولون إن العالم هو التجلي الإلهي الـذي كان ولا يزال. فعندهم كل شيء تراه هو الله ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ وما الاختلاف الظاهر إلا اختلاف في الصفات. وقد قال بهذه العقيدة الحلاج وابن عربي وجلال الدين الرومي، والتلمساني[1]، وابن الفارض، وغيرهم[2]. وتأثر بها بعض فلاسفة الغرب مثل برونو[3]، واسبينوزا[4].

وهذه العقيدة تؤدي إلى وحدة الأديان وعدم الالتزام الأخلاقي لدى الفرد والمجتمع وهي تؤدي إلى القول: بالحقيقة المحمدية، والنور المحمدي، والإنسان الكامل ...

والنقول الدالة على هذه الشركيات من كافة الطرقية متوافرة في مظانها وسأحاول ذكر بعض النصوص لأعلام الطرق التي للبحث صلة بها، وبعض أعلام المعاصرين.

فهذا مؤسس الطريقة النقشبندية أحمد الفاروقي السرهندي يقول: "وإذا قال هؤلاء الصوفية بنفسهم أن ذات الحق سبحانه وتعالى لا يحكم عليها بحكم، يكون الحكم عليها بالإحاطة والسريان مخالفاً لهذا القول، والحق أنه ذاته تعالى ليس كمثله شيء لا سبيل لحكم من الأحكام إليها أصلاً، بل في ذلك الموطن الحيرة الصرفة والجهالة المحضة، فكيف يتطرق السريان والاحاطة إليها ؟ ويمكن الاعتذار من جانب الصوفية القائلين بهذه الأحكام بأن مرادهم بالذات هو التعين الأول، فإنهم لم يقولوا بزيادة ذلك التعيين على المتعين، قالوا لذلك التعين عين الذات، وذلك التعين الأول المعبر عنه بالواحدية سارٍ في جميع الممكنات"[5].

---

[1] سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني شاعر تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق وكان يتبع طريقة ابن عربي له كتب كثيرة منها شرح الفصوص، توفي في دمشق عام ٦٩٠هـ .انظر شذرات الذهب: ٤١٢/٥، والأعلام: ١٣٠/٣.

[2] يقول البقاعي: "إن وحدة الوجود مذهب الملحدين كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض ممن يجعل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق". انظر مصرع التصوف: ١٦٢.

[3] رودولف برونو مستشرق أمريكي من أصل ألماني ولد في أمريكا وتعلم العربية في ألمانيا، اشتهر بالدراسات الآشورية، مات سنة ١٣٣٥هـ . انظر الأعلام: ٣٥/٣.

[4] فيلسوف هولندي مادي من أصل برتغالي هولندي، رفض المعتقدات أسس صرحاً فلسفيا كليانياً وعرضه بطريقة عقلانية ومادية. وهو يرى أن الحرية ضرورة مركزية. انظر موسوعة الفلسفة: ١٣٣/٣ . انظر علاقته بوحدة الوجود. المعجم الفلسفي : ٥٦٩، د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب- بيروت ١٤١٤هـ.

[5] المنتخبات من المكتوبات: ١٠.

ويقول أستاذ النورسي أبو حامد الغزالي: "نعلم أن للقلب ميلاً إلى صفات بهيمية وإلى صفات سبعيه وإلى صفات شيطانية وإلى صفات ربوبية. فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع. ومعنى الربوبية التوحيد بالكمال، والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال، فصار الكمال من صفات الإلهية، فصار محبوباً بالطبع للإنسان، والكمال بالتفرد بالوجود، فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها، فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصاً في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية. والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه، فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته، بل هو قائم به، وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصاً في الشمس بل هو من جملة كمالها، وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى، فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة. فإذاً معنى الربوبية التفرد بالوجود، وهو الكمال، ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله (**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**) [النازعات:٢٤]، ولكنه ليس يجد له مجالاً. وهو كما قال"[1]. ويقول: "ينبغي أن يعلم أن الحضرة الإلهية محيطة بكل ما في الوجود، إذ ليس في الوجود إلا الله وأفعاله،فالكل من الحضرة الإلهية، كما أن جميع أرباب الولايات في المعسكر، حتى الحراس، هم من المعسكر... فاعلم أن كل ما في الوجود داخل في الحضرة الإلهية"[2]. ـ يقول الشربيني[3] عن بعض مقالات هؤلاء الخرافيين معتذراً: "يمكن حمل كلام هذا القائل على حال وحدة الوجود، ألا ترى قول بعضهم الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود:

من لا وجود لذاته من ذاته   فوجوده لولاه عين محال"[4]

---

[1] انظر إحياء علوم الدين: ٢٤٣/٣.

[2] إلجام العوام عن علم الكلام : ٣٢ .

[3] عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشربيني فقيه شافعي أصولي مصري ولي مشيخة الجامع الأزهر توفي في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ . انظر الأعلام: ٣٣٤/٣.

[4] حاشية العطار على شرح المحلى على جمع الجوامع : ٤٥١ .

ـــ ويقول الشيخ عليش[1] عن قوله تعالى: (**أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**) [الشورى:مـــن الآية٥٣] فهو واحد ظهرت وحدته في جميع المظاهر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ... وهذا معنى شريف لا يمكن شرحه بالتعبير إنما يذاق بحسب الفتح والتجلي من الفتاح الخبير ، وهو معنى شهود الوحدة في الكثرة الذي يعبر عنه القوم بـــ "وحدة الوجود" وقد ســـفكت فيه دماء . قال الشاعر:

ويكفيك من ذاك المسمى إشارة ودعه مصونا بالجلال محجبا[2]

ـــ وقال المعلق على كتاب الفروق الشيخ ابن الشاط[3]: "إذا وصل العارف لوحـــدة الوجود في الكون فلا يتوقف في التوحيد مع ثبوت الصفات"[4].

ـــ ويذكر سعيد حوى[5] شيئاً من الشرح فيقول عن نفسه: "مع أنني في سيري إلى الله أذاقني الله من فضله من معاني اسمه الصمد جل جلاله وهو المقام الذي زل بـــه هـــؤلاء"[6]. وهذا هو التوحيد الذوقي الذي ذاقه سعيد حوى: في تربيته الروحية. عن طريق الفنـــاءات، يقول أيضاً: "ولئن كان جزء السير التحقق بأسماء الله، ولئن كانت مراحـــل الـــسير تـــتم بالانتقال من فناء إلى فناء، فإن الذكر هو وسيلة ذلك كله"[7]. ويشرح معنى الفناء فيقـــول: "الفناء في الأفعال بأن يحس الإنسان أن كل شيء فعل الله ، والفناء في الصفات بأن يستشعر الإنسان صفات الله عز وجل ، والفناء في الذات، هو أن يستشعر الإنسان أوليـــة الـــذات

---

[1] محمد بن أحمد عليش أبو عبد الله فقيه من أعيان المالكية مغربي الأصل ولد بالقاهرة وتعلم بـــالأزهر، تـــوفي ســـنة ١٢٩٩هـــ . انظر الأعلام: ١٩/٦.

[2] انظر فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك:٧ .

[3] هو الشيخ قاسم بن عبدالله المعروف بابن الشاط (ت ٧٢٣هـــ) وتعليقه على كتاب الفروق سماه " إدرار الـــشروق على أنوار الفروق " وقد قام الشيخ محمد بن علي بن الحسين مفتي المالكية بمكة المكرمة (١٣٦٧) فاختصر الفـــروق وهذبه في كتابه " تهذيب الفروق". الأعلام: ١٧٧/٥.

[4] انظر أنوار البروق في أنواع الفروق: ٤٨ .

[5] سعيد محمد ديب حوى ولد بحماة وطلب العلم على شيوخها، توفي سنة ١٤٠٩هـــ . انظر إتمام الأعلام ص: ١٠٩.

[6] تربيتنا الروحية : ٣١٧.

[7] المرجع السابق : ٣٠٣.

الإلهية وصمدانيتها ، ومتى استقر في هذا المقام أحس بمقام الإحسان ، ويحـــاولون في هـــذه الحالة أن ينقلوه إلى مقام "المشاهدة مع رؤيته الخلق" وهذا الذي يسمونه مقام "البقاء"، وقد تكون النقلة سريعة إلى الفناء في الصفات مباشرة، أو قد تكون إلى الفناء في الذات مباشرة، ثم يبدأ السالك يستشعر ما سوى ذلك"[1].

وقد انتشرت عقيدة وحدة الوجود في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي. وقـــد فنـــد الشيخ مصطفى صبري شبهات أصحاب وحدة الوجود ممثلة في ابن عربي. بقوله إن أهـــل النار تنقلب طبائعهم فيستعذبون الجحيم[2]. وعن الكوثري الجهمي يحدثنا فريد أيـــدن عـــن موقف الكوثري من وحدة الوجود فيقول: "لقد أخبرني الأستاذ أمين القدسي، وهو كاتب وباحث قونوي يتقن العربية أن الكوثري يبطن اعتقاد مذهب أهل وحدة الوجود، وبخاصة يوم هاجر إلى مصر، فبلغ بي العجب يومئذ غايته، إذ المعروف عن الكوثري أنه حامل لواء التتزيه بزعمه، فكيف يقول بمذهب الوحدة وهو أشنع التجسيم[3]. وأخبث التشميل ! وقـــال لي: "إنه سمع ذلك من خاله علي القدسي، وهو من علماء الترك الذين هاجروا إلى دمـــشق، وأنه جرت مناظرة بين الكوثري وعلي القدسي في وحدة الوجـــود، والكـــوثري يؤيـــدها والقدسي ينكرها، حتى كان من آخر ما قاله القدسي للكوثري في المجلس: أنت تقول بقول أهل وحدة الوجود، فأنا أستأذنك لأذهب إلى بيت الخلاء لأقضي حاجتي فغضب الكوثري وعرف مقصده، وقال أمين: إن من أدلة اعتناقه هذا المذهب كتابـــه "إرغـــام المريـــد" في التصوف، فطلبت الكتاب وقرأته، فرأيت من الطامات ما ينضم إلى سجله المحترق تجهما فيه من تصديق بدع الصوفية وخرافاهم وتقديس مشايخهم ما شئت"[4].

ومن أسباب انتشار وحدة الوجود في تركيا، أن أشهر شارحي المثنوي بالتركيـــة ـــ وهما إسماعيل الانتوري (ت ١٠٤٢) وصاري عبد الله أفندي(ت١٠٧١) أهمـــا التزمـــا في شرحهما للمثنوي الرومي رأي ابن عربي فـــــي وحدة الوجود. فتشرب التراث العثمـــاني تلك الفلسفة. حتى إن مترجم الفصوص إلى لسان الترك الوجودي المعاصر نـــوري كـــنج

---

[1] المرجع السابق: ٢٩٨.

[2] انظر: (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين).

[3] هكذا أهل البدع في تناقضهم في العلم والعمل.

[4] انظر الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها: ١٣٩.

عثمان (ت ١٣٩٦هـ) يذكر في مقدمة الترجمة[1]:"بما أن رسول الله ﷺ قد لقن وعلم ابن عربي كتاب الفصوص. فإن أتباع الشيخ قد اتفقوا على معاملة الكتاب معاملة الأحاديث النبوية، فلذلك فقد تعاقب كبار رجالات الصوفية على شرحه حتى بلغت الشروح أكثر من أربعين شرحاً"[2].

ولم يختلف النورسي في موقفه من وحدة الوجود عن أستاذه الغزالي وابن عربي بل هو يجعل وحدة الوجود من الحقائق العالية التي تضر الناس في هذا الزمان ليس بسبب اعتقادها بل بسبب الناس الذين فهمهم دون مستوى وحدة الوجود. يقول: "إن تلقين مسألة "وحدة الوجود" في الوقت الحاضر للناس يضرهم ضرراً بالغاً، إذ كما أن التشبيهات والتمثيلات، إذا خرجت من أيدي الخواص ودخلت أيدي العوام وسرت من يد العلم إلى يد الجهل تتلقى حقائق كذلك وحدة الوجود وأمثالها من الحقائق العالية. إذا ما دخلت بين العوام الغافلين السارحين في تأثير الأسباب تلقوها "طبيعية" وتولد ثلاث مضار مهمة :

الضرر الأول: أنه كلما دخل بين العوام يمضي بهم إلى أن يصل في فكر الغافلين والملوثين بالماديات إلى إنكار الألوهية.

الضرر الثاني: تلقين العوام وحدة الوجود يطغي نفوسهم حتى لا يسعها شيء.

الضرر الثالث: أنه يورث أفكاراً وتصورات لا تليق بوجوب وجود الذات الجليلة، المترهة عن التغير، والتبدل والتجزؤ والتحيز"[3].

وعند سؤاله: "ما ترى في وحدة الوجود ؟ الجواب: إنه استغراق في التوحيد، وتوحيد ذوقي لا ينحصر في نظر العقل والفكر، إذ إن شدة الاستغراق في التوحيد ـ بعد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ـ يقضي إلى وحدة القدرة: أي لا مؤثر في الكون إلا الله. ثم يؤدي هذا إلى وحدة الإرادة، وهذا يسوق إلى وحدة الشهود ثم إلى وحدة الوجود. ومن بعدها رؤية وجود واحد ثم إلى رؤية موجود واحد ... فشطحات علماء الصوفية التي هي من قبيل المتشابهات لا تقام دليلاً على هذا المذهب . فالذي لم تتخلص روحه من تأثير الأسباب ولم تتجرد من دائرتها إذا ما تكلم عن وحدة الوجود يتجاوز حده ... إن رؤية

---

[1] طبعت الدولة الكمالية هذه الترجمة عشرات المرات دون كتاب واحد من كتب الشريعة.

[2] من مقدمة ترجمة الفصوص بالتركية. نقلاً عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي : ٦١.

[3] انظر اللمعات : ٤٤٣-٤٤٤.

الصانع تعالى ضمن موجودات العالم شيء ذوقي لا يمكن بلوغه إلا باستغراق ذوقي، إلا أن أصحاب مذهب وحدة الوجود لضيق الألفاظ عبروا عن هذه الحقيقة بالألوهية السارية والحياة السارية في الموجودات"[1].

أما قوله إن طريق القرآن طريق عام وجادة كبرى[2]. فهذا لا يعني تفضيله طريق القرآن في النظر إلى الكون والأشياء والحقائق على طريق الوجوديين. بل إنه يصف الطريق القرآني على أنه من جملة الطرق ، لكن أفضل الطرق وأعلاها وأسماها عنده هي الوجودية الصوفية فهو يقول إن وحدة الوجود من المشارب الصوفية المهمة بل: "إن هذا المشرب (وحدة الوجود) يصلح لأخص الخواص عند حالات الاستغراق المطلق، وللمتجردين من الأسباب المادية، ومن الذين قد قطعوا علائقهم بما سوى الله من الممكنات والأشياء"[3].

ولأن وحدة الوجود "هي مقام سامٍ عند النورسي فهو يقول إنه لا يسع كل واحد أن يرى نقائص وحدة الوجود الدقيقة[4]. وعن أسباب الانجذاب إلى وحدة الوجود يذكر النورسي جوابين متباينين، فمرة يذكر أن سبب الانسلاك في وحدة الوجود عشق الدنيا فيقول: "إن أهم جهة من أنواع العشق التي تسبب الانسلاك إلى مشرب وحدة الوجود هي عشق الدنيا، إذ حينما يتحول عشق الدنيا الذي هو عشق مجازى إلى عشق حقيقي ينقلب إلى وحدة الوجود"[5].

وفي جواب آخر يرجع سبب الانجذاب إلى وحدة الوجود إلى سببين :

" السبب الأول: أنهم (أي أصحاب وحدة الوجود) لم يستطيعوا أن يستوعبوا في أذهانهم خلاقية الربوبية في أعظم مراتبها، وكذا لم يستطيعوا أن يمكنوا في قلوبهم تمكيناً تاماً أنه سبحانه بأحديته مالك بالذات لزمام كل شيء في قبضة ربوبيته، وإن كل شيء يخلق بقدرته واختياره وإرادته سبحانه ، فلأنهم لم يستطيعوا إدراك ذلك فقد رأوا أنفسهم

[1] انظر المثنوي العربي النوري : ٤٣٢-٤٣٣.
[2] انظر سيرة ذاتية : ١٨٠ انظر الكلمات ٥٥٨-٥٦١.
[3] المكتوبات : ٥٧٩-٥٨٠.
[4] انظر اللمعات /٥٠.
[5] المرجع السابق : ٦٤.

مضطرين أمام القول : كل شيء هو "تعالى" أو لا شيء موجود أو أن الموجود خيـــال، أو: من التظاهر أو من الجلوات.

السبب الثاني: أن صفة العشق لا تريد الفراق أصلاً، وتفر منه بشدة، وترتعد فـــرائص العاشق من الافتراق ، ويرهب من التنائي رهبته من جهنم، وينفر من الزوال نفرة شـــديدة، ويحب الوصال حبه لروحه ونفسه ، ويرغب بشوق لا حد له ـــ كشوقه للجنة ـــ القـــرب الإلهي، لذا يرى أن التشبث بتجلي الأقربيه الإلهية في كل شيء، يجعل الفراق والتنائي كأنهما معدومان، فيظن اللقاء والوصال دائمين بقوله: لا موجود إلا هو.

ولأنهم يتصورون بسكر العشق وبمقتضى شوق البقاء واللقاء والوصال، أن في وحدة الوجود مشرباً حالياً في منتهى الذوق، لذا يجدون ملجأهم في مسألة وحدة الوجود لأجـــل التخلص من فراقات رهيبة"[١].

فالنورسي يرى وحدة الوجود مرتبة لا يبلغها إلا النادر من "الأولياء" كـــابن عـــربي وغيره وأنه ليس لغيرهم الحكم عليهم لأنهم لم يذوقوا ما ذاقوه فهو يقول عمن يتكلم عـــن وحدة الوجود بالانتقاد."إن من يتكلم عن وحدة الوجود عليه أن يعرج فكراً من الثرى إلى الثريا تاركاً الكائنات وراءه ظهرياً. محدقاً بنظره إلى العرش الأعلى، عاداً الكائنات معدومة في حالة الاستغراق، فيمكنه أن يرى بقوة الإيمان أن كل شيء من الواحد الأحد ســـبحانه مباشرة"[٢].

ويضرب مثلاً لهذا العروج بجلال الدين الرومي : "بينما الذي يعرج فكراً إلى العـــرش كجلال الدين الرومي، يستطيع أن يقول افتح سمعك فإنك تستطيع أن تسمع مـــن كـــل أحد"[٣]. وعن ابن عربي يقول: "إنه مهتد ومقبول بل لقد قال محي الدين: تحرم مطالعة كتبنا على من ليس منا أي على من لا يعرف مقامنا.نعم إن قراءة كتب محي الـــدين ولاســـيما مسائله التي تبحث في وحدة الوجود مضرة في هذا الزمان "[٤].

---

[1] اللمعات : ٦٠-٦٢.

[2] المرجع السابق : ٤٤٤.

[3] المرجع السابق : ٤٤٤.

[4] المرجع السابق : ٤٤٥.

وهذا الادعاء من النورسي مشهور عند كثير ممن يعتقد بوحدة الوجود، يقول الشيخ مصطفى صبري راداً على من يقول بتبرير زندقة وحدة الوجود بتلك التبريرات الساقطة: "وأما ما يعتذر عنه من قبيل: أن كلام الشيخ الأكبر لا يفهمه كل إنسان، وأن لأهل الله اصطلاحات مخصوصة، فمن يدري ما الذي كان يرمي إليه بتلك الكلمات ؟ فدعوى لا تقبل بحال، فإن نصوص أحكام الإسلام ما كانت لتتخذ لعبة في يد أحد من الناس يتلعب بها، ولا يعطى الحق لكائن من كان كي يضع اصطلاحات تخالف بيانات كتاب الله وتضاده"[1].

[1] "القيمة العلمية للمجتهدين الجدد": ١٢٥مصطفى صبري، نقلاً عن أخبار جلال الدين الرومي: ٦٤

المبحث الثاني : الكشف والإلهام

الكشف والإلهام

أولاً : الكشف

الكشف لغة: كالضرب. والكاشفة. الإظهار ورفع الشيء عما يواريه ويغطيه وكشف الأمر يكشفه كشفاً: أظهره.

والأكشف : الرجل الذي لا ترس معه في الحرب.

يقال تكشف البرق ، إذا ملأ السماء . والمعنى صحيح، لأن المتكشف بارز[1].

والكشف اصطلاحاً: هو كرامة من الكرامات للعبد الصالح تكون على غير عادة مستمرة، حيث ينكشف له بعض الأمور الغيبية[2] والدليل قوله ﷺ: "هل ترون قبلتي هاهنا ؟ فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم وراء ظهري"[3]. وحتى لا يقال إن هذه خاصية للنبي ﷺ نذكر قوله ﷺ: " لقد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر"[4].

أما الكشف عند المتصوفة: فهو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، وجوداً وشهوداً[5]. ويكون ذلك عندهم عن طريق مرتبة الفناء بالمجاهدة والسير والسلوك. وبهذا يزعمون الوصول إلى الحقائق الغيبية مثل رؤية الملائكة والاطلاع على اللوح المحفوظ ورؤية الأنبياء بعد موتهم يقظة لا مناماً ، حتى إن منهم من يدعي الكشف في الأحكام الشرعية أيضاً.

والكشف عند الصوفية أرقى مناهج المعرفة، مما جعلهم ينبذون المناهج العلمية الاستدلالية، وأولها علم الكتاب والسنة كما عند السلف. يقول الغزالي عن الكشف "الكشف باب الفوز الأكبر" وهو الفوز بلقاء الله ــ تعالى[6]ــ وينقل الغزالي عن الجنيد أنه

---

[1] انظر لسان العرب مادة كشف ٩/٣٠٠، والقاموس المحيط : ١٠٩٧ ومعجم مقاييس اللغة ٥/١٨١-١٨٢.

[2] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٢/١١٣٩.

[3] البخاري عن أبي هريرة كتاب الصلاة باب القسمة وتعليق القنوت في المسجد (٤١٨).

[4] البخاري عن أبي هريرة كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٩)، ومسلم عن عائشة ٢٣٩٨ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه، وقصة عمر مع سارية مشهورة معلومة.

[5] انظر معجم مصطلحات الصوفية للحفني: ٢٢٥.

[6] انظر إحياء علوم الدين : ٣/١٣.

قال: "أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بثلاث: التكسب، وطلب الحديث، والتزوج، وأحب للصوفي ألا يكتب ولا يقرأ، لأنه أجمعُ لهمه"[1].

والكشف الصوفي يفتح أبواباً للزنادقة والملحدين. خاصة على كثرتهم في هذا الزمان. وقد كان خروج الزنادقة خروجا عن شريعة نبينا محمد ﷺ. بدعوى الكشف والمعرفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما من جعل كمال التحقيق، الخروج من التكليف، فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية ، ومن شابههم من الملاحدة المنتسبين إلى علم أو زهد أو تصوف أو تزهد. يقول أحدهم أن العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة ، فإذا حصلت زال عنه التكليف. ومن قال هذا فإنه مرتد باتفاق أئمة الإسلام"[2].

وعن اللوح المحفوظ وهل يطلع عليه أحد يقول شيخ الإسلام: "ليس لأحد اطلاع على اللوح سوى الله"[3]. "ومدعي الاطلاع على اللوح لا يخلص من الكهانة، فهذا أمر يدعيه الكفار أيضاً ويحصل لهم شيئاً منه. فقد يحصل لأحدهم أن يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه، ويقول: أنا ربك. فإذا كان من أهل الإيمان زجره واستعاذ الله من شره"[4]. ومن هذا النوع رؤية ابن صياد عرش إبليس على البحر[5]. فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته، بل القلب إذا صفا ، ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة ، أو في لفظ منظوم، يقرع سمعه، يعبر عنه بصوت الهاتف ، إذا كان في اليقظة ، وبالرؤيا إذا كان في المنام[6]، وقال: "وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب، فيشاهد أيضاً بالبصر صورة الخضر ــ عليه السلام ــ فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة، وهي في

---

[1] المرجع السابق : ٢٣٩/٤ وترك التزوج عند النورسية معمول به (في حدود ضيقة) اقتداء بالنورسي. وهذا مما يخالف سنن المرسلين.

[2] مجموع الفتاوى : ٥٣٩/١١.

[3] انظر مختصر الفتاوى المصرية : ٣٠٦.

[4] مجموع الفتاوى ٢٨٩/١١.

[5] مسلم كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد (٢٩٢٥). وانظر لقول ابن عربي من أن الشيطان لا يزال يراقب حال المريدين المكاشفين فيخيل لهم أموراً لا حقيقة لها بغرض التلبيس عليهم. الفتوحات المكية ٦٢٢/٢-٦٢٣.

[6] انظر إحياء علوم الدين : ٢٦٨/٢.

مثل هذه الأحوال من الصفا يقع الاطلاع على ضمائر القلوب، وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس"[1].

وأهل الكشف عند النورسي في منزلة كبيرة فهو يذكر إجماعاتهم على المسائل الشرعية [2]، ويذكر عن صفاتهم أنهم أرق الناس وألطفهم طبعاً[3]، ويورد أقوال أهل الكشف في رسائل النور[4] .

وقد استفاد والنورسي الكشف من أستاذيه الغزالي وابن عربي. فهو يقول عن ابن عربي عند حديثه عن القرآن: "القبس الثاني: إخباره الغيبي عن المستقبل لهذا القسم أنواع كثيرة:

القسم الأول: خاص بقسم من أهل الكشف والولاية.

مثلاً: أن محي الدين ابن عربي وجد كثيراً من الأخبار من الغيب في سورة الروم (**الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ**) [الروم:١ – ٢][5]

وهذه هي النافذة التي ذكر أن النبي ﷺ فتحها، فبدأ ملايين من العلماء المحققين والأصفياء الصديقين أمثال: الإمام الغزالي والإمام الرباني ومحي الدين ابن عربي والشيخ الكيلاني ، وغيرهم يتطلعون من هذه النافذة المفتوحة، ويبينونها للآخرين[6].

وعن أهل الكشف يقول بانبساط الزمان لهم: "اعلم أن ما اشتهر من وقوع بسط الزمان وطيه لبعض الأولياء كما وقع للشعراني في مطالعته للفتوحات المكية، في يوم واحد مرتين ونصفاً، كما في آخر "اليواقيت والجواهر" لا ينبغي أن يستغرب فيستنكر، إذ فيما تراه له نظائر تقربه إلى الفهم؛ ألا ترى أنك ترى في الرؤيا كأن مر عليك سنة في ليلة بل في ساعة، ولو قرأت القرآن بدل ما جرى عليك، وما شاهدته من الأقاويل والأفاعيل لقرأت

---

[1] انظر إحياء علوم الدين : ٢٦٩/٢.

[2] انظر الكلمات /٢٠٣، ٤٦٠.

[3] انظر الكلمات : /٨١٨.

[4] انظر الشعاعات : ٢١١.

[5] انظر الكلمات : ٤٦٩.

[6] الكلمات: ٨٣٢ .

ختمات في تلك الساعة، ففي انكشاف هذه الحالة لأهل الكشف في اليقظة ينبسط الزمان ، ويطول العمر ، ويتقرب إلى دائرة الروح التي لا يقيدها الزمان"[1].

بل إن أهل الكشف عنده يشاهدون طبقات الأرض السبع، ويعلمون أين طبقة العفاريت من طبقات الأرض: "لقد ذكر في المكتوب الثامن مثالاً حول تصويرات خارجة عن نطاق العقل بينها أهل الكشف فيما يخص عجائب طبقات الأرض، وخلاصته:

إن كرة الأرض بذرة في عالم الشهادة، بينما هي كشجرة ضخمة تضارع عظمتها السموات في عالم المثال والبرزخ، فمشاهدة أهل الكشف لطبقة الأرض الخاصة بالعفاريت في كرة الأرض بمسافة ألف سنة ليست مشاهدتهم لها في بذرة الأرض التي تخص عالم الشهادة ، بل هي تظاهر لطبقات الأرض وفروعها الممتدة في عالم المثال"[2].

ويرى النورسي أن أهل الكشف ذوو اهتمامات مختلفة، فمنهم طائفة سماها أهل كشف القبور، فعند حديثه عن بقاء الروح يقول: "فاللقاءات التي بينها ــ أي الأرواح ــ وبين ما لا يعدون من أهل الكشف والشهود، ورؤية أهل كشف القبور لهم، وعلاقة عامة الناس وارتباطهم معهم في الرؤى الصادقة ومحاورات قسم من العوام معهم، كل ذلك جعل الروح وبقاءها ــ لكثرة التواتر ــ من المفاهيم المتعارفة للبشرية"[3].

وما يكون في القبر لا يعلمه إلا الله تعالى فلا نقبل الادعاء بأن أهل الكشف يعلمون أحوال الموتى بعد موتهم بما يسمى كشف أهل القبور. والنورسي يعترف أن كتب أهل الحقيقة ــ أي المتصوفة ــ لا تعتمد على الكتاب والسنة وإجماع الأمة في تقرير اعتقادها ومسائل وأحكام دينها، بل إن "أهل الحقيقة والتصوف قد أوضحوا تلك المعرفة الإيمانية من جهة أخرى وبشكل آخر في مئات من كتبهم المستندة إلى الكشف والذوق"[4]. ولا غرو فهذا شيخه جلال الدين الرومي يشبه العلوم الشرعية الاستدلالية، وعلماءها بمن يمشي على ساق خشبية واهية[5]. لذا فالنورسي يوصي طلابه ومريديه بالاستفادة من الكشف في أمور

---

[1] المثنوي العربي النوري : ٣٢٤. انظر أسئلة العصر المحيرة:١٤ فتح الله كولن

[2] اللمعات : ١٠٣.

[3] الكلمات : ٦٠٩.

[4] الملاحق : ٢٧٨.

[5] انظر المثنوي الرومي: الأبيات ٢١٢٥ – ٢١٣٦.

منها الاطلاع على ما سماه "عالم المثال" يقول: "إن عالم المثال برزخ بين عالمي الشهادة والغيب فهو يشبه الأول صورة والآخر معنى ، وهذا المفهوم يحل ذلك المعمى واللغز.

فمن شاء أن يطلع قليلاً على هذا العالم ـــ عالم المثال ـــ فله أن ينظر إليه بنافذة الكشف الصادق، أو بمنفذ الرؤيا الصادقة، أو بمنظار المواد الشفافة أو على الأقل بشاشة الخيال الخلفية. فهناك دلائل كثيرة جداً على وجود هذا العالم، عالم المثال، وتجسم المعاني فيه"[١].

وفي واقع الحال يخبر أصحاب الكشف (المزعومون) هؤلاء عن أمور غيبية لا تقع فماذا يكون رد النورسي على ذلك. يقول: "سألوني: كيف يخبر أمثال هؤلاء من أهل الولاية والكشف عما هو خلاف الواقع ؟

وخلاصة ما أجبتهم مباشرة ، وهو من سوائح القلب، هي:

لقد ورد في الحديث الشريف ما معناه: إن البلاء يترل وتقابله الصدقة فترده[٢].

يتبين من هذا الحديث الشريف أن المقدرات عندما تأتي من الغيب للوقوع، تأتي مرتبطة ببعض الشروط. فتتأخر عن الوقوع بتأخر الشروط. فتتأخر أيضاً المقدرات التي اطلع عليها الأولياء من أصحاب الكشف إذ ليست مقدرات مطلقة. بل مقيدة ببعض الشروط، فلعدم حدوث تلك الشروط لا تقع تلك الحادثة. إذ تلك الحادثة كالأجل المعلق، قد كتبت في لوح المحو والإثبات، الذي هو نوع من أنواع سجل اللوح الأزلي، فالكشف قلما يرقى إلى اللوح الأزلي، بل لا يستطيع معظم الكشوف الرقي إلى هناك. فبناء على هذا:

إن الأخبار التي أُخبرت عنها في شهر رمضان الفائت وعيد الأضحى وفي أوقات أخرى ، وبناء على الاستنباط أو بنوع من الكشفيات، لم تجد شروطها المعلقة بها، لذا لم تأت إلى ميدان الواقع. فالمخبرون عنها لا يكُذَّبون، لأن تلك الحوادث كانت مقدرة، إلا أنها لا تقع إلا بمجيء شروطها، وإذا لم تأت الشروط فلا تقع الحادثة"[٣].

---

[1] صيقل الاسلام : ٧٧.

[2] لعله أراد الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنهما النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن البلاء ليترل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة "حديث حسن أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٦٩/١. وحديث" لا يرد القضاء إلا الدعاء". قال الترمذي : حسن غريب.

[3] اللمعات : ١٥٧.

ومن هذا الجواب يتبين لنا أن النورسي يعتقد في هؤلاء المكاشفين ما لا يجوز اعتقاده. فكيف لأهل الكشف الاطلاع على لوح المحو والإثبات ــ كما يسميه ــ (**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) [البقرة: من الآية١١١]. وحتى لا تضعف ثقة الناس في هؤلاء يقول النورسي إن تلك الأمور التي أخبروا عنها كانت مقدرة. وهذا بلا شك تقول على الله بلا علم إذ لا يعلم الغيب إلا الله. والناس إذا سألوا أهل الكشف، عن الحوادث المستقبلة إنما يسألونهم عن وقوعها، من عدمه ولا يسألون عن الحوادث المرتبطة بشروط أو غير ذلك. لأن الناس لا يملكون هذا التفلسف على الأمور. وبناء على جواب النورسي يستطيع أي إنسان أن يدعي علم الغيب فيقول ما يوحي إليه الشيطان، ثم إذا لم يقع، فله أن يقول: إن ما قلته مرتبط بشروط، وحيث إن تلك الشروط لم تكن إذاً فلا تقع الحادثة.

وأهل الكشف عند النورسي اطلعوا في كشفياتهم على سعيد النورسي ورسائله فهو ينقل عن الإمام الرباني أحمد الفاروقي قوله: "لقد قال بعض العظماء في السابق: إنه سيأتي أحد من المتكلمين ومن علماء علم الكلام وسيثبت بدلائل عقلية إثباتاً واضحاً جميع الحقائق الإيمانية والإسلامية. ويا ليتني أنا ذلك الشخص، بل ربما هو أنا". يعلق النورسي على ذلك بقوله: "لقد أثبت الزمن أن ذلك الشخص ليس شخصاً ولا رجلاً إنما هو "رسائل النور" وربما شاهد أهل الكشف في كشفياتهم "رسائل النور" في شخص مترجمها ــ يعني نفسه ــ ومبلغها الذي لا قيمة له ولا أهمية، فقالوا: إنه شخص"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "طريق الصوفية لا ينهض بانكشاف جميع ما جاء به الرسول ﷺ بل ولا بأكثره بل عامة ما يخبر به الرسول ﷺ لا يمكن أبو بكر وعمر فضلاً عن غيرهما أن يعلموه بدون خبره وإن كان عند المخبرين علم بمجمل ذلك أو أصله لكن ما يخبر به من التفصيل لا يعلم بدون خبره أصلاً وما يوجد في كلام أبي حامد وغيره من أن الكشف يحصل ذلك وقول القائل أن الأولياء شاهدوا الحق في جميع ما ورد به الشرع ليس بسديد بل لا يزال الأولياء مع الأنبياء في إيمان بالغيب، ولا يتصور أن الولي يعطي ما أعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة، وأفضل الأولياء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم"[2].

---

[1] انظر الشعاعات : ٢١١.

[2] العقيدة الأصفهانية : ١/١٥٨.

ويقول عن الصوفية أن أكثر معانيهم فاسدة "وما يذكرونه من الأقيسة العقلية على ثبوتها أقيسة ضعيفة بل فاسدة، وقد اعترف أساطين الفلسفة بأنها لا تفضي إلى اليقين. وكل منهم يعبر عن المعاني الفلسفية بعبارات إسلامية، ومنهم من لا يبين لأكثر الناس أن مراده ذلك، ومنهم من يزعم أن تلك المعاني حصلت له بطريق الكشف والمشاهدة كما يزعمه صاحب الفتوحات المكية وأشباهه"[1].

ويقول إن الكشف قد يناقض العقل عند من يقول به: " لكن هؤلاء يقولون لمن تبعهم إن لم تترك العقل والنقل لم يحصل لك التحقيق والتجلي الذي حصل لنا. ويقولون: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل"[2]. وليس الكشف الصادق مما يختص به المسلم بل قد يُعطى الكافر شيء من هذا وهو من متاع الحياة[3]. وعموم الكشفيات والمشاهدات هي خيالات[4].

---

[1] بغية المرتاد : ٢١٩.

[2] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٠٩/٤ انظر مجموع الفتاوى ٢٧٦/١١ .

[3] انظر مجموع الفتاوى ٤٩٨/١١.

[4] انظر الرد على المنطقيين ٤٨٩/١.

ثانياً: الإلهـــام :

الإلهام: لغة هو ما يلقى في الروح، أو ما يلقيه، الله في النفس من الأمور التي تبعـث على الفعل أو الترك[1].

والإلهام في الاصطلاح هو : إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر، ويطمئن، ويسكن من غير استدلال بآية أو نظر في حجة ، يخص الله بها بعض أصفيائه[2].

وعن الفرق بين الوحي والإلهام والعلم اللدني يقول الغزالي بعدم الفرق بـين الإلهـام الذي يلقي في قلب العبد والوحي الذي يترل به الملك على قلـب الـنبي إلا في مـشاهدة السبب. فالنبي يشاهد السبب وهو الملك. أما الولي عند الإلهام فإنه لا يشاهد ذلك الـسبب يقول: "لم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك الملقي للعلم، فـإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة"[3].

ويقول ابن عربي عن الفرق بين العلم اللدني والإلهام: "الإلهام ما يُلْهَمُه العبد من الأمور التي لم يكن يعرفها قبل ذلك. والعلم اللدني الذي يكون في أصل الخلقه، هو العلـم الـذي تنتجه الأعمال فيرحم الله به عباده بأن يوفقه لعمل صالح، فيعمل به، فيورثه الله من ذلـك علماً من لدنه لم يكن يعلمه قبل ذلك ولا يلزم من العلم اللدني أن يكون في مادة، والإلهام لا يكون إلا في مواد. والعلم يصيب ولا يخطيء، والإلهام قد يصيب وقد يخطئ"[4].

وشيخ الإسلام ابن القيم يجعل العلم اللدني والإلهام شيئاً واحداً يقول: "العلم اللدني هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سبب من العبد، ولا استدلال، ولهذا سمي لدنياً"[5].

فالإلهام هو من طرق الوصول إلى الحقائق. لكن بشرط أن لا يعارض أصلاً شرعياً أو إجماعاً فإن عارض الإلهام نصاً شرعياً أو عمل المسلمين. فإنه لا يعمل به لكونه إلهاماً مـن الشيطان لا من الرحمن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الذين أنكروا كون الإلهام ليس طريقاً إلى الحقائق مطلقاً أخطأوا . فإذا اجتهد العبد في طاعة الله وتقواه كان ترجيحه لمـا رجـح

---

[1] انظر: لسان العرب : ١٢/٥.

[2] انظر: التعريفات للجرجاني : ٣٤.

[3] احياء علوم الدين : ١٩/٣.

[4] الفتوحات المكية : ٢٨٧/١.

[5] انظر مدارج السالكين : ٤٣١/٣.

أقوى من أدلة كثيرة ضعيفة، فإلهام مثل هذا دليل في حقه، وهو أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة والموهومة، والظواهر والاستصحابات الكثيرة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف، وأصول الفقه"[1]. ويجب أن لا نغفل عن أن الإلهام يكون في أمور ليست فيها مرجح واضح، وهي مثل التي يحتاج فيها الإنسان غالباً إلى استخارة الله تعالى في تقدير ما هو أنفع له في الدنيا والآخرة وتحتاج إلى أخذ مشورة أهل العلم والدين. أما أن نعول على الإلهامات التي نفذت في القلب في مسائل الأحكام مثلاً فإن هذا لا يصح، لأن لها طريقاً شرعياً من الكتاب والسنة، أما أن يُسير الناس في حياتهم على مقتضى الإلهام،فإن هذا خلاف الصحيح، وقد غلت بعض الطوائف في الإلهام بل ادعت أن ما يحصل لهم من الإلهام أفضل مما حصل لموسى بن عمران وهذا من أعظم الكفر[2]. ويذكر شيخ الإسلام أن الغزالي في " مشكاة الأنوار" يجوز لأهل الصفا والرياضة أن يسمعوا مثل ما سمع موسى من كلام الله تعالى. ثم يقول: "فيجعلون الإيحاء والإلهام الذي يحصل في اليقظة والمنام، مثل سماع موسى كلام الله سواء لا فرق بينهما، إلا أن موسى قصد بذلك الخطاب وغيره سمع ما خوطب به غيره"[3].

وهذه نصيحة وتحذير من شيخ الإسلام ممن يغلون في الإلهام والكشف: "كل من كان من أهل الإلهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر، فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ لا يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لما ورد عليه. وهؤلاء الذين أخطأوا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم. وظنوا أن ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول.

وصار أحدهم يقول: أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. فيقال له: أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو حق، ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك إما من المشركين، وإما من اليهود والنصارى، وأما ما ورد عليك فمن أين لك أنه وحي من الله ؟ ومن أين لك أنه ليس من وحي الشيطان ؟

---

[1] مجموع الفتاوى: ٤٢/٢٠.

[2] انظر مجموع الفتاوى ٥١٥/١٢. وانظر : ٤٧٧/٦، ذكر ابن حزم أن الشيعة إذا سئلوا عن حجتهم قالوا حجتنا الإلهام وقد عيرهم بذلك انظر الفصل في الملل: ١٣٩/٤.

[3] المصدر السابق : ١٨٠/٦.

والوحي وحيان: وحي من الرحمن، ووحي من الشيطان. قال تعالى: (**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ**) [الأنعام: من الآية١٢١]، فهؤلاء يحتاجون إلى الفرقان الإيماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم"[١].

النورسي يذكر ماهية الإلهام فيقول: "ثم نظر إلى ماهية الإلهام يستبطن سره ويتعرف على حكمته وشهادته فرأى أن حكمته وماهيته ونتيجته تتركب في أربعة أنوار:

النور الأول: أنه مثلما يتودد الله سبحانه إلى مخلوقاته عن طريق أفعاله فيهم الذي يعرف "بالتودد الإلهي[٢]" فإن من مقتضيات الودودية والرحمانية (أي كونه ودوداً ورحمان) أن يتحبب إليهم ويتودد قولاً وحضوراً وصحبة أيضاً.

النور الثاني: أنه مثلما يستجيب سبحانه دعاء عباده بأفعاله، فإن من شأن الرحيمية إجابته لهم قولاً أيضاً من وراء الحجب.

النور الثالث: أنه مثلما يمد سبحانه بالأفعال استمداد مخلوقاته المصابين بالبلايا العسيرة والنوائب الشديدة واستغاثتهم وتضرعهم فإن من لازم الربوبية أن يؤنسهم ويبدد وحشتهم فيمدهم بأقوال الهامية هي في حكم نوع من كلامه.

النور الرابع: أنه مثلما يُشعر سبحانه فعلاً وجوده وحضوره وحمايته لأرباب الشعور من خلقه ــ الذين هم في عجز وضعف شديدين ، وفي فقر واضطرار كبيرين وفي أشد الحاجة والشوق لمعرفة مالكهم وحاميهم ومدبرهم وحفيظهم ــ فإنه من مقتضى رأفة الألوهية ورحمة الربانية، وضرورة لازمة لهما، أن يُشعر كذلك حضوره ومعيته ووجوده، لمخلوق معين، بوجه خاص، حسب قابليته، بوساطة قسم من الإلهامات الصادقة، قولاً إلى هاتف قلبه، مما يعد في حكم نوع من المكالمة الربانية"[٣].

وقد وافق النورسي الألوسي في قول إن الالهام له ملائكة: فهو يقول "أن مجاورة ملائكة الإلهام للشيطان حول القلب لا بأس فيها"[٤].

---

[١] مجموع الفتاوى : ١٣/٧٤-٧٥.

[٢] من صفات الله عز وجل أنه ودود. والود والمودة : الحب والمحبة قال تعالى: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هود:٩٠]. وقال عز وجل : (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) [البروج:١٤]

[٣] الشعاعات : ١٦٤-١٦٥.

[٤] الكلمات : ٣٠٥، ٤٥٤، انظر لكلام الألوسي عن ملائكة الإلهام في روح المعاني ١٥٣/٣.

ومع أنه يقول إن الإلهام نوع من الحدس المضاعف[1]. إلا أنه لم يفرق في الإلهام بين ما يكون إلهام الله لعباده المؤمنين أو إلهام الحيوانات. إذ هي بمترلة واحدة. فجميع أنواع الإلهام للملائكة والناس حتى الحيوانات نوع من الكلام الإلهي"[2].

ويفرق النورسي بين الإلهام والوحي بالآتي:

١. أن معظم الوحي الذي هو أسمى وأعلى من الإلهام بكثير إنما يتم بوساطة الملائكة، بينما أغلب الإلهام يتم دون وساطة.

٢. أن الوحي صاف، ودون ظل، خاص للخواص، أما الإلهام ففيه ظل واختلاط ألوان، وهو عام وله أشكال متنوعة ومتفاوتة جداً، كإلهامات الملائكة، وإلهامات الإنسان، والهامات الحيوانات[3].

ـ في الفرق الأول يقال أن الإلهام مطلقاً دون وساطة الملك. لا يستثنى من ذلك الهام ولي ولا شيخ ولا قطب. لأنه لو خرج عن ذلك لكان وحياً يترل به على نبي من أنبياء الله تعالى. والوحي بعد محمد ﷺ انقطع. فلم تبق إلا المبشرات.

ـ وفي الفرق الثاني يقول إن الوحي صاف دون ظل، خاص للخواص، فماذا يقصد بالخواص هل هم خواص الأولياء ، ـ والعياذ بالله ـ أو يقصد الأنبياء فإن كان هذا مقصده فيجب أن لا نصف أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام بما لم يرد في الكتاب والسنة منعاً للخطأ والالتباس.

ومعرفة الله تعالى عند النورسي لها طرق وهي:

أولها: منهج الصوفية المؤسس على تزكية النفس والسلوك الاشراقي .

ثانيها: منهج علماء الكلام المبني على الحدوث والامكان في إثبات واجب الوجود.

ثم قال عن هذين الأصلين أنها قد تشعبا من القرآن الكريم. ولكنهما لم يبقيا مصانين من الأوهام والشكوك[4]. ثم ذكر الأصل الثالث وهو مسلك الفلاسفة.

---

[1] انظر المثنوي العربي النوري : ٤٣١.

[2] اللمعات: ٤٢١. انظر أسئلة العصر المحيرة :١٨ فتح الله كولن

[3] انظر الشعاعات : ١٦٣-١٦٤.

[4] انظر المثنوي العربي النوري : ٤٢٨.

وأخيراً رابعها، وأولاها طريق القرآن الكريم. ولبلوغ هذا الأصل ذكر أربع وسائل وهي: الإلهام والتعليم والتزكية والتدبر[1].

مما سبق يقال إن التعليم أدلته كثيرة : منها قوله تعالى : (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) [محمد: من الآية١٩].

وقوله تعالى: (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**) [الزمر: من الآية٩].

والتزكية دليلها قوله تعالى: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**) [الشمس:٩] ، وقوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ**) [الجمعة: من الآية٢].

ودليل التدبر قوله تعالى: (**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**) [محمد:٢٤].

أما الإلهام فلا أعلم له دليلاً. وكيف يكون وسيلة وهو من الله تعالى. والتعليم والتزكية والتدبر. كلها أمور كسبية، يستطيعها الإنسان وهي داخلة في طاقته ووسعه، أما الإلهام "الرحماني" فإنه وارد على قلب العبد. لا يستطيع العبد له طلباً ولا دفعاً. بل هو من ألطاف الله سبحانه على عباده. فالعبد لا يؤمر بما لا استطاعة له في فيه. ثم إن الإلهام من ثمرات الطاعة والتقوى. كما قال تعالى: (**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**) [البقرة: من الآية٢٨٢] فهو من ثمرات التعليم والتزكية، والتدبر، وهو من كرامات أولياء الله الصالحين.

[1] انظر: المرجع السابق والصفحة.

المبحث الثالث: الرؤيا.

الرؤيا

الرؤيا كانت من دوافع النورسي القوية في الدعوة، وذلك من الصغر، حيث ذكر أنه ظل مدة في نورشين ثم انتقل إلى خيزان ثم ترك الحياة الدراسية وعاد إلى كنف والديه في قرية نورس، وظل بها حتى اخضر الربيع.

وفي هذه الأثناء رأى فيما يرى النائم: أن القيامة قد قامت، والكائنات بعثت من جديد، ففكر كيف يتمكن من زيارة الرسول الأعظم ﷺ ، ثم تذكر أن عليه الانتظار في بداية الصراط الذي يمر عليه كل فرد، فأسرع إليه ... وهكذا مر به جميع الأنبياء والرسل الكرام فزارهم واحداً واحداً وقبّل أيديهم وعندما حظي بزيارة الرسول الأعظم ﷺ هوى على يديه فقبلهما ثم طلب منه العلم، فبشره الرسول ﷺ : "سيوهب لك علم القرآن ما لم تسأل أحداً[1].

ويحدث النورسي أن "الرؤيا ظل عالم المثال، وعالم المثال ظل عالم البرزخ، ومن هنا تتشابه دساتير هذه العوالم"[2] فهو يعتقد بهذا العالم المثالي الذي تتراءى لنا صوره من خلال نوافذ عدة إحداها الرؤيا المنامية. يقول عن العالم المثالي وقطعية وجوده: "أنا العالم المثالي قد برهن عليه من موقعه، حتى أن وجوده قطعي عند المحققين الإلهيين، وخاصةُ ذلك العالم تحويل المعاني أجساماً والعراض جواهر والمتغيرات ثابتة"[3] ولكن كيف السبيل إلى معرفة هذا العالم وما يحويه، يقول: "العيون الناظرة من عالم الشهادة إليه، الرؤيا الصادقة والكشف الصادق والأجسام الشفافة فإنها تلوح بوجوده، ثم أن عالم البرزخ أثبت حقيقة من عالم المثال الذي هو تمثاله، وظل هذا العالم عالم الرؤيا، وظل هذا عالم الخيال"[4] ويضرب مثالاً لذلك "تأمل في شخص نام عندك وهو ساكن وساكت مع أنه في عالمه يقاتل ويضارب فيصير مجروحاً أو تلدغه الحية فيتألم. ولو أمكن لك أن تدخل رؤياه وتقول له: يا هذا ! لا تعجز ولا تغضب فإن هذا ليس حقيقة وحلفت له ألف يمين لما يصدقك، ويقول لك: هذا

[1] انظر السيرة الذاتية: ٤٥.

[2] الكلمات: ٨٦١.

[3] إشارات الإعجاز: ٢١٨.

[4] ن . م

ألمي يوجعني وهذا جرحي ! أما ترى هذا وبيده السيف، وأما ترى الحية تهجم علي، إذ تجسم معنى وجع الكتف أو نزله الرأس في صورة سيف جارح، إذ النتيجة واحدة، أو تصور معنى الخيانة الموجعة لقلبه في لباس الحية إذ الألم واحد، فيا هذا ! إذ ترى ذاك في ظل عالم المثال أفلا تصدقه في عالم البرزخ الذي هو أثبت حقيقة بدرجات وأبعد منا"[1].

والقول أن الرؤيا المنامية هي مرآة لعالم يسمى بعالم المثال كثير عند المتصوفة، يقول النورسي: "ذهب بعض أصحاب المكاشفات وأرباب المشاهدات من الحكماء المتألهين والصوفية المنكرين لارتسام الصور في الخيال إلى أن الرؤيا مشاهدة النفس صوراً خيالية موجودة في عالم المثال الذي هو برزخ بين عالم المجردات اللطيفة المسمى عندهم بعالم الملكوت وبين عالم الموجودات العينية الكثيفة المسمى بعالم الملك.

وقالوا فيه موجودات متشخصة مطابقة لما في الخارج من الجزئيات مثلي لها قائمة بنفسها مناسبة لما في العالمين المذكورين إما عالم الملك فلأنها صور جسمانية شبحية وإما عالم الملكوت فلأنها معلقة غير متعلقة بمكان وجهة كالمجردات حتى أنه يرى صوراً مثالية لشخص واحد في مرايا متعددة بل في مواضع متكثرة، كما يرى بعض الأولياء في زمان واحد في أماكن متعددة"[2].

ويقول أبو السعود في تفسير قول الله تعالى:(**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ**)[يوسف:من الآية٦] "يختارك لجناب كبريائه ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسب ما عاينته من غير قصور. والمراد بالتشبيه بيان المضاف. المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صوراً وأشباحاً له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة"[3]. "فالصور فيه أثبتت عالماً متوسطاً بين عالم الأجسام وعالم الأرواح سموه عالم المثال، وقالوا إنه ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في

---

[1] ن . م انظر صيقل الإسلام: ٧٧، ٣٣٧.

[2] روح المعاني: ١٢/١٠، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي. دار إحياء التراث العربي –بيروت

[3] تفسير أبي السعود: ٢٥٣/٤. أبي السعود محمد بن محمد العمادي. نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت

صور مختلفة من عالم المثال"[1]، ونسب الشيخ علي سلطان القارئ القول بعالم المثال إلى ابن عربي[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرؤيا: "الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، ورؤيا من حديث النفس، ورؤيا من الشيطان"[3] فكذلك ما يلقى في نفس الإنسان في حال يقظته ثلاثة أقسام، ولهذا كانت الأحوال ثلاثة رحماني ونفساني وشيطاني، وما يحصل من نوع المكاشفة والتصرف ثلاثة أصناف مَلَكي، ونفسي، وشيطاني. فإن الملك له قوة، والشيطان له قوة، فما كان من الملك وقلب المؤمن فهو حق، وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل. وقد اشتبه هذا بهذا على طوائف كثيرة، فلم يفرقوا بين أولياء الله وأعداء الله، بل صاروا يظنون فيمن هو من جنس المشركين والكفار أنه من أولياء الله المتقين"[4]. فما يقع للإنسان في منامه من رؤى ومنامات فإن أصلها ما سبق ذكره، ولا يصح الاعتقاد بأن هناك عالماً مستقلاً عن عالم الإنس أو عالم الغيب من الجن والملائكة. وهذا أمر يحتاج في تقريره إلى نص. فالمسائل الاعتقادية مبنية على الوحي. وأما ما يقع من موافقة بين الرؤيا والواقع فإن هذا ليس خاصاً بالنائم يقول شيخ الإسلام: "رؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق، وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضاً من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام: فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم، وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا. وربما غلب أحدهم ما يشهد قلبه وتجمعه حواسه فيظن أنه رأى ذلك بعيني رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه منام وربما علم في المنام أنه منام"[5] فالرؤيا تحتاج إلى تعبير لأنها "بمترلة الاستعارة والأمثال المضروبة"[6].

---

[1] فيض القدير: ٣/١٦٩. انظر حاشية العطار على جمع الجوامع ٢/٤٥٢، وقد توسع الدهلوي في كتابه "حجة الله البالغة" في وصف ذلك في مواضع كثيرة من كتابه: [دار الكتب الحديثة – مكتبة المثنى – القاهرة ت. سيد سابق]

[2] انظر الرد على القائلين بوحدة الوجود: ١/٨٠ [علي سلطان القاري – دار المأمون للتراث – ط١ ت علي رضا عبد الله – دمشق – ١٤١٥]

[3] أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة: البخاري كتاب: الرؤيا، باب: التعبير (٦٦١٤)، ومسلم (٢٢٦٣).

[4] مجموع الفتاوى: ١٠/ ٦١٢.

[5] مجموع الفتاوى: ٣/ ٣٩٠.

[6] انظر مجموع الفتاوى: ١١/ ٦٣٧.

أما عن الأجسام الشفافة والمرايا التي هي عند النورسي من النوافذ المطلة على عالم المثال فيقول شيخ الإسلام عن ذلك: "إذا قال القائل رأيت الشمس في المرآة أو في الماء فالعقلاء متفقون على الفرق بين هذه الرؤية وبين رؤية ذلك بلا واسطة... وهذه الرؤيا في الماء حقيقة مقيدة. وكذلك حديث "من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي" هو كما قال ﷺ رآه في المنام حقاً. فمن قال ما رآه أخطأ، ومن قال إن رؤيته باليقظة بلا واسطة كالرؤية بالواسطة المقيدة بالنوم فقد أخطأ. ولهذا يكون لهذه تأويل وتعبير غير تلك. وكذلك ما سمعه منه من الكلام في المنام هو سماع منه في المنام، وليس هذا كالسماع منه في اليقظة"[1].

وعن نافذة المكاشفة التي يَطُل عليها الصوفي إلى عالم المثال – كما يزعمون – يقول شيخ الإسلام: "يقع في المكاشفات من الصواب والخطأ نظير ما يقع في الرؤيا وتأويلها، والرأي والرواية ليس شيئاً معصوماً على الإطلاق إلا ما ثبت عن الرسول؛ ولهذا يجب رد جميع الأمور إلى ما بعث به"[2].

ويرى النورسي أن الرؤيا نوع من الحس المسبق فيقول: "إن الحس المسبق موجود كلياً أو جزئياً في كل شخص، بل حتى في الحيوانات. وإن قسماً مهماً من الرؤيا الصادقة نوع من هذا الحس المسبق، ويرتقي عند بعضهم – من حيث قوة حساسيته – إلى درجة الكرامة. وإن إحساسي بمجيء المطر قبل أربع وعشرين ساعة بما في أعصابي من إحساس بالرطوبة يمكن أن يعد من جهة إحساساً مسبقاً ومن جهة أخرى لا يعد"[3].

ومعلوم أن الحس المسبق أو الحدس راجع إلى قياس التمثيل. وأما ما يسمع ويرى في نفسه فهو من جنس الرؤيا. وهذا القدر يحصل مثله لعوام الناس، بل وكفارهم فضلاً عن أولياء الله وأنبيائه، فهو نوع من العطاء الرباني للمخلوق.

ويبقى الكلام في درجة هذا الحس المسبق أو الحدس، فلا شك أن الحدس هو أمر غير مقطوع به في الوقوع والدلالة[4] والتعبير، ولا يقطع إلا بنصوص الوحي، وقد ذكر شيخ الإسلام تنازع المتكلمين في الحدس هل يفيد اليقين أم لا ؟[1]

---

[1] مجموع الفتاوى: ١٢/ ٢٧٨.

[2] مجموع الفتاوى: ١١/ ٤٢٩. هذا القول على اعتبار صحة المكاشفة في نفسها.

[3] الملاحق: ٢٥٥.

[4] انظر حاشية ابن عابدين: ٧/ ٦١

ويذكر النورسي تعبيره لرؤيا رآها فيقول: "تشرفت برؤيا الرسول الكـــريم ﷺ في المنام. كنت في حظوة مجلسه الجليل في مدرسة دينية، سيعلمني من القرآن درساً. فعندما أتوا بالمصحف الشريف قام الرسول الكريم ﷺ احتراماً للقرآن، فخطر لي آنئذ أن هذا إرشاد للأمة لتوقير القرآن الكريم وإجلاله"[2]، وفي رؤيا بعث بها أحد طلابه من مدينة ديار بكـــر يكتب فيها ما رآه أحد الأخوة هناك من رؤيا صالحة.

"فقد رأى فيما يرى النائم أم مجلساً يحضره الرسول ﷺ ومعه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم والشيخ عبد القادر الكيلاني – قدس الله سره – فيدخل عليهم جبريل عليه السلام ويقول لهـــم: إن طبع الرسائل ونشرها والقيام بخدمة القرآن على هذه الشاكلة المعنوية قد انتـــهى دوره حيث جاء دور الجهاد المادي.

قرأنا الرسالة على الأستاذ فطلب الأستاذ ورقاً وقلماً في الحال وأملـــى علينـــا هـــذا الجواب: "إن ما رأيتموه من رؤيا يا أخي هو رؤيا مباركة ولكنها تحتاج إلى تأويل وتعـــبير وتفسير. فالجهاد المادي في الرؤيا هو الجهاد المعنوي في سبيل خدمة الإيمان، لأن الظهـــور على الأعداء والغلبة عليهم لا يقتصر على الجهاد المادي، فرؤياكم إشارة إلى انتصار البراهين الإيمانية المعنوية الساطعة على الكفر المطلق، فإياكم والتأويل (المادي) والظن بأن الجهاد هو جهاد مادي فحسب، هذا فضلاً عن أنني لا أعمل بالرؤيا""[3].

ويلاحظ أن النورسي قد يرفض بعض الرؤى إذا كانت مخالفة لمشربه، كالجهاد المادي للأعداء، ولا ريب أن تعبير الرؤى من أصعب العلوم. فإن الخطأ يقع فيه كثيراً. يقول شيخ الإسلام في ذلك: "معلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذي يخـــبر به، فإن دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدي لها جمهور الناس"[4].

ثم إن الرسول ﷺ لا يقول ولا يفعل في الرؤيا ما يخالف فيه الواقع، وهو قيامه ﷺ للقرآن تعظيماً. فإنه لم يثبت ذلك عنه ﷺ يقظة، فلا نقبله مناماً.

---

[1] الرد على المنطقيين: ١/ ١٠٨.

[2] صيقل الإسلام: ٣٥٠.

[3] سيرة ذاتية: ٥٢٨- ٥٢٩.

[4] مجموع الفتاوى: ١٧/ ٤٠٣.

المبحث الرابع: رؤية النبي ﷺ بعد موته يقظة في الدنيا.

رؤية النبي ﷺ بعد موته يقظة في الدنيا

من مقتضيات الولاية عند أغلب الصوفية رؤية النبي ﷺ يقظة في الدنيا والأخذ عنه ﷺ أحكاماً وعلوماً وفوائد يقول الغزالي: "حتى أنهم في يقظتهم، يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ..."[1] وقال أبو العباس المرسي[2]: "طريقنا هذا هداية وقد يجذب الله ـ تعالى ـ العبد إليه، فلا يجعل عليه منة لأستاذ، وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ ، فيكون آخذاً عنه، وكفى بهذا منةً"[3].

ويقول محمد العربي التجاني[4]: "رؤيته ﷺ بعين الرأس، في عالم الحس، وما يتبعها من الأخذ عنه، وسؤاله عما يعرض، ومشاورته في الأمور، ونحو ذلك كل ذلك ممكن عقلاً، ثابت نقلاً"[5].

والنورسي يصرح بأنه قد يصل الولي إلى مرتبة في الولاية تصل به إلى أن يلتقي مع النبيﷺ في الدنيا يقظة لا مناماً. ويعلل ذلك بأن هذا قد حصل لأولياء سابقين كالسيوطي وغيره، فعن درجة الصحابة وأنه لا يبلغها أحد سوى الصحابة يقول: "نرى أنه لا يستطيع أن يرقى أعظم ولي من أولياء الله الصالحين إلى مرتبة صحابي كريم للرسول الأعظم ﷺ ، بل حتى لو تشرف أولياء صالحون مراراً بصحبة النبي ﷺ في الصحوة كجلال الدين السيوطي، مثلاً، وأكرموا بلقائه يقظة في هذا العالم، فلا يبلغون أيضاً درجة الصحابي لأن صحبة الصحابة الكرام للنبي ﷺ كانت بنور النبوة، إذ كانوا يصحبونه في حالة كونه نبياً رسولاً. أما الأولياء الصالحون فإن رؤيتهم له ﷺ إنما هي بعد وفاته، أي بعد انقطاع

---

[1] انظر المنقذ من الضلال : ١٤٠.

[2] هو أحمد بن عمر المرسي ، أبو العباس ، شهاب الدين ، فقيه متصوف، من تلاميذ أبي الحسن الشاذلي وهو من أهل الاسكندرية ، ولأهلها فيه اعتقاد كبير إلى اليوم أصله من مرسيه من الأندلس ت ٦٨٦هـ. انظر الاعلام ١/١٨٦.

[3] انظر طبقات الشعراني: ١٣/٢.

[4] هو محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقي ، العمري ، أبو حامد ، نزيل الرباط وأديبه في عصره ، كان من خلفاء الطريقة الصوفية التجانية . متفقهاً عارفاً بالحديث . مات سنة ١٣٠٩ بالرباط انظر الاعلام : ٦/٢٦٥.

[5] بغية المستفيد لشرح منية المريد : ٢١١ .

الوحي، فهي صحبة بنور الولاية، أي أن تمثل الرسول ﷺ وظهوره لنظرهم إنما هو من حيث الولاية الأحمدية، وليس باعتبار النبوة. فما دام الأمر هكذا، فلا بد أن تتفاوت الصحبتان بمقدار سمو درجة النبوة وعلوها على مرتبة الولاية"[1].

مما سبق يتضح أن النورسي يعتقد أن الأولياء قد يرون النبي ﷺ بعد وفاته، بل إنه يثبت لهؤلاء الأولياء صحبة ولكنها أقل درجة من صحبة الصحابة الكرام وهذا قول ظاهر البطلان، فضلاً عما فيه من تناقض.

والقول برؤية النبي ﷺ في حال الدنيا يقظة بعد موته- تعتبر من العقائد الخاطئة التي يجب أن يحذر منها، وينبه عليها . لكن الأمر يشتد جداً إذا تلقى ذلك الشخص الرائي ــ للصورة ــ أحكاماً من تلك الصورة التي تمثلت بشكل النبي ﷺ. إذ إن ذلك يعارض كمال الإسلام وتمامه. فإن وقع مثل ذلك فإن هذا مما يزيد اليقين أن تلك الصورة إنما هي لشيطان أراد أن يغوي الناس عن الدين. ثم إن ذلك الشيطان لا يستطيع أن يتمثل برسول الله ﷺ كما هو موصوف في كتب السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فرؤيا الأنبياء في المنام حق، أما رؤية الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته"[2]. ويقول: "إن من أعظم أسباب ضلال المشركين ما يرونه أو يسمعونه عند الأوثان، كإخبار عن غائب، ونحو ذلك، فإذا شاهد أحدهم القبر انشق، وخرج منه شيخ بهي عانقه، أو كلمه، وظن أن ذلك هو النبي المقبور، أو الشيخ المقبور، والقبر لم ينشق، وإنما الشيطان مثل له ذلك، كما يمثل لأحدهم، أن الحائط انشق، وأنه خرج منه صورة إنسان، ويكون هو الشيطان، تمثل له في صورة إنسان، وأراه أنه خرج من الحائط. ومن هؤلاء من يقول لذلك الشخص الذي رآه قد خرج من القبر: نحن لا نبقى في قبورنا، بل من حين يقبر أحدنا يخرج من قبره ويمشي بين الناس.

وأهل الضلال إما أن يكذبوا بها، وإما أن يظنوها من كرامات أولياء الله. ويظنون أن ذلك الشخص نفس النبي، أو الرجل الصالح، أو ملك على صورته، وربما قالوا هذه

---

[1] الكلمات : ٥٧٣ . وقد كتب السيوطي مؤلفاً في ذلك أسماه بــ " تنوير الملك في جواز رؤية النبي والملك" حتى إن المصنفين بعد السيوطي اعتمدوا على هذا الكتاب عند الحديث عن مثل هذا الموضوع.

[2] الجواب الصحيح ٣٢٦/٢.

روحانيته، أو رقيقته، أو سره، أو مثاله، أو روحه تجسدت، حتى قد يكون من يرى ذلك الشخص في مكانين، فيظن أن الجسم الواحد يكون في الساعة الواحدة في مكانين ، ولا يعلم أن ذلك حين تصور بصورته، ليس هو ذلك الإنسي"[1].

ولا يوجب اعتقاد ذلك ـ أي مجرد اعتقاد رؤية النبي يقظة في الدنيا ـ كفراً إلا إذا أصبح الإنسان يستمد الدين من هذه الصورة فيأتي بأحكام تخالف الإسلام. ويعمل بها دون أحكام الإسلام في الكتاب والسنة. أما مجرد "اعتقاد كثير من مشايخ المسلمين أن النبي ﷺ جاءهم في اليقظة، فإنهم لا يكفرون بذلك"[2] فإن ذلك غلط يجب الرجوع عنه.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه الاعتقادات ظهرت ممن قل علمه بالتوحيد والسنة فأضله الشيطان[3].

وقال أيضاً عن الصحابة: "وكان أصحابه خير القرون، وهم أعلم الأمة بسنته، وأطوع الأمة لأمره، وكانوا إذا دخلوا إلى مسجده، لا يذهب أحد منهم إلى قبره، لا من داخل الحجرة، ولا من خارجها، ... وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره، لا يدخلون إليه، لسلام، ولا لصلاة عليه، ولا لسؤال عن حديث،أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم، حتى يسمعهم كلاماً، أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم، وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج، كما طمع الشيطان في غيرهم، فأضلهم عند قبره، وقبر غيره، حتى يظنوا أن صاحب القبر يحدثهم، ويفتيهم، ويأمرهم، وينهاهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر، ويرونه خارجاً من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم، وأن أرواح الميت تجسدت لهم فرأوها ..."[4].

---

[1] مجموع الفتاوى ١٧٧/١-١٧٨.

[2] مجموع الفتاوى ١٠٩/١٣.

[3] انظر مجموع الفتاوى : ٣٩٢/٧.

[4] مجموع الفتاوى ٢٧-٣٨٧-٣٨٨.

الفصل الرابع :الفلسفة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : المعنى الظاهر والباطن عند النورسية.

المبحث الثاني : استدلالهم بأدلة الفلاسفة في إثبات الصانع.

المبحث الثالث : الفلسفة المشّائية.

مقدمة:

الفلسفة: كلمة مكونة من مقطعين: فيلا تعني أحب، وصوفي تعني الحكمة. أي محبة الحكمة[1]، فالفلسفة هي: دراسة المبادىء الأولى للوجود والفكر دراسة تنشد الحق وتهتدي بمنطق العقل فقط. لذلك فالفلسفة عند الفلاسفة لا تبدأ بمسلمات مهما كان مصدرها[2].

والفلسفة كانت تضم العلوم جميعها. ولكنها انفصلت تدريجياً عن الفلسفة حتى استقلت، وأصبح لكل علم ميدانه وطرقه ومفاهيمه، فالعلم يسلم بشيء يجعله نقطة ابتداء. كالرياضة إذ تبدأ من العدد، والدين يستند إلى الإيمان بوصفه أنه الحق، ولكن الفلسفة لا تستند إلى شيء و إلا لخرجت عن كونها فلسفة. وقد أصبح عملها في هذه المرحلة ـــ التي فرغت فيها من محتواها العلمي ـــ تحليل هذه البدايات نفسها في العلم والدين إلى مبادئها الأولى. ولكن دون براهين ثابتة متفق عليها بين الفلاسفة. من ثم فقد انقسمت الفلسفة إلى مثالية ترد كل شيء إلى العقل، ومادية ترد كل شيء إلى المادة والحركة وهكذا. فإذا كان المسلم يرفض الفلسفة فإنه لا يرفض التفكير والعقل والسؤال والبحث، لأن هذه من مقتضيات دينه، بل يرفض الخرافة والقول بلا برهان أو دليل، ويحث على البحث المثمر في العلوم والمخترعات وغيرها من فروع العلم الذي أعلى الله من شأنه ونزلت أول آية في القرآن الكريم تحض عليه ويروى: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[3].

موقف النورسي من الفلسفة :

بعد التنظيمات بدأت مختلف التيارات الفلسفية الغربية بالظهور على المستوى الثقافي والسياسي والأدبي بشكل تدريجي ومطرد، ومن تلك التيارات التي نفذت إلى الدولة

---

1 انظر المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا ١٦٠/٢. الشركة العالمية للكتاب بيروت ١٤١٤هـ.

2 انظر الموسوعة العربية الميسرة ١٣١٠.

3 سنن ابن ماجه المقدمة (٢٢٤) ، المعجم الأوسط (٨/١)، المعجم الكبير (١٩٥/١٠)، مسند البزار (١٧٢/١) ، وقد ثبت من طريق محمد بن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا في سنن ابن ماجة (المقدمة) باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم : ٢٢٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم : ٢٢٠.

العثمانية، التيار العقلاني[1]، والطبيعي[2]، والداروييني[3]، والاشتراكي[4]، مما جلب آثاراً سلبية على المسلمين.

وبعد إعلان المشروطية سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) استغلت تلك التيارات حرية الرأي في بث سمومها، فظهرت بشكل أقوى مما كانت عليه في وقت التنظيمات، وقام البعض منهم بترجمة ونشر الكتب التي تدعو إلى الإلحاد، فأبدى البعض ردوداً مختلفة ترد على هذه المزاعم وتثبت أسس الإسلام في نفوس العامة. وإن كانت هذه الردود غير كافية بسبب جهل الناس بأسس تلك الفلسفات.

وقد كان على رأس المكافحين لهذه التيارات المستوردة أحمد حلمي، وإسماعيل فني، وسعيد النورسي "سعيد القديم" الذي سعى لإزالة التأثير السلبي للأفكار الضارة خلال المناقشات الحادة التي كان يشارك فيها وذلك بالاستناد إلى مدخره العلمي، ولكنه لم يطمئن لتلك المناقشات حيث وجد أن مخاطبة عقول الناس ومنطقهم بأسلوب المناقشة ليس له مردود كبير، كما شعر أن هذا الأسلوب يعيق التقدم من الناحية المعنوية، فاتخذ أسلوباً مخالفاً لذلك

وترك أسلوب سعيد القديم الفلسفي ليظهر بهوية "سعيد الجديد" الذي أخذ في مواجهة

---

[1] مذهب فلسفي يقول إن كل ما هو موجود مردود إلى مبادىء عقلية، ويعتبر ديكارت وسبينوزا وليبنتز وهيجل أعمدة المذهب العقلاني، ويقول أصحاب هذا المذهب أننا لا نستطيع استنباط الكلية والضرورة من التجربة، إنما يمكن لنا أن نستنبطها فقط من العقل . انظر تاريخ الفكر الأوربي الحديث: ٧٦٥.

[2] هو الرغبة في تفسير تطور المجتمع بقوانين الطبيعة: الأحوال المناخية والبيئة الجغرافية والاختلافات البيولوجية والجنسية بين الشعوب ، وهو يفسر ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة ، ويرى أصحاب هذا المذهب أن الأخلاق هي امتداد للحياة البيولوجية : انظر تاريخ الفكر الأوربي الحديث : ٧٦٩ .

[3] نسبة إلى داروين وهو عالم طبيعي انجليزي صاحب نظرية التطور في العالم العضوي أشهر كتبه كتاب "أصل الأنواع" وفيه قال بنظرية الاصطفاء الطبيعي من خلال الصراع من أجل الحياة. وهو مادي فلسفة ومنهجاً: انظر المعجم الفلسفي : ٤٧و ١٧٥.

[4] مذهب اقتصادي وسياسي تبلور في أعقاب الثورة الصناعية يعارض النظام الرأسمالي الذي يقوم على الملكية الفردية والمشروع الخاص، ويهدف إلى اشراك المجتمع في ملكية عوامل الانتاج . وقد شهد القرن التاسع عشر الميلادي كثيراً من المفكرين الاشتراكيين ، من أبرزهم ماركس الذي قدم مشروعاً للاشتراكية باسم الاشتراكية العلمية والماركسية، ولكن ما لبث أن ظهرت تيارات معارضة لها مثل الاشتراكية التطورية أو النقابية . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب : ١١٥٣.

الفلسفة بهدم أسسها التي قامت عليها وبيان خوائها وتفاهتها أمام النص القرآني الحكيم[1].

ذهب النورسي إلى أن الفلسفة طاعون معنوي كلما توسعت قابلية التمرد والانتقـاد ـــ بالتلقين والتقليد ـــ توسع ذلك الطاعون وانتشر، وأنها تسببت في سريان حمى مهلكة في البشرية[2]. وتعرضها للغضب الإلهي[3].

يقول عن الحضارة الغربية وفلسفتها المادية: "إن تحكم الحضارة الأوروبيـة وتـسلط الفلسفة المادية وأفكارها، وتعقد متطلبات الحياة اليومية كلها تؤدي إلى تـشتت الأفكـار وحيرة القلوب وتبعثر الهمم، وتفتت الاهتمامات"[4].

حاول أن يبين زيف الحضارة الغربية من الناحية الروحية والأخلاقية والحالـة الـتي نشأت فيها هذه التيارات الفلسفية. ولكنه في ذات الوقت يميز بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة ويرجح الأخيرة في ميزان المنفعة المادية للإنسان فيقول: "إن الحكمة القديمة "الفلسفة القديمة" خيرها قليل وخرافاتها كثيرة حتى نهى السلف ـــ إلى حد ما ـــ عنها حيث الأذهان كانت غير مستعدة، والأفكار مقيدة بالتقليد، والجهل مستول على العوام. بينما الفلـسفة الحاضرة خيرها كثير من جهة المادة بالنسبة للقديمة، وكذبها وباطلها قليل. والأفكار حرة في الوقت الحاضر، والمعرفة مسيطرة على الجميع"[5].

والتفريق بين الفلسفة الحديثة والقديمة غير صحيح فجذور الفلسفات الحديثة ترجع إلى تلك الفلسفات التي حذر منها النورسي. فالوجودية[6] التي ظهرت في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ثم انتشرت في فرنسا وإيطاليا، تأثرت بسقراط[7] الذي وضع قاعدة "اعرف نفـسك

---

[1] انظر أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان: سليمان خيري : ٢٢٤.

[2] إشارة إلى الحرب العالمية الأولى.

[3] انظر المكتوبات : ٨٧٧.

[4] المكتوبات : ٥٦٤.

[5] صيقل الإسلام: ٤١. انظر ترانيم روح وأشجان قلب : ١٠ فتح الله كولن

[6] اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحريـة وإرادة واختيـار ولا يحتاج إلى موجه ، وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع،وهي تعتبر جملة من الاتجاهـات والأفكـار المتباينة التي تتعلق بالموت والحياة والمعاناة والألم . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب : ٨٢٨ .

[7] فيلسوف يوناني لم يكتب شيئاً، نقلت فلسفته عن طريق تلاميذه أمثال أفلاطون، اهتم بالأخلاق والبحث في الماهية. انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: ٢٥٧ نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل وآخرون. دار القلم .

بنفسك" وتأثرت بالرواقيين[1] الذين فرضوا سيادة النفس وكذلك بمختلف حركات الإلحاد والإباحية، أما الديالكتيك[2] فتعد من الفلسفات اليونانية. فهي عند سقراط مناقشة تقوم على سؤال وجواب، وهي عند أفلاطون منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع بحيث يصبح علم المبادىء الأولى والحقائق الأزلية والعدمية[3] وترجع في أفكارها إلى مسرحيات الإغريق القدماء التي تصور الإنسان وصراعه مع الأقدار وكأنه صراع ضد فكرة العدم. وأخيراً وليس آخراً الكلاسيكية[4] وهذا المذهب مرتبط بالنظرة اليونانية الوثنية، وتحمل كل تصوراتها وأفكارها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها، وبعد القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت في إيطاليا بداية حركة إحياء للآداب اليونانية القديمة، وذلك بعد اطلاع النقاد والأدباء على كتب أرسطو في أصولها اليونانية وترجماتها العربية التي انتقلت عن طريق الأندلس وصقلية بعد الحروب الصليبية. يقول الأستاذ أحمد الشيباني في مقدمة ترجمة كتاب "قصة الفلسفة" لويل ديورانت: "عندما قمت بترجمة كتاب تدهور الحضارة الغربية لاسوالد شبنغلر، لمست أن شبنغلر يحاول بكل ما أوتي من جهد أن يفصل بين الحضارة اليونانية وبين الحضارة الغربية، وأن يصور الفلسفة اليونانية على أنها فلسفة لا تمت بوشيجة أو صلة إلى الفلسفة الغربية، وقد جعلني إلحاحه الشديد على إقناع القارىء بما يراه أعود إلى دراسة مؤلفات جهابذة الفلاسفة من اليونان، ومقارنتها ومؤلفات أعمدة الفلسفة الأوروبية، وقد وجدت أن الفلسفة اليونانية هي واقعاً وفعلاً المنبع الرئيسي للفلسفة الأوروبية، وأنها وتلك الفلسفة تؤلفان كلاً متكاملاً كاملاً، وأن احتضان أوروبا العطوف لأرسطو وأفلاطون وحتى سقراط وهراقليط وديمقراطيس وإمبدوكليس، وإعراضها عن

---

[1] إحدى الفلسفات التي شاعت في الفترة الهلينستية ــ الرومانية، أسسها زينون الكيتوي. وقد قسم الرواقيون فلسفتهم إلى المنطق والأخلاق والطبيعة. انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: ٢١٨.

[2] طريقة في المناقشة والاستدلال ، غرضهم منه الارتقاء من تصور إلى تصور. والجدل عند الماركسيين هو التوفيق بين مثالية هيغل ومادية ماركس بين الفكرة والمادة. انظر تاريخ الفكر الأوروبي الحديث: ٧١٣.

[3] مذهب أدبي وفلسفي ملحد، اهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود، انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ، ص ٨٨٨.

[4] مذهب أدبي ، يطلق عليه المذهب الاتباعي أو المدرسي. وقد كان يقصد به في القرن الثاني الميلادي الكتابة الارستقراطية الرفيعة الموجهة للطبقة المثقفة الموسرة، إلا أنه في عصر النهضة الاوروبية وفي العصر الحديث قصد به كل أدب يبلور المثل الإنسانية . انظر المصدر السابق : ٨٦٥.

الكثير من أساطين الفلسفة الأخرى لم يكن دون ما سبب أو قصد، وقد رأيت أن الفارق الوحيد بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الأوروبية إنما يتمثل في الزخم والديناميكا.

فأرسطو وغيره من فلاسفة اليونان هم أول من نادى باعتماد الإدراك الحسي أساساً للمعرفة، وأول من جعل الحساسية الطريق إلى المعرفة، وأرسطو أول من حاول أن يجعل من المختبر والتشريح وعلم الأحياء، وزبدة القول المادة، أو بالأحرى العلم، الطريق الصحيح إلى التفلسف والفلسفة، وزد على ذلك أنه من النادر أن يمر الإنسان بهرقليط دون أن يسارع به خاطره إلى ماركس وإلى الديالكتيك من هيغلي وماركسي، ولنسمع ما يقوله هرقليط:

" كل شيء يجري ويتبدل، وحتى في أشد المادة سكوناً، يوجد سيلان وحركة ... ومن خلال الصراع تنشأ جميع الأشياء وتبيد ... والحرب هو أب جميع الأشياء ومليكها.

وبالكاد يقرأ المرء بعض سطور من إمبدوكليس دون أن يقفز به خاطره إلى داروين، وهاكم مثلاً على ذلك : "إن الأعضاء لا تنشأ عن طريق التخطيط بل بالإنتقاء، وتجري الطبيعة العديد من التجارب على الأنظمة العضوية، مركبة الأعضاء بصورة متنوعة، وحيث يفي التركيب بالحاجات البيئية فإنه يلبث ويعيش، ويخلد مثله، ولكن حيث يفشل فعندئذ يجري استئصال النظام العضوي، وبمرور الزمن تتكيف، بصورة معقدة وناجحة، أكثر فأكثر ومحيطاها ... كما وأن هناك العشرات إن لم أقل المئات من الأمثلة التي تثبت ما ذهبت إليه"[1].

وهذا كلام من خبر الفلسفة وعرفها، ويجوز أن يكون النورسي شرع في الثناء على الفلسفة الحديثة نتيجة لعدم اطلاعه عليها لما يعترضه من أمور الدعوة والتربية. فهو يقول ثناء على الفلسفة الحديثة: "مرحى للفلسفة الجديدة المتحررة التي قضت على تلك الفلسفة اليونانية المستبدة قضاء مبرماً"[2]. ولكنه في موقع آخر يقول إن الفلسفة القديمة والحديثة لم تعط الإنسان الحقيقية: "إن الحكمة القديمة قد تصورت السموات أنها تسع سموات، فزادت على السموات السبع العرش والكرسي ... أما الحكمة الجديدة فتقول بما يفيد إنكار

---

[1] مقدمة ترجمة " قصة الفلسفة" لويل ديورانت: ١١ — ١٢.

[2] صيقل الإسلام: ٩٤، ويقول: "كلما اتحدت الفلسفة بالدين انتعشت الإنسانية بالسعادة وعاشت بهناء " الكلمات: ٦٣٩.

السموات إزاء ما كانت تدعيه الفلسفة القديمة غير قابلة للاختراق والالتئام، فقد فرط هؤلاء كما أفرط أولئك، وعجز الاثنان عن بيان الحقيقة بياناً شافياً"[1].

ومما سبق يظهر لي أن النورسي في نقده للحضارة الغربية لم يميز بين الحكمة والمعرفة فقد جعل كل نتاج أوربا من الماديات النافعة للناس من باب الحكمة أو الفلسفة، لا من باب المعرفة والفرق بين الحكمة والمعرفة كبير، حيث إن الحكمة هي أعز بكثير من المعرفة، وهي من أسباب السعادة. وقد امتدحها الله في كتابه فقال عز وجل: (**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**) [البقرة: من الآية٢٦٩]. أما القول أن الفيلسوف هو محب الحكمة فهذا ليس دائماً بل قد تعرض عليه الحكمة وأعلاها وأغلاها ــ دين الله عز وجل ــ فيرفضها إما استكباراً أو لسبب آخر. بل قد يكون القول أن الفيلسوف محب المعرفة أقرب للواقع.

فنتاج أوربا المادي من الآلات والتقنيات ساعد الناس في معاشهم، وهذا ليس من قبيل الحكمة التي يؤمنون بها، حتى نرجع تلك الاختراعات إليها. بل هو نتاج طبيعي للعمل التجريبي المتواصل والمنظم في المعمل والمصنع والحقل أثمرت إنجازات كبيرة كالتي نراها في ميادين الحياة المختلفة، والله عز وجل يعطي المؤمن والكافر من هذه الدنيا وذلك بمقتضى ربوبيته عز وجل. قال تعالى : (**كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**) [الإسراء:٢٠].

أما الحكمة التي هي وضع الشيء في مكانه سواء كانت أموراً حسية أو معنوية فهذا لا يكون كماله إلا للمسلم، فمن هنا يستطيع الإنسان أن يقول أن ما قطعته أوربا في قرون للوصول إلى ما وصلوا إليه من تقدم حضاري وتقني أفقدهم بقايا النور الموجود في كتابهم يقطعه المسلم في أقل من ذلك بكثير فالغرب حين قام برفض خرافات الكنيسة وتسلطها رفضوا مع ذلك كل القيم والأخلاق إلا ما كان له مردود مادي، فوقعوا في براثن شياطين الجن والإنس من الدوامات الفكرية والعقائد الشيطانية التي تزداد بازدياد تقدمهم الحضاري والمادي. فلا تكاد تجد كشفاً علمياً في الغرب إلا وتجد الاضطراب

[1] اللمعات : ١٠٤.

الفكري والعقائدي يصحبه، وذلك منذ اكتشافات جاليليو حتى ظهور ما يسمى بالاستنساخ[1] وعلم الجينوم[2].

أما المسلمون فإنهم كلما تقدموا حضارياً وتقنياً زادهم ذلك قرباً من خالق الكون المبدع الذي جعل نواميس الكون والطبيعة تنطق بأن له في كل شيء آية تدل على أنه واحد. (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**)[فصلت:من الآية٥٣] .

وقول النورسي إن السلف قد نهوا عن الفلسفة إلى حد ما . فهذا ليس دقيقاً، حيث نجد السلف الصالح رحمهم الله تعالى. قد ذموا البدع عموماً وعلم الكلام والفلسفة من باب أولى. فإنه قد كان ليونس ابن عبيد[3] رحمه الله ابن ذكروا له أنه جلس إلى عمرو بن عبيد[4] فجاءه يعتذر له من ذلك فقال له: "يا بني أنهاك عن الزنا والسرقة وشرب الخمر، ولأن تلقى الله عز وجل بهن أحب إلي من أن تلقاه برأي عمرو وأصحاب عمرو"[5] وهذه بعض النصوص عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذم البدع اختصاراً:

---

[1] أول من قام بتأسيس شركة للاستنساخ البشري هم الرائليون. تحت اسم (clonaid). والرائليون مأخوذ من رائيل اسم الشخص المؤسس لهذه الحركة. والمبدأ الذي تقوم عليه هذه الحركة هو أن الإنسان الموجود على هذه الأرض هو نتيجة لعملية استنساخ قامت بها مخلوقات بشرية منذ آلاف السنين، وعند هذه الحركة تاريخ مقدس وهو ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ حيث التقى رائيل في فرنسا بالمخلوق الفضائي أيلوهيم (elohim) حيث تلقى منه رسالة لكل البشر، ووعد أنه سوف يعود ولكن بعد أن تبنى له سفارة. ويزعم أنه قد اتصل بالبشر من قبل من خلال رسل مثل بوذا وموسى وعيسى ومحمد (على أنبياء الله أفضل الصلاة والسلام). وفي إحصاء لعام (١٩٩٧) يقدر أتباعهم بنحو ٥٥,٠٠٠ شخص موزعين في ٨٤ دولة. انظر موقع الحركة: www.rael.org

[2] محاولة التحكم في الجينات الموجود داخل جسم الكائن الحي انظر "الشفرة الوراثية للانسان"دانييل كلفيس عالم المعرفة (٢١٧) ، كسر شيفرة المورثات الجينوم" كيفن ديفس تعريب: د.ياسر العيتي مكتبة العبيكان ط١ ١٤٢٣

[3] يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، مات سنة تسع وثلاثين ومائة. تقريب التهذيب : ٦١٣.

[4] عمرو بن عبيد ، التميمي مولاهم ، أبو عثمان البصري، المعتزلي المشهور كان داعية إلى بدعته اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائه. تقريب التهذيب ٤٢٤ .

[5] رواه أبو نعيم في الحلية : ٢٠/١٣، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٧٤١/٤.

ـــ روى ابن وضاح عن معاذ بن جبل[1] رضي الله عنه أنه قام بالشام فقال: أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع وإن رفعه ذهاب أهله، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع، وعليكم بأمركم العتيق"[2].

ـــ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:"عليك بتقوى الله والاستقامة،اتبع ولا تبتدع"[3].

ـــ وقال ابن عمر : " كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة"[4].

فهذه طائفة من أقوال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين هم كما قال ابن مسعود: "خير هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً"[5].

ولقد سار على نهجهم التابعون لهم بإحسان، فعن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز أنه قال لرجل من أهل الأهواء: "عليك بدين الأعرابي والغلام في الكتاب واله عما سوى ذلك"[6].

وقال الأوزاعي رحمه الله: "اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم"[7].

وهذا قول الشافعي إمام المذهب: "لأن يبتلى الله المرء بكل ذنب نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن يبتلى بالكلام"[8].

وهذه النصوص جاءت عامة مطلقة ولم يقع فيها تخصيص أو استثناء، فمن استثنى شيئاً من البدع المحدثة فعليه الدليل ، ولا دليل . فكل بدعة ضلالة.

---

[1] معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبدالرحمن من أعيان الصحابة شهد بدراً وما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن ، مات بالشام سنة ثماني عشرة: تقريب التهذيب : ٥٣٥ .

[2] البدع والنهي عنها: ٢٥.

[3] انظر البغوي في شرح السنة: ٢١٤/١، وسنن الدارمي : ٦٦/١.

[4] انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٩٢/١.

[5] شرح السنة للبغوي : ٢١٤/١.

[6] شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٣٥/١، سنن الدارمي ١٠٣/١.

[7] انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة : ١٥٤/١ وانظر تلبيس إبليس باب ذم المبتدعة.

[8] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ١٤٦/١ ، وانظر البغوي في شرح السنة : ٢١٧/١.

والأصل هو بقاء ما كان على ماكان . ويدل على ذلك إجماع السلف الصالح والتابعين ومن يليهم على ذم البدع وتقبيحها . والبدع في عمومها هي مضاهاة للشرع المطهر . وقد قال تعالى : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً**) [المائدة: من الآية٣].

ومما سبق لا نوافق النورسي في قوله "إن الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية، هي الفلسفة المضرة وحدها، وليست الفلسفة على إطلاقها. ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية البشرية، وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمهد السبل للرقي الصناعي، هي في وفاق ومصالحه مع القرآن الكريم بل هي خادمة لحكمة القرآن ولا تعارضها، ولا يسعها ذلك لذا لا تتصدى رسائل النور لهذا القسم من الفلسفة"[1]. فالنورسي يجعل امتزاج الفلسفة بالدين شرطاً في تجلي الحقيقة وهذا فيه أعظم الظلم للدين، فالدين الحق ليس بحاجة لفلسفات البشر ولا لمعقولاتهم، بل إن سبب هلاك الأمم السابقة هو تحريفهم لكتابهم المنزل من عند الله بإدخال معقولاتهم وآرائهم الفاسدة في كتبهم ويرجع النورسي مزجه الفلسفة مع الدين لسببين هما :

" **أولاً**: لتخليص المحاكمة الذهنية العقلية من ظلمات السفسطة الجاهلية من أربعة أنواع من الأقيسة التمثيلية الفاسدة[2] وإزالة المغالطة التي تولدها الملكة المتفلسفة على التقليد الطفيلي.

ثانياً: إن العلوم الدينية ضياء القلب، والعلوم الحديثة نور العقل، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب"[3].

ودليله أن الدين هو ضياء القلب دون العقل: "أن ظهور أكثر الأنبياء في آسيا وظهور أغلب الحكماء والفلاسفة في أوربا، رمز للقدرة وإشارة منه إلى أن الذي يوقظ أقوام آسيا

---

[1] الملاحق : ٢٨٦.

[2] يقول شقيق النورسي، عبد المجيد توضيحاً لذلك: من أمثال تلك القياسات الفاسدة: قياس المعنويات على الماديات، واتخاذ ما تقوله أوربا حجة في المعنويات، أي كما أنهم ماهرون في الماديات، فهم ماهرون في العقائد أيضاً. وثانيها:- -رفض أقوال العلماء ممن لم يطلعوا على بعض العلوم الحديثة في العلوم الدينية أيضاً. ثالثتها: الاعتماد على النفس والاعتداء بها في الدين لاغتراره بمهارته في العلوم الحديثة. رابعتها: قياس السلف على الخلف والماضي على الحاضر، ثم شن الهجوم وتقديم الاعتراضات الباطلة . السيرة الذاتية: ٢٢٥ .

[3] انظر صيقل الإسلام : ٤٢٨.

ويدفعهم إلى الرقي، ويحقق إدامة إرادهم هو الدين والقلب أما الفلسفة والحكمة فينبغي أن تعاون الدين والقلب لا أن تحل محلها"[1].

وهل الفلسفة التي أنكرت أركان الإيمان عند المسلم كالحشر وبعث الأجساد واليوم الآخر وادعت أزلية الروح[2] وغير ذلك تستطيع أن تعاون ديناً يؤمن أتباعه بكل ما سبق .وما هذا إلا جمع بين المتناقضين عقلاً وشرعاً[3]. ولا حجة مع التناقض.

ومن خلال كلام النورسي عن الفلسفة نلاحظ أن النورسي لم يحدد الفلسفة التي يدافع عنها ويقول إنها تناصر الدين، بمعنى أنه لم يسم لنا هذه الفلسفة وأبرز منظريها بل هي فكرة غير محددة الملامح وهذا ما وجدته عند كثير من الباحثين عن الفلسفة وعلاقة النورسي بها[4].

وإضافة إلى أن النورسي لم يحدد الفلسفة التي يشيد بها، نجد أنه لم يقدم نقداً علمياً للمشكلات الفلسفية التي تطورت في الغرب. ودخلت بلاد الإسلام على أنها المخلص للإنسانية من جحيم التناقض الروحي والبدني، المثالي، المادي، ولم يذكر النورسي ولا طلابه الكتب التي درسها النورسي في مكتبة طاهر بك خلال استقراره في "وان". لكن يلاحظ أن نقده للفلسفة كان نقداً عاماً. وفي كثير من رسائله نجد ثناءه على ما سماه "الفلسفة النافعة" وقد كانت اعتراضات ينقصها التحليل الموضوعي لأقوال الفلاسفة إجمالاً ثم تفصيلاً لبعض الفلسفات الوافدة على المسلمين كالداروينية، والاشتراكية.

---

1 الكلمات : ٤٠٧.

2 انظر الشعاعات : ٣٥٨، والكلمات : ٦٣٩-٦٤٠.

3 انظر لاعترافات النورسي على الفلسفة منها أن الفلسفة عند النورسي كشجرة الزقوم تنشر الضلالات والشرك : أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي: نظرة بديع الزمان إلى الفلسفة : ٢٣٢.

4 انظر النورسي في رحاب القرآن : ٢٤٥ ، الإمام سعيد النورسي وآراءه الكلامية: ٧٢، الأسس الفكرية لدعوة الإصلاح عند بديع الزمان : ٢٦٩.

يقول د. سليمان خيري عن نقد النورسي للفلسفة: "هـــذا التفريـــق بينـــها ـــ أي الفلسفة النافعة والضارة ـــ ليس واضحاً في كلام النورسي بل هو عموميات"[1].

[1] انظر أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سليمان خيري ٢٤٢. ويعلق د . سليمان أن نظام الفيلسوف ينـــهار إذا وضع في أساس المعرفة عدم خطأ الإله.

المبحث الأول: المعنى الظاهر والباطن عند النورسية

الظاهر: ضد الباطن، ظهر الشيء تبين، وظهر على فلان غلبه، وأظهر الشيء بينه وأظهر سار وقت الظهر[1] والظاهر والباطن من أسماء الحق جل وعلا.

والظاهرية عند أهل الشريعة هم أتباع أبي داوود الظاهري[2]،وأبرزهم ابن حزم الأندلسي[3] وقد أنكر الظاهرية القياس الشرعي المأثور عن السلف والأئمة ودخلوا في الكلام الذي نهى عنه السلف حتى نفوا حقيقة أسماء الله وصفاته[4]. ومن غرائب ما ذهبت إليه الظاهرية قولهم إن قوله تعالى:(**فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**)[الإسراء: من الآية٢٣] لا يفيد النهي عن الضرب وهذه إحدى الروايتين عن داود واختاره ابن حزم. وهذه من بدع الظاهرية التي لم يسبقهم بها أحد من السلف[5]. وقد وقعت الظاهرية في خلاف ما ذهبت إليه. فلم يقفوا مع الظاهر كما يقولون في مواضع عديدة منها أنهم جعلوا أسماء الله تعالى بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى ولا تنقسم إلى حسنى وسوأى. فهذه قرمطة ظاهرة من هؤلاء الظاهرية الذين يدعون الوقوف مع الظاهر وقد قالوا بنحو مقالة القرامطة الباطنية في باب توحيد الله بأسمائه وصفاته مع ادعائهم الحديث ومذهب السلف[6].

والباطن يقصد به عند غالب من يتحدث عمَّا يسمى بعلم الباطن علم التأويل ويقولون إنه خاص بعلي رضي الله عنه.

وقد سمي الباطنية بهذا الاسم لأنهم يجعلون لكل ظاهر باطنًا[7] ولكل تنزيل تأويلاً، بل من أكبر دعاة الباطنية[8] يقول إن لكل آية تفسيرًا ولكل حديث تأويل، بل إن الفرائض

---

[1] انظر مختار الصحاح: ١/٢٣، ١٧١.

[2] داود بن علي الأصبهاني أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الظاهرية، وكان أول من جهر بهذا القول توفي عام ٢٧٠هـ الأعلام ٢/٣٣٣.

[3] هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي الفارسي الأصل، عالم الأندلس في عصره، كان من أجمع الناس لعلوم الإسلام مات سنة ٤٥٦هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤.

[4] انظر العقيدة الأصفهانية ١/١٠٩.

[5] انظر مجموع الفتاوى ٢١/٢٠٧.

[6] انظر العقيدة الأصفهانية ١/١٠٧.

[7] انظر لأقوال الهاشمية الرافضة عن الظاهر والباطن، الملل والنحل: ١/١٥٠.

[8] هو ميمون بن داود بن سعيد القداح، تنسب الإسماعيلية إلى سلمان الفارسي، وهو أكبر دعاة الإسماعيلية، كان زنديقاً يظهر الرفض ويبطن الكفر المحض. سير أعلام النبلاء: ١٥/١٤٨. وانظر الإسماعيلية لاحسان إلهي ظهير ٨٣ـ٨٥ .

والواجبات هي في حد ذاتها رموز وإشارات وهذا فيه هدم للإسلام من داخلــه حيــث إن الآيات والأحاديث على هذا الفهم لها باطن خاص لا يعلمه إلا الخواص. فذهب المقــصود من الشرع وأنه هدى للناس وبيان وشفاء. وأصبح عند من يعتقد بمثل عقائد هؤلاء رمــوز وإشارات وإيماءات تدل على أمور باطنة وهذه الأمور تدل على أخرى باطنة وهكذا حــتى سبعين باطن[1].

والفلاسفة المنتسبون للإسلام يدعون أن علم الظاهر علم الشرع أما علم الباطن فهــو علم الأسرار. ومنهم من يزعم أن الخضر مكلف بما يؤمر به من علم الباطن، وموسى عليه السلام مكلف ما يؤمر به من علم الظاهر. يقول النورسي إن مرتبة الباطن مرتبة أعلى وأكمل من مرتبة الظاهر فهو يقول: "اعلم أن الدليل على أن الباطن أعلى وأتم شعوراً وأقوى حيــاة، وأزين وأعلم وأكمل وأحسن وألطف من الظاهر ... وإن ما على الظاهر من الحياة والشعور والكمال وأمثالها، إنما هو ترشح ضعيف من الباطن ـــ لا الباطن جامد ميت أثمر حياً عليماً كون بطنك أكمل انتظاماً من بيتك، وجلدك أحسن نسجاً من ثوبك، وحافظتك أتم نقشاً من كتابك"[2]. وهذا الباطن ليس لكل أحدٍ بل هو درجة تكون لمن ترك الظاهر وتوغل في علم الباطن وهم أهل شهود وذوق. يقول: "إن مشاهدة كل الكُملــين مــن الظــاهر إلى الباطن، واتفاقهم بالكشف والشهود والذوق والمشاهدة على أن كل الأكوان ظلال لأنوار ذات تدل على وجوب وجود شمس الأزل الذي هذه الأكوان ظلال أنواره"[3] وعمن ذهب من الظاهر إلى الباطن يقول: "قد أخبر كل من ذهب من الظــاهر إلى الحقيقــة مــن ذوي

---

[1] انظر: دقائق التفسير ١١٥/٢، والصواعق المرسلة: ٣٨٤/٦ ، بغية المرتاد: ٢١١/١ درء التعارض: ٣١٥/١ ، بيان تلبيس الجهمية: ٥٣٢/١.

[2] المثنوي العربي النوري ٢٩٧-٢٩٨.

[3] المثنوي العربي النوري : ١٢٠.

الأرواح النيرة والقلوب المنورة والعقول النورانية، ودخل في حضور قربه سبحانه[١]، أنه أعد للمطيعين والعاصين دار مكافأة ومجازاة"[٢].

ويرى النورسي أن المرور إلى الباطن يوصل صاحبه إلى معرفة أسماء الله تعالى الحسنى، "إن كل أثر من آثار الأحد الصمد إنما هو رسالته المكتوبة. كل منه يبين أسماء صانعه الحسنى. فإن استطعت العبور من النقش الظاهر إلى المعنى الباطن فقد وجدت طريقاً إلى الأسماء الحسنى من خلال المسميات".[٣]

وهل على المسلم أن يتعلم ما يسمى بعلم الباطن حتى يعلم أسماء الله الحسنى وصفاته؟! مما لا شك فيه أنه يسع المسلم في زماننا ما وسعه في زمن النبوة حيث لم يدل على ذلك خبر صحيح ولا عمله أحد من السلف المتقدم. وعن كيفية الوصول إلى علم الباطن فإن النورسي يصف لمريديه طريقتين في ذلك وقبلها يمهد بمثال ليبين كيف للإنسان أن يرجع إلى الزمن الماضي فيقول:" لأجل إدراك الأمس من هذا اليوم هناك طريقان:

الأول: الانسلاخ من وقائع الزمن وجريانه بقوة قدسية، والعروج إلى ما فوق الزمان، ورؤية أمس حاضراً كاليوم.

أما الثاني: فهو قطع مسافة سنة كاملة لملاقاة الأمس من جديد، ومع ذلك لا يمكن أن تمسك به، لأنه يدعك ويمضي.

وهكذا الأمر في النفوذ من الظاهر إلى الحقيقة فإنه بصورتين:

الأولى: الانجذاب إلى الحقيقة مباشرة ووجدان الحقيقة في عين الظاهر المشاهد، من دون الدخول إلى برزخ الطريقة.

الثانية: قطع مراتب كثيرة بالسير والسلوك"[٤].

---

[1] هي في عرف الصوفية اشارة إلى قوله تعالى كن كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" [النحل: ٤٠] وللحضرة معانٍ متعددة، فالعشق حضرة، واجتماع أصحاب المعرفة حضرة، وقد أصبحت الحضرة في العصر الحاضر مقترنة بالاجتماع اسبوعياً أو يومياً في الخلوة المرفقة بالمسجد أو بمنزل شيخ الطريقة. والحضرات ليست بمستوى واحد. انظر المعجم الصوفي: ١١٥٣ .

[2] المثنوي العربي النوري: ٩٨.

[3] الكلمات : ٢٣٧.

[4] الكلمات : ٥٧٨ وانظر صيقل الإسلام : ١٦٨.

وهذه المراتب والطرق المظلمة هي سبب ضلال الفرق في المعميات والرسول ﷺ قد جاء بها بيضاء واضحة نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ويسخر النورسي في مواضع ممن سماهم بالظاهرية السطحية، والباطنية المحضة فالباطني المحض لا يخلص من الاتحاد والحلول والظاهري السطحي يرد الأمور إلى الأسباب فيوقعه في الشرك وهذا عنده بسبب تداخل اسمي الباطن والظاهر: فـ "دائرة الاسم الباطن ودائرة الاسم الظاهر متداخلتان ومتقابلتان.فأهل الأولى يقولون: قدرته مثلاً كالبحر. وأهل الثانية يقولون كالشمس[1]. فالبحر كالكل ذي الأجزاء والشمس كالكلي ذي الجزئيات تماثيلها كجزئياتها. والباطني المحض المفرط لا يخلص من شائبة التجزء والاتحاد. والظاهري السطحي المخالف للسنة لا يخلص من شوائب شرك الأسباب، فالصراط المستقيم هو القرآن"[2].

وعن القرآن الكريم يذكر النورسي أن أهل الظاهر حصروا الإخبارات الغيبية في أربعين أو خمسين آية. وهذا من علماء الظاهر ناشيء من نظر سطحي يقول: "فالإخبار الغيبي الذي هو أحد أنواع إعجاز القرآن له لمعات إعجازية كثيرة كثيرة لا تعد ولا تحصى، لذا فإن حصر أهل الظاهر تلك الإخبارات الغيبة في أربعين أو خمسين آية فقط إنما هو ناشيء عن نظر سطحي بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الألف منها بل قد تكون في آية واحدة فقط أربعة أو خمسة إخبارات غيبية"[3].

وفي موضع آخر يذكر علماء الباطن وموقفهم من الإخبارات الغيبية القرآنية . فيقول: "الإخبارات الغيبية من المستقبل في القرآن أقسامٌ كثيرة:

القسم الأول: خاص بقسم من أهل الكشف والولاية. مثلاً إن محي الدين ابن عربي وجد كثيراً من الأخبار عن الغيب في سورة الروم (**الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ**) [الروم:١ – ٢]

---

[1] لا يجوز تشبيه صفات الله بخلقه ، فقدرته عز وجل من صفاته الذاتية التي ثبت بها النص من القرآن وصحيح السنة النبوية . قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [البقرة: من الآية٢٠] وقال تعالى: (**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً**)[الأنعام: من الآية٦٥] ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : "وأعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" رواه مسلم (٢٢٠٢) من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه. فلا يجوز أن نشبه صفات الله بشيء من خلقه. فيجب قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية. قال تعالى:(**وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**) [طه: من الآية١١٠] فنثبت ما أثبته النص الشرعي دون تحريف ولا تعطيل.

[2] المثنوي العربي النوري : ٢٥٨.

[3] اللمعات : ٤٩.

وإن الإمام الرباني "أحمد الفاروقي السرهندي" قد شاهد في المقطعات التي في بدايات السور كثيراً من إشارات المعاملات الغيبية. وبالنسبة إلى علماء الباطن فالقرآن الحكيم من أوله إلى آخره نوع من الإخبار عن الغيبب"[1].

ومما سبق يتبين أن النورسي ينحو في فهم نصوص الكتاب والسنة إلى المنحى الغنوصي، فالغنوصية هي في الأصل التوصل إلى المعارف العليا بنوع من الكشف. وهو الذي ينادي به النورسي ويبجل ويقدر أهله كابن عربي وغيره، فالغنوصية: نسبة إلى غنوصيص أي المعرفة. وهي حركة فلسفية، ودينية، أساسها أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرة.وممن تأثر بدعوة الغنوصية دعاة الدعوة الشعوبية،أمثال ابن المقفع وأصحاب فلسفات الاشراق والكشف والاتحاد والحلول الصوفية ـــ وأبرز من يمثلهم ابن عربي ـــ .

وقد تسربت الغنوصية إلى بعض فرق المسلمين . وغيرهم من سائر الملل.

وتستمد الغنوصية أصولها الفلسفية من :

١. الأفكار القبالية التي تمثل الديانة الشعبية الإسرائيلية ، بما فيها من سرية التعاليم والقول بإله تصدر عنه الأرواح المدبرة للكون. واعتقاد عقيدة الجفر وحساب الجمل واعتبار الإنسان العالم الأصغر الذي جاء على صورة العالم الأكبر.

٢. الأفلاطونية الحديثة : تمثلت في مذهب الفيلسوف المصري أفلوطين. ويرى الغنوصيون أن النفس هي طريق معرفة الله تعالى.

٣. الديانات والمذاهب الفارسية[2].

والمبالغة في قول إن القرآن كله غيب حتى إن الآية الواحدة قد يكون فيها أربعة أو خمسة إخبارات غيبية. مخالف للصواب عقلاً وواقعاً. فلا يعقل أن يكون لأمة من الأمم كتابٌ إلهيٌ سواء كان توراةً أو إنجيلاً أو قرآناً والإخبارات الغيبية فيه كله دون استثناء. فكيف يستفيد الناس من هذا الكتاب الذي كل آياته غيب ؟ والممتنع عادة كالممتنع حقيقة والواقع يكذب هذا الزعم ففي القرآن بيانٌ للماضي من قصص السابقين من الأنبياء الصالحين والكفار والظالمين.وفي حياةالإنسان اليومية تجد الأوامر والنواهي والتوجيهات

[1] الكلمات : ٤٦٩.

[2] انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١٢٥٨ ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ١١١٤.

القرآنية التي تعيش مع المسلم لحظته الراهنة موجهة له وهادية، ونوع من الأخبار هو عن الأحكام وغيرها. ونوع من إخبارات القرآن عن الغيب القريب في الدنيا أو الغيب البعيد في الآخرة.

والقول بهذا المذهب يجعل الدين قائماً على الظن والاحتمال، فلا تقوم حجة على العباد، لأنه لا حجة مع الاحتمال وبدل أن يكون الأصل في الكلام الحقيقة، يكون الأصل في الكلام المجاز أو الظن.

ولقد كان من نتيجة القول بالباطن عند النورسي قوله إن النبي ﷺ له سلطة على الظواهر والبواطن للإنسان. يقول: "ليس سلطته ــ أي محمد ﷺ ــ على الظاهر فقط، بقوة الخوف كسائر الملوك، بل ها هو يفتح العقول والقلوب، ويسخر الأرواح والنفوس حتى صار محبوب القلوب ومعلم العقول ومربي النفوس وسلطان الأرواح"[1].

ولو كان نبينا ﷺ يملك من الأمر شيئاً لجعل عمه أبا طالب من المؤمنين فهو بشر ليس له سلطة أو اطلاع على قلوب البشر. قال تعالى: (**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**) [الكهف: من الآية١١٠]

[1] المتنوي العربي النوري : ٦٠.

المبحث الثاني : استدلالهم بأدلة الفلاسفة في إثبات الصانع

موقف النورسي من الفلسفة كان الغرض منه هو إعلاء الإسلام أمام النظريات الأرضية. ودعوة للمسلمين بعدم الاغترار والانجراف في تيارات إلحادية تعارض أسس الإسلام وقبول آدابه وأخلاقياته، ولكن مع ذلك كان للفكر الفلسفي على كتابات النورسي تأثيره في مواضع عدة من رسائله يقول عن حاله في فترة ممارسته للفلسفة.

" كان الظلام الروحي المنبثق من العلوم الفلسفية يغرق نوراً، ولا أجد قبساً، و لم أتمكن من التنفس والانشراح، حتى جاء نور التوحيد الساطع النابع من القرآن الكريم الذي يلقن "لا إله إلا الله" فمزق ذلك الظلام"[1].

وقد تأثر النورسي في طرحه للمسائل بالفلسفة في مواضع منها:

١- تأثره بمصطلحات العدمية[2]، واعتباره الوجه المقابل لكل أشكال البر والخير بل والوجود أيضاً، ومذهب العدمية مذهب فلسفي ملحد، أهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود، بل هو نهاية الوجود، وقالوا إن هذا المذهب يعرفنا حقيقة الحياة بعيداً عن النظرة المثالية والواقعية السطحية. وقد ارتبطت العدمية بالإلحاد وقد انتشرت في أوربا عامة وفي فرنسا وانجلترا بشكل خاص، وهذا الفكر دخيل على الإسلام والمسلمين.

٢- القول بأن أصول الخلق والإيجاد في هذا العالم الهواء والتراب والماء والنور. يقول:

"فالنور والهواء والتراب مع الماء: سفراء أمره حملة عرشه...

في نشر صنعته ... في تبليغ حِكَمه.

فالعلم والحكمة عرشها في : النور.

فالفضل والرحمة عرشها على الماء.

فالحفظ والإحياء عرشهما : التراب.

فالأمر والارادة عرشهما في الهواء.

فاعلم بأن كلها ــ في فعلها ــ مظاهر باسمه، مساطر لا مصدر، قوابل لا فاعل، حوامل بحوله تحمل ما تحمله بإذنه، باسمه .. تفعل ما تفعله بطوله بحوله، لو لم يكن هذا حق

[1] اللمعات : ٣٤٨.

[2] انظر الكلمات: ٨٣، ٤٦٢، الشعاعات: ٣٣٤، للمعات : ٣٢٥، ٣٣٢.

الأشياء، يلزم للتراب والهواء والنور مع الماء، أن تدخر في كل جزء ذرة، وقطرة من كلها ... معرفة وقدرة وصنعة بلا انتهاء"[1].

وهذا ليس في خلق الله تعالى في أرضه بل "الطبقات السبع والعوالم السبعة المتكونة من العناصر الأربعة ــ الماء الهواء والنار والتراب ــ والمواليد الثلاثة وهي المعادن والنباتات والحيوانات"[2] وذكر أن الإمام الرباني قد ذكر أن لكل عنصر من العناصر الأربعة في الإنسان لطيفة إنسانية ملائمة منسجمة معه[3].

وعن خلق الكائنات لم يقتصر على تلك العناصر الأربعة بل أضاف أن فيها من خُلق من كهرباء، وأثير يقول: هذا الفضاء الواسع والسموات ذات البروج والأنجم والكواكب كلها مليئة بالأحياء وبذوي الإدراك والشعور، ويطلق القرآن الكريم والشريعة الغراء على أولئك الأحياء الشاعرين والذين خلقوا من النور والنار ومن الضوء والظلام والهواء ومن الصوت والرائحة والكلام والأثير وحتى من الكهرباء وسائر السيالات اللطيفة الأخرى بأنهم: ملائكة ... وجان ... وروحانيات ... ولكن كما أن الأجسام مختلفة كذلك الملائكة إذ ليس الملك الموكل على قطرة المطر من جنس الملك الموكل على الشمس ... وكذلك الجن والروحانيات مختلف الأجناس الكثيرة[4].

ونظرة النورسي في أصل الكون والمخلوقات الغيبية وهي عند الفلاسفة نظرة فلسفية تبحث عن الحقيقة الأولية للوجود.وقد سماها أرسطو"الفلسفة الأولى"وهي البحث فيما يتجاوز الخبرة البشرية من أمور وراء الطبيعة والحس.وقد زعم الملاحدة أن الوجود هو هذه العناصر.ولا شيء سوى ذلك،فبامتزاجها تتكون الأشياء، ــ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ــ وقد تابعهم على ذلك الغنوصية الفيثاغورسية، والنظريات الأفلاطونية الفيضية الاشراقية،وممن تأثر بالغنوصية الفيثاغورسية أصحاب عقيدة الجفر وحساب الجمل.وهذه المسائل عند الكندي يتكلم عنها في مبحث الربوبية والفلسفة الأولى، وعند ابن سينا العلم الإلهي[5].

---

[1] المثنوي العربي النوري : ٤٧٠-٤٧١.

[2] اللمعات: ١٠٢.

[3] انظر اللمعات : ١٧١.

[4] انظر الكلمات : ٥٩٩-٦٠٠.

[5] انظر درء التعارض:١٨٤/٤ حيث نسب شيخ الإسلام الادعاء بأن هذا العالم مكون من خمسة أشياء إلى الفلاسفة المشائين ورده عليهم وانظر ١٦٢/٦، ١٥٣/٨.

٣- أثر الفلسفة الغنوصية في رسائل النور:

يقول النورسي عن المادة والروح: "إن المادة كلما صغرت ودقت ازداد انطباع ملامح الحياة وآثارها عليها، واشتد نور الروح فيها، أي أن المادة كلما دقت، وابتعدت عن ماديتنا كأنها تقترب أكثر من عالم الروح، وعالم الحياة، وعالم الشعور، فيتجلى نور الحياة وحرارة الروح بشدة أكثر"[١].

القول بوجود مبدأين هما الروح والمادة ليس من كلام المسلمين، بل هو دخيل على أهل الإسلام. فمن يعتقد بوجود هذين المبدأين يرى أن بينهما نزاعًا. حيث إن المادة من مملكة الظلام بما فيها الجسد الإنساني، والروح من مملكة النور ونتيجة لهذا الصراع فإن على الإنسان أن يسعى للخلاص من هذا العالم المادي الشرير والاتحاد مع (النور) الإله اتحاداً جوهرياً[٢].

٤- تأثره بمصطلحات الثنوية في صراع النور والظلمة:

من المسائل الواردة بكثرة في رسائل النورسي مسألة النور والظلمة حيث يعرضها على أساس أنهما متناقضان ومتصارعان يمثل النور الخير والبر ويمثل الظلام الشر والظلم. يقول: "أنعم النظر في الموجودات كلها من تصادم النور والظلام إلى تعارض الحرارة والبرودة"[٣].

ويقول: لا ريب أن له مخلوقات ذوات إدراك وشعور يخلقها من بحر النور بل من بحر الظلمات، مما هو أليق للروح والحياة وأنسب لهما"[٤].

والأشياء عنده "تتوجه من عالم التغير والفناء إلى عالم النور والبقاء"[٥]. وإن عالم النور فيه الثواب للعاملين يقول: "إن الثواب والأجر من عالم النور الخالد الذي يمكن أن ينحصر عالم منه في ذرة واحدة"[٦]. ولكن كيف يصل الإنسان في هذا العالم إلى النور والضياء يقول: "اعلم أن طلب الضياء في طور الظلمة مع محافظة النفس عليها وتطبعها بها

---

[1] الكلمات: ٦٠٠.

[2] انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ١١٣-١١٤.

[3] اللمعات : ٥٢٤.

[4] الكلمات: ٢٠٣.

[5] المكتوبات: ٣٧١.

[6] الكلمات : ٣٩٩.

أليم شديد، مخل بحرمة الضياء، ومكوث له، فلا بد من التعري والانسلال من الظلمـــة. ثم النظر منها ـــ لا فيها إلى الضياء"[1].

والضياء مراتب كما أن الظلام مراتب[2]. يقول النورسي عن اسم النور عند ذكره لله تعالى: "فالجليل ذي الكمال والجلال ذلك الواجب الوجود الموجد لكل موجـــود، النـــور السرمد، سلطان الأزل والأبد، أقرب إليك من نفسك، وأنت بعيد عنه بعداً مطلقاً"[3]. بـــل "في القرآن الكريم الدعوة كلها من النور وإلى النور"[4].

وقد حكي عن الديصانية[5] "زعموا أن طينة العالم كانت خشنة وكانت تحاكي جسم النور الذي ـــ هو الباري عندهم ـــ زماناً، فتأذى بها، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتـــها عنه، فتوحل فيها واختلط بها، فتركب من بينهما هذا العالم المشتمل على الظلمة والنور، فما كان من جهة الصلاح، فمن النور، وما كان من جهة الفساد، فمن الظلمة"[6].

قالت الثنوية "بأن للنور خمسة أجناس الضياء، والنسيم، والمـــاء، والنـــار، والـــروح، والظلمة خمسة أشياء الدخان، والحريق، والظلمة، والسموم، والضباب، فخـــالط الـــدخان النسيم، وخالط الحريق النار، وخالط النور الظلمة، وخالط الريح السموم، وخالط الضباب الماء، فما كان محموداً منها فمن النور وما كان مذموماً فمن الظلمة"[7].

---

[1] المثنوي العربي النوري : ٣٠٣ وانظر: ٢٦٥.

[2] انظر الشعاعات : ٨٣.

[3] الكلمات : ٢١٧ وانظر ٣٨٤، ٦٧٠.

[4] الكلمات : ٢٢٨.

[5] فرقة من فرق الثنويه.

[6] شرح قصيدة الإمام ابن القيم : ٢٣٩/١ ، انظر إغاثة اللهفان : ٢٤٦/٢ ، درء التعارض ١٩٦/٦، وانظر لقول ابن سيناء في ص ٣٥٢/٨ نفس المرجع وقول النصارى في أن المسيح هو النور في مجموع الفتاوى ٣١٨/٢.

[7] محاضرات الأدباء: ٤٣٤/٢، وانظر قول شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الثنوية مجمـــوع الفتـــاوى: ٩٧/٣، وللقصيدة التائية التي رد بها على سؤال أحد علماء الذميين وتعرض لمذهب الثنوية مجموع الفتاوى: ٢٤٨/٨.

المبحث الثالث : الفلسفة المشّائية

الفلاسفة المشاؤون هم أتباع أرسطو. وهناك من جعلهم أصحاب أفلاطون وأرسطو معاً أمثال الفارابي وابن النديم وغيرهم. والحقيقة أن اسم المشائين لا يطلق إلا على أصحاب أرسطو وأما شيعة أفلاطون فقد لقبت باسم (أهل أكاديميا) وهو اسم بستان بأثينا كان بـه اجتماعهم للدرس والتعليم بخلاف المشائين فقد كانوا يمشون ويلقون دروسـهم في المـدن والأمصار لذا لقبوا بالمشائين[1].

وهؤلاء الفلاسفة المشاؤون هم أساس البلاء عند كثير ممن أخذ عنهم. فأرسطو وأتباعه هو الذي أظهـر القول بقدم العالم، وهو المعلم الأول الذي وضع التعاليم التي يقرونها من المنطق والطبيعي والإلهي، وظهر القول بقدم العالم من الفلاسفة من هذه الجهة.

وجاء بعده ابن سينا الذي خلط كلامه في الإلهيات بكلام كثير من متكلمي أهل الملل وصار ابن سينا وابن رشد الحفيد وأمثالهما يقربون أصول هؤلاء الفلاسفة إلى طريق الأنبياء. وأكثر الناس لا يفرقون بين معرفة حقيقة ما جاءت به الرسل وحقيقة قول هؤلاء. خاصـة أنهم قد يعبرون عن مقولاتهم بعبارات إسلامية زيادة في التعمية حتى راجت على كثير مـن أهل التصوف والكلام والتأله كصاحب مشكاة الأنوار والكتب المضنون بها على غير أهلها. حتى أن كثيراً من الناس تجده تارة مع أهل الكلام وتارة مع أهل الفلسفة كالرازي والآمدي وغيرهما[2].

وكانت فلسفة ابن سينا ومن معه كالفارابي هي الفلسفة المشائية. يقول ابن القـيم: "والفلسفة التي ذهب إليها ابن سينا والفارابي هي فلسفة المشائين أتباع أرسـطو صـاحب المنطق"[3] . ومن هنا كان البلاء حيث "إن ابن سينا أصلح تلك الفلسفات الفاسدة بعـض إصلاح حتى راجت على من لا يعرف دين الإسلام من الطلبة النظار وصار يظهر لهم بعض ما فيها من التناقض ... وهؤلاء الفلاسفة سلموا للفلاسفة المتقدمين أصولاً فاسدة في المنطق والإلهيات والطبيعيات، ولم يعرفوا ما دخل فيها من الباطل"[4].

---

[1] بغية المرتاد : ١٧٩، وانظر المعجم الفلسفي : ١٨٤ وتاريخ الفلسفة اليونانية : ١١٣.

[2] انظر الصفدية : ٢٣٧-٢٣٨ بتصرف.

[3] الصواعق المرسلة : ٨٣٨/٣.

[4] انظر مجموع الفتاوى ١٣٥/٩.

وممن تأثر بالفلاسفة الغزالي حيث إن مادة الغزالي من الفلسفة هي من ابن سينا حتى قيل عن الغزالي أمرضه الشفا وكلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي[1]. فالغزالي يعول على ابن سينا في أكثر ما يشير إليه في علوم الفلسفة حتى أنه في بعض الأحايين ينقل نص كلامه من غير تغيير، وأحياناً يغيره وينقله إلى الشرعيات أكثر مما نقل ابن سينا لكونه أعلم بأسرار الشرع منه. فعلى ابن سينا ومؤلف رسائل إخوان الصفا عول الغزالي في علم الفلسفة[2].

والغزالي من أبرز من يتلقى عنه النورسي . فهو معلم النورسي البارز. ولم يرفض الغزالي أقوال المشائين إلا بعد أن ترك الفلسفة إلى علم الحديث كما يذكر عنه ، وشنع على الفلاسفة والمتفلسفة . يقول شيخ الإسلام عن الغزالي:

"ولهذا جعلوا كثيراً من كلامه برزخاً بين المسلمين والفلاسفة المشائين، فالمسلم يتفلسف به على طريقة المشائين تفلسف مسلم، والفيلسوف يسلم به إسلام فيلسوف، فلا يكون مسلماً محضاً ولا فيلسوفاً محضاً على طريقة المشائين"[3].

وقد انعكست بعض مقولات الفلاسفة على النورسي في رسائله فهو لم يترك الفلسفة إلا بعد أن شاب شعر رأسه[4]. فلا عجب إذاً من إيراده أقوالاً تخالف عقيدة المسلم في الكفار بل أئمة الكفر من الفلاسفة والزنادقة المشهورين. كأمثال رأس الضلالة أرسطو وأفلاطون . فبعد أن مُلئت صفحات كتب العلماء الربانيين بالتحذير منها ومن أقوالهما الكفرية. يقول النورسي إنهما من أهل النجاة: "إن الطريقين الأولين، هما طريق "المغضوب عليهم والضالين" فيهما مخاطر كثيرة، فهي شتاء دائم لا ربيع فيهما، بل ربما لا ينجو إلا واحد من مئة شخص قد سلك فيهما ... كأفلاطون وسقراط"[5]. وقد عد بعض الباحثين النورسي فيلسوفاً من

---

[1] انظر بغية المرتاد ٤٤٩/١ ، ودرء التعارض ١٧٢/٨.

[2] انظر العقيدة الأصفهانية ١٧١/١.

[3] منهاج السنة النبوية : ٣٥٧/١.

[4] انظر الكلمات /٣٦٧.

[5] الكلمات: ٨٩٠.

حيث لا يشعر. حيث إن للنورسي آراء واجتهادات وتصورات لم يسبق إليها. يقول سليمان خيري بولاي[1]:

" الأستاذ مفكر ، حتى إنه يعد فيلسوفاً .وذلك لأن له أفكاراً خاصة به في مختلف المواضيع . وقد شعر بعض طلبة رسائل النور اليوم بالحاجة إلى وضع أسس فلسفية وعقلية لأفكاره ، فمثلاً لقد قام صفا مرسل بتأليف كتاب كبير حول الأفكار السياسية لشخص قال: "أعوذ بالله من السياسة" باسم "فلسفة الدولة عند بديع الزمان" ويتضح من ذلك أن الأستاذ له أفكار فلسفية برغم الفلسفة، ويمكن أن تكون هذه الأفكار متعلقة بساحات علم الوجود، واللاهوت، والمعرفة، والأخلاق، وغيرها، ويجب أن تدرس هذه كل على حدة"[2].

وهذه شهادة أحد الفلاسفة بأن النورسي يعد فيلسوفاً لما له من آراء انفرد بها عن طريق القياس العقلي في مسائل اللاهوت وعلم الوجود وغيرها. والنورسي لا ينكر هذا فهو يرى أن لكل زمان فلسفة وحكمة خاصة به[3].

يقول النورسي: "إن أساس وخميرة الشرور والرذائل والخطايا كلها هو العدم والهدم، وما يبدو من وجودها الظاهر يختفي تحته الإفساد، والتعطيل والعدم"[4]. فالعدم عنده شر محض[5] لأن العدم الواحد يؤدي إلى ما لا نهاية من العدم[6].

والعدم عند السلف ليس بشيء حتى ينسب إليه الأعمال والشرور في الكون فهو كاسمه عدم[7].يقول ابن القيم عن العدم المحض"ليس وراء العالم ولا فوق العرش إلا العدم المحض[8]" والعدم هو صفة سلبية للإنسان وللخلق أجمع قبل الخلق والايجاد. فكل مخلوق كان قبل خلقه وإيجاده عدماً.

---

[1] أ.د . سليمان خيري بولاي . بروفيسور في قسم تاريخ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة حاجت بتركيا.

[2] انظر المؤتمر العالمي لبديع الزمان الثالث : ٢٤٥.

[3] انظر صيقل الاسلام : ٤١.

[4] الشعاعات : ٣٢٠، والكلمات : ٥٥٣.

[5] انظر اللمعات: ١٣.

[6] انظر الكلمات : ٨٣، ١١٣، ١٥٦، ١٩١، ٢٣٤.

[7] انظر الصواعق المرسلة : ١٤٤٣/٤، انظر لقول ابن عربي في العدم المحض مجموع الفتاوى ٢٠٧/٢.

[8] الصواعق المرسلة : ٢٥٣/١٢.

يقول شيخ الإسلام: "من المعلوم أن بعض أجزاء العالم يشاهد عدمه بعد الوجود. ووجوده بعد العدم كصور الحيوان والنبات والمعدن وأنواع من الأعراض، وهذا معلوم بالحس بأنه ليس واجب الوجود بل ممكن الوجود لقبوله العدم، وما كان واجب الوجود لذاته لا يقبل العدم، إذ لو قبل العدم لكان ممكن الوجود وممكن العدم"[١]. بل قال الرازي "المراد بالحادث: الموجود الذي وجد بعد العدم، ذاتاً كان أوصفه أما لا يوصف بالوجود كالأعدام المتجددة، والأحوال عند من يقول بها والإضافات عند من لا يقول: إنها وجودية فلا يصدق عليها اسم الحادث"[٢].

ومسألة العدم والوجود من أمهات مسائل ابن عربي في تحرير مذهبه المنحرف. وهي في أصلها من أصول مسائل أهل الكلام التي تنازع فيها الناس، وترجع جذورها التاريخية إلى أفلاطون[٣] وأرسطو[٤].

فالأصل الأول عند ابن عربي هو: أن الأشياء كلها ثابتة في العدم مستغنية بنفسها نظير قول من يقول المعدوم شيء، لكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق جل وعلا وذات المخلوق[٥]. وقد قال بهذا أغلب المعتزلة.

وقد منع السلف هذا فإن الماهية لا تخلو من الوجود الخارجي أو الذهني. قال شيخ الاسلام : "والذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الأصناف : أن المعدوم ليس في نفسه شيئاً وأن ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع القديم. قال تعالى لزكريا :(**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً**) [مريم:من الآية٩] فأخبر أنه لم يكن شيئاً. وقال تعالى:(**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**) [الطور:٣٥] فأنكر عليهم اعتقاد أن يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم، أو

1 بغية المرتاد : ٤٣٠، وانظر ٣٩٩، ٤٠٤.

2 انظر درء تعارض العقل والنقل : ٢٣٧.

3 انظر بغية المرتاد : ٤١٤ — ٤١٥.

4 انظر بغية المرتاد : ١٨٠ وما بعدها.

5 أما الأصل الثاني فهو نظريته في وحدة الوجود . بحيث يقول أن الوجود لهذه الذوات الثابتة هي عين وجود الحق الواجب . انظر بغية المرتاد : ٣٩٥.

خلقوا هم أنفسهم. ولو كان المعدوم شيئاً لم يتم الإنكار، إذ جاز أن يقال ما خلقوا إلا من شيء لكن هو معدوم فيكون الخالق لهم شيئاً معدوماً.

وقال تعالى: (**فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً**) [مريم: من الآية٦٠] ولو كان المعدوم شيئاً لكان التقدير: لا يظلمون موجوداً ولا معدوماً والمعدوم لا يتصور أن يظلموه فإنه ليس لهم. وأما استدلالهم بقوله تعالى:(**إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**) [الحج:من الآية١] فهو إخبار عن الزلزلة والواقعة وأنها شيء عظيم، ليس أخبار عن الزلزلة في هذه الحال. ولهذا قال تعالى: (**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**) [الحج: من الآية٢]. ولو أريد به الساعة لكان المراد بها شيئًا عظيمًا في العلم والتقدير. وقوله تعالى: (**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) [النحل:٤٠]. فالآية حجة عليهم لأنه أخبر أنه يريد الشيء وأنه يكونه، وعندهم أنه ثابت في العدم، وإنما يراد وجوده لا عينه ولا نفسه، والقرآن قد أخبر أنه نفسه تراد وتكون، لأن الماهيات مجهولة، وماهية كل شيء عين وجوده، وليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته وليس وجوده في الخارج زائداً على ذلك"[1].

ومن كلام شيخ الإسلام: في رده على من يقول " لا نسلم أن قيام الصفات بالجوهر لكونه متحيزاً " قال: "العدم لا شيء، وما جعل في لاشي لم يجعل في شيء"[2].

ومما سبق نقول إن قول النورسي بوجود العدم بل والعدم المحض أيضاً باطل. يقول النورسي:" إنه من القواعد الأصولية أن العدم المطلق لا يثبت إلا بمشكلات عظيمة"[3]. وقد وافق النورسي ابن عربي في الأصل الأول وهو القول بأن العدم شيء مما جعله يوافقه أيضاً في أصله الثاني وهو أن الوجود الثابت إنما هو عدم لأن الوجود واحد. يقول:

"ولمست الضر في كل شيء.

والآمال انقلبت آلاماً.

والوجود هو العدم بعينه . وصار الوصال زوالا"[4].

---

1 انظر مجموعة الرسائل والمسائل: ٤/١٥-١٦والفصل لابن حزم٥/٤٢. وانظر بغية المرتاد ٣٩٩-٤٠٤، ٤٠٩.

2 انظر درء التعارض ٤/٨١، بيان تلبيس الجهمية ١/٥٤٧.

3 انظر اللمعات : ١٨٦.

4 المثنوي العربي النوري : ٢٩٠.

"وإن عوالم الوجود وعوالم العدم غير المحدودتين عندما تتصادمان معاً، وعندما تثمران الجنة والنار، وعندما تقول جميع عوالم الوجود "الحمد لله الحمد لله" وتردد جميـــع عـــوالم العدم: "سبحان الله، سبحان الله" وحتى عندما تتصارع الملائكة مع الشياطين والخيرات مع الشرور ... تتجلى ثمرة من ثمار الإيمان بالملائكة"[1].

وبما أن العدم شيء يجمع الشرور كلها ــ كما يراه النورسي ــ فإنه يسوق لنا دليلاً على ما يراه وهو دليل الإجماع[2]. يقول: " لقد أجمع أهل التحقيق: أن الوجود خير محـــض ونور ، وأن العدم شر محض وظلام. واتفق أئمة أهل القلب والعقل على أن جميع الخـــيرات والحسنات والمحاسن واللذائذ ــ نتيجة التحليل ــ ناشئة من الوجود، وأن جميـــع المفاســـد والشرور والمصائب والآلام ــ حتى المعاصي ــ راجعة إلى العدم"[3].

فيخلص النورسي مما سبق وقرره وأكده إلى نتيجة معلومة الفساد عند كل مـــن لـــه مسكة من عقل وهو ادعاؤه بأنه لا يريد العدم بل البقاء حتى ولو كان هذا البقاء في جهنم يقول: "لقد حدثت خيالى في عهد صباي كما أشير إليه في رسالة الحشر. أي الأمرين تفضل ؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتـــهي ذلـــك إلى العدم، أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية شاقة ؟. فرأيته يرغب في الثانية ويضجر مـــن الأولى قائلاً :

إنني لا أريد العدم بل البقاء ولو كان في جهنم"[4]. وفي موضع آخر يقول عن عـــذاب الكافر بالنار: " لا يتصور في حقهم إلا العدم أو الوجود في العذاب، والوجود ــ ولـــو في جهنم ــ مرحمة وخير بالنسبة إلى العدم إن تأملت في وجدانك، إذ العدم شر محض، حتى إن العدم مرجع كل المصائب والمعاصي إن تفكرت في تحليلها. أما الوجود فخير محض فليكن في جهنم"[5].

---

[1] الشعاعات : ٣٢٥.

[2] في مثل هذه النقول عن الاجماع بلا دليل قال الإمام أحمد قولته المشهورة "من ادعى الاجماع فقد كذب"، انظـــر "الرد على الإخنائي" ابن تيمية: ١٩٥، ت: عبد الرحمن المعلمي، المطبعة السلفية القاهرة.

[3] الشعاعات: ٩٤.

[4] الشعاعات : ٢٧٨.

[5] إشارات الاعجاز : ٨٧ انظر " مشكلة الشر في رسائل النور" أعمال المؤتمر العالمي لبديع الزمان :٢١٧

ويكفى في رد هذه الأوهام والوساس الفلسفية قوله تعالى عن أهل النـــار في طلبـــهم العدم والفناء والزوال: (**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَـــا رَبُّـــكَ قَـــالَ إِنَّكُـــمْ مَـــاكِثُونَ**) [الزخرف:٧٧] . وقول الكافر عندما يحكم الله تعالى على كل من لا جـــزاء عليـــه مـــن مخلوقاته كالأنعام ـــ بعد القصاص ـــ بالعدم والفناء (**يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً**) [النبـــأ: مـــن الآية٤٠].

الباب الثاني

أصول الإيمان عند النورسية.

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الإيمان بالله

الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة

الفصل الثالث: الإيمان بالكتب

الفصل الرابع: الإيمان بالرسل

الفصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر

الفصل السادس: الإيمان بالقدر

الفصل الأول: الإيمان بالله.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وجود الله تعالى

المبحث الثاني: توحيد الربوبية

المبحث الثالث: توحيد الألوهية

المبحث الرابع: توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول: وجود الله تعالى.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : أدلتهم على وجود الله تعالى

المطلب الثاني: مقارنة بين أدلة النورسية وأدلة المتكلمين والفلاسفة

المطلب الأول : أدلتهم على وجود الله

الحديث عن وجود الله تعالى عند المتكلمين يسبقه الحديث عن معرفة الله تعالى، وعن طرق هذه المعرفة ، وقد ذهب المعتزلة والأشاعرة في معرفة الله تعالى أنها تجب بالعقل.

يقول الرازي في ذلك: " معرفة الله واجبة، ولا يمكن تحصيلها إلا بالنظر[1]". وقد اشتهر من أدلة المتكلمين على وجود الله ما يسمى بدليل الحدوث. ويقصدون به حدوث العالم، ولكن النورسي لم يكتفِ بهذا الدليل بل أضاف أدلة أخرى وإن كانت لا ترقى في الأهمية لمكانة هذا الدليل عند المتكلمين[2] وهذه الأدلة هي :

١- دليل الحدوث :

يقول النورسي: "إن إحداث عوالم ذات حياة وإيجاد كائنات موظفة في هذه الدنيا إحداثاً وإيجاداً بكل علم وحكمة، وميزان وموازنة، وانتظام ونظام، واستعمالها بقدرة واستخدامها برحمة في المقاصد الربانية، وفي الغايات الإلهية وفي الخدمات الرحمانية، تدل بالبداهة على وجوب وجود ذات مقدسة جليلة لا حد لقدرتها، ولا نهاية لحكمتها، وتظهرها للعقول واضحة كالشمس[3]".

ويعرض هذا الدليل الكلامي المشهور بوضوح فيقول: "نعم إن حقيقة الحدوث قد استولت على الكون، فالعين ترى أكثرها، والعقل يرى القسم الآخر منها، ذلك لأننا نشاهد أنه مع حلول الخريف في كل سنة يموت عالم عظيم جداً، فيموت معه أفراد غير محددة لمئة ألف نوع من النباتات والحيوانات الصغيرة، كل نوع منه بحكم كون ذي حياة. ولكن ذلك الموت يجري في غاية الانتظام، بحيث تودع تلك الأفراد بذورها ونواها وبويضاتها التي تصبح مداداً لحشرها ونشرها، والتي هي بذاتها معجزات الرحمن والحكمة وخوارق القدرة والعلم تودعها أمانة لدى حكم الحفيظ ذي الجلال ، وتحت رعايته وحمايته ، مسلمة إلى أيديها صحف أعمالها، وبرامج مما قدمت من وظائف وبعد ذلك تموت"[4].

---

[1] محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين : ٦١. وانظر "الملل والنحل" للشهرستاني: ٦٧/١ [دار المعرفة – بيروت ١٤٠٤هـ].

[2] فهو يقول عن دلائل إثبات وجوده سبحانه أنها ليست منحصرة بما سلكه المتكلمون ، فالطريق واسعة جداً . انظر الكلمات : ٨٢٦.

[3] الشعاعات : ١٨٣.

[4] نفس المرجع السابق والصفحة.

ويقول استشهاداً بحدوث الأعيان على أن العالم حادث: "قال علماء الكلام إن العالم متغير، وكل متغير حادث، وكل حادث لا بد له من محدث، أي موجد، لذا فالكون لا بد له من موجد قديم، ونحن نقول: إن الكون حادث، حيث نشاهد في كل عصر، وفي كل سنة، وفي كل موسم عالماً يرحل، ويحط آخر مكانه، وتمضي الكائنات وتأتي أخرى، فالقدير ذو الجلال هو الذي يوجد هذا العالم من العدم كل سنة، بل في كل موسم بل في كل يوم ويعرضه أمام أرباب الشعور ثم يأخذه ويأتي مكانه بآخر وهكذا ينتشر الواحد تلو الآخر في تعاقب مستمر"[1].

٢- دليل الاختراع :

والاختراع هو الإنشاء والإبداع على غير مثال سابق[2] وهذا الدليل عند النورسي دليل قرآني في الأصل من قوله تعالى: (**الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**) [البقرة:من الآية٢١] فالله أعطى لكل فرد، ولكل نوع وجوداً خاصاً هو منشأ آثاره المخصوصة، ومنبع كمالاته اللائقة إذ لا نوع يتسلسل إلى الأزل لإمكانه، ولبطلان التسلسل، ولأن هذا التغير في العالم يثبت حدوث بعض الموجودات بالمشاهدة والبعض الآخر بالضرورة العقلية"، ويقول: "فيا عجباً كيف تستوعب أذهان الضلالة بأزلية المادة وهي تنافي الأزلية قطعاً بينما تعجز تلك الأذهان أن تدرك أزلية الخالق الجليل، التي هي من ألزم صفاته الضرورية ؟ ثم كيف وجدت الذرات المتناهية في الصغر قوة وثباتاً بحيث تقاوم أوامر القدرة الإلهية، وتبقى أزلية، بينما الكون بعظمته منقاد إلى تلك الأوامر انقياد طاعة وخضوع ؟ وكيف يسند الإبداع والإيجاد وهما من خواص القدرة الإلهية إلى أعجز شيء وأهونه وهو الأسباب ؟ فالقرآن الكريم يرسخ هذا الدليل في حياته التي تبحث عن الخلق والإيجاد، ويقرر أن لا مؤثر إلا الله وحده. فالأسباب لا تأثير لها تأثيراً حقيقياً ، وإنما هي شعائر أمام عزة القدرة وعظمتها، لئلا يرى العقل مباشرة يد القدرة بالأمور الخسيسة بنظره الظاهر"[3].

٣- دليل الإمكان :

والإمكان هو عبارة عن كون الماهية بحيث تتساوى نسبة الوجود والعدم إليها[4]. يقول النورسي عن هذا الدليل: "أما جهة الإمكان فهو الآخر قد استولى على الكون وأحاط به، إذ نشاهد أن كل شيء سواء كان كلياً أم جزئياً، كبيراً أم صغيراً، وكل موجود من العرش

---

[1] الكلمات : ٨٢٥.

[2] انظر المعجم الفلسفي ٤٧/١.

[3] المثنوي العربي النوري : ٤٢٩.

[4] انظر المعجم الفلسفي : ١٣٤/١.

إلى الفرش، ومن الذرات إلى السيارات يرسى إلى الدنيا بذاتية خاصة، وبصورة معينة، وبشخصية متميزة، .. إن جميع هذه الإشارات والدلالات والشهادة الصادرة عن حقيقة الإمكان تشكل بلا شك أحد جناحي هذه الشهادة العظمى للكون، لأنه بعدد جميع الممكنات الكلية والجزئية، وبعدد إمكانات كل ممكن من ماهية وهوية، وما له من هيئة أو صورة، وما يتميز به من صفة ووضعية، هناك إشارات ودلائل وشهادات على واجب الوجود سبحانه، يخصص ويحدث ويعين ولا حد لقدرته ، ولا نهاية لحكمته"[1].

ويقول في موضع آخر: إن ما يشاهده في الكون من مرتبة الإمكان والكثرة والانفعال يستلزم بالبداهة الأولوية مرتبة الوجود ، والوحدة والفاعلية، فيدل بالضرورة على وجوب وجود الواجب الأحد الفعال"[2].

٤- دليل العناية :

يقول: "إن جميع الآيات التي تعدد منافع الأشياء، وتذكر حكمها، هي نساجة لهذا الدليل، ومظاهر تجلي هذا البرهان.

وزبدة هذا الدليل هي: إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات، وما فيها من رعاية المصالح والحكم"[3]. ويقول: "ما يتظاهر من مجموع الكائنات كلا، أو أجزاء من الحكمة العامة المتضمنة للقصد والشعور، والإرادة، والاختيار، الدالة على وجود حكيم مطلق، لامتناع الفعل بلا فاعل، ولامتناع أن يكون جزء المفعول المتفعل الجامد فاعلاً لهذا الفعل العام الشعوري"[4].

ويشرح هذا الدليل من خلال تأمله في الكائنات قائلاً: "إن إرسال اللبن السائغ إلى رضيع صغير لا يملك حولاً ولا قوة، ومن حيث لا يحتسب من بين عظم ودم، فعل جزئي، هذا الفعل الجزئي ما إن ينظر إليه بنظرة التوحيد يظهر الجمال السرمدي لرحمة الرحمن بأبهى كماله، وبأجلى سطوعه في إعاشة جميع الصغار في العالم إعاشة خارقة، وفي إحاطتهم بمنتهى

---

[1] الشعاعات : ١٨٤.

[2] المثنوي النوري العربي : ١٢٢.

[3] المرجع السابق : ٤٢٨.

[4] المرجع السابق : ١١٦.

الشفقة والحنان بتسخير والدهم لهم، ولكن هذا الفعل ، فعل إرسال اللبن إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد، لاختفى ذلك الجمال الباهر كلياً ولما ظهر قطعاً"[1].

"ومثلما البحار تعرفك وتعرّفك بعجائبها وغرائبها، كذلك الجبال تعرفك وتعرّفك بخدماتها وبحكمها، بتأمين سكون الأرض من تأثير الزلال ودمارها، وبتهدئة الأرض من غوائل الانقلابات الجارية في جوفها، وبإنقاذ الأرض من فيضان البحار وطغيان عوارمها، وبتصفية الهواء من الغازات المضرة، وبمحافظتها على المياه وضمان ادّخارها، وبخزنها المعادن المستلزمة لحاجات الأحياء. نعم فما من نوع من أنواع الصخور التي في الجبال، ولا قسم من أقسام المواد التي هي علاجات لمختلف الأمراض والعاهات إلا وتشهد بداهة على وجوب وجود صانع ذي قدرة غير متناهية"[2].

٥- دليل الاستقراء :

وهو التتبع للأمر لمعرفة أحواله[3]. والمقصود هو استقراء الدلائل في الكون والحياة على وجود الله تعالى " فالقرآن يذكر الأشياء الكونية للاستدلال على صفات الخالق جل جلاله فما كان أظهر لفهم الجمهور كان أوفق للإرشاد مثلاً: يقول الله تعالى : (**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**) [الروم: من الآية٢٢] . مع أن خلف طبقة الألوان مسافات تعينان الوجه، ويقول: (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**) [آل عمران:١٩٠] مع أن تحت صحيفة الليل والنهار المقروءة بأول النظر عجائب نقوش تحريك الأرض على نفسها وتدويرها حول الشمس "[4].

وعند جوابه لمن سأله:لماذا لا يرى الجميع بعقولهم الخالق العظيم ؟ قال: "الكمال ظهوره ولعدم الضد. تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى لك رسائل فهذا الكتاب الكوني العظيم يتجلى فيه النظام بوضوح تام بحيث يظهر النظام كالشمس في رابعة النهار[5].

---

[1] الشعاعات : ٩.

[2] المصدر السابق : ٥٦.

[3] انظر المعجم الفلسفي : ٧١/١.

[4] المثنوي العربي النوري : ٣٢٢.

[5] الصواب رائعة النهار كما في محيط المحيط ، وأقرب الموارد، والوسيط. نقلاً من كتاب " معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة ": ص ٢٤٧.

فتظهر معجزة القدرة في كل كلمة أو حرف فيه   إنك ترى أن في هذا الكتاب من النظم الدقيق المتشابك المتشابه بحيث يلزم لإيجاد نقطة في مكانها الصحيح قدرة مطلقة تستطيع إيجاد الكون كله"[١].

٦- دليل النظام :

ويقصد به النظام القائم بين الأشياء. فإنها توجد وتعمل في هيئة منتظمة متناسقة. يقول النورسي:"ماذا يتراءى ويتظاهر في الكائنات مجموعاً وأجزاءً من فرع "التنظيمات" المتلاحظة والنظامات المتناظرة والموازنات المتساندة الدالة على وجوب وجود هذه الكائنات في تصرف قبضتي "نظامه وميزانه"والشاهدة بالتلاحظ والتناظر والتساند على أن المقنن والأستاذ والنظام واحد .. يفتحان منفذاً نظاراً إلى المطلوب: أي وجوب الوجود والوحدة ، تشهد الكائنات فيه بهذا اللسان أن لا إله إلا هو"[٢].

ولكن هذا النظام الموجود في الكون يخرقه الله في بعض الأحيان لإثبات قدرته وإرادته: "إن القدير العليم والصانع الحكيم، يظهر قدرته وحكمته، وعدم تدخل المصادفة في أي فعل من أفعاله قطعاً، بالنظام والتناسق التي تظهره عاداته التي هي على صورة القوانين الكونية .. وكذا يُظهر سبحانه بشواذ القوانين الكونية،وبخوارق عاداته، وبالتغيرات الظاهرية وباختلاف التشخصات، وتبدل زمان الزوال والظهور.. يظهر مشيئته وإرادته وأنه الفاعل المختار، وأن اختياره لا يرضخ لأي قيد كان، ممزقاً بهذا ستار الرقابة والاطراد، فيُعلم: أن كل شيء في كل آن في كل شأن من شؤونه، في كل ما يخصه ويعود إليه محتاج إليه سبحانه فتعاد لربوبيته..وبهذا يشتت الغفلة ويصرف الأنظار ، أنظار الجن والإنس من الأسباب إلى مسبب الأسباب"[٣].

---

[1] المثنوي العربي النوري : ٤٢٣.

[2] المثنوي العربي النوري : ١١٠.

[3] الكلمات : ٢٢١.

٧- دليل الوجدان الحي[1] :

وهو كل ما له صلة بالعواطف الداخلية للإنسان، وما يجده الإنسان في نفسه كاللـذة والألم والذكريات وغيرها من العواطف، وهذه لا تدرك بالحواس[2].

يذكر النورسي عن هذا الدليل أربعة براهين تؤيده وتثبته:

أولها: أن الفطرة لا تكذب ، ففي البذرة ميلان للنمو، وفي البيضة ميلان للحياة.

ثانيها: لا تقتصر حواس الإنسان الظاهرة والباطنة على الحواس الخمسة المعروفة وإنما له نوافذ كثيرة مطلة إلى عالم الغيب، فله حواس كثيرة غير معلومة.

ثالثها: لا يمكن أن يكون شيء موهوب مبدءاً لحقيقة خارجيـة . فنقطـة الاسـتناد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان في الفطرة والوجدان، حيث إن الإنسان مكـرَّم وهو صفوة المخلوقات، فلولاهما لتردى الإنسان إلى أسفل سافلين، بينما الحكمة والنظـام والكمال في الكائنات يرد هذا الاحتمال.

رابعها: أن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطل العقل نفسه وأهمل عمله بل حتى لـو أنكر نفسه فالوجدان يبصر الخالق ويراه ، ويتعامل معه ويتوجه إليه[3].

وبعد ذلك يقول: "أمعن في الوجدان لترى كيف أنه برهان مودع في نفس كل إنسان يثبت التوحيد، ولتشاهد أيضاً أن قلب الإنسان مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسد فالعقدة الحياتية فيه وهي معرفةالله تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشعبةفي أهوائه واستعداداته غير المحدودة"[4].

ويرى النورسي أن هذا الدليل يشير إلى وحدانية الله من حيث افتقار المخلوقـات إلى مربٍ يمدهم بمطاليبهم المتنوعة، وأن هذا ما يسبب القلق لدى أصحاب القلوب المعرضة عن المصير والهدف: "فإنه لا خلاص للقلوب والأرواح من قبضة القلق الرهيب، ومن دوامـات الخوف والاضطراب، ومن ضمأ الضلالة وحرقة نار البعد عن الله إلا بمعرفة خالق واحد أحد إذ ما أن يسلم أمر القلوب والأرواح،وأمر كل الموجودات إلى خالق واحد أحد تجد راحتها،

---

[1] ويُطلق عليه دليل الفطرة الشاعرة.

[2] انظر المعجم الفلسفي ٥٥٧/٢.

[3] انظر المثنوي العربي النوري : ٤٣١.

[4] المثنوي العربي النوري ، وانظر صيقل الإسلام : ١٢٢.

ويحظى بخلاصها من عناء تلك الزلازل النفسية المدمرة وتسكن من ذلك القلق وتستقر وتطمئن"[1].

٨- الدليل العلمي :

وهو الدليل المستفاد من نتاج الحضارة الحديثة. حيث إن دلائل تلك الاكتشافات والاختراعات ومعرفة نواميس الكون تدل على خالقها الذي أبدعها. يقول: "إن كل علم في الحقيقة عبارة عن دساتير وقواعد كلية، وكلية القواعد تدل على حسن النظام، إذ ما لا نظام له لا تجري فيه الكلية، فالإنسان مع أنه قد لا يحيط بنفسه بالنظام كله، إلا أنه يدركه بجواسيس العلوم، فيرى أن الإنسان الأكبر وهو العالم منظم كالإنسان الأصغر سواء بسواء فما من شيء إلا ومبني على أسس حكيمة، فلا عبث، ولا شيء سدى"[2].

وعندما سأله طلاب من الثانوية قائلين له: "عرفنا بخالقنا فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا . قال : إن كل علم من العلوم التي تقرؤونها يبحث عن الله دوماً ، ويعرف بالخالق الكريم بلغة خاصة. فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين.

فمثلاً : لو كانت هناك صيدلية ضخمة في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية ، وضعت فيها بموازين حساسة، وبمقادير دقيقة، فكما أنها ترينا أن وراءها صيدلياً حكيماً وكيميائياً ماهراً كذلك صيدلة الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربع مئة ألف نوع من الأحياء نباتاً وحيواناً، وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيميائية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة فهذه الصيدلية الكبرى ترى حتى للعيان صيدليها الحكيم ذا الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها، وانتظامها، وعظمتها، قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق، وعلى وفق مقاييس علم الطب الذي تقرؤون .."[3] ثم ضرب عدة أمثلة على نحو ما سبق.

٩- دليل الإجماع:

هذا الدليل يراد به إجماع جميع الأنبياء والمرسلين والأوفياء والأولياء والأصفياء والعارفين على الوحدانية يقول: "إن جميع الأنبياء عليهم السلام الذين هم أصحاب الأرواح

---

[1] الكلمات : ٧٩٣.

[2] المثنوي العربي النوري : ٤٢٦.

[3] الشعاعات : ٢٥٩.

الخيرة في النوع الإنساني مستندين إلى معجزاتهم الظاهرة الباهرة، وجميع الأولياء الذين يمثلون أقطاب القلوب المنورة معتمدين على كشفياتهم وكراماتهم، وجميع الأصفياء العلماء الذين يمثلون أرباب العقول النورانية مستندين إلى تحقيقاتهم العلمية، يشهدون جميعاً على وجوب وجود الواحد الأحد الخالق لكل شيء ويدلون على كمال ربوبيته ووحدانيته"[1].

ويتساءل عن ذلك الإجماع بين كل هؤلاء الأولياء " أليس ذلك كله استقراءً منطقياً شاملاً ، يدل على عين اليقين ، بوجود الواحد الأحد ، أليس ذلك إثباتاً فوق إثبات. وبرهاناً فوق البراهين ؛ وإلا فإلى من نلجأ في تاريخ البشرية لنستفتيهم ؟ إلا إذا خدعنا عقولنا وأفسدنا فطرتنا ، فلنجأ إلى أفراد من الناس، الذين أعلنوا إلحادهم من خلال عقولهم المطموسة ونفوسهم المظلمة"[2]، وعن حديثه عن الوحي يقول: "نعم إن تواتر مئة ألف من الأنبياء عليهم السلام واتفاقهم في جميع إخباراتهم الصادرة من الوحي الإلهي، ودلائل ومعجزات الكتب المقدسة والصحف السماوية التي هي الوحي المشهود وثماره، والتي صدقتها الأكثرية، المطلقة للبشرية واقتدت بها، واهتدت بهديها .. جعل السائح (مثال للمتفكر في حقيقة الوحي) يفهم بداهة أن الوحي حقيقة ثابتة لا مراء فيها "[3].

ويختم كلامه "بأن الدلائل التي تدل بالإجماع على وجود واجب الوجود، ووحدانيته سبحانه هي حجة كبرى، بل هي أقوى من شهادة الشمس على نفسها في رابعة النهار"[4].

أما مناقشة أدلة النورسي هذه، فسيكون في المطلب التالي:

---

[1] الكلمات : ٧٩٠.

[2] الكلمات : ٣٤٨.

[3] الشعاعات : ١٦٢.

[4] المصدر السابق : ١٦٣.

المطلب الثاني : مقارنة بين أدلة النورسية وأدلة المتكلمين والفلاسفة

لم يترك النورسي باب إثبات وجود الله تعالى في جميع رسائله إلا أطال في الشرح وأسهب، وهذا قد يكون له مسوغ إذا علمنا بالعصر الذي عاش فيه، حيث انتشر الإلحاد وإنكار وجود الله تعالى عند طائفة كبيرة من أبناء المسلمين أغلبهم من كان له نصيب من العلم المادي المبتور من نوره الشرعي. ولكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد أو الحقيقي في الإسهاب في مسألة إثبات وجود الله ــ على حد علمي ــ حيث إن هذه المسألة قد أكثر فيها أهل الكلام من التأليف والشرح[1] وخاصة عمدتهم في ذلك وهو دليل الحدوث. ويُلاحظ أن النورسي لم يكتف بدليل الحدوث بل أضاف أدلة أخرى لم يتطرق إليها المتقدمون مثل دليل العلم الحديث وغيره.

دليل الحدوث، خلاصته أنه لا يعرف الرسول حتى نثبت وجود الصانع ولا يعلم وجود الصانع إلا بحدوث الحوادث (العالم) وحدوث العالم لا يعلم إلا بما به يعلم حدوث الأجسام.

ثم بعد ذلك اختلفوا في تقرير مسألة "الحدوث" اختلافاً كبيراً يقول ابن تيمية: "وأما المعتزلة وأتباعهم فقد يحتجون بذلك، لكن عمدتهم الكبرى حجتهم التي زعموا أنهم أثبتوا بها حدوث العالم، وهي حجة الأعراض، فإنهم استدلوا على حدوث العالم بحدوث الأجسام، واستدلوا على حدوث الأجسام بأنها مستلزمة للأعراض، ثم قالوا أن الأعراض أو بعض الأعراض حادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، فاحتاجوا في هذه الطريق إلى إثبات الأعراض أولاً، ثم إثبات لزومها للجسم"[2]، ثم ذكر الخلاف بينهم في إثبات لزوم الأعراض للجسم.

وقد كان نتيجة لهذا الدليل نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى بحجة نفي حلول الحوادث بالله تعالى لذلك نفى الأشاعرة صفة الخلق عن الله تعالى هرباً من القول بحلول الحوادث به حيث إن صفة الخلق عندهم إنما اتصف الله بها بعد أن خلق الخلق فقالوا: إن

---

[1] وكان سبب الإكثار من هذه الأدلة هو اعتقاد المتكلمين أو جلهم أن توحيد الله ومعنى كلمة لا إله إلا الله إثبات ربوبية الله وأنه لا خالق إلا الله.

[2] انظر: درء تعارض العقل والنقل : ١/٣٠١-٣٠٢.

الخلق هو المخلوق بمعنى أن المخلوق وجد في العالم بدون صفة الخلق من الله[1]، فتسلط عليهم الفلاسفة وقالوا إن هذا يقتضي الترجيح بلا مرجح وهو محال. ولما ظن الفلاسفة أن قول الأشاعرة هو دين الرسل قالوا: "إن الرسول يبين الحقائق سواء علمها أو لم يعلمها، وإنما خاطب الجمهور بما يخيل لهم ما ينتفعون به"[2]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فصار أولئك المتكلمون النفاة مخطئين في السمعيات والعقليات ، وصار خطؤهم من أكبر أسباب تسلط الفلاسفة ، لما ظن أولئك الفلاسفة الدهرية أنه ليس في هذا المطلوب إلا قولان : قول أولئك المتكلمين ، وقولهم . وقد رأوا أن قول أولئك باطل فجعلوا ذلك حجة في تصحيح قولهم ، مع أنه ليس للفلاسفة الدهرية على قولهم بقدم الأفلاك حجة عقلية أصلاً ، وكان من أعظم أسباب هذا أنهم لم يحققوا معرفة ما بعث الله به رسوله ﷺ [3].

وقد صرح بعض الأشاعرة ببطلان مذهبهم في تقرير هذا الدليل ومنهم الرازي والآمدي[4] "فهو دليل طويل المقدمات لا يفهمهما كثير من الناس، مع ما يلزم منه من نفي صفات الله تعالى. ومع أن هذا الدليل هو عند أهل الكلام أصل الدين وأساس الإيمان بما جاء به الرسول فلا يحصل إيمان عبد إلا بهذا الطريق. يقول الجويني: "والدليل على أن العالم له صانع، أنه قد صح حدوث العالم بالدلالة التي ذكرناها، فالحادث جائز الوجود، إذ يجوز تقدير وجوده بدلاً من عدمه، ويجوز تقدير عدمه بدلاً من وجوده، فلما اختص بالوجود الممكن بدلاً من الجائز افتقر إلى مخصص وهو الصانع تعالى"[5].

ويوضح الجويني كيفية تقرير المتكلمين لوجود الله تحت باب: القول في إثبات العلم بالصانع، "إذا ثبت حدوث العالم، وتبين أنه مفتتح الوجود، فالحادث جائز وجوده وانتفاؤه، وكل وقت صادف وقوعه كان من المجوزات تقدمه عليه بأوقات، ومن الممكن استئخار وجوده عن وقته بساعات، فإذا وقع الوجود الجائز بدلاً عن استمرار العدم المجوز، قضت العقول ببداهتها بافتقاره إلى مخصص خصصه بالوقوع، ثم إذا وضح افتقار الحادث إلى

---

[1] انظر : خلق أفعال العباد : ١٨٦.

[2] مجموع الفتاوى ٢٢٤/١٨ .

[3] المرجع السابق ٢٢٤/١٨ ، ٢٢٥.

[4] انظر درء تعارض العقل والنقل ٢٦٧/٤ ، ومجموع الفتاوى ١٤٠/١٢.

[5] لمع الدلالة إلى قواعد أهل السنة والجماعة : ٧٧.

مخصص على الجملة، فلا يخلو ذلك المخصص من أن يكون موجباً لوقوع الحدوث بمثابة العلة الموجبة معلولها، وأما أن يكون طبيعته وأما أن يكون فاعلاً مختاراً.

وباطل أن يكون جارياً مجرى العلل، فإن العلة توجب معلولها على الاقتران فلو قدر المخصص علة لم يخل من أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة فيجب أن توجب وجود العالم أزلاً، وذلك يقضي إلى القول بقدم العالم وقد أقمنا الأدلة على حدثه وإن كانت حادث افتقرت إلى مخصص، ثم يتسلسل القول في مقتضى المقتضي.

ومن زعم أن المخصص طبيعة فقد أحال فيما قال، فإن الطبيعة عند مثبتها توجب آثارها إذا ارتفعت الموانع، فإن كانت الطبيعة قديمة، فلتقض بقدم العالم، وإن كانت حادثته فلتكن مفتقرة إلى مخصص. فإن بطل أن يكون مخصص الحادث علة توجبه أو طبيعة توجده بنفسها فيتعين بعد ذلك القطع بأن مخصص الحوادث فاعل لها على الاختيار، مخصص إيقاعها ببعض الصفات والأفعال وهذا الفاعل هو صانع العالم وهو الله عز وجل[1].

ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الكلام في إثبات الصانع بقوله: "إن إثبات الصانع يمكن بطرق كثيرة، منها الاستدلال بالحدوث على المحدث وهذا يكفي فيه حدوث الإنسان نفسه أو حدوث ما يشاهده من المحدثات كالنبات والحيوان وغير ذلك ثم أنه يعلم بالضرورة أن المحدث لا بد له من محدث"[2]. وبهذا الدليل استدل الغزالي[3] والتفتازاني[4] وغيرهم.

الطريقة التي سلكها المتكلمون كطريقة صاحب الإرشاد ونحوه، هي في الأصل مأخوذة عن المعتزلة نفاة الصفات، وعليها بنى هؤلاء وهؤلاء (أي المعتزلة والأشاعرة) أصل دينهم وجعلوا صحة دين الإسلام موقوفاً عليها، وذلك أنه موقوف على الإيمان بالرسول، والإيمان به موقوف على معرفة المُرْسِل، وزعموا أن المرْسِل لا يُعرف إلا بها.

قالوا لأنه لا يعرف إلا بالنظر والاستدلال المفضي إلى العلم بإثبات الصانع وقالوا ولا طريق إلى ذلك إلا بإثبات حدوث العالم ثم قالوا ولا طريق إلى ذلك إلا بإثبات حدوث

[1] انظر كتاب الارشاد : ٣٩-٤٠.

[2] درء التعارض ٩٨/٣.

[3] الاقتصاد في الاعتقاد ٢٦ وما بعدها .

[4] شرح المقاصد ١٧/٤-٢٢.

الأجسام ولا دليل على ذلك إلا الاستدلال بالأعراض أو ببعض الأعراض كالحركة والسكون أو الاجتماع والافتراق وهي الأكوان ، فإن الجسم لا يخلو منها ، وهي حادثة ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث[1].

وقد اهتم النورسي بهذا الدليل كثيراً في رسائله. ولكن كان عرض النورسي لهذا الدليل خالياً من المقدمات الجدلية عن السابقين مراعاة لأفهام السامعين. وإن كان المتقدمون تكلموا عن حدوث الصفات أو حدوث الأعيان أو حدوث الأعراض. إلا أن النورسي تكلم عن حدوث الأعيان أو الأجسام حيث يقول:" قال علماء الكلام إن العالم متغير، وكل متغير حادث، وكل حادث لا بد له من محدث، أي موجد، لذلك فالكون لا بد له من موجد قديم، ونحن نقول إن الكون حادث حيث نشاهد في كل عصر وفي كل سنة، وفي كل موسم عالماً يرحل، ويحط آخر مكانه، تمضي الكائنات وتأتي أخرى، فالقدير ذو الجلال هو الذي يوجد هذا العالم من العدم في كل سنة"[2].

وأما دليل الاختراع فهو مبني على دليل الحدوث في العالم وأن الله تعالى هو الذي أنشأ وخلق من عدم. ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: من الآية٢١][3]

ولهذا الدليل علاقة بمسألة متفرعة عن دليل الحدوث وهي مسألة التسلسل التي قال عنها شيخ الإسلام إنها من محارات العقول ، حيث إن الناس انقسموا في هذه المسألة إلى طرفين ووسط.

- القول الأول منعه في الماضي والمستقبل كقول جهم وأبي الهذيل العلاف فقال جهم بفناء الجنة وقال العلاف بفناء حركات أهلها.

- القول الثاني:جوازه في المستقبل دون الماضي بحجة أن الماضي دخل في الوجود دون المستقبل وهذا قول عامة أهل الكلام.

- القول الثالث: من أجازه في الماضي والمستقبل وهذا قول أئمة أهل السنة كالإمام أحمد وعبد الله بن المبارك .

---

[1] انظر الصفدية ٢٧٤/١.

[2] الكلمات: ٨٢٥.

[3] منهاج السنة ٢٩٦/١.

وهذا القول الثالث قال به أئمة الفلاسفة ولكن بفارق جوهري دقيق[1] وهو أن أهل السنة يقولون إن الله متصف بصفات الكمال أزلاً أبداً. في حين أن الفلاسفة ينكرون الصفات الإلهية. مما جعلهم يقولون بقدم العالم. والفلاسفة لا يفرقون بين التسلسل في الآثار أو التسلسل في الفاعلين. فقول أهل السنة هو جواز التسلسل في الآثار دون الفاعلين لأن الفعل لابد أن ينتهي إلى الله تعالى. والفلاسفة عندما قالوا بجواز التسلسل في الماضي والحاضر لم يفرقوا بين الآحاد من المعقولات وبين نوعها فقالوا بقدم الآحاد. وهذا هو حقيقة قولهم في التسلسل الباطل. وهو ما أنكره أهل السنة. وأما أهل السنة فقالوا بقدم النوع لأن الله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال الإلهية[2].

والنورسي خلال حديثه عن هذا الدليل ينفي التسلسل عموماً، ولا شك أن مراده التسلسل في الفاعلين لأنه أراد أن تنتهي الأمور إلى يد خالق واحد. وهذا ما جعله ينفي الأسباب في الكون وأنه لا تأثير لها إلا في الأمور الاعتبارية[3] يقول: لقد فند علماء الكلام فكرة الدور والتسلسل وأثبتوا بطلانها باثني عشر برهاناً وقطعوا سلسلة الأسباب والمسببات وأثبتوا بذلك الواجب الوجود[4].

ولا شك أن إنكار الأسباب الكونية باطل شرعًا وعقلاً، حيث لا قوام للحياة بدون تلك الأسباب:

وتحدث النورسي عن دليل الإمكان الذي تعرض للكثير من النقد مع صحة نتيجته يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذه الطريقة ــ الإمكان ــ إن كانت صحيحة بلا ريب لكن نتيجتها إثبات وجود الواجب ، وهذا مما لا ينازع فيه أحد من العقلاء المعتبرين، ولا هو من المطالب العالية، ولا فيه إثبات الخالق، ولا إثبات وجود واجب أبدع السموات والأرض كما يسميه الإلهيون من الفلاسفة كأرسطو وأتباعه المشائيين، وإنما فيه أن الوجود

[1] من هنا أُتهم شيخ الإسلام ابن تيمية بالميل إلى مذهب الفلاسفة في هذه المسألة . انظر ما كتبه الكوثري في تعليقاته على كتاب (الأسماء والصفات) للبيهقي .

[2] انظر مجموع الفتاوى : ٢٢٨/١٨، ١٢ / ٤٥ وما بعدها ، درء التعارض ٣٦٣/١، ٢٩٢/٤.

[3] انظر صيقل الاسلام : ١٢٩.

[4] انظر الكلمات : ٨٢٦.

وجود الواجب"[1]. ويقول: "إنه لما ثبت أنه صنع الممكنات، أثبت علمه وقدرته، فلا بد أن يثبت أولاً وجود شيء ممكن ليس بواجب ليبني عليه ثبوت واجب مبدع لوجود ممكن، ليتم ما سلكه، وأما مجرد إثبات وجود واجب فلا يفيد هذا المطلوب. فليفهم اللبيب هذا"[2]. وإن كان النورسي قد اعتمد هذا الدليل على إثبات وجود الصانع إلا أنه انتقده بقوله: "أما موضوع الإمكان فقد قال المتكلمون أن الإمكان متساوي الطرفين، أي إذا تساوى العدم والوجود بالنسبة إلى شيء ما، فلابد له من مخصص ومرجح وموجد، لأن الممكن لا يمكنه بداهة أن يوجد ممكناً آخر مثله، أي لا يمكن أن يوجد الممكن الآخر لأن وجوده يكون سلسلة دائرة مخلوقة من الممكنات فلا بد إذن من واجب الوجود"[3] ثم يقول: "إن إظهار الختم الخاص للخالق الجليل على كل شيء المختوم به كل شيء لهو أسهل وأقوى وضوحاً من برهان انقطاع سلسلة الأسباب ثم بلوغ إثبات الخالق جل وعلا"[4].

ومن أدلة النورسي دليل النظام[5] وهو دليل الإتقان أو دليل الإحكام المشهور الذي تكلم عنه الأئمة من أهل السنة والمتكلمين، قال عنه ابن تيمية: "والطريق الخامسة (من طرق الاستدلال على الصانع) الاستدلال بما في العالم من الإحكام والإتقان على علم الفاعل والذي يدل على علمه هو بالدلالة على ذاته أولى"[6]. ودليل العناية يدخل في هذا الدليل من باب دخول الخاص في العام.

ومن أدلة النورسي دليل الوجدان الحي أو الفطرة الشاعرة وهو من الأدلة التي لا يحتاج الإنسان معها إلى دليل آخر لمن سلمت فطرته على إثبات صانع لهذا الوجود.يقول ابن القيم: "وتأمل حال العالم كله علويه وسفليه بجميع أجزائه تجده شاهداً بإثبات صانعه وفاطره ومليكه، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده لا فرق بينهما"[7]

---

[1] درء التعارض : ١٧٥/٣ .

[2] شرح العقيدة الأصفهانية : ١٥.

[3] الكلمات : ٨٢٥.

[4] المرجع السابق: ٨٢٦ .

[5] انظر الكلمات : ٢٢١ والشعاعات : ٢١٧.

[6] انظر درء التعارض ٢٩٤/٥ بتصرف يسير .

[7] انظر مدارج السالكين : ٨٢/١.

ويقول إن "دلالة الخالق على المخلوق ، والفاعل على الفعل ، والصانع على أحـــوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية، والفطر الصحيحة أظهر من العكس. فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه، إذا استدل الناس بصفته وأفعاله عليه.

ولا ريب أنهما طريقان صحيحان، كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهمـــا فأمـــا الاستدلال بالصفة فكثير.

وأما الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: (**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**) [ابراهيم: من الآية١٠] أي أيُشَكُّ في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده ؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول ؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبـــهوا على الدليل بقولهم: (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [ابراهيم: من الآية١٠]

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء ؟ وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شـــيء إذا احتاج النهار إلى دليـــــل[1]

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتممهما"[2].

والنورسي بجعله دليل الفطرة من أدلة وجود الله خالف المتكلمين حيث إنهم يثبتـــون وجود الله بالأدلة العقلية المحضة، ولا يتعرضون للأدلة الوجدانية القلبية.

أما دليل العناية الذي قال النورسي أن جميع الآيات القرآنية هي نساجة لهذا الـــدليل[3] فهو دليل اعتنى به المتكلمون والسلفيون فابن تيمية يقول خلال تأمله لخلق الإنسان وعنايـــة الله تعالى: "فماء العين والفم والأذن فيهما مياه ورطوبة، فماء العين ملح، وماء الفم عذب، وماء الأذن مر، وإن العين شحمة والملوحة تحفظها أن تذوب، وهذه أيضاً حكمة تمليح ماء البحر فإن له سبباً وحكمة فسببه سبوخة أرضه وملوحتها فهي توجـــب ملوحـــة مائـــه، وحكمتها أنها تمنع نتن الماء، بما يموت فيه من الحيتان العظيمة، فإنه لولا ملوحة مائه أنـــتن،

---

[1] لأبي الطيب أحمد بن الحسين " المتنبي" من قصيدة له بعنوان " أتيت بمنطق العرب الأصيل". انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الإمام الواحدي ١/١١، ٢/٧١٤.

[2] انظر مفتاح دار السعادة : ١/٢١٢ ، والتفسير القيم ٥٠، ٥١، ومدارج السالكين ١/٨٢.

[3] انظر المثنوي النوري العربي : ٤٢٨ ، انظر الكلمات : ٣٣٩، والمثنوي العربي النوري ١١٦.

ولو أنتن لفسد الهواء لملاقاته له، فهلك الناس بفساده، وماء الأذن مر يمنع دخول الهواء إلى الأذن . . ."[1].

ويقول ابن القيم عن هذا الدليل: "تأمل العبرة في موضع هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على أحسن نظام وأدلة على كمال قدرة خالقه وكمال علمه وكمال حكمته وكمال لطفه.

فإنك إذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع آلاته ومصالحه وكل ما يحتاج إليه. ففي هذا أعظم دلالة وأوضحها على أن العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم، قدره أحسن تقدير ونظَّمَه أحسن نظام"[2] وقال "إن الله فطر عباده حتى الحيوان ، على استحسان وضع الشيء في موضعه والإتيان به في وقته، وحصوله على الوجه المطلوب منه، وعلى استقباح ضد ذلك وخلافه.

فهو سبحانه يضع الأشياء في مواضعها التي لا يليق بها سواها، ويخصها من الصفات والأشكال والهيئات والمقادير بما هو أنسب لها من غيره ، وأبرزها في أوقاتها المناسبة لها.

ومن له نظر صحيح وأعطى التأمل حقه شهد بذلك فيما رآه وعلمه واستدل بما شاهده على ما خفي عنه . وقد ندب سبحانه عباده إلى ذلك فقال : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذريات:٢١] "[3].

أما الدلائل التي استفادها النورسي من الفلسفة فقد سبق الحديث عنها. وهنا نقتصر الحديث على مسألتين، خالف النورسي الفلاسفة في إحداها ووافقهم في الأخرى.

أما التي خالف النورسي فيها قول الفلاسفة فهي مسألة الهيولى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن أئمة أهل الكلام والنظر جعلوا ما أثبته الفلاسفة من موجودات ليست أجساماً ولا أعراضاً قائمة بالأجسام، كالعقل والنفس والهيولى مما يعلم فساده

---

[1] انظر النبوات : ٣٣٥.

[2] انظر مفتاح دار السعادة : ٢٠٦/١.

[3] انظر الصواعق المرسلة : ٣٠٣/١.

بالضرورة"[1]،وذكر "أن بعض الفلاسفة قال أن الأجسام كلها مركبة من الهيولى والصورة لا من الجواهر الفردة"[2].

وأما عن حركة هذا العالم وتكونه يذكر شيخ الإسلام موقف الفلاسفة من ذلك في مسألة الهيولى فيقول: "المقدر في الأذهان أوسع من الموجود في الأعيان، وهو موجود وثابت في الذهن وليس هو نفس الأمر لا موجوداً ولا ثابتاً، فالتفريق بين الوجود والماهية مع دعوى أن كليهما في الخارج غلط عظيم.

وهؤلاء ظنوا أن الحقائق النوعية كحقيقة الإنسان والفرس وأمثال ذلك، ثابتة في الخارج غير الأعيان الموجودة في الخارج، وأنها أزلية لا تقبل الاستحالة وهذه التي تسمى: المثل الأفلاطونية و لم يقتصروا على ذلك بل أثبتوا أيضاً ذلك في المادة والماهية والمكان، فأثبتوا مادة مجردة عن الصورة ثابتة في الخارج: وهي الهيولى الأولية. والتي بنوا عليها قدم العالم، وغلَّطهم فيها جمهور العقلاء"[3].

وقد ذهب النورسي في مسألة الهيولى التي ضل فيها الفلاسفة نحو ما ذهب إليه علماء الإسلام حيث يقول: "إن هناك من يتوهم أن مادة الأثير هي المصدر وهي الفاعل، لقيامه بمهمة المرآة العاكسة لتجليات الربوبية علماً أنها ألطف وأرق وأطوع صحيفة من صحائف إجراءات الصانع الجليل.

فلا شك أن هذا الجهل العجيب المرعب يستلزم محالات لا حد لها ولا نهاية، وذلك لأن مادة الأثير هي ألطف من مادة الذرات التي غرق بها الماديون في مستنقع الضلالة، وهي أكثف من الهيولى التي ضل فيها الفلاسفة القدماء وتاهوا، وهي مادة جامدة لا إرادة لها ولا اختيار ولا شعور، فإسناد الأفعال والآثار إلى هذه المادة القابلة للانقسام والتجزؤ والمجهزة للقيام بوظيفة وخاصة الانفعال وإلى ذراتها التي هي أصغر من الذرات لا شك أنه جريمة وخطأ فاحش بعدد ذرات الأثير"[4].

---

[1] انظر مجموع الفتاوى: ٥/٢٩٣- ٢٩٤.

[2] مجموع الفتاوى: ١٧/٣١٥.

[3] مجموع الفتاوى: ٩/٩٨، انظر ٦/ ٣٠٦- ٣٠٨.

[4] اللمعات: ٥٧٧- ٥٧٨.

أما المسألة التي وافق فيها الفلاسفة موافقة جزئية. هي ما يسمى بالعالم الأكبر والعالم الأصغر، واعتقاد أن العالم الأكبر متضمن في العالم الأصغر (الإنسان).

فالإنسان عند الفلاسفة هو "العالم الأصغر" أو "الإنسان الأصغر" الذي يتسنى له، بمساعدة نفسه الملكوتية، من خلال اتصالها بالعقل الفعّال، أن يرسم في ذهنه ونفسه صورة حقيقية عن "الإنسان الأكبر" أو "العالم الأكبر" وروحه (universe و logos) ويوجد عالماً مضاهياً له في نفسه، كما يتسنى له أن يكون متخلقاً بأخلاقه، ويجسد (logos) في عقله المتصل حتى يظهر فيه بالتالي فصله الأخير الناطق. وتخرج منه الحيوانية، ويصبح الإنسان الصغير إنساناً حقيقياً وهو الإنسان الكبير. وينسب هذه الفلسفة إلى بيت من الشعر ينسبونه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وفي بعض المعاجم تطلق على الإنسان الصغير (microcosm) [٢]وعلى الكون الكبير (macrocosm) [٣]وهذه الفلسفة بارزة عند طوائف عديدة من الصوفية، حيث يرون أن الله خلق الإنسان على صورة أسمائه الحسنى فهو محل لظهور أحكام هذه الأسماء وصفاتها وقابل لتجليات الحضرة الربوبية، فعندهم أن الإنسان هو العالم الأصغر الذي انطوى فيه العالم الأكبر، ويستشهدون بحديث "لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن"[٤]

وهذه المسألة تظهر في الفكر الشرقي (كما عند الصينيين) فيما يسمى امتزاج الينغ بالين، وهي فلسفة نابعة من الديانة الطاوية.

فالقول بالإنسان الصغير والكبير قول للفلاسفة، ويبقى السؤال ما المقصود بـ "العالم الكبير" أو "الكون الكبير" فإذا كان المقصود هو هذا الكون الفسيح فالأمر قريب، وأما إذا كان المراد بالكون الكبير هو الخالق. فهذه هي مقالة الملاحدة. يقول شيخ الإسلام في هذه المسألة: "وقد ظن بعض القائلين الغالطين – كابن عربي – أن الخليفة هو الخليفة عن الله،

---

[٢] مايكروكزم: نظام مصغر يحاكي نظاماً آخر أكبر منه من جميع النواحي.

[٣] ماكروكزم : العالم بأكمله، الكون. انظر قاموس أطلس الموسوعي. دار أطلس للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، مصر.

[٤] أخرجه الإمام أحمد: المسند ٤٢١، قال شيخ الإسلام: "هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له سند معروف عن رسول الله " الفتاوى ١٨/ ١٢٢ قال الألباني في الضعيفة رقم ٥١٠٣: لا أصل له.

مثل نائب الله وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفاً، وربما فسروا "تعليم آدم الأسماء كلها" التي جمع معانيها الإنسان، ويفسرون "خلق آدم على صورته: بهذا المعنى أيضاً، وقد أخذوا من الفلاسفة قولهم" الإنسان هو العالم الصغير. وهذا قريب، وضموا إليه أن الله هو العالم الكبير، بناء على أصلهم الكفري في وحدة الوجود، وأن الله هو عين وجود المخلوقات. فالإنسان من بين المظاهر هو الخليفة الجامع للأسماء والصفات. ويتفرع على هذا ما يصيرون إليه من دعوى الربوبية والألوهية المخرجة لهم الفرعونية والباطنية"[1].

لكن ما هو مراد النورسي من العالم الكبير ؟ يلاحظ أنه في مواضع عديدة عند تعرضه لهذه المسألة يذكر صراحة أن المقصود بالعالم الكبير هو هذا الكون يقول: "فالصانع الجليل أراد خلق شجرة الكائنات العظيمة، وإيجاد قصر الكون البديع. هذا العالم الأكبر"[2] ويقول: "إن الذي يبدل تلك العوالم، ويجددها ضمن العالم الأكبر، ليس إلا رب العالمين"[3] وعن العالم الأصغر يذكر" إن تقاصر ذهنك عن إدراك حكم الإنسان الأكبر وهو العالم فأمعن النظر في العالم الأصغر وهو الإنسان"[4].

وإن كان النورسي تابع قول الفلاسفة في هذه المسألة إلا أنه خالفهم في جوهرها فلم يطلق العالم أو الكون على الله تعالى، وما دون ذلك فالخلاف فيه محتمل.

---

[1] مجموع الفتاوى: ٣٥/ ٤٤.

[2] الكلمات: ٧٨٣، ٣٩، ٣١٥.

[3] الكلمات: ٨٢٥.

[4] إشارات الإعجاز: ٦٢.

المبحث الثاني: توحيد الربوبية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف توحيد الربوبية.

المطلب الثاني : دليل التمانع.

المطلب الثالث : الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

المطلب الأول : تعريف توحيد الربوبية :

التوحيد لغة: هو تفعيل وحَّد. يقال: "وحدة وأحَّدَه كما يقال ثناه وثلثه"[1]. "وحده توحيداً أي جعله واحداً "[2].

قال الجرجاني: التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد، و العلم بأنه واحد[3].

وقال العيني[4] والقسطلاني[5]: "معنى وحدت الله: اعتقدته منفرداً بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه"[6].

ووردت كلمة "رب" في اللغة السيد المطاع[7].

قال ابن منظور: "ربيت القوم: سُسْتَهم أي كنت فوقهم وقال أبو نصر: هو من الربوبية، والعرب تقول: "لأن يُرَبْني فلان أحب إلى من أن يُرَبْني فلان: يعني أن يكون رباً فوقي وسيداً يملكني"[8] .

وَرَبَّ فُلانٌ قومَه: أي ساسهم وجعلهم ينقادون له، وربيت القوم: أي حكمتهم وسدهم ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام:(**مَعَاذَ اللَّه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**) [يوسف: من الآية٢٣]. وقوله تعالى عنه: (**أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً**)[يوسف: من الآية٤١] وقوله:(**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ**) [يوسف: من الآية٥٠]. فمعنى كلمة رب في هذه الآيات هو السيد المطاع .

وفي الحديث: "أن تلد الأمة ربتها"[9] أي سيدهما.

---

[1] الصحاح ٥٤٨/٢ .

[2] القاموس المحيط ٣٤٣/١ .

[3] التعريفات : ٦٩ .

[4] هو أبو الثناء محمود بن أحمد بن موسى بن حسين المعروف بالعيني قال عنه تلميذه ابن تغري (هو العلامة فريد عصره ووحيد دهره وعمدة المؤرخين) . انظر الأعلام: ١٦٣/٧.

[5] هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري الشافعي ولد سنة ٨٥١ وتوفي سنة ٩٢٣ . الأعلام: ٢٣٢/١

[6] عمدة القاري ٨١/٢٥ ، ارشاد الساري ٣٥٧/١٠ .

[7] انظر لسان العرب ٣٩٩/١ ، وتاج العروس ٢٦٠/١ ، وتفسير الطبري ٦٢/١. وابن كثير ٢٣/١ .

[8] لسان العرب ٣٩٩/١ .

[9] رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله (إن الله عنده علم الساعة) برقم ٤٧٧٧ وفي صحيح مسلم في كتاب الإيمان .

وتطلق كلمة رب لغة بمعنى مالك الشيء وصاحبه ومنه: فلان رب الدار أي صاحبها ومالكها، وكل من ملك شيئاً فهو ربه[1]. قال ابن منظور: "وفي حديث إجابة المؤذن (اللهم رب هذه الدعوة) أي صاحبها. أما قوله في الحديث:"ضالة الإبل: حتى يلقاها ربها"[2] فإن البهائم غير متعبدة ولا مخاطبة.

فهي بمترلة الأموال التي تجوز إضافتها إلى مالكيها إليها وجعلهم أرباباً لها. والعباد مربوبون لله تعالى أي مملوكون"[3].

وقال الزبيدي: "الرب هو الله عز وجل وهو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك"[4].

ويرد الرب ويراد به المصلح للشيء المدبر له ، القائم على تربيته.

قال ابن فارس: "والرب المصلح للشيء ، يقال رب فلان ضيعته: إذا قام على إصلاحها"[5] وفي الحديث: "هل لك نعمة تربها"، قال المناوي – رحمه الله-: "تربها بفتح المثناة الفوقية وضم الراء وشد الموحّدة أي تملكها وتستوفيها"[6].

قال الزبيدي: "رب ولده والصبي يربه رباً: أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك وفارق الطفولية كان ابناً أو لم يكبر"[7] . ومعاني الرب الثلاثة السابقة هي التي عليها السلف الصالح.

قال ابن منظور قال ابن الانباري معنى الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

يكون الرب: المالك، ويكون الرب: السيد المطاع "فيسقى ربه خمراً"، والرب المصلح: رب الشيء إذا أصلحه"[8].

---

[1] انظر لسان العرب ٣٩٩/١ ، معجم مقاييس اللغة ٣٨١/٢ المصباح المنير ٢٢٩/١ .

[2] رواه البخاري في صحيحه برقم ٩١ وفي صحيح مسلم برقم ١٧٢ .

[3] انظر لسان العرب ٣٩٩/١ وتاج العروس ٢٦٠/١ .

[4] تاج العروس : ٢٦٠/١ .

[5] معجم مقاييس اللغة : ٣٨١/٢ .

[6] انظر التيسير بشرح الجامع الصغير: ٨٤/٢، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ط٣/ ١٤٠٨هـ.

[7] تاج العروس : ٢٦١/١ .

[8] لسان العرب :٤٠٠/١.

وتوحيد الربوبية في الاصطلاح: هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه هو المحي والمميت النافع الضار المنفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، القادر على كل شيء ليس له في ذلك شريك[1].

فالله عز وجل هو الرب وحده لا شريك له، بمعنى أنه السيد الذي لا شبيه له ولا مثل في مثل سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمة، والمالك الذي له الخلق والأمر[2].

ـــ وتربيته عز وجل لخلقه عامة، وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ "الرب" فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة[3] وقد قرر النورسي توحيد الربوبية في جميع رسائله فقال عن معنى الرب الذي يربي العالم بجميع أجزائه التي كل منها كالعالم عالم وذراته كنجومه متفرقة متحركة بالانتظام[4].

ويقول: "الله الصمد. صدف لدرين من درر التوحيد.

الأول: توحيد الربوبية فلسان نظام الكون يقول: لا خالق إلا هو.

الثاني: توحيد القيومية. أي من لسان الحاجة إلى مؤثر حقيقي في الكون كله يقول: لا قيوم إلا هو"[5].والربوبية عند النورسي لا تختلف عن معنى الألوهية – كما سيأتي إن شاء الله-.

---

[1] انظر مجموع الفتاوى : ٣٣١/١٠ ، ٣٨٠/١٤ ، ومدارج السالكين : ٣٤/١ ، ولوامع الانوار البهية : ١٢٨/١.

[2] انظر جامع البيان في تأويل القرآن : ٩٢/١ . وتجريد التوحيد: ٥ للمقريزي .

[3] انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٤/١.

[4] انظر إعجاز القرآن اللغوي في فكر النورسي: المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان : ٣٢١.

[5] الكلمات: ٨٣٩، انظر ٢٠٦، ٤٢٣، ٤٥٠، ٥١٢.

المطلب الثاني : دليل التمانع عندهم :

دليل التمانع قرره جميع الأشاعرة، فهم يسوقون هذا الدليل مع التنويع للأمثلة التي يوردونها كالحركة والسكون والإحياء والإماته وغيرها.

وهذا الدليل لم يقتصر على الأشاعرة؛ بل هو دليل المتكلمين عموماً بما فيهم المعتزلة. حيث ادعوا أنه المنصوص عليه في قوله تعالى:(**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**)[الانبياء:من الآية٢٢].

وصورة هذا الدليل هي أنه لو قدر وجود الهين، وفرض الكلام في جسم، وقدر أن أحد الالهين أراد تحريكه، والأخر أراد تسكينه فإنه لابد أن يكون الأمر:

١ـ إما أن يقع مراد الإلهين كليهما وهذا محال لأنه جمع بين النقيضين[1].

٢ـ وإما أن لا يقع مراد الإلهين كليهما وهو محال أيضاً لأنه رفع النقيضين.

٣ـ وإما أن يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر. وهو الصحيح، فإن من وقع مراده هو الإله فدل ذلك على أن صانع وخالق الأشياء واحد[2].

يقول النورسي في دليل التمانع هذا: "اعلم أن القرآن المعجز البيان ما ترك من دلائل التوحيد شيئاً، وما تضمنته آية (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**) [الانبياء: من الآية٢٢]. من برهان التمانع دليل كاف ومنار نير على أن الاستقلال خاصة ذاتية ولازم ضروري للألوهية"[3].

وفي موضع آخر يؤكد ما سبق بيانه بقوله: "إذا قلت: أريد بيان دلائل التوحيد ولو إجمالاً، أقول: إن دلائل التوحيد أكثر بكثير من أن يضمها هذا الكتاب، ما تضمنته الآية الكريمة: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**) [الانبياء: من الآية٢٢] من برهان التمانع

---

[1] النقيضان : مصطلح فلسفي منطقي . معناه أمران وجودي وعدمي لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم أي أنه إذا وجد احدهما انتفى وجود الآخر ، كما أنه لابد من وجود أحدهما في الشيء ، تسهيل المنطق : ٢٢ القاهرة دار مصر للطباعة : ١٤٠٢هـ .

[2] انظر : اللمع في الرد على أهل الزيع والبدع: ٨، شرح الأصول الخمسة: ٢٧٨، فتاوى السبكي: ٢٣/٢، البحر المحيط: ٢٦/٢ والتقرير والتحيير في شرح التحرير ٤٢/٣دار الكتب العلمية .

[3] إشارات الإعجاز : ١٥٤. انظر أسئلة العصر المحيرة: ٢١٧ حيث وافق كولن استاذه النورسي.

دليل كاف ومنار ساطع على هذا المنهاج. نعم الاستقلال خاصية ذاتيـــة ولازم ضـــروري للألوهية"[1].

ودليل التمانع دليل صحيح في نفسه يستدل به على انتفاء وجود خالق للعالم غير الله عز وجل . أما استدلاله على توضيح الربوبية بقوله تعالى : (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّـــهُ لَفَسَدَتَا**) [الانبياء: من الآية٢٢]. فهذا وإن كان توحيد الربوبية تتضمنه الآية إلا أنه غـــير مراد في الآية بالأصالة إذ لو كان مراد بها لقال تعالى (لعدمتا) ولكنه تعالى قال (لفسدتا) دل أن المراد به توحيد العبادة.

يقول ابن تيمية: "إن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظـــر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحـــد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له .

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق الأفعـــال واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هـــو التوحيد المطلوب وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله حتى قد يجعلوه معنى الإلهية ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ أولاً ولم يكونوا يخالفونه في هـــذا، بـــل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضاً وهم مـــع هـــذا مشركون"[2].

فالآية الكريمة دليل على امتناع الألوهية لا الربوبية كما فهمه المتكلمون مـــن الآيـــة، وهذا يدل على أن المتكلمين لم يفرقوا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية الذي بعـــث الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه، فقد أثبتوا امتناع الربوبية بدليل التمـــانع، واســـتدلوا علـــى امتناعها بما هو نص في امتناع الألوهية. ثم إن كثرة الحديث عن توحيد الربوبية وأن الله عز وجل هو الخالق الرازق المحي المميت فائدته ليست كبيرة، فهو مقرر عند الكفار سلفاً.

وليس من أقر به من المسلمين ولا ينجو به. وذكر هذا النوع من التوحيد في القـــرآن والسنة إنما كان المراد به ما يستلزمه من إفراد لله عز وجل بالعبادة دون سواه[3].

---

[1] صقيل الإسلام : ١٣٣.

[2] مجموع الفتاوى ٣/٩٧-٩٨ .

[3] انظر مفتاح دار السعادة : ١/٣٠٤ ، طريق الهجرتين /٣٠

ومما يدل على ما سبق قول النورسي إن القرآن وظيفته الأساسية هي تعليم الناس الربوبية[1]. بل يصرح ويقول: "فلأن أفضل من بلغ مقاصد رب العالمين من بين البشر وكشف طلسمها وحل لغز الخلق ، وأكمل من دعا إلى عظمة محاسن الربوبية هو محمد ﷺ "[2].

وفي موقع آخر يذكر أن الإنسان دلال على توحيد الربوبية: فيقول: "والذي جعله ــ أي الإنسان ــ نموذجاً بمقاييس مصغرة ــ للإجراءات الإلهية في الكون، ودلالاً لإعلان الربوبية المترهة ــ فعلاً وقولاً ــ على الكائنات، حتى منحه مترلة أكرم من مترلة الملائكة رافعاً إياه إلى مرتبة الخلافة ... فهل يمكن أن يهب سبحانه للإنسان كل هذه الوظائف ثم لا يهب له غاياتها ونتائجها وثمارها وهي السعادة الأبدية"[3].

وعن توحيد الربوبية والألوهية يقول شيخ الإسلام بن تيمية ــ رحمه الله ــ :"إن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهو المذكور في الكتاب والسنة، وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ليس هو هذه الأمور الثلاثة[4] التي ذكرها هؤلاء المتلكمون، وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول فهم مع زعمهم أنهم الموحدون ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسله؛ بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة، وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده، فمن عبد الله وحده و لم يشرك به شيئاً، فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد مخلص له الدين، وإن كان مع ذلك قائلاً بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد، حتى لو أقر بأن الله وحده خالق كل شيء وهو التوحيد في الأفعال

---

[1] انظر الكلمات : ٢٩٣، ٤١٠.

[2] الكلمات : ٦٧٨.

[3] الكلمات : ٩٤ وانظر اللمعات : ٥٤١ ، ٥٥٠ ، ٥٦٢ ، ٥٨٩ الشعاعات : ١٧.

[4] يقصد بها نفي التجسيم والتشبيه والتمثيل، انظر: بيان تلبيس الجهمية: ٤٧٨/١.

الذي يزعم هؤلاء المتكلمون أنه يقر أن لا إله إلا هو ويثبتون بما توهموه من دليل التمانع وغيره"[1].

المطلب الثالث : الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

التوحيد عند السلف ينقسم إلى قسمين:

١. توحيد المعرفة والإثبات وهذا يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

٢. توحيد القصد والطلب وهو توحيد العبادة أو الألوهية[2].

وليس عند النورسي هذا التقسيم للتوحيد بل إنه يرى أن التوحيد توحيدان:

توحيد العامة، وتوحيد الخاصة ، ويسميه التوحيد الحقيقي. فالأول يصح بالشواهد. أما التوحيد الحقيقي كما يزعم فهو الذي يثبت بالحقائق .

يقول : " إن التوحيد توحيدان :

الأول: توحيد عامي يقول: "لا شريك له،ليس هذه الكائنات لغيره" فيمكن تداخل الغفلات بل الضلالات في أفكار صاحبه.

الثاني: توحيد حقيقي يقول: "هو الله وحده له الملك، وله الكون، له كل شيء" فيرى سكته[3] على كل شيء، ويقرأ خاتمة على كل شيء، فيثبته له إثباتاً حضورياً . لا يمكن تداخل الضلالة والأوهام في هذا التوحيد"[4].

وهذا التقسيم للتوحيد تقسيم صوفي ذوقي، لا يراعي النصوص الشرعية.

---

[1] بيان تلبيس الجهمية : ٤٧٨/١ انظر الصفدية :١٦٨/٢ وما بعدها ، ومجموع الفتاوى ١٧٨/٢٠ درء التعارض : ٣٤٨/٩ منهاج السنة النبوية : ٣٠٤/٣ ـــ ٣٢٨ ، اعلام الموقعين : ١٩٩/٣ بدائع الفوائد : ١٣١/٤ ، الصواعق المرسلة : ٤٦٠/٢ ، اجتماع الجيوش الإسلامية : ٩٤-٩٥.

[2] انظر معارج القبول: ٣٩٣/٢ ط١ ١٤١٠ هـــ دار ابن القيم.

[3] السكة : شارة الدولة الموضوعة على مسكوكاتها. انظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ٤٧١. دار الفكر. بيروت ط١ ١٤١٠هـــ. ت د. محمد رضوان الداية.

[4] المثنوي العربي النوري : ٤٠

ويقصد بالتوحيد العامي، توحيد عامة المسلمين من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهي التي عصمت بها الدماء، وهو توحيد يصح بالشواهد الشرعية من الكتاب والسنة.

أما توحيد الخاصة فهو توحيد لا يشهد في التوحيد دليلاً ولا في التوكل سبباً. وهذا خلط بين توحيد ا لربوبية وتوحيد الألوهية. فعند ذكر النورسي لدلائل التوحيد فإنه لا يذكر إلا دلائل توحيد الربوبية يقول: "إن الدلائل التي تقتضي قطعاً التوحيد وتستلزم الوحدانية، وتوجب الوحدة، وترفض الشرك، وترد المشاركة، ولا تسمح بها قطعاً لا تعد ولا تحصى، ويشار هنا إلى ثلاثة فقط من المقتضيات:

المقتضى الأول : هذه المصنوعات إنما تخلق وتوجد بالصفات المطلقة لحاكم حكيم، كبير كامل، وبأسمائه المطلقة وبعلمه غير المحدود وبقدرته غير المتناهية يشهد على هذا ما هو ماثل أمامنا من الأفعال الحكيمة والتصاريف البصيرة للأمور الجارية في هذا الكون .

المقتضى الثاني للوحدانية: هو أن في الوحدانية سهولة ويسراً بدرجة الوجوب، وفي الشرك صعوبة ومشكلات بدرجة الامتناع .. فإذا فوض أمر جميع الأشياء إلى ذات الواحد الأحد فإن خلق الكون كله وتدبير أمره يكون سهلاً كسهولة خلق شجرة، ويكون خلق الشجرة وإنشاؤها سهلاً كسهولة خلق ثمرة واحدة ، ويكون إبداع ربيع كامل وإدارته سهلاً كسهولة إدارة زهرة واحدة، وتكون تربية نوع يضم ما لا يحد من الأفراد وتدبير أمرها سهلاً بلا مشكلات كسهولة إدارة فرد واحد .

المقتضى الثالث للتوحيد: أن الخلق في كل الأشياء ولاسيما في الأحياء، هو في منتهى الإبداع وغاية الإتقان. زد على ذلك، فالنوية الصغيرة نموذج الثمرة. والثمرة نموذج الشجرة، والشجرة نموذج النوع ... فالذي يخلق واحداً مما ذكر لا شك أنه وحده خالق جميع الكون"[1].

وعندما طلب منه بعض طلاب المدارس أن يعرفهم بخالقهم. أفاض في بيان القدرة الربانية على الخلق والإيجاد، وأجاد في ربط بعض مظاهر الحياة بقدرة الله عز وجل وحكمته ثم قال ختاماً لذلك: " .. وهكذا فإن كل علم من العلوم العديدة جداً، يدل على خالق

[1] انظر الشعاعات: ٢٢-٣٢.

الكون ذي الجلال ويعرفه لنا سبحانه بأسمائه الحسنى، ويعلمه إيانا بصفاته الجليلة وكمالاته. وذلك بما يملك من مقاييس واسعة، ومرايا خاصة، وعيون حادة باصـــرة ، ونظـــرات ذات عبرة.. فقلت لأولئك الطلبة الشباب : إن حكمة تكرار القرآن من خلق السموات والأرض ورب السموات والأرض إنما هي لأجل الإرشاد إلى هذه الحقيقة المذكورة ، وتلقين هـــذا البرهان الباهر للتوحيد، ولأجل تعريفنا بخالقنا العظيم سبحانه"[1].

والله عز وجل عندما يذكر الحقائق المتفق عليها مثل خالق السموات والأرض، ورب السموات والأرض، وغير ذلك، إنما ذلك لإلزام المشركين بالمقدمة المتفق عليها إلى النتيجـــة المطلوب إثباتها وتقريرها وهي إفراد الله تعالى بالعبادة ، فحيث إن الله هو الخالق الرازق المحي المميت فإن ذلك يلزم ألا يصرف شيء من العبادة لسواه . قال تعالى : (**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**) [النحل:١٧]

وعن ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله ؟ فقال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك"[2].

ويقول النبي ﷺ :"ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له نداً، ويجعلون له ولداً، وهو مع ذلك يرزقهم، ويعافيهم، ويعطيهم"[3].

ويقول النورسي إن المقصود من الخلق هو إثبات الخالق الواحد، ولم يذكر إفـــراد الله بالعبادة وإخلاص الدين لله تعالى. وهذا نص قوله: "إن المقصد الأصلي للشارع الحكيم من إرشاد الجمهور محصور في إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالـــة. لـــذا فـــذكر الكائنات في القرآن إنما هو تبعي واستطرادي، للاستدلال. أي الاستدلال بالنظام البديع في الصنعة الظاهرة لإفهام الجمهور على النظام الحقيقي جل جلاله، والحال أن أثـــر الـــصنعة

[1] انظر الشعاعات : ٢٥٧-٢٦٠.

[2] البخاري : كتاب التفسير ، باب قول الله تعالى : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) (٤٤٧٧) ومسلم في كتـــاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب (٨٦) والترمذي كتاب التفسير باب : ومن سورة الفرقان (٣١٨٢) ، وأبـــو داود كتاب الطلاب باب في تعظيم الزنا (١٩٦٦).

[3] مسلم : كتاب صفات المنافقين، باب: لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل (٢٨٠٤) .

ونظامها يتراءى في كل شيء. وكيف كان التشكل فــلا علينــا إذ لا يتعلــق بالمقــصد الأصلي"[1].

ويؤكد النورسي أهمية توحيد الربوبية في دعوته، فيقول إن الله عز وجل خلق الخلــق ليُعرف. يقول ما نصه: "أما ذو الكمال الذاتي والجمال الحقيقي المجرد السرمدي، المحبــوب لذاته الذي له المثل الأعلى، فقد أخبرنا على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام: " أنه خلق الخلق ليُعرف". أي صور مرايا ليشاهد فيها تجليات جماله المحبوب لذاته بذاته .."[2]. وهــذا يخالف صريح القرآن حيث يقول الله تعـــــالى : (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِــنَّ وَالْــإِنْسَ إِلَّــا لِيَعْبُدُونِ**) [الذريات:٥٦]

ومما يدل على الخلط بين توحيد الألوهية والربوبية عنده أيضاً أنه جعل جهده لتبــيين توحيد الربوبية،فيستعين بعلم المنطق حتى تتكشف له جوانب من هذا التوحيد حيث يقول: " أشكره[3] على أن فتح لي مسألة جسيمة من أعاظم مسائل الربوبية بمسألة من المنطق."[4].

وقد وقع النورسي في تناقض حاد. حيث اجتهد في بيان توحيد الربوبية وإثبــات أن الرب واحد، وأن المعطي والمانع هو واحد في حين يقول في موضع آخر إن هذا الاعتقــاد يشترك فيه الناس كلهم إلا الشواذ وهذا قوله: "إن وجود الصانع ووحدانيته أجل وأظهــر وأغنى من أن يحتاج إلى إثبات، ولاسيما لدى مخاطبة المسلمين، لذا وجهت كلامي هذا إلى الأجانب، وبخاصة اليابانيين "[5].

وقد وجه النورسي الدعوة لتوحيد الربوبية أيضاً لطلابه ومريديه، حيث إنه يعتقد أن معنى لا إله إلا الله هـــو أن لا خالق إلا الله يقول: "(**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) [محمد: من الآية١٩] الذي دل على وجوب وجوده ودل على أوصاف جلاله وجماله وكماله وشـــهد على وحدانيته العالم، أي هذا الكتاب الكبير بجميع أبوابه وفصوله وصحفه وسطوره وجمله

---

[1] صيقل الإسلام : ١٥٥.

[2] المثنوي العربي النوري : ٤١٧. والحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام "أنه خلق الخلق ليعرف" لا يصح. انظر ص٩٧.

[3] أي الله عز وجل.

[4] المثنوي العربي النوري : ٣٥٢.

[5] صيقل الإسلام : ١٢٠.

وحروفه، وهذا الإنسان الكبير بجميع أعضائه وجوارحه ومجراته وذراته وأوصافه وأحوالـــه. أي هذه الكائنات بجميع أنواع العوالم تقول: لا إله إلا الله وبأركان تلك العوالم: لا خالق إلا هو وبأعضاء تلك الأركان لا صانع إلا هو وبأجزاء تلك الأعضاء لا مـــدبر إلا هـــو. وبجزئيات تلك الأجزاء لا مربي إلا هو وبحجيرات تلك الجزئيات لا متصرف إلا هو، فتشهد الكائنات على أنه هو الواجب الوجود الواحد الأحد بجميع أنواعها وأركانهـــا وأعـــضائها وأجزائها وجزئياتها ومجيراتها وذراتها وأثيرها، أفراداً وتركيباً متصاعداً بتركيبـــات منتظمـــة رافعات أعلام الشهادة على وجوب وجود الصانع الأزلي ، ومتنازلاً بنقوش غريبة، شاهدات على وجوب وجود النقاش الأزلي والكائنات كل واحد من مركباتها وأجزائها تشهد بخمس وخمسين لساناً بأنه واجب الوجود الواحد الأحد"[1].

وغاية الإيمان عند النورسي: "الإيمان المطلق الجازم بربوبيته سبحانه وتعالى، الـــشاملة المحيطة بكل ما في الكون، وأن مقاليد الأمور من الذرات إلى المجرات بجزئياتها وكلياتهـــا في قبضته سبحانه، ولا تدار إلا بقدرته، وتحت إرادته، فلا شريك له في ملكه"[2].

ولهذا يرى النورسي أن الألوهية تستلزم منا الإيمان بالربوبية، فيقول: "إن معرفـــة الله سبحانه والإيمان بحقائق لا إله إلا الله يستلزم التصديق القلبي، والإيمـــان المطلـــق الجـــازم بربوبيته"[3].

والحاصل أنه لم يفرق بين توحيدي الربوبية والألوهية بفارق واضح، حيـــث تـــابع المتكلمين في تفسير توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، فظن أنه المطلوب من العبادة؛ بل جعل توحيد الربوبية أصلاً وتوحيد الألوهية سبيلاً إليه. فلم يجعل الإيمان بـــــ (لا إلـــه إلا الله) يتضمن توحيد الربوبية بل جعله مستلزماً له ومعلوم أن المقصد الأعظم الذي أرسل لأجلـــه الرسل، وأنزلت الكتب، وخلق له الجن والإنس هو عبادة الله وحده لا شريك له، فمعـــنى لاإله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

---

[1] المثنوي العربي النوري : ١٠٨.

[2] الملاحق : ٢٩٥.

[3] نفس المرجع السابق والصفحة.

المبحث الثالث: توحيد الألوهية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية

المطلب الثاني: منزلة توحيد الألوهية عند النورسية.

المطلب الأول : تعريف توحيد الألوهية :

الألوهية لغة لفظ منسوب إلى الإله ، وإله كفعال ، بمعنى مألوه ، وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه ، وإله جعلوه اسماً لكل معبود له، وأله فلان يأله عَبَدَ، وقيل تأله فالإله على هذا هو المعبود[1].

أما اصطلاحاً: فهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة وإخلاص الدين لله وحده. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والإله المألوه الذي تأله القلوب، وكونه يستحق الألوهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد كما قال تعالى: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**) [الانبياء:٢٢][2].

وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل لأجله الكتب، وهو الذي سلت سيوف الحق لتحقيقه، وهو الذي وقع فيه التراع بين الرسل وأممهم.

قال شارح الطحاوية : " اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله . قال تعالى : (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) [لأعراف: من الآية٥٩]. وقال هود عليه السلام: (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) [لأعراف: من الآية٦٥] . وقال شعيب عليه السلام لقومه : (**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) [لأعراف: من الآية٨٥] وقال تعالى : (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**) [النحل: من الآية٣٦] وقال تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) [الانبياء:٢٥]

وقال ﷺ:"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداًرسول الله "[3].

ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم.

---

[1] انظر القاموس المحيط ١٧٣/١ ، المفردات : ٢١ ، الصحاح ٢٢٢٣/٦.

[2] اقتضاء الصراط المستقيم : ٨٤٦/٢.

[3] البخاري: كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) (٢٥)
مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٢٢).

بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادان .. فالتوحيد أول الأمر وآخره أعني توحيد الألوهية "[1].

وفي الحديث عن معاذ أنه قال: "كنت رديف رسول الله على حمار يقال له عضيد. فقال يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: "إن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" قال: قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس. قال: "لا تبشرهم فيتكلوا"[2].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب عن توحيد الألوهية: " وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وهو أول دعوة الرسول وآخرها، وهو معنى قول لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس مؤمنين وكفاراً، وسعداء أهل الجنة ، وأشقياء أهل النار .

قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) [البقرة:٢١]. فهذا أول أمر في القرآن .

وقال تعالى : (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**) [لأعراف: من الآية٥٩]. فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك.

وقال النبي ﷺ لمعاذ: "إنك تأتي على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل"[3].

وهذا التوحيد هو أول واجب وآخر واجب وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج من الدين .

قال ﷺ : "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[4].

[1] شرح العقيدة الطحاوية : ١٤.

[2] البخاري كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته لى توحيد الله تبارك وتعالى (٧٣٧٢.)

[3] مسلم كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة (٥٠١)

[4] سنن أبي داود كتاب الجنائز، باب (في التلقين) ٣١١٦.

وقال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"[1].

ويسمى هذا التوحيد توحيد الألوهية، لأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة، وتوحيد العبادة لذلك .

وتوحيد الإرادة، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال، وتوحيد القصد؛ لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده، وتوحيد العمل لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده ... وهذا التوحيد هو حقيقة الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه كما قال النبي ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت"[2]. فأخبر أن الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال .. فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور والإخلاص في ذلك لله وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة فيجب إخلاصها لله تعالى فمن أشرك بين الله وبين غيره في شيء فليس بمسلم"[3].

[1] البخاري كتاب: الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ٢٥، مسلم كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١٣٣.

[2] مسلم: كتاب الإيمان، باب (بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام) (١٦).

[3] انظر تيسير العزيز ا لحميد شرح كتاب التوحيد : ٣٦-٣٩ ، والكواشف الجليلة من معاني الواسطية : الشيخ عبد العزيز السلمان ، ٤١٨، وانظر : الكافية الشافية ٢/٢٣٦.

المطلب الثاني : مترلة توحيد الألوهية عند النورسية :

لم يتعرض النورسي لتوحيد الألوهية ، بالكلام المفصل في رسائله الكثيرة كعادة المتكلمين مع أنه أساس الدين. بل إنه لهو الدين الذي أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ. فقد خلط النورسي معنى توحيد الألوهية بالربوبية وجعلهما بمعنى واحد. لذا قال النورسي تفسيراً لكلمة الشهادة "فمهما يكن للعبادة من حمل ثقيل ظاهراً، إلا أن لها في معناها راحة وخفة عظيمتين لا توصفان ذلك لأن العابد يقول في صلاته "لا إله إلا الله" أي لا خالق ولا رازق إلا هو، النفع والضر بيده، وأنه حكيم لا يعمل عبثاً "[1].

وسبق قول النورسي في التوحيد وأنه ينقسم إلى توحيد عامة، وتوحيد حقيقي.

وعن التوحيد الحقيقي يقول : هو الله وحده له الملك، وله الكون ، وله كل شيء". فيرى سكته على كل شيء ويقرأ خاتمه على كل شيء . فيثبته له إثباتاً حضورياً. "لا يمكن تداخل الضلالة والأوهام في هذا التوحيد"[2].

والتوحيد الذي سماه التوحيد الحقيقي يشبه توحيد وحدة الوجود عنده، أو ما يسمى وحدة الشهود، وكلاهما بدعة في الدين، وما النجاة إلا باعتقاد توحيد العامة أنه عز وجل لا إله غيره ولا رب سواه: (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**) [النساء:١١٥]

وفي بيانه لمقاصد القرآن أغفل أعظم مقصد من إنزال القرآن وإرسال الكتب وهو توحيد الألوهية حيث قال: " إن المقصد الأصلي للشارع الحكيم من إرشاد الجمهور محصور في إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة"[3].

ومعرفة وإثبات الصانع ليست مما نزل القرآن لأجله لأنه أمر مقرر سلفاً عند الكفار بل إن النورسي نفسه يقر بذلك فيقول: "إن وجود الصانع ووحدانيته أجل وأظهر وأغنى من

---

[1] الكلمات : ١٣، ٤٥٦ ، المثنوى العربي النوري : ١٠٨.

[2] المثنوي العربي النوري : ٤٠ ، الكلمات : ٣٢٥.

[3] صيقل الإسلام : ٢٩، ١٢٠، ١٥٥ ، الكلمات: ٢٩٣.

أن يحتاج إلى إثبات ولاسيما لدى مخاطبة المسلمين"[1]. بل حتى لدى مخاطبة النصارى واليهود فهو أمر مشترك بين كثير من الكفار.

ويجعل النورسي مسألة الإيمان بالألوهية هي المقدمة للإيمان بالربوبية، أي أن توحيد الألوهية مستلزم للربوبية، وهذا عكس المسألة. فالله عز وجل ما ذكر آيات الربوبية للكفار إلا لتلزمهم الحجة في عبادة من له السموات والأرض ومن فيهن. فيكون توحيد الربوبية مستلزماً للألوهية. والألوهية متضمنة للربوبية.

يقول: "إن معرفة الله سبحانه، والإيمان بحقائق لا إله إلا الله يستلزم التصديق القلبي، والإيمان المطلق الجازم بربوبيته سبحانه وتعالى، الشاملة المحيطة بكل ما في الكون، وإن مقاليد الأمور من الذرات إلى المجرات بجزئياتها وكلياتها في قبضته سبحانه، ولا تدار إلا بقدرته، وتحت إرادته، فلا شريك له في ملكه "[2].

لذلك نجد الإنسان عند النورسي داعياً إلى الربوبية الجليلة[3]. فهذا هو التوحيد عند النورسي الذي يكثر ذكره في رسائله مثل قوله: "لولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات، وأوهى الموجودات، وأضعف الحيوانات، وأشد ذوي المشاعر الحزينة، وأكثرهم عذاباً وألماً، ذلك لأن الإنسان يحمل عجزاً غير متناه، وله أعداء لا نهاية لهم، وينطوي على فقر دائم لا حدود له، وحاجات لا حدود لها، ومع هذا فإن ماهيته مجهزة بالآلات ومشاعر متنوعة وكثيرة، إلى درجة يستطيع أن يستشعر بها مئة ألف نوع من الآلام وينشر مئات الألوف من أنواع اللذائذ ، فضلاً عن أن له من المقاصد والرغبات ما لا يمكن تلبيتها إلا من قبل من ينفذ حكمه في الكون بأسره"[4].

ويتضح مما سبق عدم وضوح توحيد العبادة عند النورسي ولذلك وقع في مسائل شركية وأخرى بدعية.

---

[1] صيقل الإسلام : ١٢٠.

[2] الملاحق : ٢٩٥.

[3] انظر الكلمات: ٤١٠.

[4] الشعاعات : ١٨.

المبحث الرابع: توحيد الأسماء والصفات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ما تثبته النورسية من أسماء الله تعالى وصفاته.

المطلب الثاني: الصفات الخبرية.

المطلب الثالث: الصفات الفعلية.

مقدمة:

أولاً: توحيد الأسماء

توحيد الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة، ومدار هذا التوحيد على إثبات الأسماء الحسنى والصفات العليا لله عز وجل التي وردت في الكتاب وصحيح السنة، مع نفي التشبيه[1]، والتمثيل[2]، والتحريف[3]، والتعطيل[4]، والتكييف[5]، وعلى تنزيهه من العيوب والنقائص.

والإيمان بالأسماء والصفات أحد أركان الإيمان بالله تعالى. وهو الإيمان بوجوده عز وجل، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته[6].

الأسماء الحسنى:

الاسم: لغة: العلو والارتفاع، وأصله السمو[7] .

واصطلاحاً: هو الدال على معنى يقوم بذات الشيء. واسم الشيء هو اللفظ الدال عليه[8] .

---

[1] التشبيه هو إثبات مشابه للشيء. وهو يقتضي المشابهة والمساواة في أكثر الصفات. انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين: ١٧٩/١ السؤال رقم ٩٠.

[2] التمثيل هو إثبات مثيل للشيء، والتمثيل لغةً: تفعيل من المثل وهو الند والنظير ، واصطلاحاً: مساواة غير الله بالله. وهو ذكر مثال للصفات الإلهية، وهو أشمل من التشبيه إذ هو الوارد في النص (ليس كمثله شيء). المرجع السابق.

[3] التحريف لغة: التغيير مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه حرفاً إذا أملته وغيرته.انظر اللسان مادة(ح رف) واصطلاحاً: تغيير النص لفظاً ومعنى كمن ينصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: (وكلم اللهُ موسى تكليماً)

[4] التعطيل لغة: الخلو والفراغ والترك. ومنه قوله تعالى: (وبئر معطلة) أي مهملة. انظر اللسان مادة(ع ط ل) واصطلاحاً: نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله تعالى. انظر شرح العقيدة الواسطية للهراس: ٢٠ – ٢١ ، المدخل لدراسة العقيدة: ٣٣ – ٣٦، فتح رب البرية بتلخيص الحموية: ٥٤ – ٥٥.

[5] التكييف، لغة: كنه الشيء وحقيقته، اصطلاحاً: حكاية كيفية الصفات. أي: تعيين كيفية لصفات الله كالقول بأن لله يدين كيدي المخلوق.

[6] انظر القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: ٧.

[7] انظر معاني القرآن الكريم ٥١/١، وانظر مجموع الفتاوى٢٠٧/٦ – ٢٠٩.

[8] انظر مجموع الفتاوى: ١٩٥/٦.

فأسماء الله تعالى الحسنى هي كلمات شرعية دالة على الذات الإلهية، متضمنة غاية الحسن، وتتريهه عز وجل عن كل نقص.

وقد عد ابن القيم هذا التوحيد من توحيد المعرفة والإثبات فقال:" هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سموات عرشـــه، وتكلمه بكـــتبه، وتكلمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره، وحكمه"[1] وسماه التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وقال إنه:" المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتتريهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتتريهه عن صفات النقص"[2] .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم أنه أشرف المعارف[3].

يقول ابن القيم عن توحيد الأسماء والصفات:" والإيمان بالصفات، ومعرفتها وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، وشهوده لها، هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا افترقوا، ومثير هممهم إذا قصروا، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد، فمن كان لا شاهد له فلا سير له، ولا طلب ولا سلوك.

وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم، ونهاية مطلوبهم...فإن أوصاف المدعو إليه ونعوت كماله، وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه، لأن القلوب تحبه وتعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتلتذ بقربه، وتطمئن إلى ذكره، بحسب معرفتها بصفاته"[4] . ثم نبه إلى أن طريقة السلف في هذا الباب وغيره هي الطريقة الأعلم والأسلم والأحكم فقال رحمه الله:" طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عله النصوص من الصفات وفهمها، وتدبرها وتعقل معانيها، وتتريه الرب عن تشبيهه فيها بخلقه، كما يتزهونه عن العيوب والنقائص ... وطريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم وأهدى إلى الطريق الأقوم، وأنها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر، وفهم ذلك ومعرفته، ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب وخيال"[5].

---

[1] مدارج السالكين: ٤١٧/٣.

[2] اجتماع الجيوش الإسلامية: ٩٣.

[3] انظر بدائع الفوائد: ١٦٠/١ ، ومجموع الفتاوى: ٢٠٩/٦.

[4] مدارج السالكين: ٣٢٧/٣.

[5] الصواعق المرسلة: ١١٣٤/٣.

المطلب الأول: ما تثبته النورسية من أسماء الله تعالى وصفاته.

مسائل تخص أسماء الله الحسنى:

(١)- الفرق بين الأسماء والصفات:

سئل الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – عن الفرق بين الاسم والصفة فقال:

" أولاً: أن الأسماء يشتق منها صفات، أما الصفات؛ فلا يشتق منها أسماء، فنشتق من أسماء الله الرحيم والقادر والعظيم صفات الرحمة والقدرة والعظمة، لكن لا نشتق من صفات الإرادة والمجيء والمكر اسم المريد والجائي والماكر.

فأسماؤه سبحانه وتعالى أوصاف؛ كما قال ابن القيم في "النونية" :

أَسماؤُهُ أَوْصافُ مَدْحٍ كُلُّها　　　　مُشْـتَقَّةٌ قَدْ حُمِّـلَتْ لِمَعانِ

ثانياً: أن الاسم لا يشتق من أفعال الله؛ فلا نشتق من كونه يحب ويكره ويغضب اسم المحب والكاره والغاضب، أما صفاته؛ فتشتق من أفعاله، فنثبت له صفة المحبة والكره والغضب ونحوها من تلك الأفعال، لذلك قيل: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

ثالثاً: أن أسماء الله عز وجل وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، لكن تختلف في التعبُّد والدعاء، فيتعبَّد الله بأسمائه، فتقول: عبد الكريم، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، لكن لا يتعبَّد بصفاته؛ فلا نقول: عبد الكرم، وعبد الرحمة، وعبد العزة، كما أن الله يدعى بأسمائه، فنقول: يا رحيم! ارحمنا، ويا كريم ! أكرمنا، ويا لطيف ! الطف بنا، لكن لا ندعو صفاته فنقول: يا رحمة الله ! ارحمينا، أو: يا كرم الله ! أو يا لطف الله ! ذلك أن الصفة ليست هي الموصوف؛ فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وكذلك العزة، وغيرها؛ فهذه صفات لله، وليست هي الله، ولا يجوز التعبُّد إلا لله، ولا يجوز دعاء إلا الله، لقوله تعالى: **(يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً)** [النور: من الآية٥٥] وقوله: **(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)** [غافر:٦٠] ... وغيرها من الآيات"[1] .

(٢) ـــ والنورسي يثبت الأسماء لله عز وجل إثباتاً حقيقياً لفظاً ومعنى، سالكاً المسلك الصوفي في إضفاء الأسرار القدسية على الأسماء الإلهية. فيقول:" إن الجوشن الكبير الذي يضم ألف اسم واسم من الأسماء الإلهية صراحة وإشارة ونابع من جهة القرآن الكريم"[2] .

---

[1] انظر فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين ٢٦/١، ترتيب أشرف عبد المقصود. وفتاوى اللجنة الدائمة: ١١٦/٣.

[2] الشعاعات: ٦٥٩، انظر الكلمات: ٧٨٣.

ويقول:" إن سلطنة الألوهية تقتضي وجود أسماء حسنى حقيقية متعددة لها، أمثال الرحمن، الرزاق، الوهاب، الخلاق، الفعال، الكريم، الرحيم، وهذه الأسماء والصفات تقتضي كذلك وجود مرايا حقيقية لها"[1].

وعن مسألة اشتقاق الصفة من الاسم أو العكس يرى النورسي أن الأسماء تشتق من الصفات:" إن منشأ العناوين ومصادر الأسماء هي الصفات"[2] ، وفي موضع آخر يقول:" إن كل أثر من الآثار البديعة الماثلة أمامنا في الكون وفي جميع المخلوقات هو كامل بديع بحد ذاته، وإن هذا الأثر البديع يشهد على فعل .. والفعل يشهد على اسم.. والاسم يشهد على صفة .. والصفة تشهد على شأن .. "[3]، فهو يقول هنا إن الصفة تستخرج من الاسم كما أن الاسم يشهد على أفعال الله تعالى البديعة. ويوضح ما سبق بمثال فيقول:" إن الجمال الذاتي والكمال الذاتي للصانع ذي الجلال، والحكيم ذي الجمال، والقدير ذي الكمال، يريدان الترحم والتحنن، فيسوقان اسمي "الرحمن، الحنّان" إلى التجلي. والترحم والتحنن يسوقان اسمي "الرحيم والمنعم" إلى التجلي، وذلك بإظهار الرحمة والنعمة معاً. والرحمة والنعمة تقتضيان شؤون التودد والتعرف وتسوقان اسمي "الودود والمعروف" إلى التجلي فيظهران على المصنوع. والتودد والتعرف يحركان معنى اللطف والكرم ويستقرآن اسمي " اللطيف والكريم"، في بعض نواحي المصنوع. وشؤون اللطف والكرم تحرك فعلي التزيين والتنوير فنستقرئ اسمي "المزيّن المنور" بلسان حسن المصنوع ونورانيته. وشؤون التزيين والتحسين تقتضي معاني الصنع والعناية وتستقرئ اسمي "الصانع المحسن" في السيماء الجميل لذلك المصنوع. وذلك الصنع والعناية تقتضيان العلم والحكمة فيستقرئ المصنوع اسمي " العليم والحكيم" في أعضائه المنتظمة الحكيمة. ولاشك أن ذلك العلم والحكمة تقتضيان أفعال التنظيم والتصوير والتشكيل، فيستقرئ المصنوع بشكله وهيئته، اسمي "المصور المقدر" . وهكذا خلق الصانع الجليل مصنوعاته كلها"[4].

---

[1] المكتوبات: ١٠٧ .

[2] الكلمات: ٨٠٢ .

[3] الكلمات: ٨٠٢ .انظر أسئلة العصر المحيرة:١٨٢ فتح الله كولن

[4] الكلمات: 752 .

وعن كيفية معرفة جمال ذاته تعالى من جمال اسمائه وصفاته يقول:" إن هذه المحبة تفتح آفاقاً أمام القلب ليحول نظره من آثار الصانع الجليل إلى جمال أفعاله البديعة، ومن جمال الأفعال إلى جمال أسمائه الحسنى، ومن جمال الأسماء الحسنى إلى جمال صفاته الجليلة ، ومن جمال الصفات الجليلة إلى جمال ذاته المقدسة"[1].

ويثبت في موضع آخر صفة الجمال لله بنفس النظر المنطقي السابق فيقول:" إن محبتك للأشياء الجميلة وللربيع، أي نظرك إليها من زاوية قولك:" ما أجمل خلقه" وتوجيه محبتك إلى ما وراء ذلك الشيء الجميل من جمال الأفعال وانتظامها، وإلى ما وراء تلك الأفعال المنسقة من جمال تجليات الأسماء الحسنى، وإلى ما وراء تلك الأسماء الحسنى من تجليات الصفات الجليلة .. وهكذا .. إن مشاهدة جمال أسمى من ذلك الجمال الذي شاهدته في المصنوعات بألوف ألوف المرات. أي مشاهدة تجليات الأسماء الحسنى وجمال الصفات الجليلة بما يليق بالجنة ودار البقاء"[2] .

والجمال من صفات الله تعالى، لحديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً:" إن الله جميل يحب الجمال"[3]. قال الحافظ أبو القاسم الأصبهاني:" قال بعض أهل النظر:لا يجوز أن يوصف الله بالجميل ! ولا وجه لإنكار هذا الاسم.لأنه إذا صح عن النبي ﷺ ، فلا معنى للمعارضة"[4].

وعلى هذه القاعدة التي أصلها النورسي ـــ النظر إلى الأسماء وما وراءها من تجليات الصفات ـــ نثبت لله تعالى جميع صفاته التي وردت في الكتاب والسنة، بلا تأويل أو تفويض أو تعطيل، ولأن النتيجة تخالف ما قرره النورسي [من إثبات سبع صفات فقط] وخاصة أنها ظهرت بوضوح في رسائله قال:" إن أكثر الأسماء الإلهية الحسنى تتجلى في الجسمانية فهي أجمع مرآة لها. وإن أقصى المقاصد الإلهية من خلق الكائنات تظهر في الجسمانية، فهي أغنى مركز لتلك المقاصد وأكثرها فاعلية ..."[5].

---

[1] الكلمات: ٧٧٢ .

[2] الكلمات: ٧٧٧ ، وانظر ٨٢٩ ، واللمعات: ٥٥ ، ٤٨٩ ، ٥١٧ .

[3] رواه مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر (٢٦٦).

[4] الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: ١٢٧.

[5] الشعاعات: ٢٨٤ .

ويرى النورسي أن أسماء الله تعالى تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية:" اعلم أن لله أسماء ذاتية، وأسماء فعلية متنوعة كالغفار والرزاق والمحيي والمميت"[1] . وما ذكر من الأسماء هي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وهي أوصاف باعتبار دلالتها على المعنى. وهي بالاعتبار الأول مترادفة. وبالاعتبار الثاني متغايرة، ومثاله أيضاً اسم العلي: وهو اسم يتضمن صفة ثبوتية ذاتية وهي العلو، علو شأن وعلو قهر وعلو ذات. فالله فوق جميع مخلوقاته، مستوٍ على عرشه في سمائه كما جاءت بذلك النصوص. كقوله تعالى: **(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)** [البقرة: من الآية٢٥٥] وقوله تعالى: **(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)** [فاطر: من الآية١٠].

أما من السنة فقد صح عن نبينا ﷺ قوله:" ألا تأمنوني وأنا أمين السماء"[2] . وحديث الجارية المشهور عندما سألها رسول الله ﷺ : "أين الله ؟". قالت: في السماء . قال: "من أنا ؟" قالت: أنت رسول الله ﷺ . قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"[3].

ومن الأسماء الذاتية الفعلية: الودود. ومن هذا الاسم تُعلم صفة الود لله فهو سبحانه يود ويحب عباده الصالحين. قال تعالى:

(وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هود:٩٠] .

ويتضح مما سبق أن:

أ – الأسماء تشتق منها صفات، وليس العكس.

ب – الأسماء لا تشتق من أفعاله تعالى، أما الصفات فتشتق من أفعاله.

يقول النورسي:" تكامل الأسماء والعناوين يفصح عن تكامل صفات لا تحصى لذلك الصانع من جهة صنعته، وتكامل تلك الصفات وإبداع الصنعة يشهدان على تكامل قابليات ذلك الصانع واستعداداته الذاتية المسماة بالشؤون"[4].

---

[1] إشارات الإعجاز: ٢٥ .

[2] رواه البخاري كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع برقم ٤٣٥١ ، ومسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاقم (١٠٦٤).

[3] مسلم كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (٥٣٧)، مسند الإمام أحمد ٤٤٧/٥.

[4] الكلمات: ٣٤٣.

وفي هذه المسألة ينقض النورسي كلامه في أكثر من موضع، بجعل الصفات هي مصدر الأسماء الإلهية. يقول عن مزايا القرآن الكريم:" إن القرآن الكريم ببياناته المعجزة يبسط أفعال الصانع الجليل، ويفرش آثاره أمام النظر، ثم يستخرج من تلك الأفعال والآثار، الأسماء الإلهية ويثبت مقصداً من مقاصد القرآن الأساسية كالحشر والتوحيد."[1] ويقول:" إن هناك من يرى ويسمع حاجات هذه الموجودات وأدعيتها فيخلق ما تطلبه ويفعل ما تريده. وهكذا مثل هذه الآثار، يثبت الأفعال الإلهية، وتلك الأفعال تثبت أسماء كالسميع والبصير، وتدل تلك الأسماء على وجود موصوفاتها"[2] .

وهكذا يكون عند النورسي أن " الأثر البديع يشهد على فعل، والفعل يشهد على اسم، والاسم يشهد على صفة، والصفة تشهد على شأن، والشأن يشهد على ذات"[3] وهذا القول هو الصحيح وهو أن الصفات تشتق من الأسماء وهو ما خالف به قوله السابق وقد جعل النورسي الأسماء الإلهية غير توقيفية والدليل على ذلك قوله بأسماء لا تصح مثل"واجب الوجود" و"الموجود" و"المعروف"[4] و"المرتب"[5] و"المربي"[6].

وإن صح عند الأشاعرة في العموم أنهم يعتقدون بأن الأسماء توقيفية لا يجوز غيرها، فما ثبت من النص فهو المقبول عندهم، لذا يقول حافظ الدين عبد الله النسفي راداً على من سمى الله تعالى بغير أسمائه:" فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه، نحو أن يقولوا: يا سخي، يا رفيق، لأنه لم يسمِ نفسه بذلك، ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر، والعقل، والعلة"[7] .

وقول النورسي إن الأسماء الإلهية تتجلى في الجسمانية "لقد جاءت في الكلمة الثامنة والعشرين وفي رسائل النور الأخرى أجوبة قوية جداً رداً على شبهات تافهة حول الحشر

---

[1] الكلمات: ٤٨٤ .

[2] اللمعات: ٤٨٩ ، وانظر الكلمات: ٧٧٢،

[3] المكتوبات: ١٠٧.

[4] اللمعات: ٤٥٩ .

[5] الشعاعات: ٤٤ .

[6] المكتوبات: ٧٦٨، الشعاعات: ٤٤ .

[7] مدارك التنزيل: ١/ ٥٩١.

الجسماني والبعث الجسدي، نكتفي هنا بالإشارة إليها إشارة مختصرة وقصيرة جداً.فنقول إن أكثر الأسماء الإلهية الحسنى تتجلى في الجسمانية فهي أجمع مرآة لها.

وإن أقصى المقاصـــد الإلهية من خلق الكائنات تظهر في الجسمانية فهي أغنى مركز لتلك المقاصد وأكثرها فعالية"[1]. والتجلي عند المعتدلين من الصوفية هو ظهور الإيمان في قلب المؤمن من خلال المراقبة ومشاهدة أفعال الربوبية. وهذا لا يتعارض مع الشرع، ولكن التجلي المراد في كلام النورسي هو التجلي الشهودي الذي يذكره الكاشاني حيث يقول: " هو ظهور الوجود المسمى باسم النور، وهوظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي هي صورها وذلك الظهور هو نفس الرحماني الذي يوجد به الكل"[2] . وهذا ما يعبر عن فكر أصحاب وحدة الوجود.

والنورسي يشير إلى أن للأسماء الإلهية تجليات حقيقية في الكون والإنسان فيقول:" إن الصحابة والمجتهدين والأصفياء وأئمة أهل البيت عندما يشيرون إلى أن حقائق الأشياء ثابتة يقرون بأن لأسماء الله تعالى تجليات حقيقية وأن لجميع الأشياء وجوداً عرضياً أسبغه الله عليها بالخلق والإيجاد"[3].

فالأسماء كما يراها ـــ النورسي ـــ تتراءى نقوشها وتجلياتها وجمالاتها في مرايا جميع الكائنات[4] وأبرز مظهر لتجلي الأسماء الإلهية هو الإنسان حيث جعل غاية حياته أن يكون مظهراً لتجليات أسماء الله تعالى، فيقول:"أيها الإنسان ... إن غاية حياتك هذه ونتيجتها هي أن تكون مظهراً لتجليات أسماء ذلك المالك ومعكساً لشؤونه الحكيمة"[5]. فهو يرى أن حياته تقوم بوظيفة المرآة للأسماء الإلهية التي تتجلى عليها نقوشها وإن كانت غاية حياة الإنسان أن يكون مظهراً لتجليات أسماء الله تعالى إلا أنه يقول في موضع آخر إن كل حي تتجلى فيه جميع الأسماء والصفات [6]. بل يقول:"إن الكون مرآة وماهية كل موجود مرآة

[1] الشعاعات: 284 .

[2] اصطلاحات الصوفية: ١٦٤، وانظر التجلي الذاتي والشهودي والصفاتي في معجم مـــصطلحات الـــصوفية: ٤١، الرسالة القشيرية: ٣٩، ٤٠، عوارف المعارف: ٥، ٢٥٢.

[3] المكتوبات: ١٠٧.

[4] انظر الكلمات: ٣٦٠.

[5] اللمعات: ١٨٣، وانظر الشعاعات: ٨٣.

[6] انظر اللمعات: ٥٦٦ .

أيضاً، هذه المرايا معرضة إلى الإيجاد الإلهي بالقدرة الأزلية. فكل موجود ــ من جهة ــ يصبح مرآة لاسم من أسماء الله يبين نقشاً من نقوشه"[1]. ويبرر قول الذين هم على مشرب ابن عربي في هذه المسألة قائلاً:" كل موجود ــ من جهة ــ يصبح مرآة لاسم من أسماء الله يبين نقشاً من نقوشه، فالذين هم على مشرب الشيخ ابن عربي قد كشفوا العالم من حيث المرآتية والظرفية والموجود المثال في المرآة ــ من زاوية النفي ــ ومن حيث منعكس صورة ذلك الشيء في المرآة هو عينه، وقالوا: لا موجود إلا هو، دون أن يفكروا بالمراتب الأخرى"[2].

ويرجع النورسي أحوال الناس والعالم إلى تجليات الأسماء في الكون، فحب الإنسان للبقاء يرجع إلى تجلي اسم من أسماء الله تعالى يقول:" إن ما في من عشق البقاء، ليس متوجهاً إلى بقائي أنا، بل إلى وجود ذلك الكامل المطلق وإلى كماله وبقائه، وذلك لوجود ظل لتجلٍ من تجليات اسم من أسماء الجليل والجميل والمطلق"[3].

وقد حدد النورسي التجليات التي تكون في الإنسان وجعلها أكثر من سبعين نقشاً من نقوش الأسماء تظهر في خلق الإنسان[4] في حين ذكر في موضع آخر الإنسان مظهراً لجميع تجليات الأسماء الإلهية [5]. ويقول إنه بتلك التجليات الواضحة في خلق الإنسان يستطيع الإنسان قياس أدق دقائق تجليات الأسماء: "إن أشد الأحياء حاجة إلى الرزق وإلى أنواعه هو الإنسان ! فالحق سبحانه وتعالى قد خلق هذا الإنسان مرآة جامعة لجميع أسمائه الحسنى، وأبدعه معجزة دالة على قدرته المطلقة، فهو يملك أجهزة يتمكن بها تثمين وتقدير جميع مدخرات خزائن رحمته الواسعة ومعرفتها ... وخلقه على صورة خليفة الأرض الذي يملك من الأجهزة الحساسة ما يتمكن بها من قياس أدق دقائق تجليات الأسماء الحسنى"[6].ولا شك أن هذا مما لا يستطيعه الإنسان بمقتضى قوله تعالى: (**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا**

[1] اللمعات: ٥٥ .

[2] اللمعات: ٥٥ .

[3] اللمعات: ٣٨٨.

[4] انظر الكلمات: ٧٢٩.

[5] انظر الكلمات :٣٤٩.

[6] المكتوبات: ٤٧٣.

شَاءَ)[البقرة:من الآية٢٥٥] وقد كفانا النورسي في الرد على كلامه السابق بقوله:" إن الحقائق الإيمانية والقرآنية لها من السعة والشمول مالا يمكن أن يحيط به ذكاء أذكى إنسان"[١].

وعن تجلي اسم الرحمن يقول النورسي:" إن في الإنسان والأحياء من المظاهر الدالة على الرحمة الرحيم ما هو بمثابة مرايا عاكسة لتجلياته سبحانه فدلالة الإنسان عليه سبحانه ظاهرة قاطعة جلية تشبه في قطعيتها وجلائها دلالة المرآة الساطعة لصورة الشمس وانعكاسها على الشمس نفسها. فكما يمكن أن يقال لتلك المرآة: إنها الشمس إشارة إلى مدى سطوعها ووضوح دلالتها عليها، كذلك يصح أن يقال ــ وقد قيل في الحديث[٢]ــ إن في الإنسان صورة الرحمن، إشارة إلى وضوح دلالته على اسم الرحمن وكمال مناسبته معه ووثوق علاقته به، هذا وإن المعتدلين من أهل وحدة الوجود قد قالوا: لا موجود إلا هو بناءً على هذا السر من وضوح الدلالة وعنواناً على كمال المناسبة"[٣] ،

وقد ذهب ابن عربي (أشهر أهل الوحدة) في التجلي مذهباً غريباً إذ زعم أن العلوم تتجلى في صورة مشروبات حسية محصورة في أربعة أصناف هي الماء، اللبن، والخمر، والعسل، وفي كل صنف منها يتجلى علم ليس يتجلى في غيره[٤]. ويتكلم النورسي عن مسألة التجلي من هذه الجهة فيقول :" إن الله سبحانه خلق الإنسان وجعله نسخة جامعة للكائنات، وفهرسته لكتاب العالم المشتمل على ثمانية عشر ألف عالم، وأودع في جوهره أنموذجاً من كل عالم تجلى فيه اسم من أسمائه تعالى. فإذا صرف الإنسان كل ما أنعم عليه إلى ما خلق لأجله إيفاء للشكر العرفي ــ الداخل تحت الحمد ــ وامتثالاً للشريعة التي هي جلاء لصدأ الطبيعة، يصير كل أنموذج مشكاة لعالمه ومرآة له وللصفة المتجلية فيه والاسم المتظاهر منه، فيكون الإنسان بروحه وجسمه خلاصة عالمي الغيب والشهادة ويتجلى فيه ما يتجلى فيهما.فبالحمد يصير الإنسان مظهرً للصفات الكمالية الإلهية. يدل على هذا قول

[1] المكتوبات: ٤٨٢.

[2] هو قوله عليه الصلاة والسلام:"خلق الله عز وجل آدم على صورته ..." أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب خلق آدم وذريته رقم (٣٣٢٦)، ومسلم كتاب في الجنة باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رقم (٢٨٤١).

[3] اللمعات: ١٥٤ .

[4] انظر الفتوحات المكية: ٢/ ٥٥٠ – ٥٥١.

محيي الدين بن عربي في بيان حديث:" كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق ليعرفوني"[1]. أي خلقت الخلق ليكونوا مرآة أشاهد فيها جمالي"[2].

وقول النورسي: إن الله تعالى خلق الإنسان وجعله نسخة جامعة للكائنات وأودع فيه أنموذجاً من كل عالم تجلى فيه اسم من أسمائه تعالى، يدل هذا على تأثر النورسي الشديد بعقيدة ابن عربي في وحدة الوجود. معتمداً على حديث باطل مكذوب وهو " لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن" [3].

وعن عدد أسماء الله تعالى فإن النورسي لا يوافق أهل السنة في أن أسماء الله تعالى غير محصورة[4] ، إلا في تجليات الأسماء فهي عنده غير محصورة، يقول:" إن أسماء الله الحسنى لها تجليات لا تعد ولا تحصر ، فتنوع المخلوقات إلى أنواع لا تحصر ناشئ من تنوع تلك التجليات غير المحصورة"[5] . ويصرح في مواضع إن لله تعالى ألف اسم واسم، يقول عن الجوشن الكبير:" إن الجوشن الكبير الذي يضم ألف اسم واسم من الأسماء الإلهية صراحة وإشارة نابع من جهة القرآن الكريم"[6] . وبعبارة أصرح في المقصود يذكر عدد الأسماء الإلهية فيقول:" ... فالصانع الجليل الذي له ألف اسم واسم من الأسماء الحسنى أمثال الحاكم والحكيم، والعدل والحكم والفاطر والجليل. الذي ليس كمثله شيء أراد ـــ وإرادته نافذة ـــ خلق شجرة الكائنات العظيمة"[7].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده:" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا

[1] قال ابن تيمية ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي وابن حجر والسيوطي. انظر كشف الخفاء: ١٧٣/٢.

[2] إشارات الإعجاز: ٢٧ .

[3] قال الحافظ العراقي لم أرَ له أصلاً انظر كشف الخفاء: ٢٥٥/٢، والفوائد المجموعة: ٥٨٩/١ وعن التجليات انظر نعمة الذريعة في نصرة الشريعة: ٥٥، الرد على القائلين بوحدة الوجود: ٨٤ مصرع التصوف: ١٩٣.

[4] انظر المقصد الأسني للغزالي: ١٦٧–١٧٢، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ٧٨، وشرح المقاصد: ٣٤٨/٤.

[5] المكتوبات: ١٠٩ .

[6] انظر الشعاعات: ٦٥٩ .

[7] الكلمات: ٧٨٣، وانظر قوله" إن لله لأسماء حسنى كثيرة" : ٢٠٦/١ مما يؤكد ما سبق ذكره.

أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[1] ،فأخبر أنه لا يحصي ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه"[2] .

ولعل النورسي لا يريد بقوله ألف اسم واسم الحصر. وإنما أطلق تلك العبارة على سبيل الكثرة. وهذا ممالا ينبغي في أمور الديانة والاعتقاد.

كما أطلق النورسي بعض الأسماء على الله عز وجل متجاوزاً ما ورد في النصوص الشرعية، وهذا لم يكن على سبيل الإخبار بل كان المقصود منه تسمية الله عز وجل بتلك الأسماء وهذا في مواضع عديدة من رسائله، يقول:" ... فجميع آيات الشكر والحمد والرضى المنطلقة من جميع المخلوقات قاطبة والمنبعثة من سرورهم وفرحهم وابتهاجهم بالنعم والآلاء العميمة عليهم والمتوجهة كلها إلى الحي القيوم، تولد من الشؤون الإلهية المقدسة التي تقتضي هذه الفعالية الدائمة والخلاقية المستمرة، تلك الشؤون التي يعجز التعبير عنها ولم يؤذن لنا بالإفصاح عنها، بل ربما يشار إليها بأسماء "الرضا المقدس" و"الافتخار المقدس" و" اللذة المقدسة" وما شابهها من الأسماء التي نعبر بها – نحن البشر – عن معاني الربوبية المترهة "[3]. ويقول: "لما كانت الدنيا هي دار الحكمة، والدار الآخرة هي دار القدرة، فإن إيجاد الأشياء في الدنيا صار بشيء من التدرج، ومع الزمن بمقتضى الحكمة الربانية، وبموجب أغلب الأسماء الحسنى أمثال الحكيم المرتب والمربي"[4].

وليست هذه الأسماء التي أطلقها النورسي على الله عز وجل من قبيل الإخبار،– فباب الإخبار عن الله تعالى واسع – بل إن هذه الأسماء المبتدعة يتعبد النورسي بدعاء الله بها مثل قوله:" سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف"[5]، "سبحانك ما شكرناك حق شكرك يا مشكور"[6]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل

[1] مسلم كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٣).

[2] درء تعارض العقل والنقل: ٣/ ٣٣٢، ٣٣٣ .

[3] اللمعات: ٥٨٧ .

[4] الشعاعات: ٤٤ .

[5] المثنوي العربي النوري: ٣٨٢ .

[6] نفس المرجع السابق والصفحة.

أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك فقيل في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل ليس بشيء، فقيل: بل هو شيء فهذا سائغ، وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح وهل إن دلتا على مدح يجوز الدعاء بها كقول القائل: يا شيء إذا كان هذا لفظاً يعم كل موجود، وكذلك لفظ ذات وموجود ونحو ذلك" [1]

(٣) ــ خلق الأسماء و الصفات: في الجملة الأشـــاعرة يقولون إن الأسماء مخلوقـــة لأن الأسماء عندهم مشتقة من الأفعال - كما عند النورسي - والمشتق من الفعل يكون حادثاً. وعلى هذا يكون مخلوقاً.

يقول عبد القادر البغدادي مقرراً هذه المسألة: "وكل ما كان مشتقاً له من فعل فليس من أسمائه الأزلية "[2] ومن هذا يتبين لنا موقف النورسي من خلق الأسماء والصفات وهو يذكر هذا بصراحة فيقول : " لو كان الإنسان مجرد قلب فقط ، لكان عليه أن يترك كل ما سواه تعالى. بل يترك حتى الأسماء والصفات ويرتبط قلبه بذاته سبحانه"[3] هذا يشعر بأنه يرى انفصالاً بين الذات وبين الأسماء، وهذا هو قول المعتزلة، فهو يطلب من مريديه أن يرتبطوا بإله لا اسم له ولا صفة . ولا يلتفت لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا. بل يعدها مجرد مراتب في السير إلى الله تعالى ما يلبث العبد أن يتجاوزها فهو يقول عن سيدنا محمد ﷺ أنه: "سيقطع المراتب إلى ما وراء طبقات الموجودات وبرزخ الأسماء وتجلي الصفات والأفعال المعبر عنها بسبعين ألف حجاب"[4].

ولذا فالله تعالى يحب صفاته وأسماءه[5] بل ويشهد أسماءه وصفاته تعالى على الإيمان[6]. ويجرؤ على تمثيل أسمائه وصفاته بمخلوقات. - والكلام في الصفات كالكلام في الذات فلا ذات بلا صفات -. فهو يقول:"فلنمثل - ولله المثل الأعلى - الأسماء الإلهية وصفاتها الجليلة

---

[1] مجموع الفتاوى: ٣٠١/٩ .

[2] أصول الدين :١١٨.

[3] الكلمات :٥٨٢

[4] الكلمات : ٦٧٨

[5] انظر الكلمات : ٧٤٠

[6] انظر اللمعات : ٤٩٦

والشؤون الربانية وأفعالها الحكيمة كأنها شجرة طوبى من نور تمتد دائرة عظمتها من الأزل إلى الأبد"[1] ولا شك أن هذا التمثيل لا يجوز لأن أسماء الله وصفاته هي من ذات الله عز وجل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" فأسماؤه الحسنى مثل الرحمن الرحيم و الغفور الرحيم فهذه الأقوال هي أسماؤه الحسنى وهي إذا ذكرت في الدعاء والخير يراد بها المسمى إذا قال: (وتوكل على العزيز الرحيم)فالمراد المسمى ليس المراد أنه يتوكل على الأسماء التي هي أقوال، كما في سائر الكلام"[2] .

وقد قال إبراهيم بن هانئ سمعت أحمد بن حنبل ـــ وهو مختف عندي ـــ فسألته عن القرآن فقال : " من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر"[3] . وقد كفّر الشافعي القائلين بخلق القرآن ومنهم حفص الفرد في مناظرته له[4] .

(٤) ـــ تعطيل معاني بعض الأسماء بأنواع من التأويلات التي هي من أعظم الإلحاد في الأسماء الحسنى عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة[5]. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- تعطيل معنى اسم العلي والذي يدل دلالة قطعية على ثبوت صفة العلو لله تعالى على خلقه. ولكن النورسي ينفيها بقوله:" أيمكن أن يكون محتاجاً إلى التميز والتمكن؟ أيمكن أن يكون البُعد والصغر وحجب طبقات الوجود موانع لقربه وتصرفه وشهوده ...؟ "[6] وهذا الكلام مخالف لصريح النقل والعقل والفطرة فأدلة علوه عز وجل كثيرة مشهورة. ولكن النورسي لجأ إلى قياس فاسد ـــ ولا يقاس الله بخلقه ـــ فلا يكون الله تعالى بعيداً عن عباده حال علوه. ويقول في موضع آخر لتأويل هذه الصفة :" فيا للعجب ... ما يطلب هذا الذي قام على الأرض وجمع خلفه جميع الأنبياء، أفاضل بني آدم، ورفع يديه متوجهاً إلى العرش الأعظم، ويدعو دعاء يؤمن عليه الثقلان"[7] فأراد النورسي التنزيه فوقع في الشرك لأن العباد

---

[1] الكلمات : ٥٠٦

[2] مجموع الفتاوى : ١٩٧/٦

[3] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٢١٤/٢

[4] انظر آداب الشافعي ومناقبه :١٩٤

والأسماء والصفات للبيهقي : ٣٨٩/١

واعتقاد أهل السنة والجماعة: ٢٥٣/٢، وتبيين كذب المفترى: ٣٤٠.

[5] انظر بدائع الفوائد : ١٦٩/١.

[6] الكلمات: ٧٣١ .

[7] المثنوي العربي النوري : ٦٣ .

لا يرفعون أيديهم متجهين إلى العرش؛ لأن العرش مخلوق لا يضر ولا ينفع، إنما يرفع الناس أيديهم إلى الله تعالى مؤمنهم وكافرهم قال تعالى: **﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾** [النحل: من الآية٥٣] قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يستحي من عبد إذا رفع إليه يديه"[1].

وبهذه الشبهة الباطلة أنكر المتكلمون صفة العلو لله تعالى. فيقال: إن من أثبت لله تعالى العلوــ كما في القرآن وصحيح السنة ــ لا يقول إن السماء تحوي الله تعالى أو أن الله متحيز[2] أو غير ذلك من الشبه التي ألزم بها النورسي العوام في قوله:" الاستدلال على وجود الإيمان في العامي يثبت بالاستفسار والاستيضاح منه، إن تستفسر من العامي بالسؤال المردد بين النفي والإثبات: هكذا أيها العامي أيمكن في عقلك أن يكون الصانع الذي كان العالم بجهاته الست في قبضة تصرفه أن يتمكن في جهة من جهاته أو لا ؟ فإن قال: لا. فنفي الجهة ثابت في وجدانه. وذلك كاف. وقس على هذا "[3] .

٢- تعطيل معنى اسم الرحمن، حيث يعتقد النورسي أن هذا المعنى لا يوافق الذات المقدسة يقول:" إن قلت الرحمن والرحيم كأمثالها بمبادئها محال في حقه تعالى كرقة القلب، وإن أريد منها[4] النهايات فما حكمة المجاز؟

قلت: هي حكمة المتشابهات، وهي التنزلات الإلهية إلى عقول البشر لتأنيس الأذهان وتفهيمها، كمن تكلم مع صبي بما يألفه ويأنس به. فإن الجمهور من الناس يجتبون معلوماتهم عن محسوساتهم ولا ينظرون إلى الحقائق المحضة إلا في مرآة تخيلاتهم ومن جانب مألوفاتهم .. وأيضاً المقصود من الكلام:إفادة المعنى، وهو لا يتم إلا بالتأثير في القلب والحس وهو لا يحصل إلا بإلباس الحقيقة أسلوب مألوف المخاطب وبه يستعد القلب للقبول "[5] .

فإنكار النورسي لمعنى اسم الرحمن كإنكار غيره من المتكلمين . والواجب على المسلم أن لا يعدل عن ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ إلا بدليل، وأن يجعل تفسير السلف لنصوص الوحي حجة في فهم المطالب الإلهية[6].

---

[1] أبو داود في سننه كتاب الوتر، باب: الدعاء (١٤٩٠)، وصححه الألباني في مختصر العلو: ١/ ٧٥.

[2] وهذا من الألفاظ المجملة التي تتحمل الحق والباطل. انظر: درء التعارض: ٧٦/١.

[3] إشارات الإعجاز: ٥١ .

[4] أي يقصد الإنعام بدلاً من صفة الرحمة.

[5] إشارات الإعجاز :٢٦

[6] انظر الروح: ٢٥٠، ذم التأويل (ابن قدامة): ٣٥/١ ،يقظة أولي الاعتبار: ٤٣، معارج القبول: ١١٩/١.

ثانياً: توحيد الصفات .

الصفة أصلها الوصف حذفت الواو وعوض عنها بالتاء،كالعدة، والوعد[1] ومادة "و ص ف" تدل على نعت الشيء يقال وصف الشيء له، وعليه وصْفًا وصفةً: حلاه [2].

والإيمان بصفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ من المسائل التي أجمع عليها سلف الأمة من أهل السنة والجماعة و لم يكن ثمة معارضة للنصوص الدالة على صفات الله عز وجل في عصر الصحابة وكبار التابعين. حتى ظهرت الجهمية فعارضوا النصوص بمقولاتهم وآرائهم، وأولهم الجعد بن درهم [3] الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري [4] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أول هذه المقالات في صفات الله تعالى:" أصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ــ أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وإنما استوى بمعنى استولى و نحو ذلك ــ وأول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل إن، الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ" [5] ويقول في موضع آخر: "والإثبات في الجملة مذهب الصفاتية من الكلابية والأشعرية والكرامية وأهل الحديث وجمهور الصوفية والحنبلية وأكثر المالكية والشافعية، إلا الشاذ منهم وكثير من

---

[1] انظر الصحاح للجوهري : ١٤٣٨/٤ ، لسان العرب : ٣٥٦/٩

[2] لسان العرب: ٣٥٦/٩

[3] هو الجعد بن درهم من الموالي وأصله من خرسان مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، مبتدع ضال قتله خالد القسري بالعراق في عيد الأضحى، انظر البداية والنهاية ٣٥٢/٩ . ميزان الاعتدال : ٣٩٩/١ ، صبح الأعشى : ٢٥٢/١٣ ، لسان الميزان : ١٣٣/٢ – ١٣٤ .

[4] هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسري الدمشقي، أمير العراقيين لهشام توفي سنة ١٢٦.قال الذهبي: كان جواداً ممدحاً معظماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال لكن فيه نصب، وقال ابن معين: رجل سوء يقع في علي، انظر السير: ٥/ ٤٢٥ - ٤٣٢

[5] انظر الفتوى الحموية:٢٤ – ٢٦

الحنفية أو أكثرهم، وهو قول السلفية ولكن الزيادة في الإثبات إلى حد التشبيه هو قول الغالية من الرافضة، ومن جهال أهل الحديث وبعض المنحرفين وبين نفي الجهمية وإثبات المشبهة مراتب" [1] ويقول مخاطباً نفاة بعض الصفات: "ومن هنا تسلط عليكم القرامطة والفلاسفة والمعتزلة ونحوهم من النفاة، وكلام أئمتكم معهم كلام قاصر، يظهر قصوره لمن كان خبيراً بالعقليات، وسبب ذلك تقصيرهم في مناظرهم حيث سلموا لهم بمقدمات عقلية ظنوا أنها صحيحة وهي فاسدة، فاحتاجوا إلى إثبات لوازمها، فاضطرهم إما إلى موافقتهم على الباطل، وإما إلى التناقض الذي يظهر به فساد قولهم، وإما إلى العجز الذي يظهر به قصورهم وانقطاعهم، ثم أخذوا يناظرون أهل الإثبات للعلو ونحوه بما به ناظرهم أولئك. ويتسلطون على العاجز عن مناظرهم من المثبتين كما تسلط عليهم أولئك، فصاروا بمترلة من قصروا في جهاد من يليهم من الكفار حتى غلبوهم وهزموهم، فقاموا يقاتلون من يليهم من المسلمين كما قاتلهم أولئك الكفار، حتى ظهر الباطل والكفر والضلال بتفريطهم أولاً في جهاد من يليهم من الكفار، وعدوانهم ثانياً على من يليهم من المسلمين" [2]

فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته الله تعالى من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات. إثباتاً بلا تشبيه وتتريهاً بلا تعطيل كما قال تعالى:(**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) [الشورى: من الآية١١] ، ففي قوله (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: (**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) رد للإلحاد والتعطيل [3].

ومسألة الصفات من أعظم المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الطوائف، وبين أهل السنة والجماعة.

---

[1] مجموع الفتاوى: ٥١/٦

[2] درء تعارض العقل والنقل:١٣٧/٧ –١٣٨

[3] انظر مجموع الفتاوى:٣/٣ – ٤

والنورسي يعد من الصفاتية الذين لا يقرون إلا سبعاً من الصفات الإلهية. ويعتـــبر أن هذه الصفات لا تستلزم التشبيه مع مخلوقاته. يقول: " جميع العلامات والمعجزات التي تثبت الرسالات التي هي مدار الكلام الرباني والوحي الإلهي. وهكذا جميع الدلائل الـــتي تـــشهد وتدل على الصفات الإلهية السبع الجليلة، تدل وتشهد أيضاً بالاتفاق على حياة الحي القيوم سبحانه لأنه لو وجدت الرؤية في شيء فلابد أن له حياة أيضاً. ولو كان له سمـــع فـــذلك علامة الحياة، ولو وجد الكلام فهو إشارة إلى وجود الحياة، ولو كان هناك الاختيار والإرادة فتلك مظاهر الحياة، كذلك فإن جميع دلائل الصفات الجليلة التي تشاهد آثارها ويعلم بداهة وجودها الحقيقي، أمثال القدرة المطلقة، والإرادة الشاملة، والعلم المحيط، تدل علـــى حيـــاة الحي القيوم ووجوب وجوده، وتشهد على حياته السرمدية " [1]

ويقول: " نحاول بإشارة بمنتهى الاختصار معرفة خالق الكون وذلك من خلال آثـــار وتجليات صفات العلم والإرادة والقدرة فقط بين الصفات السبع الجليلة لخالقنا " [2]

أما عن كيفية إثبات هذه الصفات السبع فيقول: " إن حقيقة تبارز الألوهية أيضاً التي تحس وتوجد بداهة ضمن حقيقة تظاهر الربوبية تعرّف نفسها وتفهمها أيـــضاً بتجليـــات الأسماء الحسنى ذات الرحمة والكرم، وبالتجليات الجلالية والجمالية للصفات الثبوتية الـــسبعة التي هي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

نعم فكما أن صفة الكلام تعرّف الذات الأقدس سبحانه وتعالى بالوحي والإلهامات، فإن صفة القدرة كذلك تعرّف ذاته جل وعلا بآثارها البديعة التي هي بمثابة كلماقا المجسمة التي تصف قديراً ذا جلال، وتعرّفه بإظهارها الكون من أقصاه إلى أقـــصاه بماهيـــة فرقـــان جسماني.

وإن صفة العلم أيضاً تعرّف ذات الواحد الأحد الموصوف، بقدر جميع المـــصنوعات الحكيمة المنتظمة الموزونة، وبعدد جميع المخلوقات التي تدار وتدبر وتزين وتميز بالعلم.

أما صفة الحياة فإن جميع الآثار الدالة على القدرة والصور والأحوال ذات الانتظـــام والحكمة والميزان والزينة، التي تنبئ عن وجود العلم وجميع الدلائل التي تـــخبر عن بقيـــــة

---

[1] اللمعات: ٥٦٦.انظر التلال الزمردية :١٦ فتح الله كولن

[2] الشعاعات: ٦٥٧ وانظر ص: ١١ . وعن تجلي الصفات انظر اللمعات: ٥٧٠ والكلمات:٧٣٨

الصفات الجليلة، مع دلائل صفات الحياة نفسها تدل على تحقق صفة الحياة. والحياة نفسها مع جميع أدلتها تلك تبرز جميع ذوي الحياة التي هي بحكم مراياها، وتحول الكون برمتـــه إلى صورة مرآة كبيرة جداً متكونة من مرايا غير محدودة متبدلة دائماً ومتجددة باستمرار لأجل إظهار التجليات البديعة والنقوش الرائعة المتنوعة جديدة فتية في كل حين.

وقياساً على هذا فإن صفات البصر والسمع والإرادة والكلام كل منها تعرّف الذات الأقدس تعريفاً واسعاً جداً بسعة الكون وتفهمها. وإن تلك الصفات مثلما أنها تدل علـــى وجود ذاته جل وعلا فهي تدل كذلك على بداهة وجود الحياة وتحققها وعلى أنه ســـبحانه وتعالى حي ذلك لأن العلم علامة الحياة، والسمع أمارة الحيوية، والبصر يخـــص الأحيـــاء، والإرادة تكون مع الحياة، والقدرة الاختيارية توجد في ذوي الحياة، أما التكلم فهو شـــأن الأحياء المدركين. وهكذا يفهم من هذه النقاط، أن لصفة الحياة أدلة وبراهين تبلـــغ ســـبعة أضعاف سعة الكون، تعرف وجودها ووجود موصوفها الحي. حتى أصبحت الحياة أســـاس جميع الصفات ومنبعها"[١].

وإثبات هذه الصفات السبع بالدلائل العقلية صحيح. لكن المحذور هو عـــدم اعتبـــار الدلائل السمعية لإثبات تلك الصفات. والاقتصار على الدلائل العقلية ، مع إنكار الصفات الأخرى . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والمعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لا يعتمدون في ذلك على ما جاء به الرسول، إذ كان ما جاء به الرسول إنما يتضمن الإثبات لا النفي، ولكن يعتمدون في ذلك على ما يظنونه أدلة عقلية،ويعارضون بذلك ما جـــاء بـــه الرسول" [٢] وقد أثبت شيخ الإسلام هذه الصفات السبع بالأدلة العقلية والأدلة الـــسمعية[٣] فأثبت للصفاتية ـــ الذين يثبتون بعض الصفات دون بعض ـــ: "إن وجوب تصديق كـــل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفاً على أن يقوم دليل عقلي على تلـــك الصفات بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته في عقولنا، ومن لم يقر بمـــا

---

[1] الشعاعات: ١٨٩ .

[2] انظر مجموع الفتاوى: ١٧٥/١٣ و انظر درء تعارض العقل والنقل: ٣٢٨/٥ . وانظر كلام ابن الوزير في "إيثـــار الحق على الخلق": ٢٨٧.

[3] انظر مجموع الفتاوى: ٣٥٣/١٦ وما بعدها.

جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم: **(قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه)** [الأنعام: من الآية١٢٤]

ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمناً بالرسول، ولا متلقياً عنه الأخبار بشأن الربوبية، ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به، فإن ما أخبر به إذا لم يعلمه لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه،ومالم يخبر به إن علمه بعقله آمن به وإلا فلا" [١].

ومن العجيب تقديم النورسي نظره العقلي على النص الشرعي، ففي تأويله لأكثر آيات الصفات يذكر طريقته العقلية في معرفة الصفات الإلهية قائلاً: "إني لست مالكي، وإن مالكي هو مالك الملك ذو الجلال والإكرام ... فتوهمتني مالكاً لأفهم صفات مالكي بالمقايسة. ففهمت بالمتناهي الموهوم، الغير المتناهي " [٢] .

والمقايسة التي استخدمها النورسي في باب الصفات ليست هي المقاييس الشرعية الصحيحة التي جاء بها الكتاب والسنة، إنما هي في حقيقة الأمر تقليد لمن سبقه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومن كان له خبرة حقيقية بهذا الباب [٣]، تبين له أن جميع المقدمات العقلية التي تُرجع إليها براهين المعارضين للنصوص النبوية إنما تُرجع إلى تقليد منهم لأسلافهم لا إلى ما يعلم بضرورة العقل ولا إلى الفطرة" [٤].

والنورسي يرى أن أسماء وصفات المخلوقين إنما هي وهم وليست حقيقة ثابتة للمخلوق إنما الحقيقة هي ما اتصف الله به وحده، وهذا قوله : " إن استعمال اسم التفضيل في بعض أسماء الله وصفاته وأفعاله كأرحم الراحمين وأحسن الخالقين والله أكبر ، وغير ذلك لا ينافي محض التوحيد ،إذ المراد تفضيل الموصوف بالحقيقة وبالذات ، على الموصوف بالوهم وبالنظر الظاهري الأسبابي أو بالإمكانات العقلية.

[1] شرح الأصفهانية: ٣٠ وما بعدها.

[2] المثنوي العربي النوري :١٠٦

[3] باب الأسماء والصفات

[4] درء تعارض العقل والنقل ٢٧٩/٤.

وكذا لا ينافي عزة الواحد القهار، إذ ليس المراد منه الموازنة بين صفاته أو فعله في نفس الأمر، وبين صفات المخلوقين وأفعالهم، لأن مجموع ما في المصنوعات من الكمال ظل مفاض بالنسبة إلى كماله سبحانه"[1] .

وأما قول جمهور المعتزلة والمتكلمة الصفاتية في هذه المسألة فينقله عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية مقرراً القول الحق قائلاً: " وقد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، مريد حقيقة، متكلم حقيقة، حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا: إن الله متكلم حقيقة كما قالوا ــ مع سائر المسلمين ــ إن الله عليم حقيقة، قدير حقيقة، بل ذهبت طائفة منهم كأبي العباس الناشئ إلى أن هذه الأسماء حقيقة لله مجاز للخلق.

وأما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية من الأشعرية، والكلابية، والكرامية، والسالمية، وأتباع الأئمة الأربعة من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، وأهل الحديث، والصوفية فإنهم يقولون: إن هذه الأسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى، وإن كانت تطلق على خلقه حقيقة أيضاً "[2].

---

[1] المثنوي العربي النوري: ٤٠١.

[2] مجموع الفتاوى: ١٩٦/٥ .

المطلب الثاني: الصفات الخبرية:

صفة العلو والفوقية:

العلو في اللغة يدل على السمو والارتفاع[1] وصفة العلو من أعظم الصفات التي وقع اختلاف الناس حولها، والمقصود هو علو الذات، حيث إن الجميع يقر بعلو القهر، والقدرة ، وقد افترقوا في علو الذات إلى أقوال فمنهم :

١- الذين يقولون إن الله ليس داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته وهم الأشاعرة بعض الجهمية[2].

٢- ومن يقول إن الله تعالى بذاته في كل مكان وإنه ـ تعالى عما يقولون ـ موجود في كل الوجود. وهو قول كثير من الجهمية ومن أصحاب القول بالحلول[3] والاتحاد [4]

٣- أما مذهب أهل السنة والجماعة فإنهم لم يحيدوا عن النصوص الشرعية حيث قالوا إن الله تعالى فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، وهو مع عباده بالنصر والتمكين والعلم [5].

والنورسي في هذه المسألة خالف فيها قول أهل السنة والجماعة،وجرى مع النفاة في تأويل النصوص ، ولم يثبت علو الذات ، بل أثبت العلو المعنوي وهو علو القدر والقهر وصرف المعنى الحقيقي بدعوى التنزيه وأن الله لا تحويه الجهات ولا الأماكن.

يقول النورسي في ذلك :إن الصانع الجليل منزه عن الجسم والجسمانية [6]لذا لا يحصره زمان ولا يقيده مكان ، ولا يتداخل في حضوره وشهوده الكون والمكان ." (٦)

وللتوفيق بين صعود النبي عليه الصلاة والسلام في ليلة الإسراء والمعراج إلى السماء السابعة ومخاطبته لله تعالى وبين اعتقاده أن الله معنا يقول :" لقد وضحت تلك الحقيقة في

---

[1] انظر لسان العرب ٨٣/١٥ مادة (علا)

[2] انظر: درء التعارض: ١١٣/٦.

[3] الحلول معناه: أن الله يصطفي أجساماً يحل فيها بمعاني الربوبية، فيزيل عنها معاني البشرية، انظر معجم المصطلحات الصوفية: ٨٢.

[4] الاتحاد معناه: تصيير الذاتين واحدة، وقيل هو شهود واحد مطلق، انظر معجم المصطلحات الصوفية: ٩ — ١٠.

[5] انظر مجموع الفتاوى ٢٢٧/٥ وما بعدها

[6] انظر أقواله في المكان والجهة والجسم فكلها في نفي العلو الذاتي لله تعالى .

[٦]المكتوبات : ٣٢١

الكلمة الحادية والثلاثين بياناً شافياً مفصلاً مدعماً بالبراهين ، إلا أننا نقـــول هنـــا :إن الله سبحانه وتعالى قريب إلينا غاية القرب، ونحن بعيدون عنه غاية البعد ، مثال: إن الـــشمس قريبة منا بواسطة المرآة التي في أيدينا ؛ بل كل ما هو شفاف يكون نوعاً من عرش للشمس ومترل لها، فلو أن للشمس شعوراً،لكانت تحاورنا بما في أيدينا من المرآة . ولكننا بعيـــدون عنها أربعة آلاف سنة .

وهكذا فشمس الأزل بلا تشبيه ولا تمثيل " ولله المثل الأعلى" أقرب إلى كل شيء من أي شيء كان ،لأنه واجب الوجود ، ومتره عن المكان ، ولا يحجبه شيء ، بينما كل شيء بعيد عنه بعداً مطلقاً.

ومن هذا تفهم : سر المسافة الطويلة جداً مع المعراج مع عدم وجود المسافة التي تعبر عنها الآية الكريمة: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) [قٓ:١٦][1]

وأما الآيات المصرحة بإنزال النعم كقوله تعالى : (**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَـــدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**)[الحديد: من الآية٢٥]

يقول:" إن القرآن الكريم قد قال كلمة" **أَنْزَلْنَا** " لأجل التنبيه إلى جهة النعمة العظيمة التي ينطوي عليها الحديد والتي لها أهميتها في الحياة. فالقرآن الكريم لا يلفت الأنظار إلى مادة الحديد نفسها ليقول أخرجنا بل يقول" **أَنْزَلْنَا** " للتنبيه إلى النعمة العظيمة التي في الحديد وإلى مدى حاجة البشر إليه، وحيث إن جهة النعمة لا تخرج من الأسفل إلى الأعلى بل تأتي من خزينة الرحمة، وخزينة الرحمة بلا شك عالية وفي مرتبة رفيعة المعنى، فلابد أن النعمة تترل من الأعلى إلى الأسفل " [2] وتأويل إنزال الحديد من السماء قاله كثير من المـــتكلمين [3]، وهـــو خلاف ما وصل إليه العلم الحديث في أصل مادة الحديد،حيث أثبت كثير مـــن العلمـــاء استحالة تكون ذرات الحديد في الأرض، وأنه تكون خارج الأرض، ومن ثم أُنزل الحديد إلى الأرض. وهو ما يتفق عليه أصحاب الاختصاص في هذا المجال (والله أعلم)[4]، ومع ما ســـبق

[1] المرجع السابق : ٣٩٥ .

[2] اللمعات: ٤٢٢ .

[3] انظر شرح العقيدة الطحاوية : ١٩٧ .

[4] انظر: مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الثامن بالكويت: معجزة إنزال الحديد وبأسه الشديد. د. عبد الله البلتاجي.

يقر النورسي بالنزول الحقيقي للضروريات الإنسانية من السماء . يقول: " لما كان هنـــاك ذهاب من الأرض إلى السماء والعودة منها، فالنزول من السماء والصعود إليها وارد أيضاً، بل اللوازم والضروريات الأرضية ترسل من هناك " [1] وعند دعاء المؤمن ربه ورفع يديه إلى السماء، يزعم النورسي أن هذا التوجه يكون للعرش لا إلى الله وذلك فراراً من الإقرار بعلو ذات الله تعالى. قال عن رسول الله ﷺ : " فيا للعجب ! ؟ ما يطلب هذا الذي قام علـــى الأرض وجمع خلفه جميع الأنبياء، أفاضل بني آدم، ورفع يديه متوجهاً إلى العرش الأعظـــم ويدعو دعاء يؤمن عليه الثقلان "[2]

فيا للعجب من إنكار صفة لله تعالى دل عليها النقل والعقـــل والاجمـــاع والفطـــرة، وصرف الدعاء ـــ وهو العبادة ـــ إلى مخلوق دون الله تعالى. يقول فتح الله كولن[3] متابعـــاً لأستاذه النورسي : "إنزل أيها الخطاب الأزلي الإلهي ... إنزل وكأنك نازل من العـــرش "[4] ويقول : "عندما نزل القرآن كأفضل جوهرة من جواهر اللوح المحفوظ ، نزل بمنزلة وشرف لا يُدانى " [5] إلا أن الأستاذ كولن يقول في كتاب آخر عن القرآن :" القرآن هو مجموعـــة القوانين الإلهية النازلة من لدن الخبير المتعال والمشرقة على عالم بني الإنسان "[6] وعن ســـؤال من الأسئلة المحيرة – كما يراها – وهو كيف يكون الله واحداً وهو في كل مكان ؟ يحاول يجمع الاستاذ كولن بين قوليه السابقين فيقول : " الله موجود بعلمه وقدرته في كل مكـــان وزمان ، فإن قلت: إن الله في قلبي فهو كلام صحيح لأنه يعلم عني أكثر مما أعلم عن نفسي فهو تعالى خارج الكمية والكيفية والله تعالى يقول :{وما رميـــت إذ رميـــت ولكـــن الله رمى}[الأنفال: ١٧] أي أن الله هو الذي رمى باسم الرسول ، إذا فهو يؤثر في كل شـــيء

---

[1] الكلمات: ٢٠٦ .

[2] المثنوى العربي النوري : ٦٣ . انظر ترانيم روح واستجابة قلب : ٦٠ – فتح الله كولن – دار النيل للطباعـــة – الطبعة الأولى .

[3] أحد ابراز طلاب السعيد النورسي له عدة مؤلفات وقد افتتح العديد من المدارس في تركيا وخارجها .

[4] انظر ترانيم روح واستجابة قلب : ٦٠ .

[5] المرجع السابق : ٦٦ .

[6] الموازين : ٨٤ . – فتح الله كولن – دار النيل للطباعة – الطبعة الأولى .

حتى في الرمي . إذ هو في كل مكان حسب هذه الآية ... فهو حاضر ومسيطر في كل مكان بقدرته وعلمه وبرحمانيته [1] وقد تواترت الأدلة على أن الله تعالى عال على كل شيء.

ــ فمن القرآن الكريم :

قال تعالى:﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ﴾ [الرعد:٩]

إخباره عز وجل بأن الأشياء تصعد إليه لا إلى العرش

قال تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: من الآية١٠]

وقال سبحانه : ﴿**تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾ [المعارج: من الآية٤]

وجاءت الآيات بالتصريح بأنه عز وجل في السماء

قال تعالى:﴿ **أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ**﴾ [الملك: من الآية١٦]

قوله تعالى:﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: من الآية١٨] دليل على أنه فوق عباده وهو كقوله تعالى:﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل:٥٠]

ــ وأما السنة: فقد وردت أحاديث متواترة تثبت العلو لله تعالى فمن ذلك :

١- قوله ﷺ في حجة الوداع: " وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأدَّيت ونصحت، ثم قال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد. "[2]

٢- ما ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن بدر[3] و أقرع بن حابس[4] وزيد الخيل[5] والربيع إما

---

[1] أسئلة العصر المحيرة : ٢١٦ – فتح الله كولن – دار النيل للطباعة – اسطنبول – الطبعة الثانية .

[2] مسلم كتاب الحج باب حجة النبي صلي الله عليه وسلم : (١٢١٨) .

[3] هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري صحابي من المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح وشهد فتح مكة وحنين والطائف، كان النبي صلى الله عليه وسلم يسميه الأحمق المطاع، ارتد في زمن أبي بكر، ومال إلى طليحة ثم عاد فأسلم وعاش إلى خلافة عثمان. انظر الإصابة ٤/ ٧٦٧ .

[4] الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي، صحابي من سادات العرب في الجاهلية قدم على النبي ﷺ في وفد بني درام من تيم، فأسلموا وشهد حنيناً، وفتح مكة والطائف، وسكن المدينة وكان من المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة واستشهد في الجوزجان، واسمه فراس والأقرع لقب له لقرع في رأسه، وكان حكماً في الجاهلية. أسد الغابة: ١/١٦٤ .

[5] زيد بن مهلهل من طيء من الأبطال في الجاهلية سمي زيد الخيل لكثرة خيله، وكثر طراده بها، كان طويلاً جسيماً من أجمل الناس وكان شاعراً وخطيباً موصوفاً بالكرم، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ في وفد طيء فأسلم وسُرَّ

علقمة[1] وإما عامر بن الطفيل[2] فقال رجل من الصحابة: كنا أحق بهذا من هؤلاء. فبلغ النبي ﷺ فقال: ألا تأتمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً "[3]

٣- وثبت عنه ﷺ قوله: " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل"[4].

وكان معتقد الصحابة رضي الله عنهم أن الله تعالى في السماء وهذه بعض أقوالهم:

١- لما قُبِضَ رسول الله ﷺ دخل عليه أبو بكر رضي الله عنه وقبَّله وقال: "بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً"، ثم قال: "من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت"[5].

٢- عندما لقي عمر بن الخطاب خولة بنت ثعلبة[6] قال: "هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات"[7].

٣- حينما دخل عبد الله بن عباس على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال لها:"لقد أنزل الله براءتك من فوق سبع سموات"[8].

به النبي صلى الله عليه وسلم وسماه زيد الخير وقال له: يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون ما وصف لي غيرك. أسد الغابة: ٣٦٠/٢ .

[1] علقمة بن علاثة العامري، صحابي من بني عامر بن صعصعة كان في الجاهلية من أشراف قومه، وفد على قيصر ثم أسلم ثم ارتد في أيام أبي بكر، وذهب إلى الشام فبعث إليه أبو بكر القعقاع بن عمرو ففر منه ثم عاد إلى الإسلام وولاه عمر حوران فنزلها حتى مات وكان رجلاً كريماً. الاستيعاب: ١٠٨٨/٣ .

[2] عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، أدرك الإسلام شيخاً ووفد على رسول الله في المدينة بعد فتح مكة يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه للإسلام فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر بعده فرده فعاد وهو يقول: لأملأنها خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ولأربطن في كل نخلة فرساً. فمات في طريقه قبل أن يصل إلى قومه. الأعلام الزركلي ٢٥٢/٣ .

[3] سبق تخريجه.

[4] البخاري كتاب الزكاة باب الرياء في الصدقة (١٤١٠).

[5] العلو للذهبي : ٦٢ ، شرح السنة (البغوي): ٧٨/١٠.

[6] خولة بنت مالك بن ثعلبة:امرأة أوس بن الصامت نزل فيها وفي زوجها أوس صدر سورة المجادلة. الإصابة٦٨/٨

[7] العلو للذهبي : ٦٣، الرد على الجهمية للدارمي: ٥٤/١.

[8] العلو للذهبي :٩٦، رسالة في إثبات الاستواء والفوقية: ٦٢/١.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سماواته مستو على عرشه وكلامهم مشهور في ذلك قال الأوزاعي ــ رحمه الله ــ :" كنا والتابعون متوافرون نقول:إن الله تعالى فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات"[1] .

كما ثبت العلو لله تعالى بدلالة العقل وذلك من وجوه :

١- العلم البدهي أن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات. وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً عن الآخر.

٢- أنه لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته، أو خارجاً عن ذاته، فالأول باطل لأمرين:

أ- الاتفاق على بطلانه.

ب-لأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس - تعالى الله وتقدس عن ذلك علواً وتقديساً كبيراً-.

٣- أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول؛ فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه . والأول باطل ، فتعين الثاني فلزمت المباينة[2].

وأما ثبوته بالفطرة :

فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو. ولو سئل أي مخلوق لم تتلوث فطرته أين الله ؟ لكان الجواب نحو العلو.وقال الأشعري: " ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات ، فلولا أن الله تعالى على العرش لم يرفعو أيديهم نحو العرش" [3].

---

[1] أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات : ٣٠٤/٢ رقم ٨٦٥ ، والذهبي في العلو : ٩٤٠/٢ برقم ٣٣٤ وقد صحح إسنادها إلى الأوزاعي شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية:٢٩٩ .

[2] انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٣٨٩ – ٣٩٠

[3] الإبانة في أصول الديانة للأشعري ٩٧-٩٨ ،وانظر لكلام الدارمي في" رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد": ٢٥، ومختصر الصواعق المرسلة : ٢٠٥/٢ – ٢١٧ .

الاستواء:

وهو من الصفات الفعلية لله تعالى التي لها تعلق بصفة العلو. حيث إن الاستواء علو خاص بالعرش. وكل من نفى العلو لله تعالى نفى استواءه على العرش، حيث" إن صفة العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل عند أئمة المثبتة وأما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل"[1].

وقد وردت هذه الصفة في الكتاب العزيز في سبعة مواضع هي:

قوله تعالى:**(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)** [لأعراف: من الآية٥٤]

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) [يونس: من الآية٣]

قوله تعالى: **(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً)** [الرعد: من الآية٢]

قوله تعالى: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طـه:٥]

قوله تعالى: **(الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً)** [الفرقان:٥٩]

قوله تعالى:**(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ)** [السجدة:٤]

قوله تعالى:**(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** [الحديد:٤]

وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة منها :

---

[1] انظر مجموع الفتاوى: ٢٢٧/٥ .

حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة مئة درجة أعـــدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة "[1]

حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله لما قضى الخلق كتب عنده في كتاب وهو عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي "[2]

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إمرار هذه النصوص على ظاهرها مع اعتقاد مـــا دلت عليه من إثبات صفة الاستواء لله تعالى. وللسلف أربع عبارات في الاستواء وهي:

١- العلو .

٢- الارتفاع .

٣- الاستقرار .

٤- الصعود .

يقول ابن القيم رحمه الله :

فلهـــم عـــبارات علـــيـــها أربـــع	قد حصـــلت للفارس الطعـــان
وهي اســـتقر وقد علا وكـــذلك ار	تفع الذي ما فيـــه من نكـــران
وكـــذلك صـــعد الذي هو رابـــع	وأبو عبيدة [3] صاحب الشيباني
يختـــار هذا القـــول في تفـــســـيره	أدرى من الجهمي بالقـــرآن[4]

وقد سئل الإمام مالك عن قوله تعالى:**(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْـــتَوَى)** [طـــــه:٥] كيف استوى؟ فقال مالك يرحمه الله تعالى: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عـــن هذا بدعة وأراك رجل سوء"[5].

---

[1] رواه البخاري كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله: (٢٧٩٠).

[2] رواه البخاري كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ٧٤٢٢ .

مسلم كتاب التوبة باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه: (٢٧٥١)

[3] هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم النحوي اللغوي صاحب الإمام أحمد صدور ت سنة٢٠٨انظر التقريب:٢/٢٦٦.

[4] النونية لابن القيم بشرح الهراس: ٢١٥/١ .

[5] شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣٩٨/٣ ، وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني: ١٧.

ومثله ينقل الذهبي قصيدة لأبي الخطاب[1] يقول فيها:

قالوا أتزعم أن على العرش استوى　　　قلت الصواب كذاك خبَّر سيدي

قالوا فما معنى استـــواه أبِن لنـــا　　　فأجبتهم هذا ســؤال المعتـــدي[2]

والنورسي لا يثبت الاستواء لله تعالى كما جاءت به النصوص، لأنه يرى أنه يلزم من إثبات الاستواء لله تعالى، المكان والتحيز والجسمية وكونه محدوداً إلى غير ذلك فهو يقـــول: " إن القرآن المبين يرشد إلى كثير من الحقائق الغامضة ويعلّم الناس إياها بأســـلوب ســـهل وواضح وببيان شاف يراعي نظر العوام، من دون إيذاء لشعور العامة ولا إرهاق لفكر العوام ولا إزعاج له، فكما إذا ما حاور إنسان صبياً فإنه يستعمل تعابير خاصـــة بـــه، كـــذلك الأساليب القرآنية والتي تسمى بـــ " التترلات الإلهية إلى عقول البشر" خطـــاب يـــترل إلى مستوى مدارك المخاطَبين، حتى يفهم أشد العوام أمية، من الحقائق الغامضة والأسرار الربانية ما يعجز حكماء متبحرون عن بلوغها بفكرهم، وذلك بالتشبيهات والتمثـــيلات بـــصور متشابهات.

فمثلاً الآية الكريمة:**(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** تبين الربوبية الإلهية وكيفية تدبيرها لشؤون العالم في صور تمثيل وتشبيه لمرتبة الربوبية بالسلطان الذي يعتلي عرشه ويدير أمـــر السلطنة..."[3]. ويذكر ذلك في موضع آخر معللاً هذه التمثيلات ـــ كما يزعم ـــ :" إن مما يحوج إلى التمثيل عمق المعنى ودقته ليتظاهر بالتمثيل، أو تفرق المقصد وانتشاره ليرتبط بـــه. ومن الأول متشابهات القرآن الكريم، إذ هي عند أهل التحقيق نوع من التمثيلات العاليـــة وأساليب لحقائق محضة ومعقولات صرفة، ولأن العوام لا يتلقون الحقـــائق في الأغلـــب إلا بصور متخيلة، ولا يفهمون المعقولات الصرفة إلا بأساليب تمثيلية لم يكن بد من المتشابهات كـــ (استوى على العرش) لتأنيس أذهانهم ومراعاة أفهامهم"[4].

---

[1] أبي الخطاب محفوظ بن أحمد بن حسن بن حسن العراقي الكلواذاني ثم البغدادي الأزجي تلميذ القاضي أبي يعلـــى الفراء . ت سنة ٥١٠ . انظر سير أعلام النبلاء : ٣٤٩/١٩ .

[2] لأنهم سألوا عن كيفية الاستواء لا عن معنى الاستواء مطلقاً في لغة العرب، انظر السير: ٣٤٩/١٩.

[3] الكلمات: ٤٤٩ – ٤٥٠.

[4] إشارات الإعجاز: ١١٨ .

وللنورسي تأويلات عدة لهذا الاستواء فهو في موضع يقول: " انظر إلى الحاكم المطلق وهو مستو على عرش الربوبية، والآمر المطلق وهو المهيمن بالألوهية "[1] وهـذا العـرش يقسمه إلى أربعة عروش. يقول فيها: " إن للخالق الجليل ذي العرش العظيم سبحانه وتعالى أربعة عروش إلهية، هي محاور لتدبير أمور المخلوقات الموجودة على كرة الأرض، التي هـي بمثابة مركز معنوي للعالم وقلب الكائنات وقبلتها.

أحدها: هو عرش الحفظ والحياة وهو التراب المظهر لتجلي اسم الحفيظ والمحيي.

ثانيها: هو عرش الفضل و الرحمة وهو عنصر الماء.

ثالثها: هو عرش العلم والحكمة وهو عنصر النور.

رابعها: هو عرش الأمر والإرادة وهو عنصر الهواء."[2]

وهذه العروش التي ذكرها النورسي يراها في الكنايات كما يرى أن العرش في قولـه تعالى: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طـه:٥] كناية. وهذا نص قوله: " إن الجمهور إنما يتصورون حقيقة التصرف الإلهي في الكائنات بصورة تصرف السلطان الذي اسـتوى على سرير سلطنته، ولهذا اختار الكناية في **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طـه:٥] [3].

صفة اليد :

صرحت نصوص الكتاب والسنة على إثبات صفة اليد لله تعالى فمن ذلك:

١- قوله تعالى: **(قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)** [آل عمران: من الآية٧٣]

٢- وقال تعالى: **(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)** [المائدة: من الآية٦٤]

٣- قال تعالى: **(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)** [يّـس:٧١]

ومن السنة الصحيحة:

---

[1] اللمعات: ٢٨٧ .

[2] اللمعات: ٤١٥ .

[3] إشارات الإعجاز: ١٧٥ وانظر ما بعدها.

١- قوله ﷺ :" إن الله تعالى يبسط يده في الليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل" [1] .

٢- قوله ﷺ :" إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك وسعديك والخير بين يديك..." [2].

٣- وفي صفة اليمين يقول ﷺ :" من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه [3] حتى تكون مثل الجبل" [4].

يقول الإمام أحمد رحمه الله: " من زعم أن يداه نعمتاه، كيف يصنع بقوله تعالى : ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [صّ: من الآية٧٥] مشددة "[5] .

ويقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى: " نحن نقول لله عز وجل يدان كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تتريله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ ونقول: كلتا يدي ربنا عز وجل يمين على ما أخبر النبي ﷺ ، ونقول: إن الله عز وجل يقبض الأرض جميعاً بإحدى يديه، ويطوي السماء بيده الأخرى، وكلتا يديه يمين لا شمال فيهما"[6].

والنورسي في كثير من رسائله لا يثبت صفة اليد لله تعالى صراحة، فلا يقول يد الله بل يقول يد القدرة أو يقول في قبضة تصرفه أو ما شابه ذلك، يقول:" إن الكرة الأرضية عبارة عن كرة ضخمة تديرها يد القدرة للصانع الحكيم"[7] ويقول:" أيها العامي أيمكن في عقلك

[1] مسلم كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب : ٢٧٥٩ .

[2] جزء من حديث أخرجه البخاري كتاب الرفاق باب صفحة الجنة والنار(٦٥٤٩) موصولاً، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (٢٨٢٩)

[3] الفلو: المهر الصغير، وقيل هو الفطيم من الأولاد ذوات الحافر النهاية ٤٧٤/٣.

[4] تقدم تخريجه.

[5] إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى: ١٠٢.

[6] كتاب التوحيد: ١٩٣/١-١٩٤.

[7] صيقل الإسلام: ٦٨. انظر أسئلة العصر المحيرة :٢٦، ٣٢

أن يكون الصانع الذي كان العالم بجهاته الست في قبضة تصرفه أن يتمكن في جهة من جهاته أولاً"[1] .

ونسبة اليد للقدرة تأويل لصفة اليد عن ظاهرها. وهو يخالف إجماع السلف وليس عليه دليل بل الدليل ــ كما سبق ــ بخلافه[2].

ومع ما سبق نجد أن أقوال النورسي في صفة اليد مضطربة ففي مواضع ــ كما سبق ــ ينسب اليد لصفة من الصفات السبع التي يثبتها، فيقول" يد القدرة"[3] أو "يد الحكمة"[4] ويقول " يد الرحمة"[5] ثم ينسب اليد في موضع آخر إلى المعجزة[6] ولكنه في بعض رسائله لم ينسب اليد لصفة القدرة أو الرحمة مطلقاً بل جعلها يد قدرته سبحانه فيقول في هذا: " فكل شيء له، وخاص به، وصدر من يد قدرته، فعليكم أن تدركوا جيداً، أن لا سلطان ولا حاكم إلا هو، فهو السلطان الواحد الأحد لا نظير له ولا مثيل ..." [7] ويؤكد ذلك في الكلمة الثانية والعشرين: "التوحيد الحقيقي هو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود بوحدانيته سبحانه، وبصدور كل شيء من يد قدرته"[8].

وأخيراً يصرح بإثبات صفة اليد لله تعالى في مواضع عديدة من رسائله بأن هذه صفة اليد إنما هي صفة لله القدير الصانع، الواحد الأحد، يقول:" نعم إن الكون وجميع حقائق العالم يدعو إلى بعثه ويريده ويطلب من صاحب الكون حياته... ولقد بينت رسالة "الآية الكبرى" وهي الشعاع السابع أثبتت بثلاثة وثلاثين إجماعاً عظيماً كل منها يعتبر كالجبل الأشم في قوة حجته، بأن هذا الكون لم يصدر إلا من يد واحد أحد، وليس ملكاً

---

[1] إشارات الإعجاز: ٥١.

[2] انظر التعليقات على العقيدة الواسطية: ٢٣.

[3] انظر الكلمات: ٩٧، ٢٧٣، ٥٩٧، ٦٢٤، إشارات الإعجاز: ١٥٢، المثنوي العربي النوري: ١٨٧، ٢٧٥، اللمعات: ٤٥، ١٩١، ٥٥٩.

[4] انظر الشعاعات: ٢٧١.

[5] انظر الكلمات: ٨٨٧، اللمعات: ٢٠٢ .

[6] انظر الكلمات: ٢٧٩.

[7] الكلمات: ١٣١.

[8] الكلمات: ٣٢٦.

إلا لواحد الأحد"[1]. وإن قيل: إن بعض المؤولة للصفات الذاتية يقولـــون بمثـــل ذلـــك ولا يريدون الإثبات الحقيقي، فإننا نجد له نصًّا آخر يؤكد فيه صفة اليد لله تعالى فيقول: " كيف يمكن أن يذهب هذا الإنسان إلى العدم، وكيف يمكن أن يتوارى في التراب فيفلت من يـــد القدير ذي الجلال الذي تشهد جميع الوقائع التي هي معجزات قدرته في الأزمنة الغابرة على قدرته العظيمة"[2].

ومما سبق يتضح لنا أن النورسي يثبت صفة اليد لله تعالى كما جاءت بهـــا نـــصوص الكتاب والسنة. وإن كان في مواضع عديدة ينسب اليد للقدرة أو الحكمة، فإن هذا تأويل لليد بالقدرة، وهو لا يجوز إطلاقه إلا فيمن اتصف باليد على الحقيقة فلا يقال: يد الهواء ، يد الماء[3]. فالواجب إثبات اليد على ظاهرها، إذ لا موجب لصرفها عن ذلك[4].

صفة الاستحياء:

قال الله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ لايَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاًمَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**)[البقرة:مـــن الآية٢٦] .

وقال رسول الله ﷺ ـــ في قصة الثلاثة الذين أقبلوا وهو جالس في المسجد ـــ :" وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه"[5].

وقد تأول النورسي هذه الصفة لأنه يرى أنها من صفات المخلوقين وهـــي في حقـــه سبحانه محال، يقول:" أما هيئات جملة (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَـــا فَوْقَهَا) فاعلم أن "إن" للتحقيق ورد التردد و الإنكار فهي إشارة إلى التـــرددات المتسلـــسلة المذكورة.. و أن لفظة الله لتنبيه الذهن على الخطأ القياســـي المـــذكور... وأن إيثـــار "لا يستحي" على "لا يترك" مع أن الحياء ـــ هو انقباض النفس ـــ محال في حقه تعالى ونفـــي المحال لا فائدة فيه، إشارة إلى أن الأسباب من الحكمة والبلاغة وغيرهما تقتضي حسن لتمثيل

---

[1] الشعاعات: ٢٣٧.

[2] الكلمات: ٨٣، وانظر ص: ١١٣، ٢٥٠، ٨٢١، واللمعات: ٢٩٤.

[3] انظر مجموع الفتاوى: ٣٦٤/٦.

[4] المرجع السابق: ٣٦٧/٦.

[5] البخاري كتاب العلم باب من قعد حتى ينتهي به المجلس رقم ٦٦.

فلا علة للترك إلا الحياء. والحياء عليه تعالى محال فلا سبب للترك أصلاً فألزمهم أشد إلــزام وألطفه..." [1]

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز ـــ رحمه الله تعالى ـــ فيمن ينكــر صــفة الحيــاء:" والصواب أنه لا حاجة إلى التأويل مطلقاً، فإن الله يوصف بالحياء الذي يليق به، ولا يشابهه فيه خلقه كسائر صفاته، وقد ورد وصفه بذلك في نصوص كثيرة، فوجب إثباته له علــى الوجه الذي يليق به.

وهذا قول أهل السنة في جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، وهــو طريق النجاة، فتنبه واحذر، والله أعلم"[2].

صفة الغضب:

من الصفات الثابتة لله تعالى صفة الغضب: كما جاءت بها النصوص الشرعية: منها:

- قول الله تعالى: **(وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَــا إِنْ كَــانَ مِــنَ الــصَّادِقِينَ)** [النور:٩]

- وقوله سبحانه: **(لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)** [الممتحنة: من الآية١٣]

- وقوله تعالى: **(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَــضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى)** [طــه:٨١].

ومن السنة:

- قوله ﷺ :" إن رحمتي غلبت غضبي"[3]

- وقوله ﷺ:"إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله،ولن يغضب بعــده مثله"[4].

[1] إشارات الإعجاز: ٢٠٩، وانظر ص ٢٠٥.

[2] فتح الباري: ٣٨٩/١ الهامش، وانظر أمراض القلوب:١٣/١ ، والجواب الصحيح: ٤٧/٥ شرح العمدة :٤٠٠/١.

[3] البخاري: كتاب التوحيد باب قوله تعالى (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ)(٧٤٠٤) ومسلم كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله (٢٧٥١)

[4] البخاري: كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ) (٣٣٦١) ومسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤)

والنورسي لا ينفي صفة الغضب لله بل يعدها من شؤونه سبحانه لا من صفاته، وقد أثبت الغضب لله تعالى في مواضع عديدة من رسائله، يقول:" لقد علمت بجزئيات صفات كالعلم والسمع والبصر والكلام والإرادة التي تتصف بها حياتي الخاصة وأفعالي التي أؤديها بشعور، علمت بها ــ بنسبة صغرى إلى عظم الكون ــ الصفات الكلية المحيطة لخالقي من علم وإرادة وسمع وبصر وحياة وقدرة وفهمت بها كذلك شؤونه الجليلة أمثال المحبة والغضب والرأفة والشفقة فآمنت بتلك الصفات والشؤون الجليلة"[1]، ويقول:" صفعةٌ واحدة تدل على الغضب والإكرام الواحد يدل على المحبة"[2]. ويقرر أن الغضب يترل على أعداء الأنبياء والرسل، وهذا فيه نوع من إثبات العلو لله تعالى مع إثباته للغضب الإلهي يقول: "إن استجابة استمدادات الأنبياء عليهم السلام وهم أصحاب الصراط المستقيم استمداداً غيبيّاً فوق المعتاد في ألوف من الحوادث، وإنجاز مطالبهم بذاتها، ونزول الغضب والمصائب السماوية بأعدائهم الكفار في مئات الحوادث، تدل دلالة قاطعة لا ريب فيها أن لهذا الكون ولنوع الإنسان الذي فيه ربّاً حاكماً"[3].

وبهذا يكون النورسي قد خالف جمهور الصفاتية الذين لا يثبتون صفتي الغضب والسخط لله تعالى – بما يليق به سبحانه – وإن كانت عنده شأن من الشؤون لا صفة إلهية. فهو نوع من الجمع بين النصوص الصريحة الصحيحة في إثبات هذه الصفات وبين أقوال المتكلمين في رد بقية الصفات،وهذا جمع غير سديد لمخالفته الصريح المنقول[4].

الرِّضا :

من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة: فالدليل من الكتاب:

– قوله تعالى: (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**)[المائدة: من الآية١١٩]

– قوله تعالى:(**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**)[الفتح:١٨]

أما من السنة :

[1] الشعاعات: ٨٣.

[2] الشعاعات: ١٣١، وانظر ٣٠٦، ٣٨٧، ٦٢٧، ٦٥٢.

[3] الشعاعات: ٦٥١، وانظر إثباته للسخط الرباني الكلمات: ٥٢٩، وانظر الملاحق: ٢٣٦، ٢٤١. وإشارات الإعجاز: ٧٨، ١٦١، ٢٢٠.

[4] انظر مجموع الفتاوى: ١١٩/٦، ١٩١/٨، ٤١٦/١٧.

- فقد ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قوله ﷺ :" اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك ..." [1].

- وقوله ﷺ :" إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ..." [2].

وقد أثبت النورسي الرضا الإلهي فهو يقول عن أقسام المفلحين:" إن قصد قسم من المخاطبين هو النجاة من النار، وقسم آخر لا يفكر إلا بالجنة، وقسم يأمل بالسعادة الأبدية، وقسم يرجو الرضى[3] الإلهي فحسب"[4].

ويقول:" إننا نُستخدم في هذه الخدمة القرآنية ونُدفع إلى العمل مكللين بالرضا الإلهي مستظلين بظل العناية الربانية"[5].

وكما سبق فهو يجعل الرضا الإلهي شأناً من الشؤون الإلهية، يقول في ذلك:"جميع آيات الشكر والحمد والرضى المنطلقة من جميع المخلوقات قاطبة والمنبعثة من سرورهم وفرحهم وابتهاجهم بالنعم والآلاء العميمة عليهم والمتوجهة كلها إلى الحي القيوم تولد من الشؤون الإلهية، المقدسة التي تقتضي هذه الفعالية الدائمة والخلاقية المستمرة، تلك الشؤون التي يعجز التعبير عنها و لم يؤذن لنا بالإفصاح عنها، بل ربما يشار إليها بأسماء الرضى المقدس، والافتخار المقدس، واللذة المقدسة، وما شابهها من الأسماء التي نعبر بها نحن البشر عن معاني الربوبية المنزهة"[6].

المحبة:

صفة المحبة والحب من صفات الله تعالى الاختيارية التي نصت عليها آيات القرآن الكريم والأحاديث في السنة الصحيحة:

- قال تعالى: (**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**) [البقرة: من الآية١٩٥]

---

[1] سنن ابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء في القنوت في الوتر (١١٧٨)، وانظر: درء التعارض: ٣/٣٣٢.

[2] مسلم كتاب الاقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (١٧١٥).

[3] هكذا (الرضى) والصحيح (الرضا) لأنه اسم ثلاثي وأصل الألف واو حيث إن المصدر(رضوان)

[4] الكلمات: ٤٥٥.

[5] المكتوبات: ٤٨٥.

[6] اللمعات: ٥٨٧.

- قال تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: من الآية٥٤]

أما دليل السنة:

١- حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله" [1].

٢- وحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺقال:" إن الله يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف وما لا يعطي سواه"[2].

وقد أثبت النورسي المحبة لله تعالى يقول في ذلك:" وهل يقبل العقل ـ بوجه من الأوجه ـ أن القدير الحكيم ذا الرحمة الواسعة وذا المحبة الفائقة وذا الرأفة الشاملة والذي يحب صنعته كثيراً، ويحبب نفسه بها إلى مخلوقاته وهو أشد حباً لمن يحبونه، فهل يعقل أن يفني حياة من هو أكثر حباً له" [3]. ويستدل على المحبة بالنظر العقلي فيقول:" إن إرادة التحسين وطلب التزيين يدلان على أن في صانعها محبة علوية ورغبة قدسية لإظهار كمالات صنعته التي في مصنوعاته" [4]. وعن نبينا محمد ﷺ يقول:" انظر إليه من جهة شخصيته (عبوديته) تَرَهُ مثال المحبة الرحمانية، وتمثال الرحمة الربانية ..." [5].وينقل النورسي عن الأولياء المحققين قولهم أن المحبة هي سبب قوانين الجاذبية وهي جوهر الكون يقول:" ... ومن هنا قال الأولياء المحققون الذين حظوا باسم الودود: إن جوهر الكون كله هو المحبة وإن حركة الموجودات بالمحبة، فقوانين الانجذاب والجذب والجاذبية التي تجري في الموجودات إنما هي آتية من المحبة" [6] . ويرى المحبة أنها من ألطف لمعات الرحمة [7]، وأن التسبيح لله يتضمن معنى الهيبة مع المحبة [8]. فحيث تكون المحبة يكون الله [1].

---

[1] البخاري: كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب(٣٧٠١)

ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب(٢٤٠٦)

[2] مسلم:كتاب البر والصلة باب فضل الرفق (٢٥٩٣).

[3] الكلمات: ١١٦- ١١٧، وانظر ص ١٣٤.

[4] الكلمات: ٢٥٢، وانظر ص: ٦٨٥.

[5] الكلمات: ٢٥٨، وانظر ص: ٣٧١.

[6] الكلمات: ٧٤٦.

[7] انظر إشارات الإعجاز: ٦٤، ١٩٧، وانظر صقيل الإسلام: ١٦١.

[8] انظر المثنوي العربي النوري: ٣٣٨.

الرؤية:

الرؤية لغة: النظر بالعين والقلب [2]. والرؤية إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبـــصر. وقد يراد بها العلم بقرينة، ومنه قوله تعالى:(**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ**) [الفرقان: من الآية٤٥] .

والرؤية مع الإحاطة تسمى إدراكاً كقوله تعالى:

(**لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**)[الأنعام:من الآية١٠٣][3]

الرؤية اصطلاحاً: اختلف المتكلمون في تعريفها فقيل هي:

١- انطباع صورة المرئي في القوة الباصرة.

٢- نوع كشف وعلم.

٣- خروج شعاع من العين إلى المرئي على هيئات مختلفة.[4]

وعند أهل السنة والجماعة أن رؤية الله تعالى تكون للمؤمنين يوم القيامة بالأبـــصار، ويدل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع السلف .

الناس في رؤية الله تعالى على ثلاثة أقوال:

١- فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يُرى في الآخـــرة بالأبـــصار عيانًا، وأن أحدًا لا يراه في الدنيا بعينه لكن يُرى في المنام ويحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات.

٢- قول نفاة الجهمية أنه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة.

٣- قول مَن يزعم أنه يُرى في الدنيا والآخرة[5].

ومسألة الرؤية من المسائل الفاصلة بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة والجهمية [6]، وقد اهتم بها علماء السلف واعتنوا ببيان الحق فيها عناية بالغة، وهذه المسالة لهـــا ارتبـــاط

---

[1] انظر إشارات الإعجاز:٢٦٩،وانظر الشعاعات:٨٣،١٠١، ١٣١، واللمعات:٥٠٣، ٥٢٢،٥٦٥،والملاحق: ٢٩٧

[2] القاموس المحيط: ١٦٥٨، انظر المصباح المنير:٩٤ الراء مع الواو وما يثلثهما.

[3] انظر الكليات لأبي البقاء الكفوي: ٤٧٤ .

[4] انظر شرح المواقف للجرجاني : ١٩٤/٧، وشرح المقاصد للتفتازاني : ١٨/٢، وشرح صحيح مسلم: ١٩/٣–٢٠، وفتح الباريء: ٥٢٣/١٣–٥٢٤.

[5] انظر: مجموع الفتاوى: ١٦٩/١.

[6] انظر تلبيس إبليس: ٣٤٩/١.

بصفات الرب عز وجل، فمن أثبت صفات الله تعالى أثبت رؤية الله في الجنة، ومن نفى صفات الله أو نفى بعضها نفى الرؤية أو وقع في التناقض كما فعلت الأشعرية، وقد وقع للنورسي شيء من التناقض في هذه المسألة حيث أثبت الرؤية لصفة من صفات الله تعالى وهي الجمال إلا أنه في مواضع عديدة صرح بإثبات رؤية الله تعالى ، ومن المواضع التي نجده يبهم ويرمز لرؤية الله تعالى برؤية جمال مقدس أو رؤية جماله ونحو ذلك، قوله:" إن نتيجة الإيمان بالله ومحبته سبحانه هي:

رؤية جمال مقدس وكمال متره للذات الجليلة سبحانه وتعالى ــ كما هي ثابتة بالحديث الصحيح والقرآن الكريم هذه الرؤية التي تساوي ساعة منها ألف ألف سنة من نعيم الجنة، ذلك النعيم الذي ساعة منه تفوق ألف ألف سنة من حياة الدنيا الهنيئة، كما هو ثابت لدى أهل العلم والكشف بالاتفاق.

ويمكنك قياس مدى الشوق واللهفة التي تنطوي عليهما فطرة الإنسان لرؤية ذلك الجمال المقدس والكمال المتره"[1].

ويقول:" إن قضاء ألف سنة من حياة الدنيا وفي سعادة مرفهة، لايساوي ساعة واحدة من حياة الجنة، وإن قضاء حياة ألف ألف سنة وسنة بسرور كامل في نعيم الجنة لا يساوي ساعة من فرحة رؤية جمال الجميل سبحانه"[2].

ومع ما سبق نجده يصرح برؤية الله تعالى فهو يقول:" إن قصد قسم من المخاطبين هو النجاة من النار، وقسم آخر لا يفكر إلا في الجنة، وقسم يأمل بالسعادة الأبدية، وقسم يرجو الرضى الإلهي فحسب، وقسم غاية أمله رؤية الله سبحانه وهكذا"[3]، بل إنه يجعل رؤية الله تعالى من ثمرات الإيمان، يقول:" إن الشجرة المقدسة للأركان الكلية لها ثمرات يانعة إحداها هي الجنة، والأخرى هي السعادة الأبدية، والثالثة هي رؤية الله جل جلاله"[4].

وهذا هو صريح قول أهل السنة والجماعة في مسألة رؤية الله تعالى في الجنة: يقول ابن القيم رحمه الله:" قد دل القرآن والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة، وأئمة الإسلام، وأهل

---

[1] الكلمات: ٧٧٩. أنظر أسئلة العصر المحيرة :١٧،٢١،٢٢

[2] المكتوبات: ٢٩٧، وانظر إشارات الإعجاز: ٧١. أنظر أسئلة العصر المحيرة :٢٤

[3] الكلمات: ٤٥٥.

[4] الشعاعات: ٣١٨، وانظر ص ٣٢٣.

الحديث عصابة الإسلام ونُزُل الإيمان، وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما تُرى الشمس في الظهيرة"[1]، ويقول رحمه الله:" وكمال النعيم في الدار الآخرة أيضاً به سبحانه، برؤيته... ولذة النظر إلى وجه الكريم أعظم أنواع اللذات التي ينعم بها أولياؤه، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته"[2].

---

[1] حادي الأرواح: ٤٧٦.

[2] طريق الهجرتين: ٥٩ ، وانظر سير أعلام النبلاء : ١٦٧/٢، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٥٠١/٣ (ح ٨٧١) ، تفسير الطبري : ٤٥٤/٣ – ٤٦٣ ، ومجموع الفتاوى : ٤٠١/٦–٤٨٦ .

المطلب الثالث: الصفات الفعلية:

وهي الصفات الاختيارية التي تقوم بذات الله عز وجل ومشيئته وقدرته، مثل رحمته وغضبه واستوائه ونزوله وكلامه وسمعه وبصره وإحسانه وعدله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة [١] .

وقد سميت بالاختيارية، لأن تخيّر الشيء يعني اختياره، وخيّره بين شيئين يعني فوض إليه الخيار [٢] وسميت بالفعلية، لأن الفعل كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد[٣].

وهذه الصفات هي التي يسميها المعتزلة والأشاعرة مسألة حلول الحوادث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وهذه المسألة كانت المعتزلة تلقبها بمسألة حلول الحوادث وكانت المعتزلة تقول إن الله متره عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود، ومقصودهم نفي الصفات، ونفي الأفعال، ونفي مباينته للخلق وعلوه على العرش "[٤].

وقد افترق الناس في مسألة الصفات الفعلية أو الاختيارية إلى أقوال:

الأول: الكلابية ومن وافقهم حيث جعلوا هذه الصفات ذاتية لا تتعلق بالمشيئة الإلهية، وذهب قسم منهم إلى تعلقها بالمشيئة فهي عندهم صفات مخلوقة.

الثاني: قول الجهمية ومن وافقهم بمنع قيام الصفات الاختيارية بالرب عز وجل.

الثالث: قول أكثر أهل السنة والجماعة وجمهور المسلمين أن الصفات الفعلية المضافة إلى الله تعالى، ليست من قبيل الصفات القديمة التي تتعلق بالذات تعلقاً لا ترتبط فيه بالمشيئة كالحياة والعلم، وإن كانت من صفات الرب عز وجل فهو تعالى يدنو من عباده ويترل إلى سماء الدنيا ويجيء يوم القيامة . وليس هذا هو القول بحلول الحوادث الذي قال به المبتدعة [٥]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فلما كان من أصل ابن كلاب ومن وافقه كالحارث المحاسبي إن الرب لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبرون عن هذا بأنه لا تحله الحوادث ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان وأتباعه من الجهمية والمعتزلة فصاروا فيما ورد في الكتاب

---

[1] انظر مجموع الفتاوى: ٢١٧/٦ وانظر الاعتقاد للبيهقي: ٢٦ – ٢٧ .

[2] انظر تاج العروس (للزبيدي): ٢٤٤/١١ مادة خير .

[3] لسان العرب: ٥٢٨/١١ مادة فعل.

[4] درء تعارض العقل والنقل: ١٠/٢ – ١١.

[5] انظر مجموع الفتاوى: ١٤٤/٦ .

والسنة من صفات الرب على أحد قولين: إما أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه. وإما أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية. ويقولون نزوله ومجيئه وإتيانه وفرحه وغضبه ونحو ذلك قديم أزلي كما يقولون القرآن قديم أزلي. ثم منهم من يجعله معنى واحداً " [١].

وموقف النورسي من بقية الصفات مضطرب فهو يعتبرها من باب التنزل في الخطاب مع البشر ليفهم الكلام، و إلا فهو في الأصل ينكر الصفات الفعلية، يقول في ذلك: " إن القرآن المبين يرشد إلى كثير من الحقائق الغامضة، ويعلّم الناس إياها بأسلوب سهل وواضح وببيان شافٍ يراعي نظر العوام، من دون إيذاء لشعور العامة، ولا إرهاق لفكر العوام ولا إزعاج له ، فكما إذا حاور إنسان حبيباً فإنه يستعمل تعابير خاصة به ، كذلك الأساليب القرآنية والتي تسمى التنزلات الإلهية إلى عقول البشر خطاب ينزل إلى مستوى مدارك المخاطبين، حتى يفهم أشد العوام أمية الحقائق الغامضة والأسرار الربانية وما يعجز حكماء متبحرون عن بلوغها بفكرهم، وذلك بالتشبيهات والتمثيلات بصور متشابهات" [٢] " فالقرآن نزل متضمناً لتنزلات كلامية إلهية في أساليب تناسب أفهام المخاطبين لا يحصرون "[٣] "فجاء أسلوبه مستساغاً لدى العوام الذين هم أكثرية المخاطبين ملاطفاً بساطة أذهانهم بتنزلاته الكلامية القريبة من أفهامهم"[٤].

وقد تابع النورسيُّ الرازيَّ وغيَره في تأويل الصفات الفعلية وأنها وردت في النصوص الشرعية تأنيساً لأفهام العوام. يقول الرازي: " الإعراض عن التأويل فراراً من مواقعة محذور في الاعتقاد، يجر إلى اللبس والإيهام، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعريض بعض كتاب الله عز وجل لرجم الظنون"[٥] وقال : " المصير إلى التأويل أمر لابد منه لكل عاقل، وعند هذا قال المتكلمون: لـمَّا ثُبت بالدليل أنه سبحانه وتعالى متره عن الجهة والجسمية، وجب علينا أن نضع لهذه الألفاظ الواردة في القرآن والأخبار محملاً صحيحاً لئلا يصير ذلك سبباً للطعن "[٦] .

---

[1] مجموع الفتاوى: ٤١١/٥ وما بعدها.

[2] الكلمات: ٤٤٩ – ٤٥٠ .

[3] المرجع السابق : ٤٨١ وما بعدها.

[4] المرجع السابق: ٥٢٨ وانظر المثنوي العربي النوري: ٧٧ ، ١٦٧ – ١٦٨ وإشارات الإعجاز: ٢٠٣ – ٢٠٤ .

[5] الإرشاد: ٦٠.

[6] أساس التقديس: ١٠٩.

أما الصفات التي لا يثبتها ويتأولها كالغضب والرأفة فإنه يقول إنها "شؤون إلهيــة " لا صفات إلهية. والشؤون الإلهية كما يعرفها الكاشاني: " اعتبار نفوس الأعيان والحقــائق في الذات الأحدية كالشجرة وأغصانها وأوراقها وأزهارها وأثمارها في النواة وهي التي تظهر في الحضرة الواحدية وتنفصل بالعلم " [١] .

يقول النورسي: " إن كل أثر من الآثار البديعة الماثلة أمامنــا في الكــون وفي جميــع المخلوقات هو كامل بديع بحد ذاته...وإن هذا الأثر البديع يشهد على فعل ...والفعل يشهد على اسم ...والاسم يشهد على صفة...والصفة تشهد على شأن...والشأن يشهد علــى ذات" [٢] " فلله سبحانه وتعالى أسماء حسنى كثيرة وله شؤون وعناوين كثيرة جداً" [٣] .

ومن تلك الصفات التي لا يثبتها صفة الرحمة والحكمة فلورودها في الكتاب العزيز لا يردها بل يؤولها ويجعلها من شؤون الله يقول :" ما دامت واحدة تلــك الأسمــاء الحــسنى والشؤون الإلهية والأفعال الربانية التي تصرف الكون والتي تظهر تجلياتها ونقوشها وآثارها في كل أنحاء العالم ...

فالأسماء الحسنى الحكيم ، المصور ، المدبر ، المحي ، المربيِّ وأمثالها هي نفسها في كــل مكان ... وشؤون الحكمة والرحمة والعناية وأمثالها هــي نفــسها في كــل مكــان ..."[٤] والنورسي يثبت الغضب والرحمة وغير ذلك لكن الفرق بينه وبين أهل السنة أنه لا يعدها من الصفات بل يسميها شؤوناً كذلك. وهذا نص قوله: "لقد علمت بجزئيات صفات كــالعلم والسمع والبصر والكلام والإرادة التي تتصف بها حياتي الخاصة وأفعالي التي أؤديها بشعور، علمت بها ــ بنسبة صغري إلى عظم الكون ــ الصفات الكلية المحيطة لخالقي مــن علــم وإرادة وسمع وبصر وحياة وقدرة وفهمت بها كذلك شؤونه الجليلة أمثال المحبة والغــضب والرأفة والشفقة فآمنت بتلك الصفات والشؤون الجليلة وصدقت بهــا وشــهدت عليهــا ووجدت منها طريقاً آخر إلى معرفة الله"[٥]. وهذا الاضطراب يكثر عند المتكلمين والصفاتية

---

[1] اصطلاحات الصوفية : ١٦٢ .

[2] الكلمات : ٤٠ ، ٤٤ ، ٨٠٢ ، ٨١٣ .

[3] المرجع السابق :٢٠٦.

[4] الشعاعات :٢٠٩.

[5] الشعاعات : ٨٣

خاصة في هذا الباب. ولذلك يعتقد النورسي أن لله تعالى شؤوناً أخرى غير الـتي ذكرهـا ويعتبرها من الأسرار التي لم يؤذن له أن يخبر بها طلابه فهو يقول :" فجميع آيات الشكر والحمد والرضى المنطلقة من جميع المخلوقات قاطبة والمنبعثـة مـن سـرورهم وفـرحهم وابتهاجهم بالنعم والآلاء العميمة عليهم والمتوجهة كلها إلى الحي القيوم تولد من الـشؤون الإلهية المقدسة التي تقتضي هذه الفعالية الدائمة والخلاقية المستمرة ، تلك الشؤون التي يعجز التعبير عنها و لم يؤذن لنا بالإفصاح عنها، بل ربما يشار إليها بأسماء الرضى المقدس والافتخار المقدس واللذة المقدسة وما شابهها من الأسماء التي نعبر بها نحن البشر عن معـاني الربوبيـة المتزهة"[1]

ويحسن بنا قبل أن ننهي هذا المبحث أن نستجلي رأي النورسي في مسألة لها علاقـة بالصفات وهي الألفاظ المجملة والمبتدعة وموقفه منها:

موقفه من الألفاظ المبتدعة.

الإخبار عن الله تعالى بما شرعه هو منهج أهل السنة والجماعة، فيثبتون ما أثبته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله[2] فالصواب التزام هذه الطريقة الشرعية وهي طريقـة الصحابة رضي الله عنهم ــ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة ، لما فيها من لبس الحق بالباطل ، مـع مـا توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة بخلاف الألفاظ المأثورة ، والألفاظ التي بينت معانيها فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة ، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة"[3]، ويقول عـن خطورة مثل هذه الألفاظ المبتدعة "يظن الظان أنه لا يدخل فيها إلا الحق وقد دخل فيهـا الحق والباطل، فمن لم ينقب عنها ، أو يستفصل المتكلم بها كما كان السلف يقولون صار

---

[1] اللمعات: ٥٨٧ . وقوله " لم يؤذن لنا بالإفصاح عنها" يؤكد أن الولي عن النقشبنديين هو" وكيـل الله في أرضـه وخليفته القائم بالتصرف عنه "وللنقشبندية طوام كثيرة في هذا الباب انظر: الطريقـة النقـشبندية بـين ماضـيها وحاضرها :١٤٥ وما بعدها .

[2] انظر شرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٧٠ – ٧١ .

[3] درء التعارض: ١/ ٢٧١ و انظر منهاج السنة: ٢/ ١٠٧ ، مجموع الفتاوى: ٣/ ٣٠٧ .

متناقضاً أو مبتدعاً من حيث لا يشعر"[1] ومن هذه الألفاظ التي يستفسر عن مراد قائلها لفظ الجهة والمكان والجسم[2].

وبتتبع كلام النورسي وُجد أنه استعمل بعض تلك الألفاظ في معرض كلامه عن صفات الله عز وجل مثل :

١- المكان

٢- الجهة

٣- الجسم

١) المكان:

ينفي النورسي صفة العلو لله تعالى لأن ذلك – كما يعتقد - يتعارض مع تتريه الله تعالى عن المكان يقول: " يا نفسي الجاهلة تقولين إن أحدية ذات الله سبحانه وتعالى مع كلية أفعاله ووحدة ذاته مع عمومية ربوبيته دون معين. وفرديته مع شمول تصرفاته دون شريك. وحضوره في كل مكان مع تتزهه عن المكان "[3].

ويقول: "إذ فينا من تجليات الوحدانية وأختام الأحدية بحيث من لم يكن جميع الكائنات في قبضة تصرفه ولم ير جميع الأشياء بجميع شؤونها دفعة واحدة، ولم يستطع أن يعمل أموراً لا تحد في آن واحد، ولم يكن حاضراً ورقيباً في كل مكان ومترهاً عن المكان والزمان لا يمكن أن يتحكم فينا ويدعي المالكية علينا"[4].

وينكر على من يثبت لله تعالى صفة العلو. حتى لا يحويه المكان. فيقول: " ألا يكون في كل مكان وهو المتره عن المكان،أيمكن أن يكون محتاجاً إلى التميز والتمكن"[5] وفي رسالة أخرى يقول عن الله تعالى إنه : " الذات الأقدس الذي لا مثيل له، وهو الواجب

[1] درء التعارض: ٢/ ١٠٤ .

[2] مجموع الفتاوى: ٣/ ٢٢٣ ،درء التعارض: ١/ ٢٤١ ، ٥/ ٥٥ .

[3] الكلمات: ٢١١

[4] المرجع السابق: ٧١٤

[5] المرجع السابق: ٧٣١

الوجود، والمجرد عن المادة المتره عن المكان، المحال عليه التجزؤ والانقسام "[1]ويقــول : " في خاتمة المطاف أعرج إلى الحضرة الإلهية[2] المتره عن المكان "[3].

و إطلاق لفظ المكان قد يراد به أمور منها:

١ـــ ما يحوي الشيء ويحيط به.

٢ـــ ما يكون الشيء فوقه مستقراً عليه، بحيث يكون محتاجاً إليه.

٣ـــ وقد يراد به ما يكون الشيء فوقه دون احتياج إليه مثل كون الطير فوق الأرض.

٤ـــ وقد يراد بالمكان ما فوق العالم وإن لم يكن شيئاً موجوداً ؛ وهذا الأخـــير هـــو المتفق عليه مع علو الله تعالى على خلقه كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

تعالى علواً فوق عرش إلهنا وكان مكان الله أعلى وأعظما [4]

"وحقيقة الأمر في المعنى أن ينظر إلى المقصود، فمن اعتقد أن المكان لا يكون إلا مـــا يفتقر إليه المتمكن، سواء كان محيطاً به، أو كان تحته، فمعلوم أن الله سبحانه وتعالى ليس في مكان بهذا الاعتبار، ومن اعتقد أن العرش هو المكان وأن الله فوقه، مع غناه عنه، فلا ريب أنه في مكان بهذا الاعتبار "[5] .

٢) الجهة:

يقول النورسي:" أيها العامي أيمكن في عقلك أن يكون الصانع الذي كان العالم بجهاته الست في قبضة تصرفه أن يتمكن في جهة من جهاته أو لا ؟ فإن قال: لا فنفي الجهة ثابت في وجدانه ، وذلك كافٍ."[6] وعن نفي الجهة عن الله تعالى يقول متحدثاً عن العـــوام : "

---

[1] اللمعات: ٥٧٦ ، وانظر ٥٧٧ ، ٥٧٩ .

[2] يذكر ابن عربي للحضرة أنواعاً مختلفة فالعشق الإلهي حضرة، واجتماع أصحاب المعرفة حضرة، والمنام يسميه حضرة الخيال، وأم الكتاب يسميه حضرة أم الجمع وكل اسم إلهي هو حضرة، والحضرات الإلهية لا تكـــاد تنحـــصر عنـــد الصوفية. انظر الفتوحات المكية: ٤/ ١٩٨ ، ولطائف المعارف: ١/ ٤١١ وما بعدها.

[3] الملاحق: ٢٧ .

[4] انظر العلو للذهبي: ١/ ٤٢٤ .

[5] درء تعارض العقل والنقل: ٦/ ٢٤٩ وانظر منهاج السنة: ٢/ ١٤٥ .

[6] إشارات الإعجاز : ٥١.

ولكن بشرط أن لا يبقى نظرهم على الصورة نفسها حتى يلزم المحال، كالجسمية أو الجهة بل يمرُّ نظرهم إلى الحقائق"[١].

ولفظ الجهة لفظ محدثٌ الأولى تركهُ لأنه مجمل قد يراد به حق وقد يراد بــه باطــل [٢]وعلى ذلك كان الاختلاف في إطلاق هذا اللفظ ، والصحيح الاستفصال عن المعنى المــراد به عند القائل فمن أثبت الجهة: " وأراد بالجهة أمراً موجوداً يحيط بالخالق ، أو يفتقر إليه ، لم يسلم له هذا الإثبات ، إذ كل موجود سوى الله تعالى فهو مخلوق ، والله خالق كل شيء ، وكل ما سواه فهو فقير إليه ، والله هو الغني، فليس الله داخلا في مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء داخل فيه ــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ــ وإن أراد بالجهة أنه تبــارك وتعــالى وتقدس فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه: فهذا صحيح سواء عبر عنه بلفظ الجهة أو بغير لفظ الجهة "[٣].

" فلفظ الجهة لفظ مجمل، فإن الناطقين به من أصل الكلام والفلسفة ، قد يريــدون بلفظ الجهة أمراً وجودياً : إما جسما ، وإما عرضاً في جسم .

وقد يريدون بلفظ الجهة ما يكون معدوماً كما وراء الموجودات.

فقول القائل في جهة إن أراد به ما هو موجود مباين له ، فلا موجود مبــاين لــه إلا مخلوقاته ، فإذا كان مبايناً لمخلوقاته فكيف تكون محتوية عليه ؟ وإن أراد بالجهة ما فــوق العالم ، فلا ريب أن الله فوق العالم ، وليس هناك إلا هو وحده ، وليس فوق المخلوقات إلا خالقها ، هو العلي الأعلى"[٤].

---

[1] صيقل الإسلام : ١٥٣

[2] انظر منهاج السنة النبوية : ٣٢٢/٢، وقد تنازع أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في لفظ الجهة. انظر تلبيس إبلــيس: ١١١/٢.

[3] انظر مجموع الفتاوى : ٢٩٩/٥ : ٦٦٣/٧

[4] درء تعارض العقل والنقل : ٥٨/٥ ــ ٥٩ ، انظر شرح العقيدة الطحاوية: ٢٦٧ — ٢٦٨

٣) الجسم :

وما يقال عن المكان والجهة يقال عمَّا يسمى بالجسم . فقد ذكر النورسـي" أن الله سبحانه وتعالى وهو المتره عن الجسم والمكان أقرب إلى كل شيء من كل شيء ، كما تنص الآية الكريمة **:(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)**[قّ: من الآية١٦]" [١] وأول من تكلم عن الجسم نفيا وإثباتا طوائف من الشيعة[٢] والمعتزلة[٣].

وذكر أبو محمد بن حزم ترجمة أن أول من قال من المسلمين إن الله ليس بجسم هـو هشام بن الحكم [٤]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" لا يطلق على الله من الأسماء ما يختص بصفات المخلوقين . فلا يجوز أن يقال هو جسم ، ولا جسد .

وأما أهل الكلام فالجسم عندهم أعم من هذا ، وهم مختلفون في معناه اختلافا كـثيراً عقلياً و واختلافاً لفظياً اصطلاحياً . فهم يقولون كل ما يشار إليه إشارة حسية فهو جسم واختلفوا في الأجسام هل هي متماثلة أم لا .على قولين مشهورين.

وإذا عرف ذلك فمن قال: إنه جسم وأراد أنه مركب من الأجزاء فهذا قول باطـل، وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل أن الله ليس كمثلـه شيء في شيء من صفاته . ومن قال : إنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل. ومن قال: إنه لـيس

---

[1] الكلمات: ٦٦٨/١ وانظر صيقل الإسلام : ١٥٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ وهو قول أبو منصور الماتريدي انظر التوحيـد للماتريدي: ٣٨ .

[2] الشيعة: اختلفوا في تحديدها فقيل هم الذين نصروا عليا واعتقدوا إمامته وإن خلافة سابقيه كانت ظلماً له وقيل غير ذلك. والمختار أنها اسم لكل من فضل عليا على الخلفاء الراشدين قبله. وتنقسم الشيعة إلى أربع أو خمس فرق رئيسية أشهرها الكيسانية والزيدية والرافضة، انظر الملل والنحل: ١٤٦/١ — ١٤٧ ، انظر مذاهب الفرق الثنتين والـسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين: ٧٢ — ٨٨ ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٥٩ — ٨٣ .

[3] المعتزلة هم: سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من رؤسائهم مجلس الحسن البصري لقولهما بـأن الفاسق مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر. ويسمون القدرية، والعدلية، والمجوسية، المعطلة الحرفية، اللفظية، وتـصل فرقهم إلى عشرين فرقة، انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٣٣ — ٣٨ .

[4] هشام بن الحكم الكوفي الرافضي المشبه . قال لأبي الهذيل في مناظرته :"إن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه" توفي سنة ١٩٠ هجري. انظر تأويل مختلف الحديث: ٣٥ الفهرست لابن النديم : ٢٤٩-٢٥٠ ، لسان الميزان١٩٤/٦، رجال الشيعة في الميزان: ٦٤-٧١

بجسم بمعنى أنه لا يرى في الآخرة ، ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام . ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ، فهذا قول باطل ، وكذلك كل من نفى ما أثبته الله ورسوله ، وقال إن هذا تجسيم فنفيه باطل ، وتسمية ذلك تجسيماً تلبيس منه"[1]. "وذكر لفظ الجسم في أسماء الله وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها و لم يقل أحد منهم أن الله جسم ولا أن الله ليس بجسم ولفظ الجسم لفظ مجمل"[2]

[1] مجموع الفتاوى : ٣١٥/١٧ وما بعدها- بتصرف .

[2] انظر قطف الثمر :٤٦، انظر منهاج السنة النبوية: ١٣٤/٢، وبيان تلبيس إبليس الجهمية: ٩/١.

الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة

وفيه أربعة مباحث:

مقدمة.

المبحث الأول: أسماء الملائكة.

المبحث الثاني: أعمال الملائكة.

المبحث الثالث: صفات الملائكة.

المبحث الرابع: عالم الروحانيات.

مقدمة:

الملائكة عباد مكرمون خلقهم الله من نور، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يعلم عددهم إلا الله وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناكحون، كلفهم الله سبحانه وتعالى بوظائف مختلفة ، كما قال تعالى :(**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً**) [النازعــات:٥].

و الملائكة، جمع ملك بفتح اللام، وقد اختلف في أصل اشتقاقها[1] .

يقول الله تعالى في وصفهم: (**يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْــلِ وَالنَّهَــارِ وَهُــمْ لا يَــسْأَمُونَ**) [فصلت:٣٨]. وقال تعالى: (**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) [التحريم: من الآية٦] وقال عز من قائل: (**وَمَا يَعْلَمُ جنود ربك إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّــا ذِكْــرَى لِلْبَــشَرِ**) [المدثر: من الآية٣١].

ومن السنة قوله ﷺ: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج مـــن نـــار، وخلق آدم مما وصف لكم"[2] .

والإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب الذي هو أهم صفات عباد الله المؤمنين، حيـــث أثنى الله تعالى عليهم بقوله:

(الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [البقرة:١– ٥] .

قال الإمام البغوي: "الغيب ما كان مغيبًا عن العيون[3]. وذكر عبد الرحمن بن الجوزي في "زاد المسير": للغيب ستة معاني منها الوحي والقرآن[4].

ويقول ابن تيمية: " الغيب الذي يُؤمَن به ما أخبرت به الرسل من الأمـــور العامـــة ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته والجنة والنار، فالإيمان بالله وبرســـله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب"[5].

---

[1] انظر القاموس المحيط ص ١٢٢٩، ٣٠٦/٦

[2] مسلم كتاب الزهد و الرقائق باب في أحاديث متفرقة (٢٩٩٦) .

[3] تفسير البغوي ١: ٤٧.

[4] زاد المسير ١:٢٤.

[5] مجموع الفتاوى ٢٣٣/١٣ .

فالإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان بالله وكتبه ورسله إلا بالإيمان بالملائكة[1]، يقول تعالى: (**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**) [البقرة: من الآية٢٨٥].

ويقول محمد رشيد رضا عن أهمية الإيمان بالملائكة: " إن الإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتب والنبيين قال تعالى: (**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**) [البقرة: من الآية١٧٧].

فالملائكة هم الذين يؤتون النبيين الكتاب قال تعالى: (**تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**) [القدر:٤] ، وقال سبحانه وتعالى:(**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**) [الشعراء: ١٩٣– ١٩٥]. فيلزم من إنكار الملائكة إنكار الوحي والنبوة، وإنكار الأرواح، وذلك يستلزم إنكار اليوم الآخر "[2].

وقد توسع النورسي في موضوع الملائكة، حيث إنه ذكرهم في مواطن كثيرة من رسائله .

وتحدث عن أصل خلقهم فقال : " إن الملائكة أجسام نورانية مخلوقة من عناصر، لا كما يزعمه الفلاسفة من أنهم مجردون من المادة "[3].

وفي موضع آخر يقول: " إنهم عباد مكرمون لا يخالفون ما يؤمرون، وكذا أنهم أجسام لطيفة نورانية ينقسمون إلى أنواع مختلفة "[4] ، وقوله إنهم ينقسمون إلى أنواع مختلفة ربما يتبادر إلى الذهن أنه يقصد أن أعمالهم مختلفة، فمنهم الموكل بالقطر ومنهم الموكل بالجبال ومنهم الموكل بالنفخ بالصور، قال تعالى: (**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**) [المدبرات: الآية ٥] .

---

[1] انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: ٢٩ .

[2] تفسير المنار ١١٣/٢ .

[3] صيقل الإسلام ٩٣ .

[4] إشارات الإعجاز ٢٣٢ .

المبحث الأول: أسماء الملائكة

أسماء الملائكة :

ذكر النورسي للملائكة بعض الأسماء التي لم يثبت فيها نص فمن ذلك تسمية ملك الموت بعزرائيل[1]. يقول الشيخ بكر أبو زيد: "خلاصة كلام أهل العلم في هذا أنه لا يصح في تسمية ملك الموت بعزرائيل حديث"[2]، وهذا الاسم مشهور عند العلماء وعند غيرهم، وشيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكره لاسم عزرائيل لا يذكره مفرداً بل يقول " عزرائيل ملك الموت" [3]، ومن الأسماء التي ذكرها النورسي كذلك للملائكة: اسم "النسر" و "الإنسان" و "الثور" و "الحوت" يقول: "إن الله قد عين أربعة من الملائكة العظام في العرش والسموات للإشراف على سلطنة ربوبيته، اسم واحد منهم "النسر" واسم الآخر "الثور" أما الأرض هي شقيقة صغرى للسموات ورفيقة آمنة للسيارات فقد عين لها ملكان مشرفان يحملانها، يطلق على أحدهما "الثور" والآخر "الحوت"، والحكمة في تسميتهما بهذين الاسمين هي أن الأرض قسمان: البر والبحر أي اليابسة والماء،فالذي يعمر البحر أو الماء هو الحوت والأسماك، أما الذي يعمر البر والتراب فهو الثور، حيث إن مدار حياة الإنسان هي الزراعة المحمولة على كاهل الثور"[4]، وقد وردت أقوال في ذلك: فعن عطاء بن يسار قال قلت لكعب: ما يمسك الأرض التي نحن عليها؟ قال: أمر الله قال فقلت: قد علمت أن أمر الله الذي يمسكهما فما أمر الله ذلك؟ قال: شجرة خضراء في كف ملك. الملك قائم على ظهر حوت والحوت منطو والسموات تحت العرش..." [5] وذكر نحو هذه الرواية عن الخطيب البغدادي، عن ابن عباس[6]، وعن أبي مالك في قوله تعالى : **(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)** [البقرة: من الآية٢٥٥].قال: إن الصخرة التي عليها الأرض السابعة ومنتهى الخلق على أرجائها عليها أربعة ملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه (وجه إنسان ، ووجه أسد ، ووجه نسر، ووجه

---

[1] انظر الشعاعات: ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٧، المكتوبات:٤٥١، ٤٥٤ ،اللمعات: ٢١٨، ٥٦١ ، المثنوي العربي النوري:٤٠ ، الملاحق: ٦٤، وغيرها...

[2] معجم المناهي اللفظية: ٢٣٨ ، انظر أحكام الجنائز للألباني: ١٥٦، البداية والنهاية لابن كثير: ٥٠/١.

[3] الفتاوى: ٢٥٩/٤، ٣٤/١٦.

[4] اللمعات: ١٤٠، انظر ٧٣/٨ فسمى حملة العرش بالثور والإنسان.

[5] زوائد الهيثمي: ٨٤٥/٢.

[6] تاريخ بغداد: ٣٨/٥، ٤٧٨/٨، ٤٠٣/١١.

ثور) فهم قيام عليها قد أحاطوا بالأرض والسموات ورؤوسهم تحت الكرسي، والكرسي تحت العرش، والله واقع كرسيه فوق العرش" [1] وجميع هذه الروايات لا تصح.

وعندما سئل النورسي كيف تقوم الأرض على الحوت والثور،والعلم كشف أن الأرض تدور في السماء كأي كوكب آخر، فلا ثور ولا حوت؟ فأجاب على ذلك بأن عدداً من المحدثين طبقوا هذه الروايات على روايات إسرائيلية فالتشبيه من لسان النبوة انقلب عن معناه السامي عند العوام إلى حقيقة واقعة فاتخذ الملكان صورة ثور ضخم وحوت هائل [2].

وضرب لذلك مثالاً فقال: " لو قيل بم تقوم هذه الدولة؟ فالجواب: على السيف والقلم،أي تستند إلى قوة الجيش وشجاعته وإقدامه وعلى دراية قلم الموظفين وعدالتهم، وحيث إن الأرض مسكن الأحياء وسيد الأحياء الإنسان، والقسم الأعظم من الناس يقطنون السواحل ومعيشتهم على السمك، والباقي تدور معيشتهم على الزراعة التي هي على عاتق الثور ومحور تجارتهم على السمك، فمثلاً يمكن أن نقول إن الدولة تقوم على السيف والقلم، ويمكن أن نقول إن الأرض تقوم على الثور والحوت، لأنه متى ما أحجم الثور عن العمل و لم يلق السمك ملايين البيض دفعة واحدة، فلا عيش للإنسان وتنهار الحياة أو يدمر الخالق الحكيم سبحانه الأرض، ثم قال هكذا أجاب الرسول ببلاغة معجزة وبكلمتين اثنتين فقال: الأرض على الثور والحوت" [3]، وهذا نوع من التخريج يحاول النورسي أن يوفق بين ما يعتقد وبين ما كشفه العلم الحديث من أن الأرض لا تقوم على ثور أو حوت. فمرة يقول إنه مجرد تشبيه على لسان النبي ﷺ ، وأخرى يقول إنه بمثابة قولنا إن الدولة تقوم على

---

[1] السنة لعبد الله بن أحمد : ٣٠٣/١ (٥٨٩) و لم يرفعه، انظر نصه في حزقيال: ١/٤-١٠، الجامع لأحكام القرآن: ١٨٠/٢، الدر المنثور: ٣٢٩/١.

[2] لم أجد حديثاً بهذا المعنى، انظر الأسماء والصفات: ص ٤٠٣، وأخرج عبد الرازق وعبد الرحمن وابن البزار، كما في الدر المنثور باختلاف في السياق: ٢٦١/٦ من كلام وهب بن منبه، وهو كثير النقل من كتب الإسرائيليات.

[3] انظر اللمعات: ص ١٣٨ – ١٤١.

السيف والقلم، ومرة ثالثة يخرّج رأيه بقوله: "إن قوله ﷺ: الأرض على الثور، وفي حديث آخر قال على الحوت إنما يعني أنه وقت السؤال الأول قال الثـــور لأن الأرض كانـــت في الصورة المثالية لبرج الثور، بينما عندما سئل السؤال نفسه بعد شهر قال: على الحوت وذلك لأن الأرض كانت في ظل برج الحوت" [1].

على أن أسماء الملائكة لم يصح منها إلا ما يلي:

١- جبريل:

وهو الموكل بالوحي، قال تعالى:

﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: من الآية٩٧]

وقد ورد اسمه مراراً في صحيح السنة. ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ :"إنه جبريـــل أتاكم يعلمكم دينكم" [2]. وقد سماه الله تعالى بأسماء أخرى هي:

أ- الروح:

قال تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾ [القدر:٤]

وكان الرسول يقول في دعائه:" سبوح قدوس رب الملائكة والروح " [3].

ب- الروح الأمين[4]:

قال تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ [الشعراء:١٩٣].

جـــ - روح القدس:

قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾[البقـــرة: مـــن الآية٨٧]

---

[1] الكلمات : ٢٧٣ ،فصل الربيع له من البروج الحمل والثور والجوزاء ، ونجومه سبعة هي الأكليل ، القلب، الشولة، النعايم، سعد الذابح، سعد بلع) انظر اليانع في البروج الطوالع: ص ٨، وانظر قراءة النجوم والخط والطالع: ٩٥

[2] البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة رقم ٥٠ .

[3] مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم ٩٧ .

[4] تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٣.

وقال ﷺ :" إن روح القدس نفث في روعي [1] أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها" [2].

٢- ميكائيل:

قال تعالى:**(مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)** [البقرة:٩٨]

٣- إسرافيل:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ :" كان إذا قام من الليل يصلي يقول:" اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات و الأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" [3].

٤- مالك خازن النار:

قال تعالى:**(وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)** [الزخرف: من الآية٧٧]

وقد رأى النبي ﷺ خازن النار في ليلة الإسراء والمعراج حيث قال ﷺ :" رأيت ليلة أُسري بي موسى رجلاً آدم طولاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار" [4].

٥- ملك الموت:

قال تعالى: **(قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)** [السجدة:١١]

---

[1] روعي: نفسي وخلدي. مختار الصحاح : ١١٠/١.

[2] رواه أبو نعيم في الحلية ٢٦/١٠- ٢٧، وإسناده صحيح انظر صحيح الجامع رقم ٢٠٨٥.

[3] مسلم كتاب صلاة المسافرين باب ٥٣٤/١.

[4] البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ١١٨٣/٣. مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٩٥.

٦- منكر ونكير:

من السنة قوله ﷺ :" إذا قبر الميت ــ أو قال: أحدكم ــ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير" [1].

هذه أسماء الملائكة المتفق عليها، أما غير ذلك فإما أن تكون مختلفًا فيها مع شهرتها وصحة الأدلة فيه - كهاروت وماروت - وإما أنه لا يصح البتة إطلاقه كالحوت وغير ذلك.

---

[1] الترمذي كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ٢٦٧/٢ وقال: حديث حسن غريب. انظر مشكاة المصابيح: ١٣١/١، ومعارج القبول: ٧٢١/٢- ٧٢٨.

المبحث الثاني: أعمال الملائكة

أعمال الملائكة:

ومن أعمال الملائكة التي أخبرنا عنها الله في كتابه، كتابة أعمال الإنسان، وإحصاؤها قال تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد ۞ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)** [قّ:١٦– ١٨].

ويقول تعالى: **(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)** [الزخرف:٨٠]

ويقول عز من قائل: **(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَاماً كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)** [الانفطار:١٠– ١٢]

ومن أعمالهم تثبيت المجاهدين في سبيل الله في المعارك ضد الكفار:

قال تعالى:**(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)** [الأنفال:١٢].

ومن ذلك تتريل جبريل للوحي يقول تعالى:**(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِين)** [الشعراء:١٩٢– ١٩٤].

وقوله تعالى:**(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)** [النحل:١٠٢].

ومن الملائكة من هو موكل بتزع الأرواح كما في قوله تعالى: **(قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)** [السجدة:١١].

ومنهم من وكل بسؤال الميت في القبر، ومنهم من يصلي على الذين يصلون في الصف الأول، والذين يمكثون في مصلاهم بعد الصلاة، والذين يسدون الفرج ، والذين يصلون على النبي ﷺ... إلخ.

ويقول النورسي عن أعمال الملائكة: " قسم من الملائكة عباد، وآخرون يزاولون عبادهم في أعماهم، والقسم العامل من الملائكة الأرضيين شبيه بنوع الإنسان إن جاز التعبير فمنهم من يؤدي مهمة في رعاية الحيوان وهم الرعاة، ونوع آخر لهم الإشراف على نبات

الأرض وهم الفلاحون، بمعنى أن سطح الأرض مزرعة عامة يشرف عليها ملك موكل بها أصغر للقيام برعاية خاصة لكل نوع من أنواع الحيوانات" [1].

والقول إن الملائكة تشرف على خلق الله من مزروعات وحيوانات أو غير ذلك صحيح، ولكن القول أن طائفة من الملائكة رعاة وطائفة أخرى فلاحون، وغير ذلك فهذا الأمر يحتاج إلى دليل ولا دليل لأن تلك الأعمال من أعمال البشر التي هي نوع من عمارة الأرض والملائكة غير مكلفين بهذه الأعمال.

وزعم أن من الأعمال التي قام بها جبريل عليه السلام الإتيان بما يسمى الجوشن [2]، فيقول: " كما أن الجوشن الكبير الذي يضم ألف اسم واسم من الأسماء الإلهية صراحة وإشارة ونابع من جهة القرآن الكريم، هذه المناجاة النبوية الخارقة التي تفوق مناجاة جميع العارفين الذين عرجوا في مراتب المعرفة الإلهية وترقوا فيها وقد أتى جبريل عليه السلام وحياً في غزوة قائلاً: انزع الدرع "الجوشن" واقرأ هذا الجوشن، فإن الحقائق التي تتضمنها هذه المناجاة والأوصاف المتوهجة فيها إلى ربه الجليل بالذات تشهد شهادة صادقة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رسالته" [3].

وجبريل عليه السلام لا يأتي إلا بالوحي وهذا الجوشن المزعوم ليس من الوحي اتفاقاً.

ويقول عن ميكائيل عليه السلام إنه "بأمر من الله ولأجله، وبحوله وقوته، هو كالمشرف العام ــ إذا جاز التعبير ــ على جميع المخلوقات الإلهية المزروعة في حقل الأرض، أي هو رئيس جميع من هم بحكم المزارع من الملائكة، وللفاطر الحكيم جل جلاله كذلك ملك موكل عظيم يتولى بإذنه وأمره وبقوته وحكمته رئاسة جميع الرعاة المعنويين للحيوانات جميعاً" [4] ، وسبق كلامه فيما يسمى" بالثور والحوت يحملان الأرض" [5] ، " وأن الملائكة خلال تجوالها في عالم الشهادة يركبون بعض الأجسام، إن قسماً من الأجسام السيارة ابتداءً من الكواكب السيارة وانتهاءً بالقطرات الدقيقة ، مراكب لقسم الملائكة ، فهم يركبون

[1] الكلمات: ص ٤٠٥.

[2] الجوشن هو الصدر أو الدرع وذو الجوشن: شرحبيل بن قرط الأعور الصحابي/القاموس المحيط: ص ١٥٣١، وانظر مفتاح دار السعادة ٢٥١/١ فإنه ذكره بمعناه اللغوي فقط، وقد حذرت اللجنة الدائمة للإفتاء من هذا الحرز المزعوم، رقم الفتوى: ٤٧٩٨.

[3] الشعاعات: ص ٦٥٩–٦٦٠، وجدت هذا الدعاء في كتب صغيرة للأدعية نشر مؤسسة البلاغ ٢٠٠٦ ت: بخنقلي حبيبي.

[4] الكلمات: ص ٦٠٥–٦٠٦ .

[5] انظر الشعاعات : ص ٣٦٦.

تلك الأجسام ــــ بإذن إلهي ـــ ويتجولون في عالم الشهادة ويتفرجون عليه "[1]، ولكن كيف للملك الذي هو في خلقته العظيمة يركب قطرات دقيقة ، يجيب على ذلك بقوله : " قسم منهم صغير جداً ويمتطون قطرات الأمطار ـــ وبلورات الثلج ـــ ويبـــاركون الـــصفة الإلهية مهللين لرحمته الواسعة بلسانهم الخاص وقسم منهم يمتطون ظهور المراكب الـــسيارة فيسيحون في فضاء الكون معلنين للعالم أجمع عبوديتهم بالتكبير والتهليل أمام عظمة الربوبية وعزها وجلالها"[2]، "فالذي ، أعطى الذبابة الجناح لتطير من ثمرة إلى أخـــرى، والعـــصفور ليطير من شجرة إلى أخرى، هو الذي جعل الملائكة أولي أجنحة لتطير مـــن الزهـــرة إلى المشتري ومن المشتري إلى زحل"[3].

وهذا الكلام مما لا دليل عليه –حسب تتبعي له في كتب علماء الإسلام–.

سماع جبريل عليه السلام لكلام الله تعالى:

يعتقد السلف أن الله تعالى تكلم بالقرآن على الحقيقة فسمعه جبريـــل عليه السلام بحروفـــه ومعانيه، ونزل به جبريل عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه كلام الله تعالى، وسمعه الـــصحابة رضي الله عنهم عن نبينا صلى الله عليه وسلم فبلغوه لمن بعدهم، وليس لجبريل عليه السلام ولا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة إلا الأداء والتبليغ[4].

أما الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم فقد اختلفوا في ذلك كثيراً، فأما عن إثبات الأشاعرة للكلام النفسي فيقول السفاريني: "والحاصل أن المعتزلة موافقة للأشاعرة، والأشعرية موافقة للمعتزلة في أن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق محدث،وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته"[5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن معتقد الأشاعرة: إن جبريل عليه السلام لم يسمع كلامـــاً بصوت وحرف ومعنى : " إن قولهم في القرآن شر من قول المعتزلة وإن حقيقة مذهبهم تعود إلى مذهب الجهمية"[6]

---

[1] الكلمات : ص ٢٠٣.

[2] الشعاعات : ٣٢٧ –٣٢٨ .

[3] الكلمات: ص ٤٩٨.

[4] انظر شرح العقيدة الطحاوية :١٣٦

[5] لوامع الأنوار البهية : ١٦٥/١.

[6] مجموع الفتاوى : ١٢١/١٢ ، ١٥ /٢٢١.

ويرى النورسي أن الله ألهم القرآن الكريم للملائكة فيقول:"أجل إن القرآن الكريم يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان:٢٧]

وهكذا فإن منح القرآن الكريم أعلى مقام من بين الكلمات جميعاً، تلك الكلمات التي لا تحدها حدود ، مردّه أن القرآن قد نزل من الاسم الأعظم ومن أعظم مرتبة من مراتب كل اسم من الأسماء الحسنى، فهو كلام الله، بوصفه رب العالمين ، وهو أمره بوصفه إله الموجودات، وهو خطابه بوصفه خالق السماوات والأرض ، وهو مكالمة سامية بصفة الربوبية المطلقة ، وهو خطابه الأزلي باسم السلطنة الإلهية العظمى. وهو سجل الالتفات الكريم الرحماني نابع من رحمته الواسعة المحيطة بكل شيء. وهو مجموعة رسائل ربانية تبين عظمة الألوهية،إذ في بدايات بعضها رموز وشفرات.وهو الكتاب المقدس الذي ينثر الحكمة.

ولأجل هذه الأسرار أطلق على القرآن الكريم بما هو أهله ولائق به اسم (كلام الله).

أما سائر الكلمات الإلهية: فإن قسماً منها كلام نابع باعتبار خاص ، وبعنوان جزئي، وبتجل جزئي باسم خصوصي ، وبربوبية خاصة، وسلطان خاص ، ورحمة خصوصية. فدرجات هذه الكلمات مختلفة متفاوتة من حيث الخاص والكلي ،فأكثر الإلهامات من هذا القسم؛ إلا أن درجاتها متفاوتة جداً.

فمثلاً: إن أبسطها وأكثرها جزئية هي إلهام الحيوانات ،ثم إلهام عوام الناس، ثم إلهام عوام الملائكة، ثم إلهام الأولياء، ثم إلهام كبار الملائكة"[1] .

وأكثر صراحة من ذلك يقول إن الكلام الآتي إلى الملائكة إنما هو إلهام ، كإلهام الإنسان والطير : " إن جميع أنواع الإلهام الآتي إلى الملائكة والإنسان حتى إلى الحيوانات ، نوع من كلام إلهي. فلا شك أن كلمات هذا الكلام غير متناهية. فإن الآية الكريمة تخبرنا عن مدى كثرة ولانهائية عدد كلمات الإلهام والأمر الإلهي الذي يستلهمه دوماً من جنود رب السماوات والأرض" [2].

---

[1] الكلمات :١٤٧.

[2] اللمعات: ٤٢١.

المبحث الثالث: صفات الملائكة.

صفات الملائكة:

يقول النورسي عن جبريل عليه السلام حال تمثله في الصورة البشرية: " في الوقت الذي كان فيه سيدنا جبريل عليه السلام يحضر في مجلس النبوة على صورة الصحابي دحية الكلبي، كان يسجد في الحضور الإلهي بأجنحته المهيبة أمام العرش الأعظم، وهو في اللحظة نفسها موجود في أماكن لا تعد ولا تحصى إذ كان يبلغ الأوامر الإلهية، فما كان فعل يمنع فعل"[1] وهذه مسألة ـــ أعني تمثل جبريل عليه السلام في صورة بشرية ـــ تكلم عنها بعض أهل العلم عند شرحهم لقوله صلى الله عليه وسلم:" وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول" [2].

وقد قال إمام الحرمين كما نقل ذلك ابن حجر: " تمثل جبريل معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه، أو أزاله عنه ثم يعيده إليه"، وقال الحافظ بن حجر: " وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء ... وقال شيخنا شيخ الإسلام [3] ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه، بل يجوز أن يكون الآتي: هو جبريل بشكله الأصلي، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته، ومثل ذلك القطن إذ جمع بعد أن كان منتفشاً فإنه بالنفش يحصل له صورة كبيرة، و ذاته لم يتغير هذا على سبيل التقريب، إلى أن قال: " والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلب رجلاً بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه،والظاهر أيضاً أن الزائد لا يزول ولا يفنى، بل يخفى على الرائي والله أعلم" [4].

فلم يتجاوز كلام أهل العلم في هذا الحديث تفسير النص، وهذا التفسير قد يصيب وقد يخطئ ولكن من أين لنا أن نقول إن جبريل عليه السلام يوجد في اللحظة نفسها في أماكن لا تعد ولا تحصى، وبما أنه ذات واحدة فإن هذا مما لا تقبله العقول ، وهو ليس من صفات المخلوقين، وقول النورسي هذا يشبه قوله في عدد الملائكة حيث يقول : " لما كانت الكرة الأرضية تسبح لله بعدد رؤوس الأنواع الموجودة فيها، من نوع حيوان ونبات وجماد، وبعدد ألسنة أفراد تلك الجماعات، وبمقدار تلك الأفراد ، وبعدد أوراقها وثمارها فإن تقديم هذه

---

[1] الكلمات : ٢١٣.

[2] البخاري، كتاب: بدء الوحي ٢، مسلم كتاب الفضائل .باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم حين يأتيه الوحي (٢٣٣٣)

[3] سراج الدين البلقيني .

[4] فتح الباري ٢١/١.

العبودية الفطرية غير الشعورية العظيمة جداً وتمثيلها، وعرضها بعلم وشعور ، على الحضرة الإلهية المقدسة، يتطلب حتماً ملكاً موكلاً له أربعون ألف رأس، وفي كل رأس أربعون ألف لسان يسبح بكل لسان،مثلما أخبر الصادق بهذه الحقيقة نفسها"[1].

فمثلاً روي أن الرسولﷺ قال: " إن لله ملائكة لها أربعون – أو أربعون ألـف – رأس في كل رأس أربعون ألف فم، وفي كل فم أربعون ألف لسان، يسبح أربعين ألـف تسبيحة"[2] أو كما قال. والحقيقة في هذا الحديث لها معنى ولها صورة :

أما معناها فهي: إن عبادة الملائكة في غاية الانتظام والكمال، وهي في منتهى السعة والكلية أيضاً.

أما صورتها فهي: أن هناك بعض الموجودات الجسمانية الضخمة تنجز وظائف عبوديتها بأربعين ألف رأس وبأربعين ألف نمط وشكل، فالسماء مثلاً تسبح بالشموس والنجوم، والأرض مع أنها واحدة من المخلوقات فإنها تقوم بوظائف عبوديتها وتسبيحاتها لربها بمائة ألف رأس، وفي كل رأس مئات الألوف من الأفواه، وفي كل فم مئات الألوف من الألسنة، فلأجل أن يظهر الملك الموكل لكرة الأرض هذا المعنى في عالم الملكوت، لابد أن يظهر هو الآخر بتلك الهيئة والصورة، حتى أنني رأيت ما يقارب من أربعين من الأغصان الصغيرة بمثابة الألسنة، ورأيت هناك أربعين زهرة قد تفتحت من أحد تلك الألسنة، فنظرت بدقة وأمعنت بحكمة إلى تلك الأزهار، فإذا في كل زهرة ما يقارب من أربعين من الخيوط الدقيقة المنتظمة ذات الألوان البديعة والدقة الرائعة، بحيث أن كل خيط من تلك الخيوط يظهر تجلياً من تجليات أسماء الصانع ذي الجلال ويستنطق اسماً من أسمائه الحسنى".

وعن سبب هذا التصور في الملائكة يقول إن ذلك من مقتضيات جلال الربوبية وأبهتها:" إنه من مقتضيات جلال ربوبيته، وعظمتها وسلطانها أن يكون جبريل عليه السلام على ماهية عجيبة وهو المؤهل لتبليغ العلاقات الربانية للإنسان الذي هو أهم نتيجة لخلق الكون، وأن يكون إسرافيل وعزرائيل عليهما السلام على ماهية عجيبة أيضاً وهما يمثلان – مجرد تمثيل – الإجراءات الإلهية الخاصة للخالق سبحانه،وأن يكون ميكائيل عليه السلام على ماهية عجيبة أيضاً، إذ يمثل بشعور كامل أنواع الشكر غير الشعورية على الإحسانات الرحمانية في

---

[1] الشعاعات : ص ٣٢٦ – ٣٢٧

[2] لم أجده بعد طول بحث إلا في تاريخ دمشق: ٣٤٥/١٧، وقد أورده غير مرفوع.

الرزق الذي هو أجمع أنواع من دوائر الحياة وأوسعها للرحمة وأكثرها تذوقاً عن إشرافه عليها"[1].

وجود الملائكة:

يذكر الإجماع من بني آدم على الإيمان بوجود الملائكة وإن اختلفوا في تحديد ماهية الملائكة فقال: " أجمع العقلاء إجماعاً معنوياً ــ وإن اختلفوا في طرق التعبير ــ على وجود الملائكة وحقيقتهم، حتى أن المشائين من الفلاسفة الاستشراقيين الذين أوغلوا في الماديات، إذ عبروا عن الملائكة بقولهم : أن هناك ماهية مجردة روحية لكل نوع، والآخرون من الاستشراقيين عندما اضطروا لقبول معنى الملائكة أطلقوا عليهم بالخطأ: العقول المبشرة وأرباب الأنواع "[2] والنورسي يعتقد بوجود ما يسميه بالروحانيات التي تشارك الملائكة في سكنى السماء والتي لا تنفك عن الملائكة، فيقول: " هذا الفضاء الواسع والسموات ذات البروج والأنجم والكواكب كلها مليئة بالأحياء وبذوي الإدراك والشعور، ويطلق القرآن الكريم والشريعة الغراء على أولئك الأحياء الشاعرين والذين خلقوا من النور والنار، ومن الضوء والظلام والهواء، ومن الصوت والرائحة والكلمات والأثير، وحتى الكهرباء وسائر السيالات اللطيفة الأخرى بأنهم:(ملائكة، جان، روحانيات) ولكن كما أن الأجسام أجناس مختلفة كذلك الملائكة، إذ ليس الملك الموكل على قطرة المطر من جنس الملك الموكل على الشمس، وكذلك الجن والروحانيات مختلف الأجناس الكثيرة"[3] ، ولم تدل النصوص الشرعية على ما ذكره النورسي من أن الملائكة والجن أو حتى ما يسميه (الروحانيات)[4] خلقت من ضوء أو ظلام أو رائحة أو غير ذلك. ولم يقل به أحد ممن يعتد به ــ على حد علمي ــ بل هو رجمٌ بالغيب.

ويضيف النورسي نوعاً آخر من المخلوقات تسكن السموات وقد سماها بـــ (ذوي الشعور) فيقول: " عن الإصغاء إلى الحق والحقيقة، ونوال المتكلم بها الثواب،ليس منحصراً على الجنس البشري وحده، بل لله عباد من ذوي الشعور ومن الروحانيين والملائكة قد

---

[1] نفس المرجع السابق والصفحة.

[2] انظر إشارات الإعجاز ص ٢٣٢ ، والكلمات ص ٦٠١ .

[3] الكلمات: ٥٥٩ – ٦٠٠ .

[4] انظر مبحث الروحانيات.

ملؤوا أركان الكون وعمروها[1] "ولا يعرف غير الملائكة التي ملأت الكون وهذا ما جاء في حديث "أطت السماء وحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبر إلا فيه جبهة ملك يسبح الله بحمده"[2] .

ولكن ما الذي جعل النورسي يعتقد بوجود تلك الأنواع والأجناس من الروحانيات وغيرها، يقول: "الحقيقة والحكمة تقتضيان أن يكون للسماء أهلون يناسبوها ــ كما الحال في الأرض ــ ويسمى في أولئك الأجناس المختلفة الملائكة والروحانيات.

نعم الحقيقة تقتضي هكذا، إذ أن ملء الأرض، مع صغرها وحقارتها بالنسبة إلى السماء، بذوي حياة وإدراك، وإعمارها حيناً بعد حين بذوي إدراك آخرين بعد إخلائها من السابقين يشير بل يصرح بامتلاء السماوات ذات البروج المشيدة تلك القصور المزينة بذوي إدراك وشعور، فهؤلاء الجن والإنس، مشاهدو فقد هذا العالم، مطالعو كتاب الكون، أدلاء على عظمة الربوبية ومنادون إليها، لأن تزيين العالم وتجميله بما لا يعد ولا يحصى من التزينات والمحاسن والنقوش البديعية، يقتضي بداهة جلب أنظار متفكرين مستحسنين ومقدرين ومعجبين، إذ لا يظهر الحسن إلا لعاشق، كما لا يعطى الطعام إلا لجائع، مع أن الإنس والجن لا يستطيعان القيام بواحد من مليون من هذه الوظائف غير المحدودة فضلاً عن الاستعراض المهيب،والعبودية الواسعة، بمعنى أن هذه الوظائف المتنوعة غير المتناهية وهذه العبادة التي لا نهاية لها تحتاج إلى ما لا يعد من أنواع الملائكة وأجناس الروحانيات"[3].

ويقول: "ويمكن القول إن وجود الملائكة والعالم الروحاني ثابت كثبوت وجود الإنسان والحيوان في كل جهة من هذا الكون وفي كل دائرة من دوائره، هناك موظفون من

[1] اللمعات: ٤٣١.

[2] أخرجه الترمذي في سننه: ٤/٤٨١–٤٨٢، برقم ٢٣١٣ وقال "حسن غريب" وأخرجه ابن ماجة في سننه: ١٤٠٢/٢ برقم ٤١٩٠، وقد صححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢٣٥/١.

[3] الكلمات ص ٢٠٢ – ٢٠٣.

طبقة الملائكة والروحانيات قد أسند إليهم واجب القيام بعبودية مخصوصة ... فاستناداً إلى إشارات بعض الأحاديث النبوية الشريفة من جهة، واستلهاماً من حكمة انتظام هذا العالم من جهة أخرى، يمكن القول: إن بعضاً من الأجسام الجامدة السيارة، ابتداءً من النجوم وانتهاءً بقطرات المطر إنما هي سفن ومراكب لقسم من الملائكة فهم يركبونها بإذن إلهي، ويشاهدون عالم الشهادة سائحين فيه ويمثلون تسبيحات تلك المراكب"[1].

ويقول:"إنه ابتداءً مما أشار إليه الحديث الشريف من" طير خضر" [2] إلى النحل من الأجسام الحية هي طائرات لأجناس من الأرواح،فهي تحل في أجساد تلك الأحياء ،بأمر الله الحق، وتشاهد العالم المادي من خلال حواسها كالأعين، والآذان، وتتفرج على روائع المعجزات الفطرية فيه، وبذلك تؤدي تسبيحاتها المخصوصة" [3] .

وإثبات النورسي لمخلوقات تسكن السماء مع الملائكة كان باعتبار نظره العقلي المجرد عن الدليل، ومما يؤكد قوله بخلق حيوانات وكائنات ذات شعور من هواء وكهرباء ما قاله في ختام مقدمة الكلمة التاسعة والعشرين يقول: " لأن الفاطر الحكيم الذي يخلق باستمرار وبفاعلية جادة حياة لطيفة ذات إدراك متنور، من هذا التراب الكثيف على ضآلة علاقته بالروح، ومن الماء العكر على جزئيته تعلقه بنور الحياة، لابد أن يكون له أيضاً مخلوقات كثيرة جداً ذات شعور، وقد خلقت من بحر النور، وحتى من محيط الظلمة، ومن الهواء ومن الكهرباء ومن سائر المواد اللطيفة التي هي أليق بالروح وأنسب للحياة وأقرب إليها .

فموسى عليه السلام عند النورسي لم يلطم ملك الموت كما ثبت بالصحيح فهو يقول : "إن الملائكة العظام من أمثال سيدنا جبرائيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام، كل منهم بمثابة ناظر عام ورئيس، لهم أعوان من نوعهم وممن يشبهونهم ، ولكن بطراز أصغر، فهؤلاء المعاونون الصغار مختلفون حيث اختلاف المخلوقات الموكلين بهم، فالذين يقبضون أرواح الصالحين يختلفون عن الذين يقبضون أرواح الطالحين، فهم طوائف مختلفة من الملائكة بمثابة

---

[1] الكلمات ص ٥٩٥ ، وانظر ٥٩٨.

[2] انظر الروح : ٩٩/١،٣٩، درء التعارض ٢٩٢/١٠ ، ومجموع الفتاوى ٢٢١/٤ ،حادي الأرواح ١٧/١. والحديث عند مسلم، كتاب الإمارة، باب: في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (٤٩٩٣).

[3] الكلمات : ص ٥٩٥ .

ما تشير إليه الآية الكريمة :(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً) [النازعات:١-٢] فحسب هذا المسلك : فإن سيدنا موسى عليه السلام ، لم يلطم سيدنا عزرائيل عليه السلام، بل لطم الجسد المثالي لأحد أعوانه، وذلك بعنفوان النبوة الجليلة وبسطة الجسم وجلادة أخلاقه وحظوته عند ربه القدير، وهكذا يصبح الأمر معقولاً جداً"[1] .

ما ذكره من أن اللطم لأحد أعوان ملك الموت، كما ادعى النورسي غير صحيح؛ لأن لطم موسى لملك الموت ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: "جاء ملك الموت[2] إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربك ، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها قال: فرجع ملك الموت إلى الله تعالى فقال: لقد أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني ، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بها مئة سنة ، قال ثم مه؟ قال: ثم تموت ،قال: فالآن من قريب" [3]، ويقول الإمام أحمد: "كل هذا صحيح"[4] وهذا على الحقيقة كما أثبته كثير من العلماء [5]، وبعضهم علل ذلك بأن بعض أوليائه من المحبين يحب البقاء لزيادة التقرب والطاعات إلى الله تعالى وذلك هو حال موسى عليه السلام حين لطم وجه ملك الموت [6].

رؤية الملائكة:

وافق النورسي الصوفية في اعتقاد أن الأولياء وغيرهم يشاهدون الملائكة في الدنيا بل جعل الدليل على الإيمان بالملائكة مشاهدة ملك من الملائكة، بل جعل ذلك مما أجمع عليه الناس من سائر الأديان يقول:" إن مسألة ثبوت الملائكة والعالم الروحاني من المسائل التي

---

[1] المكتوبات: ص ٤٥٤

[2] أي في صورة بشر كما في رواية الإمام احمد بسند صحيح.

[3] رواه مسلم كتاب من فضائل موسى عليه السلام : برقم ٢٣٧٢.

[4] انظر حاشية ابن القيم: ٤٥/١٣.

[5] انظر الرد على البكري: ٧٠٧/٢ ، ٢/ ٧٢٣ .

[6] مدارج السالكين : ٢٩٩/٢ ، انظر ٤٥٦/٢ في سبب في عتاب الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وعدم عتابه لموسى عليه السلام حين كسر الألواح ولطم عين الملك.

تنطبق عليها القاعدة المنطقية:(يدرك تحقق الكل بثبوت جزء واحد). أي أنه برؤية شخص واحد للملائكة يُعرف وجود النوع عامةً، لأن الذي ينكر الواحد ينكر الكل قاطبةً. فإذا ما قَبِل فرداً واحداً من ذلك النوع، فعليه أن يقبل النوع جميعاً؛ إذن تأمل: ألا ترى وتسمع بأن جميع أهل الأديان، في جميع العصور منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، قد اتفقوا على وجود الملائكة وثبوت العالم الروحاني، وأن طوائف من البشر قد أجمعوا على إمكان محادثة الملائكة ومشاهدتهم والرواية عنهم مثلما يتحاورون ويشاهدون ويروون الروايات فيما بينهم. فيا ترى هل يمكن أن يحصل مثل هذا الإجماع، ويدوم هذا الاتفاق، بهذا الشكل المتواتر المستمر في أمر وجودي، إيجابي، مستند إلى الشهود. إن لم يكن قد شوهد أحد من الملائكة عياناً وبداهةً؟ أو لم يُعرف وجود شخص أو أشخاص منهم بصورة قاطعة المشاهدة؟ أو لم يشعر بوجودهم بالبداهة والمشاهدة؟" [1].

ويقول في موضع آخر: "إن جميع الدلائل والمشاهدات والمكالمات الدالة على وجود الملائكة ووظائف عبوديتها ، هي بدورها دلائل على وجود عالم الأرواح وعالم الغيب وعالم البقاء" [2]، فهذه المشاهدات والمكالمات مع الملائكة يقول عنها أيضا:" نقلت روايات متواترة تؤكد رؤية الملائكة والتكلم معهم منذ القديم" [3].

وأقوال الصوفية في هذه المسألة كثيرة حتى إنهم يرون أن الولي الذي لا يشاهد ولا يكلم الملائكة غير مفتوح عليه، يقول عبد العزيز الدباغ :" وأما ما ذكروه عن الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح، لأن المفتوح عليه سواء كان ولياً أو نبياً لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه، وكل من قال إن

---

[1] الكلمات: ٦٠٣.

[2] الكلمات: ١١٤.

[3] الكلمات: ١٥٩.

الولي لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه" [1]،فهذا الولي الـــذي تكلمه الملائكة تترل عليه بتشريع مستقل وهذا ما قاله الدباغ:" ويترل الملك علـــى الـــولي بالأمر والنهي" [2]. ونزول الملائكة على الصوفي ليس هو نزول "عوام الملائكة" [3]، كما يقول النورسي بل نزول جبريل عليه السلام . ينقل ذلك عن الشعراني حيث يقول:" إن الـــشيخ تـــاج الدين بن شعبان كان إذا سأله إنسان حاجة يقول له: اصبر حتى يجيء جبريل" [4].

وقد تابع النورسي المتصوفة في مسألة معاريج الأولياء قياساً على نزول الملائكة مـــن السماء حيث يقول:" إن الملائكة والروحانيات يأتون من الـــسماء إلى الأرض، فبالحـــدس القطعي أقرب إلى الاستشعار والإحساس إن لسكنة الأرض طريقاً يصعدون به إلى السماء. إذ كما يرنو عقل كل فرد وخياله ونظره إلى السماء في كل حين. كذلك انعراج الأنبيـــاء والأولياء الذين خفوا بوضع أثقالهم. وأرواح الأموات الذين خلعوا أجسادهم يصعدون بإذن إلهي إلى السماء، وحيث أن الذين خفوا ولطفوا يذهبون إلى هناك، فلابد أن الذين يلبسون جسداً مثالياً، واللطيفين الخفيفين لطافة الروح وخفتها من سكنة الأرض والهـــواء يمكنـــهم الذهاب إلى السماء" [5].

ولاشك أن هذا من القياس الفاسد فترول الملائكة من السماء ليس دليلاً على عروج الأولياء – قبل الموت –، وإنما كان ذلك من النورسي متابعةً للصوفية مثل ابن عربي صاحب كتاب "الإسراء إلى مقام الأسرى"، وكتب معاريج أخرى في كتابه "الفتوحات المكيـــة" [6].

---

[1] الإبريز: ١٥١ عبد العزيز الدباغ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ميدان الأزهر.

[2] نفس المرجع السابق والصفحة .

[3] انظر الكلمات: ١٤٧.

[4] انظر التصوف المنشأ والمصادر: ١٦٤

[5] الكلمات: ٢٠٣ – ٢٠٤.

[6] انظر الفتوحات المكية: ٢/٦٢٠– ٦٢٤.

ومثل عبد الكريم الجيلي صاحب كتاب "الإنسان الكامل" الذي ضمنه كذلك معــراج أبي يزيد البسطامي.

ومن هؤلاء من يدعي أن له معراجاً كمعراج النبي ﷺ. كما ذكـــره الإمـــام ابـــن الجوزي [1] عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يقول: لي معراج كما كان للنبي ﷺ معـــراج[2]

[1] عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي، ولد وتوفي ببغداد، وله ثلاث مائة مصنف منها "الموضوعات" و"زاد المسير في علم التفسير" ،انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢٧٩/١، البداية والنهاية لابن كثير: ٢٨/١٣، الكامل لابن الأثير: ٢٢٨/١٠، والأعلام للزركلي: ٨٩/٤.

[2] تلبيس إبليس: ٢٠٧ .

المبحث الرابع: عالم الروحانيات

عالم الروحانيات:

الروحانيون: لفظ مشتق من الروح، واحدها روحاني، قال ابن منظور: الروحاني من الخلق : نحو الملائكة من خلق الله روح غير جسد ، وقال سيبويه: " حكى أبـــو عبيـــدة أن العرب تقول لكل شيء كان فيه روح من الناس والدواب والجن روحاني "، قال ابن شميل : " الروحانيون أرواح ليست لها أجسام ولا يقال لشيء من الخلق روحاني إلا للأرواح التي لا أجساد لها مثل الملائكة والجن وما أشبهها" ، قال الأزهري وهذا القول في الروحانيين هـــو الصحيح المعتمد[1] .

وعن رد الإمام ابن القيم على من ينفي العلو لله وأنه في السماء يقول عن أصـــحاب الشرائع الغابرة: "إنهم يقولون إن ذلك الموضع (السماء) هو مسكن الروحانيين يريدون الله والملائكة، وذلك أن ذلك الموضع ليس هو المكان ، ولا يحويه زمان " [2]، ولكن هناك مـــن يقول إن الروحانيين مخلوقات غير الملائكة والجن والإنس، فقد ذكر طائفة ومنهم إبـــراهيمُ ابن هلال الصابي أنهم يقولون إنهم عاجزون عن الوصول إلى الله تعالى بـــدون الوســـائط، والواجب التقرب إليه بتوسط الروحانيين المقدسين المطهرين عن المواد الجسمانية المبرئين عن القوة الجسدية وقالوا إنما أرشدنا إليهم معلمنا الأول هرمس[3] "[4] .

وعالم ما يسمى بالروحانيات هو عالم المثال كما عند كثير من الصوفية ، وهو عنـــد بعضهم عالم البرزخ ، قال دمرداش : عالم البرزخ هو عالم الخيال ، وهو عالم المثال [5] هذا : هو ما يسمى عالم الملكوت ، وقال القنوجي: "إن إثبات عالم المثال أصل عظيم من أصـــول التطبيق من جهة أن فيه صدر الحقائق المجردة والمادية فيقع على ما فيه سير الناظرين فيخبرون عما وجدوا، وإن لم يعرفوا أنه من عالم المثال... وذلك في النقليات والكشفيات أكثر منه في العقليات ...."[6]، ويقول: "ستة أرضيين في طبقات عالم المثال كأنها تماثيل لهـــذه الأرض ،

[1] انظر لسان العرب : ٤٦٣/٢، ٦٢٤/١٢ ، والقاموس المحيط ص ٢٨٢.

[2] انظر الصواعق المرسلة ٤٠٤/٢ ، درء التعارض ٢٥١/٦ .

[3] يزعمون أنه إدريس عليه السلام، والهرمس عند المنجمين اسم جنس، الفتاوى: ١٧٩/٣٥، وانظر: تفسير الألوسي: ١٧٢/١٧.

[4] انظر أحكام أهل الذمة ٢٨٣/١ ، إغاثة اللهفان ٢٥٢/٢ ، الرد على البكري ٥٧٢/٢.

[5] انظر التعاريف ١٢٤/١.

[6] أبجد العلوم : ٤١٤/١.

والعامة وأصحاب الشرائع لا يفرقون بين الأجسام الشهادية والمثالية إلا بالصفات كالطاقة والكثافة... ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " إن فيها ابن عباس كابن عباسكم "[1].

ويقول الجرجاني : " إن عالم المثال يسمى بعالم الملكوت وهو الحاجز بين الأجسام الكثيفة، وعالم الأرواح المجردة أعني الدنيا والآخرة ". [2]

ويخاطب النورسي أحد تلاميذه عن هذا العالم :" إن عالم المثال برزخ بين عالم الأرواح وعالم الشهادة، فهو شبيه بكل منهما بوجه ، حيث إن أحد وجهيه ينظر إلى ذاك والآخر إلى هذا ، فمثلاً : إن صورتك في المرآة شبيهة بجسمك وهي لطيفة كروحك في الوقت نفسه ، فذلك العالم المثال ثابت قطعاً كقطعية ثبوت عالم الشهادة وعالم الأرواح [3] ، فهو مشهر العجائب والغرائب وهو متنزه أهل الولاية"[4].

ويقول النورسي : "إنه سبحانه وتعالى قد عمر أطراف المملكة الربانية الواسعة جداً فعمر السماوات بالملائكة والروحانيين ، وعمر العالم المادي بوجود الكائنات الحية "[5]وعالم المثال قد تحدث عنه بعض العلماء لكنهم أرادوا منه غير ما ذكر، فهو ما يكون من تأويل للرؤيا الخارجية التي ضربت للرائي في عالم المثال خلال نومه، يقول ابن القيم: "فتأويل ما أخبرت به الرسل هو مجيء حقيقته ورؤيتها عياناً، ومنه تأويل الرؤيا وهو حقيقتها عياناً، ومنه تأويل الرؤيا الخارجية التي ضربت للرائي في عالم المثال"[6].

والنورسي يقول عن هؤلاء الروحانيين "إنهم يسمعون الأذكار والدعوات الصالحة من الإنسان ، فمثلاً : إذا قلت الحمد لله فستكتب بأمر الله على أثر نطقك بهذا ملايين من الملايين من الحمد لله صغيرة وكبيرة فلقد خلق الله سبحانه ما لا يعد من الآذان والأسماع تصغي إلى تلك الكلمات الصغيرة الكثيرة الطيبة ، حيث لا عبث ولا إسراف في عمل

---

1 أبجد العلوم ٤٤٠/١ وروايته عن ابن عباس لم يذكر له سند، ولم أجده في غيره.

2 انظر التعريفات ٦٣/١ ، ١٩/١ ، انظر روح المعاني ١٢/١٠.

3 ذكر في هذا الموضع :" أن الرؤيا الصادقة والكشف الصادق والتمثلات في الأشياء ثلاث نوافذ مطلة بهذا العالم حيث تظهر للعوام والناس كلهم جوانب من ذلك (العالم)

4 الملاحق : ص ٨٨.

5 انظر الشعاعات : ص ٢٢١. انظر أسئلة العصر المحيرة:٢٨٩

6 جلاء الأفهام : ٢٥٠/١ .

البارئ الحكيم ما بعث الإخلاص إليه والنية الصادقة الحياة في تلك الكلمات المنتشرة التي في ذرات الهواء فستدخل أسماء أولئك الروحانيين لذيذة طيبة كلذة الفاكهة الطيبة "[1] وهم لا يشاهدون من قبل العوام ولكن تسمع أقوالهم[2] ونبينا عليه السلام يشاهدهم فهو " مشاهد الأرواح ومصاحب الملائكة "[3] وذلك لأنه " أكمل مرشد بالقرآن الكريم للجن والأنس بل للروحانيين والملائكة "[4] ، ويقول إن: " هناك أمارات ودلالات لا حد لها على وجودنا والعالم الروحاني، وقد جرت لقاءات ومكالمات وتعارف بينكم (أي طلابه) وبيننا وبين الروحانيين منذ زمن آدم عليه السلام، وهي حوادث يقينية متواترة لا تقبل الريب"[5]، "فالهواء والأثير وبعض موجودات عالم المثال يصبح في حكم مرايا ويتحول إلى صورة وسائط للسير والسياحة، في سرعة البرق والخيال،بحيث يتجول أولئك النورانيون والروحانيون في تلك المرايا الطاهرة، وفي تلك المنازل اللطيفة في سرعة الخيال"[6]. وهل للروحانيين علاقة مباشرة بالإنسان في هذه الحياة؟ وللإجابة عن هذا السؤال يقول: "إن الذي يرسل الملائكة تنزل من السماوات إلى الأرض ويجعله أحياناً في صورة إنسان، ويرسل الروحانيين من عالم الأرواح ، ويجعلهم يتمثلون في صور بشرية... قادر على أن يرسل عيسى عليه السلام من جديد"[7] ، ويقول عن حال الروحانيين حال تركهم للدنيا: " ليس بعيداً من الرحمن الكريم أن يمنح لذوي الأرواح والحيوانات ثوباً روحانياً يلائمهم وأجراً معنوياً يوافق استعدادهم، ومن خزينة رحمته الواسعة، بعدما قاسوا المشقات وذلك لئلا يتألموا ألماً شديداً لدى تركهم الدنيا"[8] بل إن هذه المخلوقات الروحانية تطالع رسائل النورسي يقول في هذا :"إنني آمنت ببقاء الباقي ذي الكمال وبوجوده لا تنقش رسائل النور في ذاكرة الناس وقلوبهم وحدها بل تكون أيضاً

---

[1] اللمعات : ٢٣١.

[2] الشعاعات : ٦٦٥ ، ويقول أنهم يشهدون شهادة صادقة كالعرافين والكهان على رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام.

[3] الكلمات : ٣٤٤ ، والمكتوبات : ص ٢٣٥.

[4] الكلمات : ٦٩٠.

[5] الشعاعات : ٢٧٤ — ٢٧٥ .

[6] الكلمات : ٧٢٨ .

[7] المكتوبات : ٧٢ .

[8] الكلمات : ١٢٣.

موضع مطالعة لمخلوقات غير محدودين من ذوي الشعور والروحـــانيين" [١] بـــل إن هـــذه الأرواح تطلع على أحوال الموتى وسؤال منكر ونكير، وتضحك من إجابات بعض طلاب النور[٢].

ويعتقد النورسي أن بإمكانه تحضير الأرواح ويعيب على المدارس الحديثة في تحـــضير الأرواح جلبها إلى مواضع لعبهم ولهوهم فيقول عند قوله تعالى : **(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَـــا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً)**[مريم: من الآية١٧] . "هذه الآية وأمثالها التي تشير إلى تمثل الأرواح، وكذا الآيات المشيرة إلى جلب سيدنا سليمان عليه السلام للعفاريت وتسخيرهم له ،هذه الآيات الكريمة مع إشارتها إلى تمثل الروحانيات فهي تشير إلى تحضير الأرواح أيضاً ، غير أن تحضير الأرواح الطيبة المشار إليها في الآيات ليس هو بالشكل الذي يقوم به المعاصرون في إحضار الأرواح إلى مواضع لعبهم ولهوهم وأماكن ملاعبهم والذي هو هزل رخيص ، واستخفاف لا يليق بتلك الأرواح الموقرة الجادة التي تعمر عالماً كله جد لا هزل فيه بل يمكـــن تحـــضير الأرواح بمثل ما قام به أولياء صالحون لأمر جاد، ولقصد نبيل هادف – من أمثال محي الدين بن عربي – الذين كانوا يقابلون تلك الأرواح الطيبة متى شاءوا فأصبحوا هم منجذبين إليها ومنجليين لها ومرتبطين معها ومن ثم الذهاب إلى مواضعها والتقرب إلى عالمها والاســـتفادة من روحانيتها ، فهذا هو الذي تشير إليه الآيات الكريمة "[٣] .

ودعوى تحضير الأرواح دعوى قديمة جداً ، فما زال بعض الناس يعتقـــدون بتلـــك الخرافات من أن أرواح الموتى يمكن أن تعود إلى الحياة، وعموما فتلك الأرواح ، إما في نعيم مقيم أو في عذاب أليم – نسأل الله العافية – فهي في شغل شاغل عما يدعيه مستحـــضرو الأرواح ، يقول ابن تيمية :" ومن هؤلاء [٤] من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعـــد الموت يكلمهم ويقضي ديونه ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا ، فإنهم تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة وهو شيطان تمثل في صورته فيظنونه إياه"[٥] .

---

[1] الشعاعات : ٧٢.

[2] انظر الشعاعات : ٣٢١.

[3] الكلمات : ٢٨٥.

[4] أي أهل الحال الشيطاني من الكفرة والمشركين والسحرة ونحوهم .

[5] جامع الرسائل: ص ١٩٤ – ١٩٥.

فهذه الأرواح التي يحضرها ابن عربي وغيره ما هي إلا شياطين تتكلم على لسان ذلك الميت بالزندقة والإلحاد[1].

أما الدليل الذي أورده النورسي في إثبات ذلك وهو قوله تعالى: **(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً)**[مريم: من الآية١٧] ، فالعلماء من المفسرين وغيرهم على أصح الأقوال أن ذلك جبريل عليه السلام تمثل لها على صورة إنسان تام[2] ، ويؤيد ذلك قوله تعالى: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)** [الشعراء:١٩٣]، وقوله تعالى:**(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَق)**[النحل: من الآية١٠٢] وإضافته إلى الله إضافة تشريف وتكريم، وتمثله لها بشرا سوياً المذكور في الآية يدل على أنه ملك وليس آدميًّا ، وهذا المدلول ذكره الله تعالى في قوله: **(إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)** [آل عمران: من الآية٤٥] وهذا الذي بشرها به هو الذي قال لها كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز:**(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً)**[مريم:١٩] فالأرواح والروحانيات التي يذكرها النورسي يدخل في مسماها الشياطين وهم شرار الروحانين فيقول في تفسيره لقوله تعالى: "**(وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ)** [الملك: من الآية٥] "أنه لا بد أن يقلد أشرار الروحانيات أخيارهم في تشبث الذهاب إلى مملكة السماء للطافتهم، ولابد ألا يقبلهم أهل السماء ، بل يطردونهم لشرارتهم"[3].

والروحانيون – عنده – منهم النصارى ومنهم غير ذلك، فأما الروحانيون النصارى فهم "جماعة الروحانيين المتمسكين بالدين العيسوي الحقيقي" [4]، "وفي مقابلهم الجماعة التي بدأت تروج للإلحاد فإذا تجسمت تلكما الجماعتين بصورة إنسان ، فإن الجماعة الأولى لا تصبح حتى بقدر طفل أمام إنسان بارتفاع منارة، ولأجل ذلك لابد من الاتفاق بين

---

[1] وقد وضعت مجلة (سينتيفك أمريكان) جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية ، ولا تزال الجائزة قائمة لم يظفر بها أحد رغم انتشار الروحانيين ونفوذهم وبراعتهم في أمريكا، وقد ضم إلى هذه الجائزة جائزة أخرى تبرع بها الساحر الأمريكي (دننجر) للغرض نفسه و لم يظفر بها أحد أيضاً. انظر عالم الجن والشياطين : ص ١١١ ، والموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان: ٨٤٦/٢.

[2] أضواء البيان : ٥٦/٣، الجامع لأحكام القرآن: ٩٠/١١.

[3] المثنوي العربي النوري : ص ٣٣٦ .

[4] الملاحق : ١٣٠.

السيد المهدي وجماعة الروحانيين النصارى ، الذين يلتحقون به خدمة للإيمان"[1] لذلك فهو يتوجه برسالة إلى أهل الإيمان فيقول :" إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده ، بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً بعدوهم المشترك المعتدي"[2]، والمراد بعدوهم المشترك هو الشيوعية التي كانت يومئذ تنتشر في العالم انتشار النار في الهشيم ، ولكن ماذا بعد سقوط هذا العدو؟ هل لا زال الاتفاق قائماً مع النصارى؟ حيث إن النصارى من الكفار أيضاً ، وليس كل من آمن بوجود الله يسمى مؤمناً إلا باعتبار أهل دينه.

---

[1] الملاحق: ١٩٥.

[2] الملاحق: ٢٩٩.

الفصل الثالث : الإيمان بالكتب

وفيه ثلاثة مباحث:

المقدمة:

المبحث الأول: دلائل القرآن على النبوة.

المبحث الثاني : إعجاز القرآن.

المبحث الثالث : مقاصد القرآن.

مقدمة:

من أركان الإيمان التي لا يقبل الله إيمان عبد إلا بها الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله وأنبيائه، قال تعالى: (**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) [البقرة:١٣٦].

وقال تعالى : (**وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ**) [الشورى: من الآية١٥].

وقال عز وجل: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**) [النساء:١٣٦].

ويقول تعالى: (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**) [الحديد: من الآية٢٥].

فنصدق أن الله أنزلها على رسله وأنبيائه وأنها من كلام الله تعالى، ليس من كلام غيره، والإيمان بما فيها من أحكام والتصديق بما جاءت من أخبار كما قال الله تعالى: (**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**)[المائدة:٤٤]

ويجب الإيمان بأن الله أنزل القرآن على نبينا محمد ﷺ وأن الكتب السابقة نزلت على من سبقه من الأنبياء والرسل قال تعالى: (**الم ۞ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ ۞ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**) [آل عمران:١ — ٤]

ومن الإيمان بها الاعتقاد أنها من كلام الله وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء فمنها المسموع من وراء حجاب دون واسطة، ومنها ما يسمعه الملك من الله، ويبلغه للرسل قال تعالى: (**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً**

فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) [الشورى:٥١] ويقول نبينا ﷺ: "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[1]، قال ابن رجب في شرح معنى النصيحة: "وأما النصيحة لكتابه: فشدة حبه وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه وشدة العناية في تدبره والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعد ما يفهمه، وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتاب منه عني بفهمه ليقوم عليه بما كتب فيه إليه، فكذلك الناصح لكتاب ربه يعني بفهمه ليقوم لله بما أمره به كما يحب ربنا ويرضى ثم ينشر ما فهم في العباد ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه "[2].

ومن الإيمان بالكتب المنزلة الإيمان بكتب لله تعالى التي لم يسمها لنا وهذا الإيمان هو الإيمان الإجمالي بكتب الله تعالى وهو سوى الإيمان التفصيلي بالكتب الأخرى المذكورة في القرآن .

قال تعالى: (**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) [البقرة:٢١٣]

ويجب أن نؤمن أن القرآن العظيم أنزله الله مهيمناً على ما سبقه من الكتب فهو أعظم كتب الله تعالى، وهو آخر ما نزل من الكتب السماوية، وهو مصدق لما قبله من الكتب المنزلة ومهيمنٌ عليها، وقد تكفل الله بحفظه دون ما سواه من الكتب.

ومن الإيمان بالكتب السماوية الإيمان بأن بعضها مصدق بعض كما قال تعالى عن الإنجيل: (**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ**) [المائدة: من الآية٤٦]

وقال تعالى عن القرآن: (**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**) [الأنعام: من الآية٩٢].

---

[1] مسلم ، كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة رقم (٥٥).

[2] جامع العلوم والحكم : ٧٨.

والتوراة هي كتاب الله تعالى الذي أنزله على موسى الطَّيْلاِ قال تعالى: (**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ**) [المائدة: من الآية٤٤].

والإنجيل كتاب الله الذي أنزله على عيسى الطَّيْلاِ قال تعالى : (**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**) [المائدة:٤٦]

والزبورالذي أوتيه داود الطَّيْلاِ قال الله تعالى:(**وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**)[النساء:من الآية١٦٣] وصحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام قال الله عز وجل: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۞ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**) [الأعلى:١٤ – ١٩] وقوله سبحانه : (**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**) [النجم:٣٦–٣٧] والقرآن العظيم قال جل شأنه: (**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**) [الشورى: من الآية٧] وقال تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً**) [الانسان:٢٣] .

ونؤمن أن إنكار كتب الله تعالى السابقة أو الاستهزاء بها أو ببعضها كفر مخرج من الملة؛ لأن ذلك تكذيب للقرآن وقد حكم الله بالكفر على من جحد آياته وتوعده بالعذاب وأخبر عز وجل أنه لا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله تعالى، وأنهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة.

قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً**) [النساء:٥٦]

والمنكرون للكتب المنزلة لم ينكروها إلا بعد إنكار صفات الكمال الإلهي ومنها إنكار صفة الكلام الإلهي، ونفي هذه الصفة إلحاد في أسمائه وسوء ظن بالله تعالى.

المبحث الأول: دلالة القرآن على النبوة

دلالة القرآن على النبوة:

كتاب الله تعالى "القرآن الكريم" هو المعجزة الكبرى لهذا الدين، وله المصداقية المطلقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، والذي تكفل الله بحفظه على مدى الدهر، ففي كل آية دلالة على الإعجاز القاطع في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الحياة والوجود.

فلا حاجة للبحث عن دلائل أوضح من دلائل القرآن فإن أوضح الدلائل على النبوة هي الدلائل القرآنية مع إيماننا بدلائل الأنفس والآفاق، لذا تتم مجابهة بالحقائق القرآنية التي هي أكثر ملائمة لتنامي الوعي البشري، وتراكم الخبرة قال تعالى: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**) [فصلت: من الآية٥٣] فإن رفضت الآيات والدلائل القرآنية فإن السبب حينئذ يعود إلى جهل الإنسان. (**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**) [يونس: من الآية٣٩].

يقول النورسي عن معجزة انشقاق القمر بعد قوله تعالى: (**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۞ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**) [القمر: ١ – ٢]: "إن فلاسفة ماديين – ومن يقلدهم تقليداً أعمى – يريدون أن يطمسوا ويخسفوا بمعجزة انشقاق القمر الساطع كالبدر، فيثيروا حولها أوهاماً فاسدة، إذ يقولون "لو كان الانشقاق قد حدث فعلاً لعرفه العالم، ولذكرته كتب التاريخ كلها" الجواب أن انشقاق القمر معجزة لإثبات النبوة، وقعت أمام الذين سمعوا بدعوى النبوة وأنكروها، وحدثت ليلاً، في وقت تسود فيه الغفلة، وأظهرت آنياً"[1].

أما عن الدلائل القرآنية على نبوة محمد ﷺ فهي كثيرة جداً. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلك: "كل من أيده الله من المدعين للنبوة لم يكن إلا صادقاً كما أيد نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، فإن سنة الله أن ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهذا الواقع قال تعالى: (**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**) [غافر:٥١)] وقال تعالى: (**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**) [الصافات:١٧١ – ١٧٣] وقوله: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ**

[1] الكلمات: ٧٠٢.

يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت:٥٣] فإنه قد بشهد للقرآن بأنه حق بالآيات البينات والبراهين الدالة على صدقه التي تبين بشهادة الرب تعالى بأنه الحق فلا يحتاج مع الشهادة الحاضرة إلى انتظار الآيات المستقبلية ... ومثل هذا كثير من دلائل النبوة، وأعلام الرسالة"[1]

" وفي قول الله تعالى: (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**) [لأعراف: من الآية١٥٨] هذا الخبر وهو الشهادة بأن رسول الله إلى الناس جميعاً وهو مدلول عليه بجميع دلائل النبوة"[2].

ويتحدث النورسي عن دلائل النبوة في القرآن فيجعل ذلك من مقاصد القرآن يقول: "أغلب سور القرآن المطولة والمتوسطة – التي كل منها كأنها قرآن على حدة – لا تكتفي بمقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة وهي: التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع العبودية. بل كل منها يتضمن ماهية القرآن كلها"[3]. فالقرآن أعظم الدلائل على نبوة سيدنا محمد ﷺ يقول: " لما قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**) لإثبات التوحيد – على تفسير ابن عباس – أثبت بهذه نبوة محمد ﷺ الذي هو من أظهر دلائل التوحيد، ثم أنه أثبت النبوة بالمعجزات، وأعظم هذه المعجزات هو القرآن"[4]. ويقول في موضع آخر: "اعلم أن دلائل النبوة الأحمدية لا تعد ولا تحصى، وقد ذكرنا قسماً منها، فمع شهادة معجزاته، البالغة إلى ألف، ومع شهادة القرآن البالغ وجوه إعجازه إلى أربعين على رسالة محمد ﷺ كذلك تشهد هذه الكائنات بآياتها على نبوته"[5]. فالمخاطبين لما سمعوا (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا**) "استفسروا بلسان الحال: ما الحكمة ؟ ولِمَ ؟ وما المجبورية ؟ ولأي شيء ؟

أما الحكمة فقد سمعت في المقدمة، وأما العلة فأجاب القرآن الكريم بإثبات الصانع وتوحيده بقوله: (**رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**) الخ وإثبات النبوة بقوله: (**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا**

---

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ٤١٠ – ٤١٦ (بتصرف)

[2] النبوات: ٢٧٣/١.

[3] الكلمات: ٥٣٣.

[4] إشارات الإعجاز: ١٧٩.

[5] انظر المثنوي العربي النوري: ٦٦، وانظر إشارات الإعجاز: ٢٠٢، ١٩١.

نَزَّلْنَا) الخ "[1]. وعن نفس دلائل التوحيد والنبوة وتلازمهما يقول: "لما أثبت التوحيد الـذي هو أول أركان الإيمان الذي هو أساس التكليف، صرح في هذه الآية بثمرة التوحيد وعنوانه الرحمة وديباجة الرضا بالجنة والسعادة الأبدية .. ثم لما أثبت النبوة – ثانية أركان الإيمان – الإعجاز بقوله (**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ**) الخ، أشار بهذه المطوي قبلـها إلى وظيفـة النبـوة ومكلفية النبي وهي الإنذار والتبشير بلسان القرآن"[2].

فأعظم دلائل النبوة القرآن الكريم الذي أعجز الأولين والآخرين يقول عليه الصلاة والسلام: "ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة"[3].

قال ابن حجر في معنى قوله: "إنما كان الذي أوتيتُ وحيًا" : أي أن معجزتي التي تحديت بها هو الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن، ثم لفت –رحمه الله- النظر إلى أنه ليس المراد من الحديث حصر معجزاته صلى الله عليه وسلم في معجزة القرآن الكريم فقال: "بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره صلى الله عليه وسلم"[4].

قال ابن كثير في معنى الحديث: "معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته وهذا القرآن حجة باقية على الآباد لا تنقضي عجائبه "[5]. وأشار إلى هذا المعنى ابن القيم في سياق حديثه عن معجزات الأنبياء فقال: "وأعظمها معجزة كتاب باق غض طري لم يتغير و لم يتبدل منه شيء، بل كأنه متزل الآن، وهو القرآن العظيم"[6].

---

[1] إشارات الإعجاز: ١٤٩.

[2] إشارات الإعجاز: ١٩١.

[3] البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل (١٩٨١)، ومسلم.

[4] فتح الباري : ٦٢٣/٨.

[5] تفسير القرآن العظيم : ٦٧٨/٢.

[6] إغاثة اللهفان : ٣٤٧/٢.

المبحث الثاني: الإعجاز القرآني

إعجـــاز القـــرآن

المعجزة في اللغة: مأخوذ من الفعل " أعجز" قال صاحب القاموس : "أعجز الشيء: فاته وأعجز فلاناً: وجده عاجزاً، وصيره عاجزاً. والتعجيز التثبيط والنسبة إلى العجز[1] .

وفي الاصطلاح: هي أمر خارق للعادة يجريه الله على يد مَن اختاره لنبوته، ويدل على صدقه وصحة رسالته[2]. ويقول النورسي عن الإعجاز: "المعجزة بحد ذاتها تصديق مـــن رب العالمين لدعوى رسوله الكريم أي: كأن المعجزة تقوم مقـــام قـــول الله: صـــدق عبـــدي فأطيعوه"[3].

القدر المعجز من القرآن :

أ - ذهب المعتزلة إلى أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه، أو بكـــل ســـورة برأسها.

ب - ويذهب البعض إلى أن المعجز منه القليل والكثير دون تقييد بالـــسورة لقولـــه تعالى: (**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ**) [الطور: من الآية٣٤]

جـــ - ويذهب آخرون إلى أن الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة، أو قدرها من الكلام كآية واحدة أو آيات.

ولقد و قع التحدي بالقرآن كله (**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**) [الإسراء: من الآية ٨٥]، وبعشر سور (**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُـــوَرٍ مِثْلِهِ**) [هود: من الآية ١٣]، وبسورة واحدة (**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ**) [يونس، مـــن الآيـــة: ٣٨]، وبحديث مثله (**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ**) [الطور: من الآية ٣٤][4].

ويقول النورسي في القدر المعجز: "تحقق عندي أنه ليس القرآن كله معجزة؛ بل كـــل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة"[5].

---

1 القاموس المحيط مادة " عجز " : ٦٦٣ .

2 الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: ص١٦٧.

3 المكتوبات : ١١٤.

4 انظر مباحث في علوم القرآن : ٢٦٤.

5 المكتوبات : ٥٠٨

ولم يقتصر على أن الكلمات معجزة في حد ذاتها بل أضاف: "ليست آيات القرآن ولا كلماتها[1] معجزة وحدها ، وإنما كذلك حروف القرآن"[2].

وليس معنى ذلك أن الحرف في غير سياقة القرآني يكون معجزاً . بما يتولد عنه من المعاني.

ويضرب لإعجاز الكلمة مثلاً فيقول:" قوله تعالى : (**وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ**) [الانبياء: من الآية٤٦] هذه الجملة مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله ولهذا فإن جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول:

فلفظ [لئن] هو للتشكيك، والشك يوحي بالقلة.

ولفظ [مس] هو إصابة قليلة، يفيد القلة أيضاً.

ولفظ [نفحة] مادته رائحة قليلة، فيفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة أي واحدة صغيرة كما في التعبير الصرفي ــ مصدر المرة ــ فيفيد القلة.

ولفظ [عذاب] هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة إلى النكال والعقاب فيشير إلى القلة.

ولفظ [ربك] بدلاً من القهار، الجبار، المنتقم[3] فيفيد القلة أيضاً وذلك بإحساسه الشفقة والرحمة.

وهكذا تفيد الجملة أنه:

إذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة فكيف يكون هول العقاب الإلهي ؟ فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة فيعين كل الآخر فكل يمد المقصد بجهته الخاصة.

هذا المثال الذي سقناه يلحظ اللفظ والمقصد"[4].

---

[1] الأرجح أن تكتب كلماته لأن الضمير (الهاء) يعود على أقرب مذكور وهو القرآن.

[2] المكتوبات : ٥٠٩.

[3] المنتقم ليس من أسماء الله تعالى الحسنى . ولا يطلق على الله تعالى إلا بالتقييد فيقال : المنتقم من المجرمين، كقوله تعالى: {إنا من المجرمين منتقمون}. انظر أعلام السنة المنشورة للحكمي: ٧٠.

[4] الكلمات : ٤٢٧.

ولإثبات إعجاز الحرف يقول: "توضيحاً لمعنى كلمة (**نَعْبُدُ**) وتبياناً لجانب خفي من سرها: تأملت ذات يوم في "ن" المتكلم مع الغير في (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) وتحرى قلبي وبحث عن سبب انتقال صيغة المتكلم الواحد إلى صيغة الجمع (**نَعْبُدُ**) فبرزت فجأة فضيلة صلاة الجماعة وحكمتها من تلك النون، إذ رأيت أنه بسبب مشاركتي للجماعة في الصلاة التي أديتها في جامع بايزيد يكون كل فرد منها بمثابة شفيع لي. ورأيت أن كل فرد من أفراد تلك الجماعة شاهد ومؤيد لما أظهرته من أحكام وقضايا في قراءتي. فولد ذلك عندي الشجاعة الكافية لكي أقدم عبادتي الناقصة وأرفعها مضمومة مع العبادة الهائلة لتلك الجماعة إلى الحضرة الإلهية المقدسة .

وبينما كنت أتأمل في هذا، إذا بستار آخر يرفع، ورأيت أن جميع (مساجد استانبول) قد اتصلت وترابط بعضها ببعض؛ فأصبحت تلك المدينة كهذا الجامع، واستشعرت بشرف أدعيتهم جميعاً بل تصديقهم كذلك. وهناك رأيت نفسي محشوراً في تلك الصفوف الدائرية على مسجد سطح الأرض المتحلقة حلقات حول الكعبة المشرفة فحمدت الله كثيراً وقلت: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) إن لي كل هذه الكثرة الكاثرة من الشفعاء، وممن يرددون معي ويصدقونني في كل ما أقوله في الصلاة.

وقلت: ما دام الستار قد رفع هكذا خيالاً ... وأصبحت الكعبة المشرفة بحكم محراب لأهل الأرض، فلأغتنم إذن هذه الفرصة، ولأدع فيها خلاصة الإيمان التي أذكرها في التشهد وهي، (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) وأسلمها أمانة عند الحجر الأسود. متخذاً الصنوف[1] شهداء عليها. وهنا انكشفت حالة أخرى، إذ رأيت:

أن الجماعة التي انضممت إليها قد أصبحت ثلاث جماعات ودوائر :

الأولى: هي الجماعة الكبرى المؤلفة من المؤمنين الموحدين على وجه الأرض قاطبة.

الثانية: هي جماعة الموجودات كافة حيث (كل قد علم صلاته وتسبيحه) فرأيت نفسي مع صلاتها الكبرى وفي تسبيحاتها العظمى ... وأن ما يسمى وظائف الأشياء وأعمالها، إن هو إلا عناوين عباداتها وعبوديتها.

[1] هكذا والظاهر أن المقصود الصفوف .

فطأطأت رأسي حائراً أمام هذه العظمة قائلاً (الله أكبـــر) وتأملـــت في نفـــسي وفي الدائرة.

الثالثة: ورأيت عالماً يبدأ من ذرات وجودي، وينتهي إلى حواسي الظاهرة فهو عـــالم صغير وصغير ... إلا أنه عظيم جداً يدعو إلى الحيرة والإعجاب وهو عالم ظاهره متنـــاه في الصغر إلا أن حقيقته عظيمة، ووظائفه جليلة نعم رأيت أن كل جماعة من جماعـــات هـــذا العالم منهمكة بوظائف عبوديتها وواجبات شكرها ورأيت أن اللطيفة الربانية التي هـــي في تلك الدائرة في قلبي تردد:

(**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) باسم هذه الجماعة مثلما رددها لساني بنيـــة الجمـــاعتين العظيمتين الأوليين.

والخلاصة: أن (نون) [**نَعْبُدُ**] تشير إلى هذه الجماعات الثلاث وتدل عليها"[1].

موقف النورسي من الإعجاز بالصَّرْفة .

الإعجاز بالصرفة: هو القول بأن الله صرف العرب عن معارضة القرآن على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته مستوى طاقتهم البشرية. فكان انصراف العرب عن معارضة القـــرآن لواحد من ثلاثة :

أولها: أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

ثانيها: أن صارفاً إلاهياً زهدهم في المعارضة فلم تتعلق بها إراداتهم و لم تنبعـــث إليهـــا عزائمهم، فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي.

ثالثها: أن عارضاً مفاجئاً عطل مواهبهم البيانية، وعاق قـــدرتهم البلاغيـــة وســـلبهم أسبابهم العادية إلى المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها[2].

ورغم تهافت القول بالصرفة نجد أن النورسي لم يجزم ببطلان القول بالصرفة بل جعله قولاً مرجوحاً فقط يقول: "هناك مذهبان في بيان إعجاز القرآن:

المذهب الأول: وهو الغالب والراجح، وهو مذهب الأكثرية من العلمـــاء، وهـــو أن لطائف بلاغة القرآن ومزايا معانيه فوق طاقة البشر.

---

[1] المكتوبات : ٥٠٧-٥٠٨ .

[2] انظر : مناهل العرفان : ٤١٤/٢ .

أما المذهب الثاني: وهو المرجوح فهو أن معارضة سورة واحدة من القرآن ضمن طاقة البشر إلا أن الله سبحانه قد منعها عن الخلق ليكون معجزة الرسول ﷺ ويمكن أن يوضح هذا بمثال: إن قيام الإنسان وقعوده ضمن قدرته ونطاق استطاعته، فإن قـال نـبي كـريم لشخص ما لا استطعت من القيام إظهاراً للمعجزة و لم يستطع الشخص من القيام فعلاً فقد وقعت المعجزة.

يطلق على هذا المذهب المرجوح: مذهب الصرفة، أي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي صرف الجن والإنس عن القدرة على المعارضة، فلو لم يصرفهم الله سبحانه عن الإتيان بالمثل لكان الجن والإنس بمقدورهم الإتيان بمثله"[1].

مع أن النورسي يقول إن القول بالصرفة مذهب مرجوح إلا أنه يقول في موضع آخر ما يدل على حجية هذا المذهب عنده: "العلماء الذين يقولون وفق هذا المبحـث لا يمكـن معارضة القرآن حتى بكلمة واحدة هو كلام حق لا مراء فيه، لأن الله سبحانه قد منعهم عن ذلك إظهاراً للإعجاز فلا يستطيعون إذن أن يتفوهوا بشيء للمعارضة ولو أرادوا قول شيء ما للمعارضة فلا يقدرون عليه من غير إرادة الله ومشيئته"[2].

وجوه الإعجاز عند النورسي :

أطال النورسي الحديث عن إعجاز القرآن في رسائله، خاصة في رسالة "المعجـزات القرآنية" و "رسالة الإعجاز" ويلاحظ أن النورسي عدد وجوه إعجاز القـرآن في رسـائله بأعداد مختلفة فمرة يقول إنها أربعون "لقد أثبت في الكلمة الخامـسة والعـشرين المـسماة بالمعجزات القرآنية بالبراهين القاطعة أن أنواع إعجاز القرآن الكريم تبلغ أربعين نوعاً وقـد بين بعض أنواعه مفصلاً حتى إزاء المعاندين، بينما ظلت أنواع أخرى بصورة مجملة"[3].

وفي إشارات الإعجاز قال: "إن التتريل المصدق إعجاز بسبعة أوجه في ثلاثـة عـشر عصراً دعواه عين برهانها". ويتابع ويقول أن أوجه الإعجاز سبعة قال: "إن عدم معارضـة أدباء العرب الذين هم في المقدمة في الأدب ولا سيما الذين لم يـدخلوا في الإسـلام مـع رغبتهم الملحة في المعارضة، وعجزهم عجزاً تاماً أمام وجه واحد وهو الوجه البلاغي بـين

[1] المكتوبات : ٢٤٥-٢٤٦ وانظر إشارات الإعجاز / ١٨٨.

[2] المكتوبات : ٢٤٦.

[3] المكتوبات : ٥٢٢ وانظر ٥٢٣ ، ٢٣٨ ، والكلمات : ٥٣١ .

وجوه الإعجاز السبعة الكبرى للقرآن ..."[1] ويظهر أن الأعداد التي يذكرها النورسي لبيان وجوه الإعجاز ليست للحصر أو أنها كانت في فترات متباعدة من حياته فكلما تأمل القرآن وجد وجوهاً متعددة للإعجاز .

فمن وجوه الإعجاز التي ذكرها النورسي :

إعجاز النظم:

قال عن النظم: "إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن ، لأن الإعجاز يتجلى في نظمه ، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم"[2].

ويقول عن النظم: "إن منشأ نقوش البلاغة إنما هو نظم المعاني دون نظم اللفظ ... فنظم المعاني عبارة عن توخي المعاني النحوية فيما بين الكلمات: أي إذابة المعاني الحرفية بين الكلم لتحصيل النقوش الغريبة"[3].

ويقول: "نظم المعاني هو الذي يشيد بقوانين المنطق وأسلوب المنطق هو الذي يتسلسل به الفكر إلى الحقائق. ونسب الماهيات هي الروابط للنظام الأكمل والنظام الأكمل هو الصدف للحسن المجرد الذي هو منبع كل حسن ... والحسن المجرد هو الروضة لأزاهير البلاغة التي تسمى لطائف ومزايا"[4].

ويؤكد النورسي أن رعاية اللفظ لا تكون على حساب المعنى، لأن المعاني هي المقصودة[5].

وعن سبب اهتمام النورسي بنظم القرآن يقول: "تأمل في خاصية المعجزة الكبرى التي هي خاصية الناطقية التي هي خاصية الإنسانية، وهي الأدب والبلاغة، ثم تدبر في أن أعلى ما يربي روح البشر وألطف ما يصفي وجدانه وأحسن ما يزين فكره وأبسط ما يوسع قلبه إنما هو نوع من الأدبيات. ولأمر ما نرى هذا النوع أبسط الفنون وأوسعها مجالاً وأنفذها وأشدها تأثيراً وألصقها بقلوب البشر حتى كأنه سلطانها فتأمل"[6] .

---

[1] الكلمات : ٥٢٢ .

[2] إشارات الإعجاز : ٢٣.

[3] إشارات الإعجاز : ١١٨.

[4] إشارات الإعجاز : ١١٨.

5 إشارات الإعجاز: ١٢٧.

[6] إشارات الإعجاز : ٢٤٠ .

الإيجـــــاز :

من وجوه الإعجاز عند النورسي أيضاً الإيجاز حيث قال عنه: "إن أهـــم أســـاس في إعجاز القرآن المبين هو الإيجاز بعد بلاغته الفائقة فالإيجاز أهم أســـاس لإعجـــاز القـــرآن وأقواه"[1] .

البـــلاغة والمعنى :

" ذكر أن بيان القرآن في أعلى مرتبة من مراتب طبقات الخطاب وأقسام الكلام[2] وبين النورسي أن بلاغة المعاني في السور المكية تختلف عن السور المدنية لاعتبارات كثيرة منـــها المخاطبين فطبيعة المخاطبين في المكي تختلف عن طبيعة المخاطبين في المدني"[3] .

ومن وجوه الإعجاز عند النورسي **التناسق اللفظي** فهو يقول: "إن هـــذه الكرامـــة الإعجازية ليس من نوع درجة الإعجاز القرآني من حيث البلاغة، لأن البشر في الإعجـــاز القرآني البلاغي يعجز كلياً عن أن يبلغ درجة بلاغة القرآن بسلوكه طريق البلاغة.

أما هذه الكرامة الإعجازية فإنها لا يمكن أن تحصل بقدرة البشر، فالقدرة لا تتـــدخل فيها"[4]. فهو يعتقد أن الألفاظ المتناسقة خطاً ولو مصادفة من خط الكاتـــب تعتـــبر نوعـــاً إعجازياً. وعليه فقد قام الخطاط حافظ عثمان بعمل مصحف خاص بالنورسية يراعي فيـــه تناسق الألفاظ. وقد طالعته فوجدت فيه تكلفاً ظاهراً. يقول النورسي عن هذا: "إن كلمات المصحف المطبوع بخط الحافظ عثمان تتقابل وينظر بعضها إلى بعـــض فمـــثلاً إن كلمـــة (وثامنهم كلبهم) التي هي في سورة الكهف تناظر كلمة (قطمير) التي هي في سورة فـــاطر، فلو ثقبت الصفحات ابتداء من الكلمة الأولى لتبينت الكلمة الثانية بانحراف يسير ولفهم اسم الكلب وكذا كلمة (محضرون) المكررة مرتين في سورة يس[5] نرى احداهما فوق الأخـــرى. وهما يقابلان كلمة (محضرون)، (محضرين) التي في آخر سورة سبأ، فإذا ما ثقبت إحـــداها لظهرت من خلال الصفحات الكلمة نفسها مع انحراف قليل. وكذا كلمة (مثنى) تنظر إلى

---

[1] المكتوبات : ٤٠٧.

[2] انظر الكلمات : ٤٣٩.

[3] انظر الكلمات : ٥٣٠ – ٥٣١ .

[4] المكتوبات : ٤٨٩.

[5] وردت كلمة (محضرون) في سورة (يس) ثلاث مرات الآيات رقم ٣٢، ٥٣، ٧٥.

الكلمة نفسها التي هي في مستهل سورة فاطر والمكررة مرتين ففي القرآن تتكرر كلمة (مثنى) ثلاث مرات وتناظر اثنتان منها ليس موضع المصادفة قطعاً. ولهذا النوع من التناظر والتقابل أمثلة كثيرة جداً في المصحف الشريف حتى أن الكلمة الواحدة تتكرر فيما يقرب من ست مواضع، فإذا أوصل بينها بثقب لتراءت الأخريات بانحراف يسير. ولقد شاهدت مصحفاً خطت الجمل المتناظرة في كل صحائفه المتقابلة بخط أحمر، فقلت آنذاك: (هذه الأوضاع إنما هي أمارات لنوع من الإعجاز) ثم بعد ذلك أخذت أنظر إلى جمل القرآن الكريم فرأيت أن كثيراً منها تتناظر من خلال الصفحات تناظراً ينم عن معنى دقيق.

ولما كان ترتيب القرآن المتداول توقيفياً بارشاد من الرسول ﷺ وقد خطه خطاطون ملهمون، فإن في نقشه البديع وفي خطه الجميل إشارة إلى نوع من علامات الإعجاز، وذلك لأن هذا الوضع لا يمكن أن تكون مصادفة ولا نابعة من نتاج فكر إنسان. فلولا قصور الطبع لطابقت الكلمات المتناظرة مطابقة تامة.

ثم إننا نرى أن في السور المدنية المطولة والمتوسطة تكراراً بديعاً منسقاً للفظ الجلالة (**الله**) فهو في الغالب يتكرر بأعداد معينة إما خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع مرات أو إحدى عشرة مرة فضلاً عن أنه يبين مناسبة عددية لطيفة على وجهي ورقة المصحف والمتقابلتين"[1].

الإعجاز بالتناسق العددي :

نجد أن النورسي في رسائله يتكلف في مسألة التناسق العددي. فرسائله ثلاث وثلاثون رسالة، وقد قام بتفسير ثلاث وثلاثين آية من سورة البقرة، والمكتوبات في رسائله تمثل الكلمة الثالثة والثلاثين من كتاب الكلمات، والمثنوي الذي يعتبر من رسائله المهمة – ربما لأنه كتبها تأثراً بالمثنوي الرومي – هو اللمعة الثالثة والثلاثون من اللمعات[2].

يقول: "إن لفظ الجلالة الله، ورد في مجموع القرآن الكريم ألفين وثمانمائة وست مرات، وورد لفظ الرحمن ـــ مع ما في البسملة ـــ مائة وتسعا وخمسين مرة. وورد لفظ الرحيم مائتين وعشرين مرة. ولفظ الغفور إحدى وستين مرة .... "[3]. ثم ذكر أموراً مبنية على ما

---

[1] المكتوبات : ٢٤١-٢٤٢ .

[2] انظر ما ذكره د . صلاح الخالدي في كتابه البيان في إعجاز القرآن: ٣٥٥-٣٧٧ .

[3] المكتوبات : ٥٢٤.

سبق فقال: "إن لفظ الجلالة (**الله**) مع لفظ الرب الوارد بمعنى الله نصف عدد آيات القرآن ومجموع عدد لفظ الجلالة (**الله**) مع عدد ألفاظ الرحمن والرحيم والعليم مع عدد من لفظ هو في (**لا إله إلا هو**) هو نصف آيات القرآن أيضاً ...."[1]، وهذا الذي يسميه التناسق العددي من التكلف ولعل ذلك من أثر الجفر وعلم الباطن ـــ والله أعلم ـــ.

ويعد النورسي رسائله التي كتبها من معجزات القرآن في هذا الزمان فيقول: "إنه من شأن القرآن الكريم وإعجازه العظيم ومن مقتضى البلاغة المعجزة للسان الغيب أن ترد فيه رموز وإيماءات لجلب الأنظار إلى رسائل النور ـــ التي هي معجزته المعنوية في هذا الزمان ـــ بمثل إختبارات الإمام علي رضي الله عنه والشيخ الكيلاني قدس سره الواردة بطرز إشاري ورمزي حول أهمية رسائل النور وقيمتها"[2].

كما ذكر عدداً من أنواع إعجاز القرآن مثل. الإعجاز الدستوري[3]، إعجاز العلوم والمعارف المختلفة[4] والإعجاز العلمي[5].

---

[1] انظر المكتوبات : ٥٢٤ – ٥٢٦ .

[2] الملاحق / ١٧٩ .

[3] الكلمات : ٤٧٣.

[4] انظر الكلمات : ٢٨٠.

[5] انظر الكلمات : ٢٩٦.

المبحث الثالث: مقاصد القرآن

مقاصـــد القـــرآن

تناول كثير من العلماء القدامى والمحدثين موضوع مقاصد القرآن من هؤلاء أبو حامد الغزالي، وأبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، وفخر الدين محمد الرازي، ومحمد عبده، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الغزالي، ويوسف القرضاوي[١].

ويعرف ابن عاشور المقاصد بقوله: "مقاصد التشريع العامة هـــي المعـــاني والحكـــم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو في معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة"[٢].

ويجعله النورسي الجامعية في القرآن الكريم لأساسات العلم والفكر وكل ما هو مفيـــد صالح للناس من إعجاز القرآن. فالمقصد يكسب إعجاز القرآن قوة وترابطاً، والمقصد قـــد يكون بآية أو كلمة أو حرف. ويجعل النورسي مقاصد القرآن أربعة: التوحيـــد، والنبـــوة، والحشر، والعدل مع العبودية[٣].

ولكن في موضع آخر يخرج توحيد العبودية (الألوهية) من المقصود بالتوحيد، وكذلك يقصر الأساس الرابع على العدل فقط بغير العبودية فيقول:" إن مقاصد القـــرآن الأساســـية وعناصره الأصلية المثبتة في كل جهاته أربعة: إثبات الصانع الواحـــد (الربوبيـــة) والنبـــوة، والحشر الجسماني، والعدل"[٤].

ويقول عن سبب تخصيص هذه الأربعة دون غيرها: "فكما تتراءى هـــذه المقاصـــد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة، بل قد يلمح بها في كلام كلام، بل قـــد يرمز إليها في كلمة كلمة، لأن كل جزء فجزء كالمرآة لكلٍ فكلٍ متصاعداً، كما أن الكـــل يتراءى في جزءٍ فجزء متسلسلاً"[٥].

---

1 انظر المدخل إلى مقاصد القرآن: ٣- ٨، كيف نتعامل مع القرآن: ٢٤.

2 انظر التحرير والتنوير لابن عاشور: ٤١/١ [الطبعة التونسية دار سحنون] .

3 انظر الكلمات: ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٥٣٣ ، الشعاعات : ٣١٠ .

4 صيقل الإسلام : ٢٩، ٨١ ، ١٢٠.

5 إشارات الإعجاز : ٢٤.

وعن كيفية تطبيق هذه المقاصد الأربعة في قوله تعالى:(**بِسْمِ اللَّهِ**) وفي (**الْحَمْدُ لِلَّـــهِ**) يقول:"لما أنزل (**بِسْمِ اللَّهِ**) لتعليم العباد، كان (**قُلْ**) مقدراً فيه.وهو الأم في تقدير الأقـــوال القرآنية".

فعلى هذا يكون في (**قُلْ**) إشارة إلى الرسالة. وفي (**بِسْمِ اللَّهِ**) رمز إلى الألوهية، وفي تقديم الباء تلويح إلى التوحيد[1]. وفي الرحمن تلميح إلى نظام العدالة والإحسان وفي (**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) إيماء إلى الحشر.

وكذلك في (**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) إشارة إلى الإلوهية، وفي لام الاختصاص رمز إلى التوحيـــد، وفي (**رَبِّ الْعَالَمِينَ**) إيماء إلى العدالة والنبوة أيضاً لأن بالرسل تربية نوع البشر، وفي (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) تصريح بالحشر .

حتى أن صدف(**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**) يتضمن هذه الجواهر، هذا مثال فانـــسج علـــى منواله"[2].

ويقول مؤكداً ما سبق: "إن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المثبتة في كـــل جهاته أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل . أي أن القرآن هو وحده الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها الحكمة (الفلسفة) من الكائنات: من أيـــن ؟ وبأمر من تأتون ؟ من سلطانكم ودليلكم وخطيبكم ؟ ما تصنعون ؟ وإلى أين تـــصيرون ؟ ولهذا فذكر الكائنات في القرآن الكريم ـــ مما سوى المقاصد ـــ إنما هو ذكر استطرادي لبيان طريق الاستدلال على الصانع الجليل بانتظام الصفة. نعم الانتظام يشاهد؛ بل يظهر نفـــسه بكل وضوح. فالصنعة المنتظمة تشهد على وجود الصانع وعلى قصده وإرادته شهادة صادقة قاطعة، إذ تتراءى في كل جهة من جهات الكون وتتلألأ من كل جانب وتعرض جمال الخلق إلى أنظار الحكمة. حتى لكأن كل مصنوع لسان يسبح بحكمة صانعه، كل نـــوع يـــشهد مشيراً بأصبعه إلى حكمة الصانع"[3].

ويجمع النورسي المقاصد الأربعة الأساسية مع غيرها في مقصد واحد عام هو الإرشاد: "إن المقصود الأهم من الكتاب الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية النـــاس لأن

---

[1] قال (حيث يفيد الحصر) .

[2] إشارات الإعجاز : ٢٤ .

[3] صيقل الإسلام : ٢٩.

خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام، بينما العوام لا يستطيعون فهم ما يخاطب به الخواص حق الفهم"[1]. ويزيد الأمر وضوحاً بقوله: "إن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها ووظائف دائرة العبودية وأحوالها" [2]. والقرآن كان المقصد الأعظم له هو التوحيد بمعنى توحيد المعبود وما ذكر سواه فإنما هو تبع له. كالدعوة لتزكية النفس، وتكوين الأسرة الصالحة وحماية الحقوق وصيانتها وبناء الأمة وغيرها.

وكما أن للقرآن عند النورسي مقاصد مبثوثة في سوره وآياته وحروفه فإنه يقول: "إن هذه المقاصد المبثوثة في القرآن تفسر سبب التكرار فيه، ولأنه لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره، لا سيما الطويلة حتى صارت كل سورة قرآناً صغيراً[3]"[4] فسهل السبيل لكل أحد. وينادي مشوقاً (**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**) [القمر:١٧] .

[1] صيقل الإسلام : ٥٩ .

[2] الكلمات : ٢٩٣ .

[3] لا يقال: قرآن صغير ، بل مصحف صغير، فينصرف التصغير إلى الأوراق لا إلى كلمات القرآن.

[4] المكتوبات: ٢٦٨.

الفصل الرابع : الإيمان بالرسل.

وفيه ثلاثة مباحث:

مقدمة:

المبحث الأول:تقريرهم الإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: دلائل إثبات النبوة.

المبحث الثالث: إثبات النبوة بالأدلة العقلية.

مقدمة:

تعريف النبوة :

النبي في اللغة: مأخوذ من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أو أن اشتقاقه من نبأ وأنبأ بمعنى أخبر، كما في قوله تعالى:(**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ**)[النبأ:١ – ٢]، والنبي بدون همز يأتي بمعنى : الطريق[١] .

قال ابن حجر:" ولغة قريش ترك الهمز، إما تسهيلاً، وإما مشتقاً من النبوة، وهو "الارتفاع"[٢]، والنبوة الشرعية تشمل كل المعاني السابقة . إلا أن أولى المعاني هو معنى النبأ لأن النبي منبأ من الله تعالى، وهو ينبئ الناس عن الله.

والرسول لغة : مشتق من الإرسال، ومعناه البعث والتوجيه والامتداد: يقال أرسلت فلاناً في رسالة أي بعثته : فهو مُرْسَلٌ ورسول ، ويجمع على أرسل ورسل ورسلاء فأصل الرسل الانبعاث على التؤدة . قال تعالى حكاية عن ملكة سبأ : (**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**) [النمل:٣٥] .

وقد سمي الرسل بذلك لأنهم مبعوثون وموجهون من قبل الله عز وجل، لتبليغ الخلق أمر الله ووحيه[٣] .

أهمية النبوة : ليس للناس غنى عن النبوة . فحاجتهم إلى الرسل والأنبياء أشد من حاجتهم إلى كل شيء، يقول ابن تيمية:"الرسالة ضرورية للعباد، لابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، الرسالة روح العالم، ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينالها من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات قال الله تعالى: (**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**)[الأنعام: من الآية١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان

---

[1] انظر لسان العرب ، مادة (نبأ) ١٦٢/١ ــ ١٦٣ ، ومادة (نبأ) ١٦٢/١٥ ، وانظر معجم مقاييس اللغة مادة (نبو) ٣٨٤/٥–٣٨٥ / والصحاح للجوهري ٧٤/١ تهذيب اللغة ٤٨٦/١٥ المفردات للأصفهاني ٤٨١–٤٨٢ .

[2] انظر هدي الساري : ١٩٢.

[3] انظر المفردات: ١٩٥، القاموس المحيط مادة (رسل)١٣٠٠ ولسان العرب ٢٨٤/١١ والصحاح للجوهري ٧٤/١.

ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس وأما الكافر فميت القلب في الظلمات"[1].

ويقول ابن القيم: "ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح، لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهو الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها فأي ضرورة وحاجة فرضت،فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"[2].

ويقول النورسي عن أهمية النبوة: "هل يمكن ألا يبين مالك هذا الكون بوساطة رسول: وما الغاية من تحولات هذا الكون ؟ وما القصد من هذا الطلسم المغلق ؟ وأن لا يجيب بوساطته عن ألغاز الأسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات، وهي من أين ؟ وإلى أين ؟ ومن تكون ؟ أم هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرف نفسه إلى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة، وحببها إليهم بنعمه الغالية، أن لا يبين لهم بوساطة رسول ما يريد منهم وما يرضيه إزاء هذه النعم السابقة ؟ أم هل يمكن للخالق الذي ابتلى النوع الإنساني باختلاف المشاعر والاتجاهات، وهيأ استعداده للعبودية التامة الكلية، أن لا يطلب توجيه أنظار هذا النوع من الكثرة إلى التوحيد بوساطة مرشد مرسل"[3]، "فإنه لما لم يكف ميل الإنسان الطبيعي وسوق إنسانيته، وقصر نظره، واختلاط الأوهام في طريق عقله احتاج البشر أشد الحاجة إلى مرشد ومعلم .. فذلك المرشد هو النبي ﷺ .

ثم تدبر في الجهة الثانية: إن اللاتناهية المغروزة في الإنسان، وميله إلى التجاوز في طبيعته، وعدم تحدد قواه، وعدم انضباط آماله هذه اللاتناهية في الميول والآمال لا يسعها

---

[1] مجموع الفتاوى : ٩٣/١٩ وانظر كلام ابن القيم في مفتاح دار السعاة ٢/٢ .

[2] زاد المعاد ٦٩/١ .

[3] الكلمات : ٦٢-٦٣.

قانون البشر الذي لا ينطبق على قامة استعداده النامية كثمرة لميله إلى الترقي الذي هو غصن من شجرة ميل الاستكمال في العالم .

فعدم[1] كفاية هذا القانون البشري الحاصل نتيجة تلاحق الأفكار والتجارب التدريجية لإنماء بذور ثمرة استعدادات الإنسان، احتاج إلى شريعة إلهية حية خالدة تحقق لـه سـعادة الدارين معاً مادة ومعنى، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها ... فالذي أتى بالـشريعة هو محمد ﷺ"[2] .

"فالقوة الإلهية التي لا تترك النمل من دون أمير، والنحل من دون يعسوب، لا تتـرك حتى البشر (دون نبي) ومن دون شريعة، نعم هكذا يقتضي سر نظام العالم"[3].

حقيقـة النبـوة :

النبوة عند المتكلمين هي مجرد تعلق خطاب الله بالنبي وهو قولـه لنبيـه:{ إنـك رسـولي ونبيـي}[4] وقد ذكر ابن تيميه أقوال الناس في حقيقة النبوة وأنها على ثلاثة أقوال:

١. أنها مجرد صفة قائمة بنفس النبي وهو قول الفلاسفة .
٢. أنها مجرد تعلق خطاب الله بالنبي إنك رسولي ونبيي وهو قول المتكلمين مـن الأشاعرة ونحوهم .
٣. أنها مجموع من الأمرين. وهو قول الجمهور وهو الذي عليـه أهـل الـسنة والجماعة[5].

فالنبوة عند المتكلمين ليست صفة راجعة إلى ذات الرسول ، بل هي صفة إضافية يقول الآمدي: "ليست النبوة معنى يعود إلى ذات من ذاتيات النبي، ولا عرض من أعراضه استحقه بكسبه وعلمه، ولا العلم بربه، فإن ذلك مما يثبت قبل النبوة، ولا علمه بنبوتـه، إذ العلـم

[1] هكذا ، والأنسب أن يقال (فلعدم لإفادة التعليل) ، أنظر المعجم المفصل في النحو العربي ج٢ / ٨٧١.

[2] صيقل الإسلام : ١٣٨-١٣٩.

[3] انظر الكلمات : ٨٤٣.

[4] انظر غاية المرام في علم الكلام :٣١٧.

[5] انظر الصفدية :٢٢٥/١.

بالشيء غير الشيء فليست إلا موهبة من الله تعالى وهو قوله لمن اصطفاه واجتباه : إنك رسولي ونبيي"[1].

وقد وافق سعيد النورسي المتكلمين في حقيقة النبوة حيث يقول: المعجزة بحد ذاتها تصديق من رب العالمين لدعوى رسوله الكريم، أي كأن المعجزة تقوم مقام قول الله: { صدق عبدي فأطيعوه } والصحيح أن النبوة صفة ثبوتية قائمة بذات النبي وصفة إضافية هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنبوة قد قال طائفة من الناس إنها صفة في النبي وقال طائفة ليست صفة ثبوتية في النبي، بل هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به، يقول الرب إني أرسلتك فهي عندهم صفة إضافية، كما يقولونه في الأحكام الشرعية أنها صفات إضافية للأفعال لا صفات حقيقة .

والصحيح أن النبوة تجمع هذا وذاك، فهي تتضمن صفة ثبوتية في النبي وصفة إضافية هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به ، بقول الرب : إني أرسلتك "[2] .

ويقول ابن القيم رداً على المتكلمين في حقيقة النبوة: " النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي ، بل هي تعلق الخطاب الأزلي بالنبي والتعلق عندهم أمر عدمي ، فعادت النبوة عندهم إلى أمر عدمي ، وقد صرحوا بأنها لا ترجع إلى صفة ثبوتية قائمة بالنبي "[3] .

---

[1] انظر غاية المرام في علم الكلام : ٣١٧.

[2] النبوات : ٤٠٧-٤٠٨.

[3] الصواعق المرسلة : ٧٢٧/٢-٧٢٨ ، وانظر ٩٨٧.

المبحث الأول: تقريرهم الإيمان بالرسل.

تقريرهم الإيمان بالرسل ، وفيه المسائل التالية:

أولاً : عصمـــة الأنبيـــــاء :

العصمة في اللغة: المنع[1].وسميت العصمة عصمة لأنها تمنع صـــاحبها مـــن ارتكـــاب المعاصي[2].

وفي الإصطلاح : ملكة إلهية تمنع الإنسان من فعل المعصية والميل إليها مـــع القـــدرة عليها[3]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه، وأمـــا العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع. والقول الذي عليه جمهور النـــاس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف. إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً[4].

ويقول: "والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً ، والرد على من يقول إنه يجوز إقـــرارهم عليهـــا ، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول "[5] .

والنورسي يقرر العصمة للأنبياء في العموم يقول عمن يقبل الروايات دون تمحيص : " لكن لو قبل بتلك التفصيلات كما ورد في التوراة والإنجيل المحرفين فإنها تخالف عـــصمة الأنبياء التي يعتقد بها أهل السنة والجماعة، والشاهد على هذا قصة لـــوط وداود عليهمـــا السلام"[6]. وهو يعتقد بالعصمة المطلقة من الذنوب صغيرها وكبيرها لأن الذنوب ــ كمـــا يراها ــ لا تناسب مقام النبوة. وهذا القول قالت به الرافضة ــ الإمامية ــ حيث قالوا إن مقام النبوة يقتضي ألا يقع من الأنبياء سهو ولا خطأ ، ولا خوف ولا غير ذلك"[7] . يقـــول

---

[1] تهذيب اللغة : ٥٤/٢ ، والصحاح مادة عصم .

[2] الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٩ .

[3] التعريفات : ١٥٠.

[4] انظر مجموع الفتاوى٢٨٩/١٠-٢٩٣ وانظر ٣١٩/٤ وما بعدها ، ١٤٧/١٥- ١٤٨ وانظر شرح النووي ٥٣/٣ وانظر أحكام القرآن لابن العربي ٥٧٦/٣ والبحر المحيط : ١٤/٦ ، ٥٤/٨ حيث ذكر الأقوال في عصمة الأنبياء .

[5] انظر مجموع الفتاوى : ٢٩٣/١٠ .

[6] انظر صيقل الإسلام : ٨٠ . انظر النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم : ١ــ٣٥٨ فتح الله كولن دار النيل القاهرة

[7] انظر عقائد الإمامية : ٧٩.

النورسي عند قوله تعالى : **(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**)[الفتح:من الآية٢] المغفرة هنا ليست مغفرة ذنوب حقيقية لأن في النبوة العصمة ، فلا ثمة ذنب ، وإنما هي بشرى المغفرة بما يناسب مقام النبوة"[1]. ويقول فتح الله كولن في قوله تعالى : **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)**[طه: من الآية١٢١] أن كلمة عصى لا تشير إلى معنى العصيان ، فالله يحفظ أنبيائه من الخطأ والزلل [2].

وهذا خلاف ما جاءت النصوص به فمن ذلك قوله تعالى : **(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)**[طه: من الآية١٢١] وقوله تعالى : **(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** [لأعراف:١٥٠]

قال ﷺ : (ليس الخبر كالمعاينة إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل ، فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقي الألواح فانكسرت)[3].

ويقول تعالى عن داود عليه السلام: **(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ)** [صّ: ٢٤– ٢٥]. وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه السلام : **(لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)** [الانبياء: من الآية٨٧]. وغير ذلك مما يطول به المقام مما يدل على أن الأنبياء غير معصومين من صغائر الذنوب، وأنه لا يقرون الذنب بعد وقوعه .

ومما ذكره النورسي في موضوع العصمة أن غير الأنبياء قد يكونون معصومين كالشيوخ يقول في ذلك: "لقد أعطتني تجاربي الخاصة القناعة التامة أن رزق الصغار مثلما

---

[1] اللمعات : ٤٥.

[2] النور الخالد : ١٧٢ ، فتح الله كولن – دار النيل للطباعة والنشر باسطنبول .

[3] أخرجه أحمد: ٢٧١/١، انظر صحيح الجامع الصغير ٨٧/٥.

يأتي بناءً على عجزهم، وترسله الرحمة الإلهية[1] لهم بشكل خارق فتفجر ينـــابيع الأشـــداء وتسيلها لهم سيلاً، فإن رزق الشيوخ المؤمنين الذين اكتسبوا العصمة يرسل إليهم من قبـــل الرحمة على صورة بركة "[2] .

والقول بعصمة غير الأنبياء لم يقله أهل السنة والجماعة؛ إنما هو المشهور من كـــلام الباطنية أتباع " المعز لدين الله الفاطمي " حيث يزعم أتباعه أنه معصوم هـــو وأولاده مـــن الذنوب والأخطاء. وبهذا الزعم أرادوا إضلال الناس بتنصيب هذا الطاغية في مقام النبـــوة . وهؤلاء ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض[3].

وذهبت مثلهم الاثنا عشرية في نسبة العصمة المطلقة لأئمتهم يقـــول أبـــرز قـــادهم المعاصرين "الأئمة لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد منهم الإحاطة بكـــل مـــا فيـــه مصلحة المسلمين"[4] بل من لم يقل بعصمة أئمتهم فهو كافر : " فمن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ، ومن جهلهم فهو كافر "[5] .

كما أخذ الصوفية مسألة عصمة الولي من الشيعة الذين يتولون بعض الأئمة، ولكنهم قد يسمونها الحفظ للولي،

ثانياً : حقيقة الإسراء والمعراج :

أي هو الإسراء به – ﷺ – من مكة إلى بيت المقدس ثم العروج به – ﷺ – مـــن بيت المقدس إلى السماء .

والمعراج : مفعال من العروج أي : الآلة التي يعرج فيها أي يصعد وهو بمنزله السلم، لكن لا يعلم كيف هو إلا الله[6]. قال تعالى : **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَـــا إِنَّـــهُ هُـــوَ الـــسَّمِيعُ**

---

[1] لا يجوز أن يضاف الرزق إلى الصفة دون الموصوف،والواجب القول يرسلها الله برحمته انظر معجم المناهي اللفظية: ١٨٠

[2] اللمعات : ٣٦٢.

[3] انظر مجموع الفتاوى :٣٢٠/٤.

[4] الحكومة الإسلامية :٩١ للخميني.

[5] عقائد الإمامية : ١٥٧، للمظفر محمد رضا.

[6] انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد : ٢٠٢.

الْبَصِيرُ)[الاسراء:١].

حيث صعد – ﷺ – إلى السموات العلا ورأى آيات ربه الكبرى. ثم صعد إلى سدرة المنتهى حيث كلمه ربه وقربه، وحديث الإسراء صحيح بل هو مما تواترت به كتب السنة[1] .

والنورسي في مواضع من كلامه يرى المعراج عبارة عن أمر معنوي ليس صعوداً إلى السماء بالجسد والروح، فيقول تعريفاً للعروج حينما سئل : ما حقيقة المعراج ؟ قال : " إنها عبارة عن سير الذات الأحمدي وسلوكه ﷺ في مراتب الكمال"[2] هذا ويقول أيضاً: "إن حقيقة المعراج هو السير والسلوك والمقابلة"[3] ويكون ذلك بمشاهدة وظائف عبودية متنوعة لجميع الطبقات، ولأجل أن يكون داعياً إلى الله سبحانه فلابد أن يكون هناك سير في تلك الطبقات سلوك في تلك الدوائر إلى أن يدخل في العرش الأعظم الذي هو عنوان دائرته العظمى سبحانه وتعالى ويدخل في " قاب قوسين " أي يدخل في مقام بين الإمكان والوجوب المشار إليه بـ " قاب قوسين " ويقابل الذات الجليلة الجميلة "[4] .

ويربط النورسي بين أسماء الله تعالى وطبقات السموات التي قابل فيها نبينا محمد ﷺ إخوانه الأنبياء يقول: "هناك اسم إلهي وعنوان إلهي هو الحاكم المهيمن في كل طبقة من طبقات المخلوقات وفي كل سماء منها، وتكون سائر العناوين ضمنه، فمثلاً: في أي سماء قابل سيدنا عيسى عليه السلام المتشرف باسم "القدير" سيدنا الرسول ﷺ فالله سبحانه وتعالى متجلٍ في دائرة ملك السماء بالذات بعنوان "القدير"؛ ومثلاً إن عنوان "المتكلم" الذي تشرف به سيدنا موسى عليه السلام هو المهيمن على دائرة السماء التي هي مقام سيدنا موسى عليه السلام.

[1] انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني: ٢٠٧- ٢٠٨ [دار الكتب السلفية- مصر ت: شرف حجازي].

[2] الكلمات : ٦٧٢ يقول ابن القيم فيمن نفى العلو لله ذاتا أن ذلك يلزمهم التكذيب بمعراج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه ودنوه منه، حتى كان قاب قوسين أو أدنى وتردده بين موسى وبين ربه مراراً ، كل ذلك لا حقيقة له عندهم كما صرح به أفضل متأخريهم وملك مناظريهم في كلامه على المعراج وجعله خيالاً لا حقيقة له انظر الصواعق المرسلة ١٤٢٨/٤

[3] انظر الكلمات :٦٧٦.

[4] انظر الكلمات : ٦٧٥. أنظر أسئلة العصر المحيرة :١٨

وهكذا فالرسول الأعظم ﷺ ، لأنه قد حظي بالاسم الأعظم ولأن نبوته عامة شاملة، وقد نال جميع تجليات الأسماء الحسنى فإن له علاقة إذن مع جميع دوائر الربوبية: فلابد أن حقيقة معراجه تقتضي مقابلته الأنبياء وهم ذوو مقام في تلك الدوائر مروره من جميع الطبقات"[1]. وهذا التفسير المعتمد على مجرد الظن والرأي هو الذي يجعل النورسي أيضاً يسقط في الادعاء حيث يقول: "إن الرسول عرج بروحه وجسده في أربعين دقيقة"[2].

فهل كلام النورسي عن طبقات السموات السابق أو تحديد أربعين دقيقة للمعراج له مستند من كتاب أو سنة أم أنه ظن ورأي رآه فوافقه عليه مريدوه. قال تعالى: **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[البقرة: من الآية١١١] وإلا فلو كان الأمر كما يراه النورسي لجاء من قال: إن المعراج في خمسين دقيقة وآخر يقول مئة دقيقة .

ويلاحظ أن رقم الأربعين له دلالاته عند كثير من المتصوفة[3] سواء كان في التعلم أو العمل وتشتد خطورة هذا المنهج إذا انسحب على بقية الأصول الشرعية أو أدى إلى انحرافات أشد. فهو يقول عن معراجه ﷺ أنه: "رقى إلى العرش بسلم المعراج وشاهد ببصره بعين اليقين – في مقام قاب قوسين[4] أو أدنى – أعظم حقائق الإيمان وهو الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، ودخل الجنة وشاهد السعادة الأبدية، وفتح باب الجادة الكبرى وتركه مفتوحاً ليمضي جميع أولياء أمته بالسير والسلوك الروحاني أي بسير روحاني وقلبي في ظل ذلك المعراج كل حسب درجته"[5]وبما أن النورسي يقول إن الرسول عرج به إلى السماء بروحه وجسده وإنه عليه السلام ترك الباب مفتوحاً ليعرج بأولياء أمته فهذا يدل على أن الأولياء – عنده – يعرجون إلى السماء ويدخلون من ذلك الباب المفتوح. وهذا فتح كبير لأبواب

---

[1] الكلمات : ٦٧٤.

[2] المكتوبات : ٣٩٥/٤.

[3] انظر الفتاوى الكبرى: ٤٠٠/٢ [دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٨هـ بيروت].

[4] مقام قاب قوسين عند الصوفية هو مقام القرب الاسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي المسمى دائرة الوجود كالإبداء والإعادة والنزول والعروج والفاعليه والقابلية وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التميز والاثنينية المعبر عنها بالاتصال ولا مقام أعلى من هذا المقام إلا مقام "أو أدنى" وهو أحدية عين الجمع الذاتية المعبر عنه بقوله "أو أدنى" لارتفاع التميز والاثنينيه الاعتبارية هناك بالفناء المحض و الطمس الكلي للرسوم كلها. انظر اصطلاحات الصوفية:١٥١

[5] المكتوبات : ٣٩٥-٣٩٦ .

من الضلالة. حيث إن ا لإسراء والمعراج خصيصة من خصائص نبينا ﷺ لا يشاركه فيه نبي فضلاً عن الأولياء. يقول شيخ الإسلام ابن تيميه عن ذلك: "وهذا الذي يوقع طوائف في بيداء الضلالات فيطلب أحدهم ما لا يصلح إلا للأنبياء فضلاً أن يصلح لمثله حتى يقع فيما هو من جنس حال أعظم المبتدعة بل حال الكفار والمنافقين "[1] .

يذكر شيخ الإسلام ابن تيميه: "أن بعض مشايخ الصوفية كان يأمر بعض مريديه بتكرار اسم الجلالة مفرداً، فإذا اجتمع قلبه ألقي عليه حالاً شيطانياً فيلبسه الشيطان ويخيل إليه أنه قد صار إلى الملأ الأعلى، وأنه أعطي ما لم يعطه محمد ﷺ ليلة المعراج، ولا موسى عليه السلام يوم الطور"[2] بل منهم من يقول إن الله أوحى إلى أهل الصفة في الباطن ما أوحى إليه ليلة المعراج فصار أهل الصفة بمترلته[3] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن النبي ﷺ إنما أسرى به الله عز وجل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته الكبرى . وكان هذا من خصائصه فليس لمن بعده مثل هذا المعراج ، ولكن الشيطان يخيل إليه معارج شيطانية كما خيلها لجماعة من المتأخرين ... المقصود أن يعرف أن الصحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء . فما ظهر فيمن بعدهم مما يظن أنها فضيلة للمتأخرين ولم تكن فيهم فإنها من الشيطان وهي نقيصه لا فضيلة سواء كانت من جنس العلوم أو من جنس العبادات ، أو من جنس الخوارق والآيات أو من جنس السياسة والملك "[4].

قال ابن القيم :

وإليه قد عرج الرسول حقيقة   لا تنكروا المعراج بالبهتان

---

[1] انظر بغية المرتاد : ٣٩٠/١ .

[2] مجموع الفتاوى : ٣٩٦/١٠-٣٩٧ .

[3] انظر مجموع الفتاوى : ١٦٥/١١ وانظر لخرافات الفلاسفة كذلك في المعارج ٢٣٧/١٣ وخرافات الرافضة الإمامية كذلك في منهاج السنة ٣٩/٥ .

[4] انظر مجموع الفتاوى : ٣٩٤/٢٧ .

ودنا من الجبـــار جل جلالـــه	ودنا إليه الرب ذو الإحسان[1]
والله قد أحصـــى الذي قلتـــم	في ذلك المعـــراج بالمـــيـــزان
قلتـــم خيـــالاً أو أكاذيبـــاً	أو المعراج لم يحصل إلى الرحمن
إذ كان ما فوق السموات العلى	رب إليـــه منتـــهى الإنسان[2]

ثالثاً : عــــــم النبي ﷺ (أبو طالب) :

في الصحيحين أن العباس بن عبد المطلب سأل رسول الله ﷺ : " ما أغنيت عـــن عمك فو الله كان يحوطك ، ويغضب لك ، قال : هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :"فإذا كان في الكفار من خف كفره بـــسبب نـــصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب بالكليـــة كمـــا في صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب ... وذكر الحديث "[4] .

في سؤال للنورسي : ما أصح الأقوال بحق عمه أبي طالب ؟ قال : " إن الشيعة قائلون بإيمانه، أما أهل السنة فإن أكثرهم ليسوا قائلين بإيمانه ولكن الذي ورد إلى قلبي هـــو الآتي : أن أبا طالب كان يحب شخص الرسول ﷺ حباً خالصاً جاداً ، يحب ذاته لا رسالته .

فلاشك أن محبته الخالصة جداً وشفقته القوية لشخص الرسول ﷺ لا تذهب هبـــاء منثوراً ، ولا تضيع عند الله .

نعم إن أبا طالب الذي أحب حبيب رب العالمين حباً خالصاً وحماه من الأعداء وأظهر موالاته له حتى لو صار إلى جهنم لعدم إظهاره إيماناً مقبولاً – خجلاً وعصبية وقومية وأمثالها

---

[1] الصحيح ان الضمير في قوله تعالى { ثم دنا فتدلى } يعود على جبريل عليه السلام لا على الله تعالى يؤيـــد ســـياق الآيات انظر تفسير ابن كثير لسورة النجم عند قوله تعالى { ثم دنا فتدلى }. انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٨، تفسير ابن كثير : ٥/١.

[2] شرح قصيدة ابن القيم : ٤٤٦/٢ .

[3] البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (٣٨٨٣)، مسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبي صـــلى الله عليه وسلم لأبي طالب (٣٥٨).

[4] مجموع الفتاوى ١٤٤/١ ، ١١٧ وانظر ٣٢٧/٤ ، ١٩٢/١٨ ومنهاج الـــسنة ٣٥٢/٤. ومفتـــاح دار الـــسعادة ٢٤٦/١ ، شفاء العليل ٢٥٥/١ ، الرد على البكري ١٥٤/١.

من المشاعر وليس عناداً وإنكاراً – فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق جنة خاصة به في جهنم ثواباً لحسناته، ويبدل جهنمه الخاصة إلى جنة خاصة، بمثل ما يخلق أحياناً ربيعاً زاهياً في الشتاء القارس ، وبمثل ما يحول السجن الضيق — برؤيا يراها بعضهم — إلى قصر منيف "[1] .

مما سبق يتضح مدى بعد النورسي عن ادعائه المتكرر بالتزام طريق القرآن والسنة فهذه مسألة نزلت فيها آيات من القرآن الكريم، ووردت فيها أحاديث في كتب الصحيح، وعلى رأسها صحيحا البخاري ومسلم. والمحبة المعتبرة شرعاً هي المحبة الشرعية لا محبة ذات النبي ﷺ فقط دون الإيمان بما جاء به الشرع. وأما قوله إن أكثر أهل السنة على القول بعدم إيمانه. غير صحيح بل قد انعقد الإجماع على عدم الاستغفار لأبي طالب وحرمته ، وعلى عدم التصدق على روحه[2] .

رابعاً : حكمه على والدي رسول الله ﷺ :

وعن والدي النبي ﷺ وهل ماتا كافرين ؟ يعترف بقلة اطلاعه على كتب السنة بل إنه يفتخر بذلك على إعتبار أن القرآن يكفيه . فكان من نتائج هذا تخبطه في كثير من القضايا المحسومة في أحاديث النبي ﷺ ومنها مسألة إيمان والدي النبي ﷺ. حيث يقول جواباً عمن سأله عن إيمان والدي الرسول ﷺ: "إن سعيداً الجديد لا يقتني أي كتاب كان غير القرآن الكريم منذ عشر سنوات، ويقول: حسبي القرآن كتاباً، ولا يسعني الوقت للتدقيق والبحث في مثل هذه المسائل الفرعية في جميع كتب الأحاديث كي أتمكن من الوصول إلى أقوى الأخبار وأصحها. إلا أنني أقول:

إن والدي الرسول الكريم ﷺ من أهل النجاة ومن أهل الجنة، ومن أهل الإيمان فلاشك أن الله سبحانه وتعالى لا يؤلم قلب حبيبه ﷺ ولا يجرح شفقته اللطيفة التي تملأ ذلك القلب المبارك فإن قيل: إن كان الأمر كذلك فلم لم يوفقوا للإيمان و لم يدركوا بعثته ﷺ ؟ الجواب: إن الله سبحانه وتعالى بكرمه العميم لا يجعل والدي الرسول الحبيب ﷺ

[1] المكتوبات : ٤٩٩.

[2] انظر الموسوعة الفقهية : ٦٧/٨.

تحت ثقل المنة تلطيفاً لشعوره ﷺ إذ اقتضت رحمته سبحانه أن يرضي حبيبه الكـــريم ﷺ ويسعد والديه ويجعلهما تحت منة ربوبيته الخالصة ، لكيلا يترلهما من مرتبة الوالدية إلى مرتبة الأولاد المعنوية فلذلك لم يجعل والديه ولا جده من أمتـــه ظاهراً في حين أنعم عليهما مزايا الأمـــة وفضائلها وسعادهما "[1] .

ولأن النورسي لا يملك في هذه المسألة دليلاً يعقب بضرب الأمثلة لتقريب ما رآه.

ويتابعه تلميذه فتح الله كولن في هذا فيقول عن أهل الفترة قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الإجماع منعقد على أهم سينالون عفو الله ومغفرته حتى وإن لم يعرفوا الله تعالى ولم يتوصلوا للإيمان به ، لذا فوالد الرسول صلى الله عليه وسلم ووالدتـــه ســـينالان المغفرة إن شاء الله لكوهما من أهل الفترة "[2] . وعما ورد عند الإمام مـــسلم في صـــحيحه :"إن أبي واباك في النار " يقول : "إن هذا الجواب كان صحيحاً في زمنه ، حيث يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب إلى قبر أبويه ودعى الله تعالى أن يقبلهما ضمن أمتـــه ، وأن الله تعالى استجاب لدعائه فآمن والده ودخل الجنـــة ضـــمن أمتـــه "[3] . ثم يقـــول : "والصحيح أنه لا حاجة – للإجابة على هذا السؤال – لاستناده إلى هذا الحديث ذلك لأنه لا يوجد دليل ما على قيام أي من الوالدين المحترمين للرسول صلى الله عليه وسلم بعبـــادة الأصنام ... ثم هل يمكن تصور أن الله سبحانه وتعالى سيضيع والدي النبي صلى الله عليـــه وسلم وكانا هما السبب والوسيلة في ظهور الجسد المادي للرسول صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا"[4]

---

[1] المكتوبات : ٤٩٨-٤٩٩.

[2] أسئلة العصر المحيرة : ٢٣٦ .

[3] المرجع السابق : ٢٣٦ . للسيوطي رسالة في كتابه الحاوي (٢/٤٠٢- ٤٤٤) يزعم فيها نجاة والدي رســـول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يرد ما في مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي ؟ قال: في النار فلما قفـــى ادعاه فقال: إن أبي وأباك في النار. كتاب الإيمان، باب: بيان أن مَن مات على الكفر فهو في النار لا تناله شفاعة ولا تنفعة قرابة المقربين. (٢٠٣).

[4] نفس المرجع السابق والصفحة.

وأما عن والدي نبينا ﷺ فقد صح عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أيـــن أبي ؟ قال : في النار فلما مضى دعاه فقال: " إن أبي وأباك في النار"[1].

وعند مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي"[2].

خامساً : خالد بن سنان ، وحنظلة بن صفوان :

كتب كثير من العلماء عن خالد بن سنان[3] وحنظلة بن صفوان الرسي[4] وعن حقيقـــة كونهما من أنبياء العرب بعد عيسى عليه السلام وقد سئل النورسي : هل أرسل أحد بالنبوة من أجداد النبي ﷺ ؟

فأجاب : " ليس هناك نص قاطع على وجود نبي من أجداده ﷺ بعد سيدنا إسماعيل عليه السلام ، ولكن ظهر نبيان من غير أجداده ﷺ وهما خالد بن سنان وحنظلـــه . وهنـــاك قصيدة مشهورة لكعب بن لؤي وهو من أجداده ﷺ يقول فيها :

على غفـــلة يأتي النبي محـــمد فيخبر أخبـــاراً صدوقاً خبيـــرها[5]

هذا الكلام شبيهه بكلام نبوة معجز وقد قال الإمام الربـــاني مـــستنداً إلى الـــدليل والكشف: " لقد بعث أنبياء كثيرون في الهند ، إلا أن بعضهم لم تتبعهم أمة أو انحصرت في عدة أشخاص محدودين ، فلم يشتهروا ، أو لم يطلق عليهم الناس اسم النبي " فبناء على هذه القاعدة للإمام الرباني ، يمكن وجود أنبياء أمثال هؤلاء في أجداد النبي ﷺ " [6].

---

[1] مسلم كتاب الإيمان باب أن من مات على الكفر فهو في النار (٢٠٣).

[2] مسلم كتاب الجنائز باب إستأذان النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة قبر أمه (١٠٥).

[3] خالد بن سنان العبسي : حكيم من أنبياء العرب في الجاهلية كان في أرض بني عبس يدعو الناس إلى دين عيسى ـــ وذكر بعض معجزاته ـــ وقالوا : لم يكن في بني إسماعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم ووفدت ابنته علـــى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وقال : " ابنة نبي ضيعه قومه " الأعلام :٢٩٦/٢

[4] حنظلة بن صفوان الرسي قيل إنه من أنبياء العرب في الجاهلية كان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وهو من أصحاب الرس الوارد ذكرهم في القرآن . بعث لهدايتهم فكذبوه وقتلوه انظر الأعلام : ٢٨٦/٢.

[5] البداية والنهاية: ٤٣١/٣.

[6] المكتوبات : ٤٩٨.

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد حديثاً لا يصح في نبوة خالد بن سنان وهو قوله " ابنة نبي ضيعه قومه "[1] وقرر سليمان العجيلي أن حنظلة بن صفوان من أنبياء العرب[2] وغيره قرر ذلك[3] . إلا أن ذلك يخالف أحاديث صحيحة صريحة في أنه لا نبي بعد عيسى غير نبينا عليهما أفضل الصلاة والتسليم . فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أنا أولى بعيسى . الأنبياء أبناء لعلات وليس بيني وبين عيسى نبي "[4] .

سادساً : حكم أهل الفترة :

يحتج النورسي بأن أهل الفترة أهل نجاة بقوله تعالى: **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)** [الاسراء: من الآية١٥] ويقول:" تبين أن أهل الفترة يكونون من أهل النجاة ، فلا يؤاخذون بخطاياهم في الفروع بالاتفاق بل هم أهل نجاة عند الإمام الشافعي ، والإمام الأشعري، حتى لو وقعوا في الكفر وليس لهم أصول الإيمان لأن التكليف الإلهي يكون ببعثة الرسل، ويتقرر التكليف بالاطلاع على البعثة . وحيث أن الغفلة ومرور الزمان قد ستر أديان الأنبياء السابقين ، فلا تكون هذه الأديان حجة على أهل زمن الفترة ، فإن أطاعوا يثابون ، وإذا لم يطيعوا لا يعذبون لأنها لا تكون حجة ما دامت مستورة غير ظاهرة "[5] .

وهذا القول هو قول عامة أهل السنة[6] حيث إنه لا تكليف إلا بشرع إلا أنه لا يقطع لهم بالنجاة. يقول ابن القيم: " قد قال تعالى: **(وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)** [الأنعام:من الآية١٩] أي من بلغه القرآن فكل من بلغة القرآن وتمكن من فهمه فهو منذر به، وامتحان الأطفال والمعتوهين والهالك في الفترة إنما تدل على امتحان من لم يعقل الإسلام فهؤلاء يدلون بحجتهم أنهم لم تبلغهم الدعوة إلى أن قال ... وهذا القول هو

---

[1] قال عنه محققا زاد المعاد شعيب وعبد القادر الأرنووط حديث منكر لا يصح . انظر زاد المعاد : ٦٧١/٣.

[2] انظر حاشية الجمل : ١٧٥/٥ .

[3] انظر تحفة المحتاج في شرح المنهاج ١٩٩/٩- ٢٠٠، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج : ٥٤٠/٥، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج :٣٦/٨.

[4] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً) وانظر ما بعده (٦٤٠٦) وأخرجه مسلم (٢٣٦٥) في الفضائل : باب فضائل عيسى عليه السلام (٤٦٧٥).

[5] المكتوبات : ٤٩٧.

[6] انظر درء تعارض العقل والنقل: ٣٩٩/٨، أضواء البيان: ٤٧٦/١، ٦٧/٣.

المحكي عن أبي حنيفة وأصحابه وهو في غاية القوة "[1] وأهل الفترة زال وجودهم بعد بعثة نبينا ﷺ .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عن قوله تعالى : **(وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)** [آل عمران: من الآية١٠٣]: برسالة محمد ﷺ لم يبق عذر لأحد فكل من لم يؤمن به فليس بينه وبين النار إلا أن يموت كما بينه تعالى بقوله: **(وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ)** [هود: من الآية١٧] [2].

ويقول ﷺ : " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار "[3] .

ولا يقطع بدخول أهل الفترة النار بل يسمون كفاراً، لأنهم ليسوا على دين صحيح. فهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات. قال ابن كثير في أهل الفترة "ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات ، فمن أطاع دخل الجنة ، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض. وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد "[4] .وممن قال بعذر أهل الفترة شيخ الإسلام ابن تيميه[5]؛ بل قال ثبت أنه ﷺ أثنى على بعض من مات في الفترة كزيد بن عمرو[6] وغيره[1]. وقد

[1] انظر تحفة المولود : ٢٩٦/١.

[2] أضواء البيان (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب): ٦٦/١٠-٦٧.

[3] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٤٠).

[4] تفسير القرآن العظيم : ٣٠/٣.

[5] انظر مجموع الفتاوى ٣٠٧/١٧.

[6] زيد بن عمرو بن نفيل العدوي: والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر بن الخطاب، مات قبل البعثة بخمس سنين، الإصابة في تمييز الصحابة : ٦١٤/٢.

روى الإمام أحمد عن الأسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال " أربعة يحتجون يوم القيامة ، رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة . فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً . وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ،فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً "[2].

سابعاً: الخضر عليه السلام.

الخضر عند كثير من فلاسفة الصوفية هو عبد صالح ليس بنبي. ولذا فكما خرج الخضر عن شريعة موسى قالوا إنه يجوز خروج بعض الأولياء عن شريعة محمد ﷺ.

ومن يعتقد في الخضر ذلك يزعم أنه لا زال حياً يرزق، وتكثر دعاويهم بالالتقاء بالخضر وأخذ العلم منه. يقول ابن عربي: "اعلم أيها الولي الحميم أيدك الله أن هذا الوتد هو خضر صاحب موسى عليه السلام أطال الله عمره إلى الآن"[3].

والقول بحياة الخضر إلى وقتنا الحاضر هو قول عامة المتصوفة، وبعض أهل العلم[4]. وهو خلاف الصحيح كما سيأتي إن شاء الله، وقد ذهب النورسي إلى القول بحياة الخضر ولكنها حياة سماها حياة من الدرجة الثانية.

---

1 انظر مجموع الفتاوى : ٦٩/١٤.

2 مسند الإمام أحمد ٢٤/٤ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٤١٨/٣ رقم ١٤٣٤ وصحيح ابن حبان ٣٥٦/١٦ رقم ٧٣٥٧ وقد خالف ابن عبد البر في هذه المسألة حيث يرى أن أحاديث هذه المسألة لا تقوم بها الحجة انظر التمهيد ١٣٠/١٨ ورد عليه جمع من العلماء منهم ابن كثير في تفسيره انظر ٥٥/٥ وابن القيم في طريق الهجرتين ٤٠٢-٣٩٩ وانظر أحكام أهل الذمة : ١١٢٥/٢-١١٥٦ شفاء العليل : ٣٠ وانظر درء التعارض ٣٩٩/٨ الصفدية:٢٤٥/٢ الجواب الصحيح ٣٨٠/٤ حادي الأرواح ٢٦٣/١، طريق الهجرتين ٥٨٣/١ وشرح مسلم للنووي: ٩٧/٣.

3 الفصوص : ٩٧ .

4 انظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٩/١١، شرح النووي على مسلم: ١٣٥/١٥.

فقد سئل: "هل سيدنا الخضر عليه السلام على قيد الحياة ؟ فإن كان على قيد الحياة، فَلِمَ يعترض على حياته عدد من العلماء الأجلاء ؟

الجواب : إنه على قيد الحياة ، إلا أن للحياة خمس مراتب ، وهو في المرتبة الثانية منها، ولهذا شك عدد من العلماء في حياته"[1].

وهذه الدعوى لم تقتصر على الخضر حيث زعم بعض المتصوفة حياة إلياس أيضاً، والصحيح أنه لم يصح في حياة الخضر حديث[2] بل الصحيح أن الخضر عليه السلام مات[3]. وهذا للأدلة التالية:

الأول: ظاهر عموم قوله تعالى:(**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**) [الأنبياء:٣٤]

فقوله: "لبشر" نكرة في سياق النفي، فهي تعم كل البشر، فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله، والخضر بشر من قبله، فلو كان شرب من عين الحياة وصار خالداً إلى يوم القيامة ـــ كما زعموا ـــ لكان الله قد جعل لذلك البشر الذي هو الخضر من قبله الخلد.

الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"[4]. أي لا تقع عبادة لك في الأرض. فاعلم أن ذلك النفي يشمل بعمومه وجود الخضر حياً على الأرض، لأنه على تقدير وجوده حياً في الأرض فإن الله يعبد فيها، ولو على فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام، لأن الخضر ما دام حياً فهو يعبد الله في الأرض.

الثالث: إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه على رأس مئة سنة من الليلة التي تكلم فيها بالحديث، لم يبق على وجه الأرض أحد ممن هو عليها تلك الليلة، فلو كان الخضر حياً على الأرض لما تأخر بعد المئة المذكورة. فإن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة

---

[1] المكتوبات : ٥ . وقال ان الخضر شرب من ماء عين الحياة . انظر المكتوبات: ١٩٠.

[2] انظر تفسير ابن كثير ٩٩/٣ ، وأضواء البيان ١٦٣/٤.

[3] انظر : منهاج السنة النبوية ٩٣/٤ حيث قال الذي عليه سائر العلماء أنه مات.

[4] مسلم كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (١٧٦٣)

العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: "أريتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهرها أحد"[1].

الرابع: لو كان الخضر حياً إلى زمن النبي ﷺ لكان من أتباعه، ولنصره ولقاتل معه، لأنه مبعوث إلى جميع الثقلين الإنس والجن، قال الله عز وجل: (**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**) [لأعراف: من الآية١٥٨].

وقوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**) [سبأ: من الآية٢٨] ويوضح هذا أنه تعالى أخذ على جميع النبيين الميثاق المؤكد أنهم إن جاءهم نبينا ﷺ مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به وينصروه. قال تعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) [آل عمران:٨١]. فلو كان الخضر حياً في زمنه لجاءه ونصره وقاتل تحت رايته، ومما يؤكد ذلك قوله عليه ﷺ: "والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"[2].

وقول النورسي إن الخضر حيٌّ في الطبقة الثانية من الحياة، ليس إلا تجنباً لمثل هذا النقض من العلماء. و إلا فإنه يقر بأنه على قيد الحياة بل يقول إن البعض يلتقي بالخضر، يأخذ منه العلم. يقول: "إن في مقامات الولاية مقاماً يعبر عنه بـ "مقام الخضر" فالولي الذي يبلغ هذا المقام يجالس الخضر عليه السلام ويتلقى عنه الدرس، ولكن يظن أحياناً خطأً أن صاحب هذا المقام هو الخضر بعينه"[3].

والخضر الذي يعلم هذا الطالب في هذا العصر هو نفسه الذي يعلم ذا القرنين – كما يزعم النورسي – يقول:"إن ذا القرنين هذا – أي المذكور في سورة الكهف – ليس هو الاسكندر الرومي (المقدوني)، وإنما هو أحد ملوك اليمن الذي عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام

---

[1] البخاري كتاب العلم باب السحر في العلم (١١٦)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تأتي منه سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم (٢٥٣٧) . انظر أضواء البيان ١٧٩/٤ وما بعدها.

[2] الرد على المنطقيين ١٨٤/١.

[3] المكتوبات : ٦ ، ٥٧٧.

وتلقى الدرس من سيدنا الخضر الطَّيْلاً. بينما جاء الاسكندر الرومي قبل الميلاد بحوالي ثلاث مئة سنه ودرس على يد أرسطو"[1].

ويرى أن الخضر يعلم الجنود في المعارك فيقول: " لا تيأس أيها المسلم: فإن لك نقطة استناد عظيمة وركيزة لا تتزعزع قط، وجيوشاً جرارة لا تغلب، وقوى احتياطية لا تنفد، فلو اجتمعت عليك الدنيا بأسرها لا يمكنها أن تبارز تلك القوى وتتحداها، بل لا يقدر على تدميرها إلا من يملك قدرة على تدمير الكون بأسره ... وهكذا يمتلىء قلب المسلم قناعة واطمئناناً من كلام الخضر"[2].

ولم يكتفِ النورسي بأوراد السنة النبوية الصحيحة، بل أخذ ورداً من أوراد الخضر المهمة يقول في اللمعة التاسعة والعشرين الباب الرابع الفصل الأول: "هذا الفصل يشير إلى ثلاث وستين مرتبة من مراتب معرفة الله وتوحيده سبحانه متخذاً ورداً مهماً ومشهوراً لسيدنا الخضر عليه السلام كمبدأ وأساس لهذا الورد"[3].

والادعاء بالتلقي عن الخضر وأنه يعلم علم الباطن. قديم في أهل البدع. يقول ابن تيمية: "ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان، ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضي الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل على زوجته ويذهب، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار كما يصنع كفار الهند فيظنون أنه عاش بعد موته"[4] وقد عدد شيخ الإسلام سبب ضلال المشركين وأمثالهم من الغاليه. وذكر فيها خوارق ظنوها آيات وهي من أحوال الشياطين ثم قال: "وتارة يرى أحدهم شخصاً إما طائراً في الهواء وإما عظيم، الخلقة، وإما أن يخبره بأشياء

---

[1] اللمعات : ١٦٤.

[2] الملاحق : ٢٢٢ وانظر ٥٤، والكلمات : ٢٦، ٢٧ . والشعاعات : ٢٤٩.

[3] اللمعات : ٤٨٩.

[4] مجموع الفتاوى : ٢٨٨/١١ . ويقول " لذا لم يجترىء الشيطان على أحد من الصحابة" انظر النبوات ٢٩٠/١.

غائبة ونحو ذلك، ويقول له: أنا الخضر، ويكون ذلك شيطاناً كذب على ذلك الـــشخص، وقد يكون الرآئي من أهل الدين والزهد والعبادة، وقد جرى هذا لغير واحد"[1].

ويقول إن هذا من أسباب الشرك: "فإنه قد يتصور لهم في صورة ما يظنون أنها صورة الذي يعظمونه، ويقول: أنا الخضر، أنا المسيح أنا جرجس أنا الشيخ فلان.

كما قد وقع هذا لغير واحد من المنتسبين إلى المسلمين والنــصارى، وقــد يــدخل الشيطان في بعض التماثيل فيخاطبهم، وقد يقضي بعض حاجاتهم، فبهذا السبب وأمثاله ظهر الشرك قديماً وحديثاً "[2] وقد زعم بعضهم أن أرسطو المشرك هو الخضر[3].

وينقل السيوطي حديث موسى والخضر عليهما السلام[4]. ثم يعقب: "فعلــى هــذا لا يجوز للولي التابع للنبي ﷺ إذا أطلع على حقيقةٍ أن ينفذ ذلك على مقتضى الحقيقة، وإنمــا عليه أن ينفذ الحكم الظاهر"[5]. وهذا قياس فاسد لأنه قياس مع الفارق، فموسى والخــضر نبيان يوحى إليهما. وموسى في حقيقة الأمر أفضل من الخضر فهو من أولي العــزم[6]. ثم إن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته[7]. فمن قال إنه يجوز الخروج على شريعة محمد ﷺ استناداً إلى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام. فقد افترى كذباً وزوراً يخرج الإنسان من الإسلام ــ والعياذ بالله ــ ويدعو أنه بسبب العلم اللدني الذي يعطاه الولي فيستغني به عن متابعة الرسول، يقول ابن القيم: "العلــم اللــدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي والمحك هو الوحي، ولا وحي بعد رسول الله.

---

[1] الجواب الصحيح : ٣/٣١٩-٣٢٠.

[2] المرجع السابق: ٣/١١٤ وانظر الرد على البكري: ١/٣٥٤، مجموع الفتاوى: ١/١٥٧، ١٧٢.

[3] انظر مجموع الفتاوى ٤/١٦٠.

[4] وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وســلم ذكر قصة اجتماع موسى بالخضر عليهما السلام ، وما وقع للخضر من قتل الغلام، وإنكار موسى عليه، وإن الخضر قال له:يا موسى إني على علم من علم الله، علمكه الله سبحانه وتعالى، لا ينبغي لي أن أعلمه " البخاري، كتاب العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سُئل : أي الناس أعلم (١٢٢)، أخرجه مسلم في كتاب الفضائل . باب من فضائل الخضر عليه السلام ٧/١٠٣ .

[5] انظر الباهر في حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالباطن والظاهر : ١٨.

[6] انظر الرد على البكري : ١/٢٦٣.

[7] انظر مجموع الفتاوى ١١/٤٢٥.

وأما قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد، وكفر مخرج عن الإسلام، موجب لإراقة الدم"[1].

---

[1] مدارج السالكين : ٢/٤٤٦.

المبحث الثاني:دلائل إثبات النبوة

قد اقتضت حكمة الله تعالى أ لا يرسل رسولاً إلا بآيات وبراهين للناس تدل على صدقه حتى لا يحتج أحد من الناس على الله تعالى، يقول تبارك وتعالى: **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ)** [الحديد:من الآية٢٥]، أي بالآيات والمعجزات البينة والشرائع الظاهرة ، العلامات الدالة على صدقهم[1] . وقد كانت آيات الرسل من جنس ما برع فيه قومهم حتى تكون أبلغ في الدلالة على النبوة، وأنها خارجة عن قدرة الجن والإنس وقد جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "[2] .

يقول ابن حجر عن هذا الحديث أنه : " دال على أن النبي لابد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه ، ولا يضره من أصر على المعاندة "[3] .

دلائل النبوة :

تسمى عند السلف الصالح دلائل النبوة، أو أعلام النبوة، ويسميها المتكلمون معجزات، والصحيح تسميتها آيات وبراهين؛ لأنه لا يوجد في الكتاب و السنة إلا لفظ الآية والبينة والبرهان والحجة. فيفرق حينئذ بين ما يكون للأنبياء من خوارق، وما يكون لأتباعهم[4] وليس عند المتكلمين دلائل أو براهين إلا دليل المعجزة، والأشاعرة تابعوا المعتزلة في جعلهم دلائل النبوة محصورة بالمعجزة فقط، يقول الجويني: "لا دليل على صدق النبي غير المعجزة، فإن قيل: هل في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة ؟ قلنا: ذلك غير ممكن فإن ما يقدر دليلاً على الصدق لا يخلو: إما أن يكون معتاداً، وإما أن يكون خارقاً للعادة. فإن كان معتاداً، يستوي فيه البر والفاجر فيستحيل كونه دليلاً وإن كان خارقاً للعادة يستحيل كونه دليلاً دون أن يتعلق به دعوى النبي إذ كل خارق للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداء من فعل الله تعالى، فإذا لم يكن بد من تعلقه بالدعوى، فهو المعجزة بعينها "[5] .

---

1 تفسير ابن كثير: ٢٧/٨ [ت: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، الرياض].

2 البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم (٧٢٧٤).

3 انظر فتح الباري: ٦/٩ .

4 انظر الجواب الصحيح ٦٧/٤ وما بعدها .

5 انظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد : ٢٧٨.

ويقول الرازي: "إن دلالة النبوة ليس إلا المعجزة باتفاق"[1] وبما أن المعجزة في حقيقتها أمر خارق للعادة صارت طريقة المتكلمين في إثبات النبوة مبنية على خرق العادات. يقول ابن القيم: "وكذلك الطريق التي سلكوها أي المتكلمين في إثبات النبوة، لم يثبتوا نبوة في الحقيقة، فإنهم بنوها على مجرد خرق العادة وهو مشترك بين النبي وغيره، وحاروا في الفرق فلم يأتوا فيه بما يثلج له الصدر ولا يحصل به برد اليقين"[2].

ويقول ابن أبي العز: "لا ريب أن المعجزات دليل صحيح لكن الدليل غير محصور في المعجزات فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين"[3] .

والنورسي في نسيج رسائله يقف وقفات طويلة مع معجزات النبي ﷺ موغلاً صوب بعدها الإيماني، ومن ذلك حديثه عن الإخبارات الغيبية، وأحاديث الساعة. وفي حديثه عن المعجزات الأحمدية خصص مساحة تجاوزت المئة والسبعين صفحة يتحدث خلالها عن المعجزات والبراهين الدالة على نبوته ﷺ [4] وقد عدها أكثر من ثلاث مئة معجزة. وهو يقول عن تلك المعجزات إنها الطريق الوحيد لإثبات نبوة نبينا ﷺ: " لأن النبي لإدامة حاكميته في الظواهر والبواطن وفي العقول والطبائع يحتاج إلى امتياز وتفوق مادة ومعنى، سيرة وصورة، وخُلقاً وخَلقاً، ويحتاج أيضاً إلى دليل على قوة المناسبة بينه وبين مالك الملك صاحب العالم، وما الدليل إلا المعجزات"[5].

وهذه المعجزات ليست مراغمة للكفار على الإيمان بل على التصديق بنبوته كما قال تعالى: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً)** [النمل: من الآية١٤] يقول في ذلك: "إن المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين بنبوته وليس إرغامهم على الإيمان، لذا يلزم إظهارها للذين تسمعوا دعوى النبوة بما يوصلهم إلى القناعة

---

1 محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين : ٣٠٨.

2 الصواعق المرسلة ٩٨٧/٣ ، وانظر النبوات لابن تيميه : ٣.

3 شرح العقيدة الطحاوية : ١٤٠/١ أنظر الصواعق المرسلة ٩٨٧/٣.

4 انظر المكتوبات : ١١١-٢٨٧

5 إشارات الإعجاز : ١٤٨ .

والاطمئنان وإلى صدق النبوة.أما إظهارها في جميع الأماكن إظهاراً بديهياً بحيث يضطر الناس إلى القبول والرضوخ فهو مناف لحكمة الله الحكيم ذي الجلالة ومخالف أيضاً لسر التكليف الإلهي

وذلك لأن سر التكليف الإلهي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه"[1]، والمعجزة المثبتة لنبوة محمد ﷺ ليست هي المعجزات الظاهرة بل كل ما يصدر عن النبي ﷺ يعده معجزة يقول: "اعلم أن دلائل صدق الرسول ﷺ وبراهين نبوته لا تنحصر في معجزاته بل يرى المدققون أن جميع حركاته وأفعاله وأحواله وأقواله وأخلاقه وأطواره وسيرته وصورته كل ذلك يثبت إخلاصه وصدقه. حتى آمن به كثير من علماء بني إسرائيل بمجرد النظر إلى طلعته البهية، أمثال : عبد الله بن سلام الذي قال: فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كاذب"[2].

– أنواع دلائل النبوة وأهميتها:

وقد ذكر دلائل نبوة الرسول ﷺ فقال: "إن دلائل نبوة الرسول ﷺ قسمان:

الأول: الحالات التي سميت بالإرهاصات، وهي الحوادث الخارقة التي وقعت قبل النبوة ووقت الولادة.

الثاني: دلائل النبوة الأخرى وهي تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: الخوارق التي ظهرت بعده ﷺ تصديقاً لنبوته.

ثانيهما: الخوارق التي ظهرت في فترة حياته المباركة ﷺ وهذا أيضاً ينقسم إلى قسمين:

ـــ الأول: ما ظهر من دلائل النبوة في شخصه وسيرته وصورته وأخلاقه وكمال عقله.

ـــ الثاني: ما ظهر منها في أمور خارجة عن ذاته الشريفة. أي في الآفاق والكون وهذا أيضاً قسمان: قسم معنوي وقرآني، وقسم مادي وكوني . وهذا الأخير قسمان أيضاً :

---

[1] الكلمات : ٧٠٣ .

[2] المكتوبات : ١١٥.

القسم الأول: المعجزات التي ظهرت خلال فترة الدعوة النبوية، وهي إما لكسر عناد الكفار، أو لتقوية إيمان المؤمنين؛ كانشقاق القمر، ونبعان الماء من بين أصابعه الشريفة، وإشباع الكثيرين بطعام قليل،وتكلم الحيوان والشجر والحجر ... وأمثالها من المعجزات التي تبلغ عشرين نوعاً،كل نوع منها بدرجة المتواتر المعنوي، ولكل نوع منها نماذج عدة مكررة.

القسم الثاني : الحوادث التي أخبر عنها ﷺ قبل وقوعها بما علمه الله سبحانه وظهرت تلك الحوادث وتحققت كما أخبر"[1].

يقول أحد طلاب النورسي : "النبي الذي جاء بالشريعة يثبت نبوته بالمعجزة ، وبتطبيقه الشريعة يصير مثالاً للناس . ويبين سعيد النورسي إنه لا يمكن إنكار المعجزة لكونها فعل إلهي تخاطب الحواس ، وأورد للمعجزة غايتين رئيسيتين :

الأولى : إظهار المعجزة للناس كي يصدقوا بالنبوة .

الثانية : حث الناس على القيام بما يشبه المعجزة لوضع الأمثلة لهم من أجل تحقيق التطور الاجتماعي وبالنسبة له (أي النورسي) أن الحضارات التي توصلت اليها الانسانية اليوم تستند إلى الإلهام الذي أخذ أسسه عن المعجزات "[2]

وقد ذكر تسع دلائل على نبوته ﷺ وهي :

١. اتصافه عليه الصلاة والسلام بجميع السجايا الفاضلة والخصال الحميدة.
٢. كون القرآن معجزاً.
٣. أنه عليه الصلاة والسلام بعث بشريعة مطهرة كاملة.
٤. إجماع الأنبياء على الحقائق الإيمانية نفسها.
٥. وصول آلاف الأولياء إلى الحق والحقيقة وما نالوا من الكمالات والكرامات.
٦. إجماع ملايين العلماء على صدق الرسول.
٧. إجماع آل البيت والصحابة على نبوته عليه السلام.
٨. أن هذا الكون الفسيح يستدعي من يعلم المقاصد الإلهية.

---

[1] المكتوبات : ١١٦-١١٧.

[2] رسائل النور – من زاوية المشكلات الكلامية : ٧٦٣ – د. يوسف شوقي ياوز ضمن المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان النورسي.

٩. لا جرم أن أحب مخلوق للخالق هو من كان يعمل عملاً خالصاً لمقاصده ومن ذا يكون غير محمد ﷺ[1].

وقد جعل النورسي رسائله أحد الشواهد على نبوة سيدنا محمد ﷺ .يقول: "وما رسائل النور بأجزائها التي تزيد على المئة مثل إلا برهان واحد فقط على صدق وصواب هذا النبي الحبيب ﷺ"[2].

وتكلم النورسي عن معجزات الأنبياء عليهم السلام، وأنها معجزات دالة على أن الأنبياء رواد في التقدم المادي أيضاً حيث: "إن القرآن الكريم الذي يخاطب البشرية قاطبة لم يهمل هذا الجانب من حياة البشر، بل قد أشار إلى تلك الخوارق العلمية، المكتشفات العلمية: مثل الكهرباء، أو الطائرة، أو اللاسلكي، من جهتين:

الجهة الأولى: أشار إليها عند إشارته إلى معجزات الأنبياء عليهم السلام.

والجهة الثانية: أشار إليها عند سرده بعض الحوادث التاريخية"[3]. وهذه الإشارات القرآنية إلى المكتشفات العلمية – كما يراها النورسي – هي أقصى ما يصل إليه الإنسان من مخترعات يقول: "إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها، إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه فالمستقبل أيضاً حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله"[4].

والصحيح أن آيات الأنبياء لم ترد في القرآن الكريم لكي تخط لنا أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعة، بل وردت لبيان عاقبة الذين كذبوا الرسل،

---

[1] انظر الشعاعات : ١٦٦-١٧٢.

[2] المكتوبات : ٢٨٤ .

[3] الكلمات : ٢٧٨.

[4] الكلمات : ٢٧٩.

وبيان مآل المؤمنين بهم. وهذه هي الغاية الكبرى التي يجب على المسلم ألا تغيب عنه بداعي تتبع إشارات القرآن للصناعات! أو لغير ذلك.

وبقول النورسي هذا نجده خلط بين الحق البيّن الظاهر مع الظن والتخمين (وماذا بعد الحق إلا الضلال) ، وهو ينطلق في تقريراته تلك من نظرة ذوقية صوفية، وهي مـا تـسمى بــ"المرآتية" حيث ألا جديد في الكون – بزعمهم- فما كان من جديد اليوم، فهو مرآة لما كان في الماضي، وما كان في المستقبل فهو حصيلة اليوم.

وإذا دخلت الأوهام في فهم النصوص الشرعية ، انحرف الناس عن هـدي الـسلف الصالح.

وقد أورد معجزات بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهي :

١ــ معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

عند قوله تعالى: **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)** [الأنبياء:٦٩].

"يا ملة إبراهيم اقتدوا بإبراهيم ! كي يكون لباسكم لبـاس التقـوى وهـو لبـاس إبراهيم،وليكون حصناً مانعاً، ودرعاً واقياً في الدنيا والآخرة تجاه عدوكم الأكبر النـار"[1]. ويبين أن معجزة سيدنا إبراهيم دافع لبني آدم لاكتشاف مواد مانعة من الاحتراق فيقـول: "لقد خبأ سبحانه لكم مواداً في الأرض تحفظكم من شر النار كما يقيكم لبـاس التقـوى، والإيمان الذي ألبستموه أرواحكم، شر نار جهنم فهلموا واكتشفوا هذه المواد المانعة مـن الحرارة واستخرجوها من باطن الأرض وألبسوها"[2].

٢ــ معجزة سيدنا آدم عليه السلام:

لئن كانت كل معجزة من معجزات الأنبياء عليهم السلام تشير إلى خارقة من خوارق الصناعات البشرية، إلا أن معجزة سيدنا آدم عليه السلام تشير إلى فهرس خوارق العلوم والفنون والكمالات، يقول عند تفسير قوله تعالى:**(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)** [البقرة: من الآية٣١] "كأن الله يقول بالمعنى الإشاري لهذه الآية الكريمة:

---

[1] الكلمات : ٢٨٩.

[2] الكلمات : ٢٨٩.

يا بني آدم إن تفوق أبيكم آدم في دعوى الخلافة على الملائكة كان بما علمته الأسماء كلها فأنعموا النظر والفكر في أسمائي الحسنى" [1].

ويقول: "إن كل ما ناله الإنسان – من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات الكمال العلمي، والتقدم الفني ، ووصوله إلى خوارق الصناعات، والاكتشافات، تعبر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: (وعلم آدم الأسماء كلها)"[2].

٣ـ معجزة سيدنا سليمان عليه السلام:

في قوله تعالى: **(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)** [سبأ: من الآية١٢] يرى معجزة سيدنا سليمان عليه السلام في تسخير الريح له وأنه قد قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد ويقول: "الآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافات في الهواء، فيا أيها الإنسان حاول أن تبلغ هذه المرتبة واسع للدنو من هذه المترلة، مادام الطريق ممهداً أمامك. فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة (إن عبداً من عبادي ترك هوى نفسه، فحملته فوق متون الهواء. وأنت أيها الإنسان إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيداً من قوانين سنتي الجارية في الكون، يمكنك أيضاً أن تمتطي صهوة الهواء"[3].

وفي قوله تعالى: **(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)** [النمل: من الآية٤٠] يرى أن هذه الآية دليل على ما يسمى علم التحضير قال: "هذه الآية تشير إلى إحضار الأشياء من مسافات بعيدة عيناً أو صورة بدلالتها على تلك الحادثة الخارقة التي وقعت في ديوان سيدنا سليمان عليه السلام ، عندما قال أحد وزرائه الذي أوتي علماً غزيراً في علم التحضير: أنا آتيك بعرش بلقيس فهذه الآية تشير إشارة رائعة إلى إحضار الصور والأصوات من مسافات بعيدة"[4]

٤ـ معجزة سيدنا داود عليه السلام:

---

[1] الكلمات :٢٩٠.

[2] المرجع السابق : ٢٩٠.

[3] المرجع السابق : ٢٨٠.

[4] المرجع السابق : ٢٨٣.

ذكر آيتين في هذا المقام وهما قوله تعالى: (وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) [سبأ: من الآية١٠] وقوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) [صّ: من الآية٢٠].

وبعد أن بين أن تليين الحديد نعمة إلهية عظمى، فهذه الآية تدل إلى تليين الحديد كالعجين وتحويل النحاس أسلاكاً رفيعة، واللذان هما محور الصناعات العامة. يقول كأن هذه الآية تنطق وتقول: "يا بني آدم لقد آتيت عبداً من عبادي أطاع أوامري وخضع لما كلفته به أتيت لسانة فصل الخطاب، وملأت قلبه حكمة ليفصل كل شيء على بينه ووضوح ... فأنتم يا بني آدم إن أطعتم أوامري التكوينية توهب لكم أيضاً تلك الحكمة والصنعة، فيمكنكم بمرور الزمن أن تقتربوا منها وتبلغوها"[1].

٥ــ معجزة سيدنا موسى عليه السلام:

يرى النورسي أن من معجزات موسى ما يمكن الاستفادة منها وهي في قوله تعالى : **(فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)** [البقرة: من الآية٦٠]. فهو يرى أن هذه الآية وإن كانت من معجزات سيدنا موسى عليه السلام ، إلا أنها تشير إلى إمكانية الاستفادة من خزائن الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا[2].

يقول في إشارة ذكية لمخترعات العصر وتقنياته في استخراج الآبار الجوفية:" فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى: يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطف فيض من فيوضات الرحمة الإلهية بوساطة عصا فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكتشفوه.

فالله سبحانه وتعالى يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية: مادمت أسلم بيد عبد يعتمد علي ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجر الماء أينما شاء. فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي يمكنك أيضاً أن تخترع آله شبيهة بتلك العصا أو نظيرة لها. فهيا أسع لتجد تلك الآلة "[3].

٦ــ معجزة سيدنا عيسى عليه السلام:

[1] انظر الكلمات : ٢٨٢.

[2] انظر الكلمات : ٢٨٠.

[3] الكلمات : ٢٨٠.

يرى النورسي أن معجزة عيسى عليه السلام في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى كما في قوله تعالى :**(وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ)** [آل عمران: من الآية٤٩] دليل على"أنه يمكن أن يعثر على دواء يشفى أشد الأمراض المزمنة والعلل المستعصية فلا تيأس أيها الإنسان ولا تقنط أيها المبتلى المصاب فكل داء مهما كان له دواء وعلاجه ممكن، فابحث عنه وجده، واكتشفه، بل حتى يمكن معالجة الموت نفسه بلون من ألوان الحياة المؤقتة "[١].

أما قوله: حتى يمكن معالجة الموت نفسه مخالف لقوله تعالى: **(لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)** [يونس: من الآية٤٩] ، ويقول صلى الله عليه وسلم: "يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داء الهرم" .

٧ــ معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

يقول إن معجزات الأنبياء السابقين كلها تعد معجزة واحدة لتصديق دعوى رسالته، ذلكم الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي أظهر القرآن الكريم معجزته الكبرى تتحدى الجن و الإنس قال تعالى: **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)** [الإسراء:٨٨]

فكل معجزة من معجزات الأنبياء عليهم السلام تشير إلى خارقة من خوارق الصناعات البشرية. أما المعجزة الكبرى للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهي القرآن الكريم ذو البيان المعجز، فلأن حقيقة تعليم الأسماء تتجلى فيه بوضوح تام، فإنه يبين الأهداف الصائبة للعلوم الحقة وللفنون الحقيقية أو يظهر بوضوح كمالات الدنيا والآخرة وسعادتهما، فيسوق البشر إليها مثيراً فيه رغبه شديدة فيها، حتى إنه يبين بأسلوب التشويق "أيها الإنسان إن المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية ، وأن الغاية من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات[٢].

[1] الكلمات : ٢٨١.

[2] انظر الكلمات : ٢٩٢.

المبحث الثالث: إثبات النبوات بالطرق العقلية.

إثبات النبوات بالطرق العقلية:

اقتضت حكمة الله عز وجل أن لا يرسل الرسل إلا بالحجج التي تثبت صدقهم على دعواهم أنهم رسل الله تعالى ، وحتى لا يكون للناس حجة على الله تعالى يوم القيامة ، وفي التنزيل **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ)**[الحديد: من الآية٢٥] أي بالآيات البينات ، والعلامات الواضحات[1] .

يقول النبي ﷺ : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر"[2].

أدلة النبوة كثيرة في النصوص الشرعية مما يدل على أهمية تقرير هذا الأصل حيث إن ثبوت هذا الأصل يسوق إلى إثبات كل ما يقوله الرسول وقبوله من الإيمان بالله وأسمائه وإفراده بالعبادة دون سواه والإيمان بالكتب واليوم الآخر لذا تنوعت دلائل إثبات النبوة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم ، لأنه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجز وجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب ودعاهم إليه من وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه "[3] .

ويقول ابن القيم في أهمية آيات الأنبياء العقلية على الاستدلال بالخالق :"هذه الطريقة (أي الاستدلال على الخالق بآيات الأنبياء) من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله وارتباط أدلة هذه الطريقة بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس و العقل ودلالتها ضرورية بنفسها ، ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات "[4] .

---

[1] تفسير ابن كثير : ٢٧/٨ (مرجع سابق).

[2] أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب كيفية نزول الوحي حديث رقم (٤٦٩٦) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١٥٢).

[3] انظر درء تعارض العقل والنقل (٣٥٢/٨).

[4] الصواعق المرسلة :(١١٩٧/٢)

ويفصل ابن الوزير الأمر ويزيده وضوحاً فيقول : " وأما دلالات المعجزات فهي من أقوى الدلالات وأوضح الآيات ، لجمعها بين أمرين واضحين ، لم يكن نزاع المبطلين إلا فيهما أو في أحدهما ، وهما : الحدوث الضروري ، والمخالفة للطبائع والعادات .. وعلى كل حال ، فالنبوات ، وآياها البينة ومعجزاها الباهرة وخوارقها الدامغة أمر كبير وبرهان منير ، ما طرق له العالم معارض البتة ، خصوصاً مع قدمه وتواتره .. وقد اعتضد ذلك بأمرين ،

أحدهما : استمرار نصر الأنبياء في عاقبة أمرهم ، وإهلاك أعدائهم بالآيات الرائعة.

وثانيهما : سلامتهم وأتباعهم ونجاهم على الدوام من نزول العذاب عليهم ، كما نزل على أعدائهم ولو مرة واحدة "[1] .

وليست آيات الرسل من قبيل الشهادة القولية ، بل هي آيات عقلية تقوم بها الحجة ، ومنها المعجزات الحسية التي قسمها ابن الوزير إلى ثلاثة أنواع :

معجزاته ، وأخلاقه، وأحواله[2] .

وقد تكلم النورسي عن آيات نبينا ﷺ العقلية وهذا عرض للآيات العقلية التي ذكرها :

أولاً : المعجزات :

المعجزةُ هي : " ما خرق العادة من قول أو فعل ، إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها ، وسُميت المعجزة كذلك لعجز الخلق عن معارضتها أو الإتيان بمثلها، بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها"[3].

وقد كانت المعجزات الحسية دليلاً على صدق النبوة عند المسلمين عامتهم وعلمائهم[4] وقد ألف النورسي رسالة أسماها بـ " المعجزات الأحمدية " ساق فيها كثيراً من الشواهد على إثبات نبوته ﷺ فالمعجزة عند النورسي لا تأتي لإرغام المعاندين بل : "إن المعجزة تأتي لإثبات دعوة النبوة عن طريق إقناع المنكرين بنبوته ، وليس إرغامهم على الإيمان ، لذا يلزم

---

[1] إيثار الحق على الخلق : ٥٤،٥٥.

[2] انظر إيثار الحق على الخلق :٧٩-٨٢ وفيه يقسم الآيات العقلية إلى ستة أنواع .

[3] انظر النبوات ١/٤، ٦، ١٤.

[4] شرح العقيدة الأصفهانية : ٨٨.

إظهارها للذين سمعوا دعوى النبوة ، بما يوصلهم إلى القناعة والاطمئنان إلى صدق النبوة أما إظهارها في جميع الأماكن أو إظهارها إظهاراً بديهياً بحيث يضطر الناس إلى القبول والرضوخ فهو منافٍ لحكمة الله الحكيم ذي الجلال ، ومخالف أيضاً لسر التكليف الإلهي. ذلك لأن سر التكليف الإلهي يقتضي فتح المجال أمام العقل دون سلب الاختيار منه"[1] .

ويضرب لذلك مثلاً "فلو كان الخالق الكريم قد ترك معجزة انشقاق القمر باقية لساعتين من الزمان ، وأظهرها للعالم أجمع ودخلت بطون التاريخ كما يريدها الفلاسفة لكان الكفار يقولون إنها ظاهرة فلكية معتادة ، وما كانت حجة على صدق النبوة ، ولا معجزة تخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . أو لكانت تصبح معجزة بديهية ترغم العقل على الإيمان وتسلبه الاختيار وعندئذ تتساوى أرواح سافلة كالفحم الخسيس من أمثال أبي جهل مع الأرواح العالية الصافية كالالماس من أمثال أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أي لكان يضيع سر التكليف الإلهي "[2] . ويقول فتح الله كولن عن المعجزة: " الذين لا يؤمنون بالمعجزة لا يعرفون عظمة الله ولا يدركون قدرته" [3].

ومن أهم معجزات نبينا عليه السلام. القرآن الكريم وتتجلى أوجه إعجازه في أمور منها:

١- القرآن معجز في أسلوبه :

حيث إن أساليب القرآن ليست كغيرها من الأساليب في بيان الحجة وقوة التأثير فهو لا يجارى وقد حافظ القرآن على طراوته منذ نزل حتى يومنا هذا يقول النورسي عن الحروف المقطعة في أوائل بعض السور : " هذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور والتي هي شفرات ورموز إلهية تبين خمساً أو ستاً من أسرار لمعات إعجاز أخرى بل إن علماء أسرار الحروف ، والمحققين ثبت لديهم أن المقطعات معجزة باهرة "[4] .

٢- إعجاز القرآن في نظمه :

---

[1] الكلمات : ٧٠٣.

[2] الكلمات : ٧٠٤ انظر الجواب الصحيح (٤١٩/١) .

[3] الموازين : ٢٣٢ .

[4] الكلمات : ٤٣١.

يقارن النورسي نظم القرآن الكريم بما أبدعه الشعراء . فيقول عند قوله تعالى :**(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ)** [يّــس: من الآية٦٩] "إن شأن الشعر هو تجميل الحقائق الصغيرة الخامدة ، وتزيينها بالخيال البراق وجعلها مقبولة تجلب الإعجاب ، بينما حقائق القرآن من العظمة والسمو والجاذبية بحيث تبقى أعظم الخيالات وأسطعها قاصرة دونها وخافتة أمامها"[1]، ويقول: " إن في نظم القرآن جزالة خارقة ، إذ كما أن عقارب الساعة العادة للثواني والدقائق والساعات يكمل كل منها نظام الآخر كذلك النظم في هيئات كل جملة من جمل القرآن الكريم ، والنظام الذي في كلماته ، والانتظام الذي في مناسبة الجمل كل تجاه الآخر "[2] .

٣- بلاغة القرآن المعجزة :

يقول في ذلك :" إن شئت أن تتذوق بلاغة المعنى في الآية الكريمة: **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [الحديد:١] تصور نفسك قبل مجيء نور القرآن في ذلك العصر الجاهلي وفي صحراء البداوة والجهل فبينما تجد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة وغشيه ظلام الجهل . تشاهد صدى قوله تعالى : **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** قد دبت الحياة في تلك الموجودات الهامدة أو الميتة بصدى سبح في أذهان السامعين فتنهض مسبحة ذاكرة الله "[3] .

٤- الفصاحة الخارقة في لفظه :

كما أن القرآن بليغ خارق من حيث أسلوبه وبيان معناه فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه. والدليل القاطع على فصاحته هو عدم إيراثه السأم والملل . كما أن شهادة علماء فن البيان والمعاني برهان باهر على حكمة فصاحته "[4] . وقد جمع النورسي هذه الدلائل من إعجاز القرآن الكريم فيما سماه بالجامعية الإعجازية في القرآن أي أن القرآن جمع الإعجاز والتحدي للبشر في لفظه وعلمه ونظمه ومعناه وأسلوبه وبلاغته

---

[1] الكلمات : ١٥٢.

[2] الكلمات : ٤٢٦.

[3] الكلمات : ٤٣٠.

[4] الكلمات : ٤٣٦.

وإيجازه وأنه لا يقتصر إعجاز القرآن على وجه دون وجه[1] . وقد تكلم في هذه المسألة كثير من العلماء كابن تيميه[2] وابن الوزير اليماني[3] وأبي القاسم الاصبهاني[4] والخطابي[5] . وغيرهم .

ثانياً : الإخبار بالمغيبات :

يقول الله عز وجل في وصف نفسه : **(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ۞ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً)** [الجن:٢٦ – ٢٨]

فإطلاع الله سبحانه لرسله على شيء من المغيبات دليل نبوة رسله . فيطلعهم على غيب في المستقبل أو غيب في الماضي لتثبت الحجة على منكري الرسل .

يقول ابن تيمية: " قوله: **(قل أنزله الذي يعلم السر في السموات و الأرض)** [الفرقان، من الآية ٩] فيه من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله ما يدل على أن الله أنزله وإذا ثبت أنه أنزله بعلمه تعالى استدللنا بذلك على أن خبره حق، وإذا كان خبراً بعلم الله فما فيه من الخبر يستدل به على الأنبياء وأممهم، والخبر الذي يستدل به لابد أن نعلم صحته من غير جهته، وذلك كإخباره بالمستقبلات فوقعت كما أخبر وكإخباره بالأمم الماضية بما يوافق ما عند أهل الكتاب من غير تعلم منهم"[6]

وقد تعرض النورسي في اللمعة السابعة[7] إلى الإخبارات الغيبية يقول : " إن القرآن قد بسط أحد جناحيه نحو الماضي والآخر نحو المستقبل فالحقيقة التي اتفق عليها الأنبياء السابقون

---

[1] انظر الكلمات : ٤٥٢ وما بعدها .

[2] انظر النبوات : ١٦٤ والجواب الصحيح ٥/٣٤٩-٣٥٠

[3] انظر العواصم والقواصم : ١/٢٠٤.

[4] انظر الحجة في بيان المحجة : (١/٣٥٠).

[5] ثلاث رسائل في الإعجاز : ٢٦.

[6] مجموع الفتاوى ١٤/١٩٨ بتصرف . وانظر الجواب الصحيح ١/٤٠٧ ، ٤٠٨ / ٥/٣٢٥ ، وجامع البيان : ٢٧/١٠٨، وانظر كلام السعدي في تيسير الكريم الرحمن ٤/٢٣.

[7] اللمعات : ٤٠-٤٩.

هي جذر القرآن وأحد جناحيه ، فهو يصدقهم ويؤيدهم وهم بدورهم يؤيدونه ويصدقونه بلسان حال التوافق "[1] .

وعن الإخبار الغيبي يقول : " إن القرآن الحكيم ، بلسان أمي أمين بالاتفاق يذكر أخباراً من لدن آدم عليه السلام إلى خير القرون ، مع ذكره أهم أحوال الأنبياء عليهم السلام وأحداثهم المهمة، يذكرها ذكراً في منتهى القوة وغاية الجد، وبتصديق من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل فيوافق ما اتفقت عليه تلك الكتب السابقة ويصحح حقيقة الواقعة ويفصل في تلك المباحث التي اختلف فيها بمعنى أن نظر القرآن الكريم ذلك النظر المطلع على الغيب يرى أحوال الماضي أفضل من تلك الكتب وبما هو فوقها جميعاً بحيث يزكيها ويصدقها في المسائل المتفق عليها ، ويصححها ويفصل في المسائل المختلف فيها "[2] .

وأما الإخبار الغيبي المستقبلي فقد قسمه إلى أقسام . وتكلم عن قسم واحد فقط وهو ما سماه بقسم أهل الكشف والولاية . ثم أشار إلى أن القرآن ذكرت فيه آيات كثيرة تتضمن أخباراً عن الغيب وقد تحققت كما أخبرت . كقوله تعالى: **(لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ)** [الفتح: من الآية٢٧] و قوله تعالى: **(وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ)** [الروم:٣ – ٤] وقوله تعالى: **(وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)** [المائدة: من الآية٦٧]. ثم قال " فالإخبار عن الغيب دون تردد وبكمال الجد والاطمئنان ، وبما يشعر بقوة الوثوق ، على لسان من هو معرض لاعتراضات المعترضين وانتقاداتهم وربما يفقد دعواه لخطأ طفيف يدل دلالة قاطعة : أنه يتلقى الدرس من أستاذه الأزلي ثم يقوله للناس "[3] .

ثالثاً : دلالة أحواله عليه أفضل الصلاة والسلام :

من الأدلة المهمة في إثبات النبوة دلالة أحوال وأوصاف الرسل. فإن من يتصف بصفاتهم يستحيل عليه الكذب والافتراء في حق عامة الناس فكيف بالكذب على رب الناس. وقد ذكر الكتاب العزيز هذا الدليل في مواضع كثيرة من ذلك قوله تعالى : **(أَوَلَمْ**

---

[1] الشعاعات : ١٧٧.

[2] الكلمات : ٤٦٨.

[3] انظر الكلمات : ٤٦٩-٤٧٠ وقوله : أستاذه الأزلي لا يصح وإن كان مقصوده أن الله تعالى هو الذي يعلمه لا البشر كما يزعم الكفار حيث إن المعتقد يتحرز فيه من الألفاظ الموهمة .

يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) [لأعراف:١٨٤] ويقول تعالى : **(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)** [المؤمنون:٦٨ – ٦٩] وعن هذه الآية يقول ابن القيم: "فدعاهم سبحانه وتعالى إلى تدبر القول وتأمل حال القائل، فإن كون القول للشيء كذبا وزوراً يعلم من نفس القول تارة وتناقضه واضطرابه وظهور شواهد الكذب عليه فالكذب بادٍ في صفحاته ، وبادٍ على ظاهره وباطنه ، ويعرف من حال القائل تارة ، فإن المعروف بالكذب والفجور والمكر والخداع ، لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله ولا يتأتى منه من القول والفعل ما يتأتى من البار الصادق المبرأ من كل فاحشة وغدر، وكذب وفجور بل قلب هذا وقصده، وقوله، وعمله يشبه بعضه بعضاً، وقلب ذلك وقوله، وعمله وقصره يشبه بعضه بعضاً فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول، وتأمل سيرة القائل وأحواله، وحينئذ تبين لهم حقيقة الأمر وأن ما جاء به من أعلى مراتب الصدق "[1] .

وفي حديث خديجة رضي الله عنها عندما رجع رسول الله ﷺ من غار حراء يرجف فؤاده[2] يقول ابن تيمية:" فهو لم يخف من تعمد الكذب ، فإنه يعلم من نفسه أنه لم يكذب، لكن خاف في أول الأمر أن يكون قد عرض له عارض سوء فذكرت خديجة ما ينفي هذا وهو ما كان مجبولاً عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والأعمال وهو الصدق المستلزم للعدل والإحسان إلى الخلق، ومن اجتمع فيه الصدق والعدل والإحسان لم يكن ممن يخزيه الله ، كما هو معلوم من سنة الله تعالى "[3] .

وفي دلالة أحواله ﷺ على نبوته يقول النورسي : " لقد اتفق الأعداء والأولياء بما لا ريب فيه على أن ما يتحلى به عليه الصلاة والسلام من الأخلاق الفاضلة ، وهو من أسمى الدرجات وأن ما يتصف به من سجايا حميدة في دعوته في أعلى المراتب ، تشهد بذلك

[1] الصواعق المرسلة : ٤٦٩/٢ وما بعدها .

[2] أخرجه البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة العلق رقم الحديث (٤٦٧٠) وأخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي رقم (١٦٠).

[3] انظر شرح الأصفهانية : ٩٣ . انظر الكلام ابن تيميه في قوله تعالى { وما كنت تتلو من قبله من كتاب } في الجواب الصحيح ٣٣٨/٥ وابن القيم في الصواعق المرسلة ٤٧٠/٢ عند قوله تعالى : (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ)[يونس: من الآية١٦]

معاملاته ، وسلوكه مع الناس وإن الشريعة الغراء تضم أكمل الخصال الحسنة ، تشهد بذلك محاسن الأخلاق في دينه القويم "[1] . "فأخلاقه وسجاياه عليه الصلاة والسلام دليل ساطع على نبوته فتلك الأخلاق العالية بجمعها لا تساعد أصلاً لتداخل الحيلة والكذب بينهما"[2].

رابعاً : دلالة حسن العاقبة والتأثير :

كل من يدعي أن الله أرسله إلى الناس، وأمرهم بطاعته فإنه لابد أن يكون من أصدق الناس فينصره الله على من خالفه ويظهر بينات وعلامات على صدق دعواه وإما أن ينتقم الله منه، ويجعله عبرة لغيره[3] ، فإن معجزات الأنبياء من خواصها أنه لا يقدر أحد أن يعارضها ويأتي بمثلها بخلاف غيرها فإن معارضتها ممكنة فيبطل دلالتها .

والله تعالى ينصر رسله وأتباعهم على غيرهم معنى وحساً فقوة حجة الرسل وبراهينهم الساطعة علامة على نصرهم معنوياً، وهو أعظم من النصر الحسي فالنصر للأنبياء وأتباعهم بسبب صدق إيمانهم وهذا ما يعتبر به المنصف والمدرك للأمور . يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: " وأما الآيات المشهودة فإن ما يشهد وما يعلم بالتواتر من عقوبات مكذبي الرسل ومن عصاهم ومن نصر الرسل وأتباعهم على الوجه الذي وقع وما علم من إكرام الله تعالى لأهل طاعته وجعل العاقبة لهم وانتقامه من أهل معصيته وجعل الدائرة عليهم : فيه عبرة تبين أمره ونهيه ووعده ووعيده . وغير ذلك مما يوافق القرآن . ولهذا قال الله تعالى : **(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)** [الحشر:٢][4] . وفي المقارنة بين دلالة المعجزة ودلالة العاقبة على صدق الرسول يقول ابن تيميه أن دلالة العاقبة أبلغ في حصول المقصود من الاستدلال بالمعجزات ثم قسم الأدلة إلى نوعين : نوع يدل على مجرد العلم بالمدلول عليه دون ترغيب ولا ترهيب فهذا من جنس

[1] الكلمات : ٦٨٩.

[2] اشارات الإعجاز : ١٦٦ وانظر المثنوي النوري :٥٦ ، والكلمات : ٢٥٥.

[3] انظر الجواب الصحيح : ٤١٦/١ وما بعدها .

[4] مجموع الفتاوي : ٣٣٢/٣ وانظر الجواب الصحيح :٣٩٣/٦.

الخبر المجرد والمعجزات من هذا النوع ونوع يدل على المراد مع الحض عليه بالترغيب والترهيب، فهو من جنس الحث والطلب والإرادة والأمر بالشيء ومن هذا الباب حسن عاقبة الأنبياء وأتباعهم وما حصل لمكذبيهم من العقاب وهذه الطريق أبلغ وأكمل حيث تفيد العلم بصدقهم ، وترغب في أتباعهم وترهب من خلافهم[1] . ومن ذلك قوله تعالى : **(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ)** [الأنعام:٦] .

يقول ابن القيم عن هذه الآية "فذكر ــ سبحانه وتعالى ــ إهلاك من قبلنا من القرون، وبين أن ذلك كان لمعنى القياس ، وهو ذنوبهم ، فهم الأصل ، ونحن الفرع ، والذنوب : العلة الجامعة والحكم : الهلاك . فهذا محض قياس العلة ، وقد أكده سبحانه بضرب من الأولى ، وهو أن من قبلنا كانوا أقوى منا فلم تدفع عنهم قوتهم وشدتهم ما حل بهم "[2] .

يقول النورسي عن هذه الدلالات : " إننا نشاهد بأعيننا في هذا الكون أن من عادة الربوبية الجارية في كل آن بالعدالة والحكمة والعناية ، حماية الأبرار وتأديب الكذابين الفاسدين نشاهدها ضمن تصرفاته المنتظمة جل جلاله . فمقتضى أفعاله الرحمانية إنزال القرآن المعجز البيان على محمد ﷺ وإظهار أنواع المعجزات الكثيرة البالغة نحو ألف معجزة على يديه .. وحمايته له تحت جناح رأفته الشفيقة في كل حالاته بل في أخطر أوضاعه حتى حمايته بالحمام والعنكبوت[3] وتوفيقه توفيقاً معززاً في مهامه وإدامة دينه بجميع حقائقه وتتويج هامة الأرض والبشرية بإسلامه وإعلاء مقامه وشرفه إلى أرفع مقام وأشرفه وتفضيله على الموجودات كافة بمنحة مقاماً مرضياً مقبولاً ودائماً يفوق أفاضل الإنسانية وإعطائه شخصية تحمل أجمل الخصال الحميدة الرفيعة باتفاق الأولياء والأعداء حتى جعل خمس البشرية من

[1] انظر النبوات : ١٥٤ وانظر شرح الأصفهانية : ١٠٣.

[2] إعلام الموقعين : ١٨٢/١.

[3] ضعف الحديث أحمد شاكر في تخريج المسند (٣٢٥١)، والألباني في فقه السيرة للغزالي ، وشعيب الأرنؤوط في تخريجه للمسند (٣٠١/٥).

أمته كل ذلك يشهد شهادة صادقة قاطعة على صدقه ﷺ ورسالته . وكذا نشاهد من حيث أفعال ربوبيته جل وعلا : أن متصرف هذا العالم ومدبر شؤونه جعل رسالة محمد ﷺ شمساً معنوية للكون وجعل دينه فهرس كمالات جميع عبادة المقبولين ومنهجاً قويماً لأفعال العبودية وجعله أحسن قدوة وأعظم مرشد للبشرية قاطبة بدلالة آثاره في الحياة الاجتماعية والمعنوية وجعل البشرية محتاجة إلى دينه وشريعته وحقائقه التي أتى بها الإسلام"[1].

خامساً: دلالة تحديه بالقرآن :

وهذا من أبلغ الأدلة العقلية على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام، أفيعقل أن يفتري هذا القرآن بشر ثم يتحدى كل من لا يؤمن به أن يأتوا بمثله بل بسورة من مثله ويقسم أنهم لن يستطيعوا ويكون الواقع مطابقاً لما قاله حتى يومنا هذا أن يكون كاذباً فيما يقول[2] .

قال تعالى : **(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** [يونس:٣٧]

قال ابن تيمية:" يقول ما كان ليفعل هذا فلم ينف مجرد فعله، بل احتمال فعله ، وأخبر أن مثل هذا لا يقع، بل يمتنع وقوعه، فيكون المعنى ما يمكن ولا يحتمل ولا يجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر على ذلك"[3].

ويقول النورسي عن أهمية هذا الدليل : " اعلم أن القرآن الكريم الذي هو بحر المعجزات ، والمعجزة الكبرى يثبت النبوة الأحمدية والوحدانية الإلهية إثباتاً ويقيم حججاً ويسوق براهين ويبرز أدلة تغني عن كل برهان "[4] .

سادساً: دلالة مضمون الرسالة :

لم تكن رسالة الإسلام الخاتمة مخالفة لما جاء قبلها من الرسالات شرعاً و لم تكن أحكامها مخالفة للعقل فالله عز وجل يحتج على العرب ويقول:**(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [فصلت:٣٣]

---

[1] انظر الشعاعات : ٦٦٧.

[2] انظر كتاب " محمد " صلى الله عليه وسلم: ١٣٥-١٣٦. كارين أرمسترونج ١٩٩٨م.

[3] الجواب الصحيح : ٤٢٥/٥ ، ٤٠٩-٤١١.

[4] المثنوي العربي النوري: ٦٩.

يقول ابن القيم :" وهذا احتجاج منه ــ سبحانه ــ على أن دين الإســلام أحــسن الأديان بما تضمنه مما تستحسنه العقول وتشهد به الفطر ، وإنه قد بلغ الغاية القــصوى في درجات الحسن والكمال ، وهذا استدلال بغير الأمر المجرد بل هو دليل على أن مــا كــان كذلك فحقيق بأن يأمر به عباده ولا يرضي منهم سواه فهذا احتجاج بما ركب في العقول والفطر ، لأنه لا قول للعبد أحسن من هذا القول "[1] .

ومن هذا يستدل النورسي على أحقية القرآن وأنه من كلام الخالق وليس من كــلام البشر – قطعاً – يقول " إن كمال انتظام هذه الشريعة الغراء وجمال توازنها الدقيق ، وحسن تناسب أحكامها ورصانتها كل منها شاهد عدل لا يجرح وبرهان قاطع باهر لا يدنو منــه الريب أبداً على أحقية القرآن الكريم بمعنى أن البيانات القرآنية لا يمكن أن تستند إلى علــم جزئي لبشر ، ولاسيما إنسان أمي بل لابد أن تستند إلى علم واسع ، محيط بكــل شــيء والبصير بجميع الأشياء "[2] .

---

[1] انظر مفتاح دار السعادة : ٢/١٠.

[2] الكلمات : ١٥٤-١٥٥.

الفصل الخامس:الإيمان باليوم الآخر .

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أدلة إثبات اليوم الآخر

المبحث الثاني: علامات الساعة

المبحث الثالث: الجنة والنار

مقدمة:

الإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله تعـالى ورسـوله ﷺ في الكتاب السنة المطهرة من أمور تكون بعد موت الإنسان من نعيم القبر وعذابه، والـنفخ في الصور، وخروج الناس من قبورهم، ومن أمور الحشر وتطاير الصحف، والميزان، والصراط، والحوض وغير ذلك. والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.

وهذا الفصل يسميه المتكلمون بالسمعيات. حيث إن أدلة هذا الباب عندهم لا تعرف إلا بالسمع وليس للعقل مدخل في هذه الأدلة وهذا قول لا يصح – لما سيأتي إن شاء الله من الأدلة العقلية – حيث إن العقل قد دل على اليوم الآخر بأدلة كثيرة. قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**)[الحج:٥– ٧]

والمراد باليوم الآخر أمران :

الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها.

والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيهـا البتـة، فالإيمان باليوم الآخر مقتضى للتصديق بأخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال، واختلاف أحوال[1].

وهذا المعنى يطلق على الإيمان بالمعاد لأن الناس يعودون فيه أحياء[2]، قال تعالى: (**قُلِ اللَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**) [يونس: من الآية٣٤]

---

[1] انظر عقيدة المؤمن : ٣٢١.

[2] انظر فتح القدير : ٤/١٨٨.

وثبت في الصحيح من دعائه ﷺ : "وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي"[1]. والإيمان باليوم الآخر يشمل: " المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان، والصراط، والجنة والنار"[2].

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الذكر ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٧٢٠).

[2] انظر فتح الباري : ٥٢/١.

المبحث الأول: أدلة إثبات اليوم الآخر

أدلة إثبات اليوم الآخر

وقد دل على وجوب الإيمان باليوم الآخر دلائل كثيرة نقلية، وعقلية، ومن الفطرة السليمة:

قال تعالى: (**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ**) [التوبة: من الآية٢٩]

وقال تعالى: (**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**) [البقرة: من الآية١٧٧]

ومن السنة قوله ﷺ : "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر"[1].

وأما الدلائل العقلية على ذلك فهي عديدة منها قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**) [العنكبوت:١٩]. فمن رأى قدرة الله تعالى على بدء الخلق فلا شك أن العقول تسلم أن الإعادة أهون، ومن الآيات التي تلجئ العقل على الاعتراف بالمعاد قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**) [الإسراء: من الآية٩٩].

وأما الفطرة السليمة فهي تدل على الإيمان باليوم الآخر. إن كل شيء في الكون في غاية الإتقان والحكمة تدل على أن خالق الكون عليم حكيم، والحكيم لا يصنع شيء بلا غاية وهدف، وإن من مقتضى الحكمة بعث الناس بعد موقم للجزاء.

ويحسن أن نتنبه لبعض المسائل في هذا الباب وهي:

١- الجمع بين النصوص الصحيحة التي ظاهرها التعارض، فلا تنكر ولا ترد.

٢- عدم التفريق بين آحاد السنة ومتواترها في إثبات مسائل اليوم الآخر مادامت صحيحة.

٣- لا تعلم "أحوال اليوم الآخر إلا من الكتاب والسنة، فلا مجال للعقل فيها. يقول ابن حجر رحمه الله: "ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال ولا يعترض

[1] الترمذي كتاب القدر باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (٢١٤٥). وقد صححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم (٥٩/١ برقم ١٣٠) وفي مشكاة المصابيح (٣٧/١ برقم ١٠٤).

عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول، ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دل على خسرانه وحرمانه"[1].

٤- ومما سبق يكون التعبير عن اليوم الآخر بالألفاظ الشرعية الواردة. يقول ابن أبي العز: "التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية، هو سبيل أهل السنة والجماعة"[2].

٥- إذا فسر النبي ﷺ الألفاظ المتعلقة باليوم الآخر، لم نحتج لقول قائل: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم ... فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي ﷺ لم يقبل منه"[3].

٦- الأخذ بجميع نصوص الكتاب والسنة والإيمان بها دون تفريق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه، وكذلك ما ثبت باتفاق الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصاً في الكتاب والسنة، متفق عليه بين سلف الأمة"[4].

كان لزاماً على النورسي أن يطيل الحديث عن البعث وحشر الأجساد وإمكانية ذلك عقلاً[5] وشرعاً وذلك لمواجهة حملة أصحاب الدعوات المادية التي شنوها على البعث وشككوا المسلمين في إمكانية بعثهم بعد الموت فتحدث عن الحشر في مواضع عديدة من رسائله وأفرد رسالة بعنوان "رسالة الحشر".

---

[1] فتح الباري: ٣٩٥/١١.

[2] شرح العقيدة الطحاوية: ٧٠/١.

[3] مجموع الفتاوى: ٢٨٦/٧.

[4] المرجع السابق: ٤١/٣.

[5] يقول : " إن التوحيد والنبوة لما لم يصح إثباتها بالدليل النقلي فقط للزوم الدور أشار القرآن إلى الدلائل العقلية عليهما أما الحشر فيجوز إثباته بالعقل والنقل " انظر إشارات الإعجاز : ١٩٤.

ومن دلائله على إثبات الحشر :

١- يستخدم النورسي دلائل النبوة العقلية في إثبات الحشر. حيث إنه إذا ثبتت النبوة تثبت كل الأصول الإيمانية والعملية المنبثقة عنها يقول: "إن جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد ﷺ مع جميع دلائل نبوته وجميع البراهين الدالة على صدقه، تشهد بمجموعها معاً على حقيقة الحشر، وتدل عليها وتثبتها لأن دعوته طوال حياته المباركة قد انصبت بعد التوحيد على الحشر"[1] ولأنه بعد إثبات نبوته ﷺ يثبت أن القرآن كلام الله. وفي القرآن الآيات الكثيرة الصريحة بحقيقة يوم الحشر مع ذكر الأحوال فيه تفصيلاً فالقرآن يقدم النشأة الأولى، ويعرفها من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى خلق الإنسان فكيف تنكرون النشأة الأخرى التي هي مثل هذا بل أهون منه ؟ ثم يشير بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً**﴾ [يّس: من الآية٨٠]. إلى تلك الآلاء وذلك الإحسان والإنعام الذي أنعمه الحق سبحانه على الإنسان فالذي ينعم عليكم مثل هذه النعم لن يترككم سدى ولا عبثاً لتدخلوا القبر وتناموا دون قيام ثم إنه يقول رمزاً: "إنكم ترون إحياء واخضرار الأشجار الميتة، فكيف تستبعدون اكتساب العظام الشبيهة بالحطب للحياة ولا تقيسون عليها ؟ "[2]. والقرآن "يشهد بجميع معجزاته وحججه وحقائقه على حدوث الحشر ويثبته، حيث إن ثلث القرآن تقريباً وأوائل أغلب السور القصار، آيات جلية دالة على الحشر ثم ذكر بعض الآيات منها: قوله تعالى: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ [التكوير:١] وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحج:١] وقوله تعالى: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾ [الزلزلة:١] [3].

٢- اتفاق الأنبياء والرسل : اتفق الأنبياء في أصول الدين ومن تلك الأصول الإيمان بالحشر والمعاد يذكر الله تعالى في كتابه اتفاق الأنبياء على ذلك وكفر من أنكر البعث: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا**

[1] الشعاعات : ٢٣١.

[2] الكلمات : ٤٩٣.

[3] انظر الشعاعات : ٢٣١.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [الزمر:٧١] .

فهذا أول الرسل نوح عليه السلام حذر قومه من يوم القيامة فقال: (**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً**) [نوح:١٧– ١٨] .

ويقول خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)** [البقرة:١٢٦] وكليم الله موسى عليه السلام قال الله تعالى في مناجاته له: (**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۞ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)** [طـه:١٥– ١٦] وجاء في العهد القديم " ... وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي "[1].

وفي إنجيل متى " فإن اعترتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان "[2]. وعن هذا الدليل يقول النورسي: "إن جميع معجزاته ـــ محمد ﷺ ـــ وحججه الدالة على صدق الأنبياء عليهم السلام وتحمل الآخرين على تصديقهم ـــ تشهد على الحقيقة نفسها وهي الحشر، وكذا شهادة الكتب المنزلة التي رقت الشهادة الصادرة من الرسل الكرام إلى درجة البداهة، تشهدان على الحقيقة نفسها" [3].

٣- إن عدم قيام العدل في هذه الحياة الدنيا يستلزم وجود اليوم الآخر يوم قيام العدل الكامل "فإن عظمة سلطان هذا الخالق الأزلي وسرمدية حاكميته ـــ لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة، ولا يكفيهما عمر الإنسان القصير جداً ولا عمر هذه الأرض المؤقتة الفانية حيث يظل الإنسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم، وما يفترفه من إنكار وظلم وعصيان تجاه مولاه الذي أنعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامة مما ينافي نظام

[1] سفر دانيال : الإصحاح ١٢.

[2] انجيل متى : الاصحاح الثامن عشر الفقرة ٨.

[3] الكلمات : ١٠٧.

الكون المنسق ويخالف العدالة الموزونة الكاملة التي فيه، ويخالف جماله وحسنه، إذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش فلاشك أن ماهية تلك العدالة المطلقة التي تشاهد آثارها في الكائنات لا تقبل أبداً ولا ترضى مطلقاً عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين الذين يتساوون معاً أمام الموت"[1]. ومقتضى كمال العدل نفي الظلم عن الله تعالى. قال تعالى: (**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**) [الجاثية:٢١ – ٢٢] فهذا العدل غير متحقق في الدنيا فلابد إذاً من تحققه في الدار الآخرة، قال تعالى: (**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**) [القلم:٣٥] .

يقول ابن القيم تعليقاً على هذه الآية: "أنكر الله تعالى على من نسب إلى حكمته التسوية بين المختلفين، كالتسوية بين الأبرار والفجار بأن هذا حكم سيء قبيح يتره الله عنه، ولم ينكره ـــ سبحانه ـــ من جهة أنه أخبر بأنه لا يكون وإنما أنكره من جهة قبحه في نفسه، وأنه حكم سيء يتعالى ويتتره عنه، لمنافاته لحكمته وغناه وكماله، ووقوع أفعاله كلها على السواء والصواب والحكمة فلا يليق به أن يجعل البر كالفاجر ولا المحسن كالمسيء ولا المؤمن كالمفسد في الأرض فدل على أن هذا قبيح في نفسه"[2] .

٤- صفات الله عز وجل تقتضي البعث والجزاء: من الصفات الذي ذكرها النورسي في هذا الدليل صفة الجمال، وصفة القدرة أما صفة الجمال فهو يرى أنه يستلزم لهذا الجمال الإظهار والرؤية يقول: "لهذا السلطان كمال باهر وجمال معنوي زاهر يبعثان على الإعجاب، ولاشك أن الكمال المستتر الذي لا نقص فيه يقتضي إعلانه على رؤوس الأشهاد من المعجبين المستحسنين ويتطلب إعلانه أمام أنظار المقدرين لقيمته، أما الجمال الخفي الذي لا نظير له فيستلزم الرؤية والإظهار أي رؤية جماله بوجهين :

أحدهما : رؤيته بذاته حالة في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة.

---

[1] الكلمات : ١١٤.

[2] انظر مفتاح دار السعادة :١٢/٢.

ثانيهما : رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له.

وهذا يعني أن الجمال الخالد يستدعي رؤية وظهوراً مع مشاهدة دائمة وشهود أبدي، وهذا يتطلب حتماً خلود المشاهدين المشتاقين المقدرين لذلك الجمال؛ لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل، ولأن المشاهد المحكوم عليه بالزوال يبدل تصور الزوال مودته عـــداء وإعجابه استخفافاً وتوقيره إهانة، إذ الإنسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه. ولما كان الجميع يغادرون دور الضيافة هذه بسرعة، ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمـــال بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة منه عبر لمحات سريعة فالرحلة إذاً منطلقة إلى مـــشهد دائـــم خالد"[1].

وعن صفة القدرة يقول: "إن القدرة الإلهية وحكمتها المطلقة التي لا إسراف فيها ولا عيب والتي تحيي جنائز الأشجار الميتة وهياكلها المنتصبة تحييها وهي لا تعد ولا تحصى على سطح الأرض في كل ربيع، وفي كل سنة بأمر "كن فيكون" وتجعلها علامة عن البعث بعد الموت فتحشر ثلاثمئة ألف نوع من طوائف النباتات وأمم الحيوانات وتنشرها، مظهرة بذلك مئات الألوف من نماذج الحشر والنشور، ودلائل وجود الآخرة"[2] فإحياء جميع ذوي الأرواح يوم الحشر لا يثقل على القدرة الإلهية كما لا يثقل عليها إحياء حشرة وإنشائها بعد سبات عميق طوال الشتاء بما يشبه الموت، لأن القدرة الإلهية ذاتية لا تتغير قطعـــاً ولا يمكـــن أن يتخللها عجز[3].

٥- قياس الإعادة على بدء الخلق: هذا من قياس الأولى. وقد تكرر في القرآن علـــى إثبات المعاد كقوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَـــهُ الْمَثَـــلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [الروم:٢٧] . وقوله تعالى: (**وَلَقَـــدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ**) [الواقعة:٦٢] .

ومثله في السنة ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "يقول الله تعالى شتمني ابن آدم ، وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، فأما شتمه إياي فقولـــه إني

---

[1] الكلمات : ٥١.

[2] الكلمات : ٨٤٣.

[3] انظر المكتوبات : ٦٠٠ .

اتخذت ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد و لم أولد، و لم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته"[1].

وعن هذا الدليل يقول النورسي عند قوله تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيـــدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه**) " أي أن إعادتكم في الآخرة هي أسهل من خلقكم في الدنيا إذ كمـــا أن الجنود إذا ما انتشروا وتفرقوا للاستراحة يمكن إرجاعهم إلى أماكنهم تحت راية الفرقة بنفخة من البوق العسكري فجمعهم هكذا من الاستراحة في مكان معين أسهل بكثير من تكـــوين فرقة جديدة من الجنود، وكذلك فإن الذرات الأساس التي استأنست وارتبط بعضها بالبعض الآخر بامتزاجها في جسم معين عندما ينفخ إسرافيل عليه السلام في صوره نفخة واحدة تهـــب قائلة: لبيك لأمر الخالق العظيم وتجتمع فاجتماعها بعضها مع البعض الآخر مرة أخرى أمر لا ريب أسهل وأهون ـــ عقلاً ـــ من إيجاد تلك الذرات لأول مرة "[2].

٦- مخلوقات الله تعالى يستلزم من خلقها المعاد: يستخدم النورسي دليـــل الحـــدوث والأعراض في إثبات الحشر فهو يرى طبيعة خلق الله تعالى للدنيا التبدل والتغير والـــزوال . وهذا من دلائل الزوال لهذه الدنيا لاستقبال حياة سرمدية، يقول: "إذا نظرنا بتدبر إلى هـــذا الكون، نلاحظ أن فيه عنصرين ممتدين إلى جميع الجهات بجذور متـــشعبة كـــالخير والـــشر والحسن والقبيح والنفع والضار والكمال والنقص فتصدم هذه الأضداد بعضها البعض الآخر بنتائجها وآثارها مظهرة التغيرات والتبدلات باستمرار كأنما تستعد وتتهيأ لعالم آخر، فلابد من نتائج ونهايات لهذين العنصرين المتضادين فسوف تصل إلى الأبد، وتتميز فيفترق بعضها عن بعض وعندئذ تظهر على شكل جنة ونار ولما كان عالم البقاء سيبنى من عالم الفناء هذا، فالعناصر الأساسية لعالمنا إذن ستساق وترسل حتما إلى البقاء والأبد.

نعم إن النار والجنة هما ثمرتا الغصن المتدلي الممتد إلى الأبد من شجرة الخليقـــة وهمـــا نتيجتا سلسلة الكائنات هذه، وهما مخزنا سيل الشؤون الإلهية، وهما حوضا أمواج الموجودات المتلاطمة الجارية إلى الأبد، وهما تجليان من تجليات اللطف والقهر "[3] .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة الإخلاص رقم ٤٩٧٤.

[2] الكلمات : ٦٢٠ .

[3] الكلمات : ٦٣٠.

وهذا الدليل لو ساقه النورسي في استجلاء الحكمة من الخلق حيث إن الله عز وجـــل يقول: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [ص:مـــن الآية٢٧] لكان سديداً. يقول ابن القيم: "احتج الله تعالى على أنه لا يترك الإنسان مهمـــلاً معطلاً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك، فإن من نقله من نطفة مني إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم خلقه وشق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقـــوى والعظام والمنافع والأعصاب، والرباطات التي هي أسرة[1] وأتقن خلقه وأحكمه غاية الإحكام وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عـــن إعادته وإنشائه مرة ثانية ؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدى فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته"[2].

ونلاحظ أن النورسي في هذا الدليل قد تأثر بالجدليـــة (الـــديالكتيك) في وصـــف الأحداث والأشياء فليس من منهج الإسلام وصف حوادث الكون والحياة وما يخلقـــه الله تعالى بالتصادم. بل بالتكامل والتساند في بناء هذا الكون من الذرات إلى المجرات. ثم قوله إن عالم البقاء سيبني من عالم الفناء هذا القول باطل لأنه يتضمن عدم وجود الجنة والنـــار الآن وقد ثبت أن الجنة والنار قد خلقهما الله تعالى وأين الدليل على قوله " إن العناصر الأساسية لعالمنا ستساق وترسل حتما إلى البقاء والأبد " يقول تبارك وتعالى ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْـــرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [ابراهيم:٤٨][3].

---

[1] وهي الإمساك قال تعالى (**وشددنا أسرهم**) [الإنسان :٢٨].

[2] الصواعق المرسلة : ٤٨٠/٢.

3 انظر درء تعارض العقل والنقل: ٧٠/٢.

المبحث الثاني: أشراط الساعة

أشراط الساعة

قال الله تعالى عن أشراط الساعة : **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾** [الأنعام:١٥٨] فهذه الآية دليل على تقدم أشراط الساعة على قيامها ومن أشراطها ظهور المهدي ومسيح الضلالة ـــ المسيح الدجال ـــ والمسيح عيسى بن مريم وغير ذلك.

تعريف أشراط الساعة :

الأشراط: العلامات واحدها شرط ، بالتحريك وبه سميت شرطة السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها[1] .

والساعة اصطلاحًا: هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفاجيء الناس في ساعة[2].

والساعة تطلق على معنيين: أحدهما أن تكون جزء من أربعة وعشرين جزء هي مجموع اليوم والليلة. والثاني أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل يقال جلست عندك ساعة من النهار: أي وقتاً قليلاً منه" [3]، وتطلق على يوم القيامة ، قال تعالى : **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾** [الروم: من الآية٥٥] . وقوله تعالى:**﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّاالسَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾**[محمد:من الآية١٨] .

ومن هذه الأشراط :

١- طلوع الشمس من مغربها :

قال تعالى : **﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾** [الأنعام: من الآية١٥٨]

وصح عن النبي ﷺ أن طلوع الشمس من مغربها من تلك الآيات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها

---

[1] انظر لسان العرب : ٣٢٩،٣٣٠/٧ مادة : شرط وفتح الباري ١٢١/١ والنهاية لابن الأثير ٤١٢/٢ مادة :شرط .

[2] انظر النهاية في غريب الحديث : ٤٢٢/٢.

[3] النهاية لابن الأثير :٣٧٩/٢ .

الناس آمنوا جميعاً فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"[1].

وهذه العلامة قبلها النورسي كما هي عند عامة السلف الصالح و لم يتأولها و لم يعدها من المتشابهات فهو يقول : " إن في دار التكليف والامتحان تكون علامات القيامة وأشراط الساعة التي يمكن مشاهدتها بالعين،مبهمة وغير صريحة ومحتملة التأويل ـــ كبعض المتشابهات القرآنية ـــ عدا علامة طلوع الشمس من مغربها فهي واضحة وضوح البديهة ، حتى إنها تدفع الجميع إلى الإيمان دون اختيار ولذلك ينغلق باب التوبة عندئذ، فلا قيمة للإيمان ولا جدوى من التوبة، حيث يتساوى في التصديق من يملك إيماناً كأبي بكر مع أعتى الكفرة كأبي جهل "[2]

٢- خروج المسيح الدجال

المسيح : يطلق على الدجال وعلى عيسى بن مريم عليه السلام وهي صفة مدح لعيسى وصفه ذم للمسيح[3] وقيل سمي مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين وقيل لأنه يمسح الأرض أي يطوف بلدانها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس"[4] والدجال سمي بذلك لأنه يغطي الحق بالباطل أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتلبيسه تمويهه عليهم وغير ذلك[5] والدجال المموه الكذاب الممخرق فهو يكثر من الكذب و التلبيس[6].

وقد وردت أحاديث كثيرة في التحذير من الدجال فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أنا نائم أطوف بالبيت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافئة، قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهاً ابن قطن رجل من

1 صحيح البخاري كتاب الرقاق باب لا ينفع نفساً إيمانها (٤٦٣٥).

2 الشعاعات : ١٠٤،١٢٠ .

3 فتح الباري :٤٨٦/٦.

4 انظر فتح القدير :٣٤١/١.

5 انظر لسان العرب : ٢٣٦/١١، ٢٣٧ مادة : دجل.

6 انظر النهاية لابن الأثير :١٠٢/٢.

خزاعة"[1].

وعند مسلم أن رسول الله ﷺ قال: "ما بُعث نبيٌّ إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر"[2].

مكان خروج الدجال :

يخرج الدجال من بلاد خرسان ويتبعه من يهود اصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود[3] .

قد جزم ابن حجر أنه يظهر من المشرق للأحاديث السابقة[4] و يقول ابن كثير: " فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة يقال لها:اليهودية"[5].

والدجال عند النورسي له عدة تأويلات فمن ذلك أن الدجال الكبير أو الدجال السفياني هو الهالك مصطفى كمال أتاتورك فكيف يجمع بين الأحاديث التي وردت إن الدجال يخرج من المشرق بينما أتاتورك لم يخرج و لم يأت من خراسان ولا من المشرق يقول تأويلاً لذلك " في رواية أن دجال المسلمين سيظهر في خراسان . إن تأويلاً لهذا ـــ ولا يعلم الغيب إلا الله ـــ هو : أن الشعب التركي الذي هو أشجع قوم في الشرق وأقواهم وأزيدهم عدداً وأكثرهم أقداماً في جند الإسلام كان يقطن أطراف خراسان زمن تلك الرواية ، ولما يسكنوا بعدُ في الأناضول . فالرواية تشير ـــ بذكرها موطن سكناهم في ذلك الوقت ـــ إلى ظهور الدجال السفياني فيهم"[6] ـــ ويؤكد أن أتاتورك هو الدجال ويقول ـــ "وإنه لغريب بل غريب جداً أن الشعب التركي الذي كان رمزاً لشرف الإسلام وعزته ، وسيفاً ألماسياً ممتازاً بيد الإسلام والقرآن طوال سبعمائة سنة يسعى الدجال السفياني أن يستعمل ـــ مؤقتاً ـــ هذا الشعب والقومية التركية ضد قسم من شعائر الإسلام"[7] وفي هذا النص يتبين أن

---

[1] البخاري كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٧١٢٨) .

[2] البخاري كتاب الفتن، باب: ذكر الدجال(٧١٣١). في الحديث: "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة" صحيح مسلم (٢٩٤٤) عن أنس بن مالك.

[3] انظر الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد ٧٣/٢٤ قال ابن حجر صحيح : فتح الباري ٣٢٨/١٣.

[4] انظر فتح الباري :٩١/١٣ وقال أنه يخرج من غضبة يغضبها .

[5] النهاية : الفتن والملاحم :١٢٨/١.

[6] الشعاعات : ١٢٦.

[7] الشعاعات : ١٢٦.

النورسي يعتقد بوجود دجالين ويوضح ذلك قوله : " لقد اعترض البعض في الادعاء على مسألة من (الشعاع الخامس)[1] تتعلق بالدجال متأثرين في اعتراضهم هذا بادعاءات بعض أصحاب الأهواء والبدع من العلماء الذين ينكرون مجيء الدجال أو حتى عدد من الدجالين في الإسلام"[2] ثم يستدل على قوله بحديث :" لن تزال الخلافة في ولد عمي العباس حتى يسلمها إلى الدجال"[3].

ويقول: "هذا الحديث الشريف فضلاً عن أنه يعتبر معجزة رائعة من معجزات نبينا ﷺ فإنه يدل دلالة صريحة على أن الخلافة العباسية ستظهر وتستمر مدة طويلة بما يقرب خمسمائة سنة ثم تدمر على يد دجال من الدجالين الثلاثة من أمثال جنكيز وهولاكو ويتولى حكومة دجالية في العالم الإسلامي أي أنه يدل دلالة ظاهرة على أن العالم الإسلامي سيفتتن بثلاثة من الدجالين طبقا للأحاديث المختلفة الواردة"[4].

والدجال الثالث في النص السابق الذي لم يذكره صراحة هو أتاتورك. وقد أطال في تأكيد أن أتاتورك الدجال الكبير ــ فمن ذلك أنه قال أن الدجال الكبير يدعى الألوهية فهو يومئ إلى أتاتورك فيقول :"كما أن قائداً جاهلاً ينكر وجود الملك، يتصور في نفسه والآخرين نوعاً من الملكية كل حسب حاكميته، كذلك الذين يقودون مذهب الطبيعيين والماديين يتخيلون في أنفسهم نوعاً من الربوبية كل حسب درجته فيسوق ــ الدجال ــ رعيته لخدمة قوته ويخضعهم خضوع عبودية له ولتماثيله أي يجعلهم يحنون رؤوسهم لها"[5].

وعن كونه سيكون عالماً عظيماً قال" إن هذا بانتساب كثير من العلماء له حيث يدورون في فلكه ويصدرون له الفتاوى "[6].

يقول : " إن عيسى قد رفع ــ بأمر إلهي ــ قسماً من التكاليف الشاقة التي كانت في

[1] وهو الخاص بأشراط الساعة .
[2] الشعاعات : ٥٥٤ وانظر ٤٧٨ .
[3] انظر كنز العمال :٢٧١/١٤ برقم ٣٣٤٣٦ ومسند الفردوس ٤٤٧/٣ ومجمع الزوائد ١٨٦/٥ .
[4] الشعاعات : ٥٥٥ .
[5] الشعاعات : ١١١ .
[6] الشعاعات : ١١٢ ولم يذكر دليلاً على كون الدجال سيكون عالماً عظيماً .

شريعة سيدنا موسى عليه السلام وأحل بعض ما تشتهيه النفوس كالخمر[1] ، كذلك يفعل الدجال الكبير ــ بإغواء من الشيطان وبنفوذه ــ فيرفع قسماً من أحكام شريعة سيدنا عيسى عليه السلام فيخل بالروابط التي بها تدار الحياة الاجتماعية للنصارى ممهداً الأوضاع للفوضى والإرهاب ومجيء يأجوج ومأجوج . وكذلك السفياني[2] الذي هو دجال المسلمين يسعى لرفع قسم من الأحكام الخالدة للشريعة المحمدية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) بدسائس النفس الأمارة وبمعاونة الشيطان ، فيخل بالروابط المادية والمعنوية للبشرية ..."[3]

وقوله: إن الحياة الاجتماعية للنصارى تدار بتعاليم أو بشريعة عيسى بن مريم باطل بالضرورة إذ الإنجيل محرف قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم فكيف يصلون لتلك الشريعة وحتى النصارى الآن يقرون بذلك بل لو أرادوا إدارة حياتهم الاجتماعية من الإنجيل لما وسعهم ذلك ــ على فرض عدم تحريفه ــ لأن شريعة عيسى عليه السلام غير شاملة وأصبحت منسوخة بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه إذا نزل عيسى بن مريم لا يحكم إلا بشريعة نبينا عليهما الصلاة والسلام ثم لم يذكر التشريعات التي يرفعها الدجال الكبير من شريعة عيسى وعن الدجال " السفياني" عند المسلمين ذكر أنه يرفع قسماً من الأحكام الخالدة للشريعة المحمدية . وهو هنا يومئ إلى أتاتورك ويدل على ذلك قوله عن دجال النصارى ودجال المسلمين " إن كلا الدجالين يحصلان على معاونة المنظمات السرية اليهودية الحاقدة على الإسلام والنصارى حقداً شديداً ومؤازرة منظمة رهيبة أخرى تعمل تحت ستار حرية النساء حتى إن دجال المسلمين يتمكن من خداع لجان الماسونية فيكسب ودهم وتأييدهم ... لذا يتوهم أن لهم اقتداراً عظيماً . هذا ويفهم من استخراجات بعض الأولياء الصالحين : أن الدجال السفياني الذي سيرأس دولة الإسلام ... يجد له رئيس وزراء في غاية الاقتدار والدهاء والفعالية"[4]

ويحذر طلابه من التعرض لأعمال الدجال السفياني أتاتورك فيقول : " يلزم عدم الخوض في مسائل النزاع ، وعدم طرق مسائل القبعة والأذان واستعمال عناوين الدجال

---

1 لم يثبت ما يدل على ذلك.

2 انظر: السنن الوارد في الفتن: ٩٣٧/٤ لأبي عمرو الداني [دار العاصمة، الرياض، ط١ ١٤١٦هـ].

3 الشعاعات : ١٢٢ .

4 الشعاعات : ١٢٤ .

والسفياني[1] مع الغرباء حيث يسبب هذا اتخاذ العلماء وأهل السياسة تجاه رسائل النور موقف المجابهة والتعدي عليها ، فالحذر هو الألزم "[2] .

مما سبق يتبين أن النورسي يطلق على أتاتورك "الدجال الكبير" و"الدجال السفياني" ولكن ما موقفه من الدجال الوارد ذكره في السنة الصحيحة؟ المتأمل لموقفه من أتاتورك وأعماله الكفرية يجد النورسي يصف أتاتورك بأوصاف الدجال الذي سيظهر في آخر الزمان ويعتقد أيضاً مع ذلك أن جملة من صفات الدجال التي وردت في السنة ستكون في دجال آخر الزمان . فعنده أن هذا الدجال لا يعرف بل إنه لا يعرف أنه الدجال يقول " لذا فهؤلاء الأشخاص أي الدجال والمهدي ــ لا يعرفون من قبل كثير من الناس عند ظهورهم بل لا يعرف ذلك الدجال الرهيب نفسه أنه دجال بادئ الأمر ، وإنما يعرفهم من ينظر إليهم بنور الإيمان النافذ إلى الأعماق "[3].

وقد صح عن النبي ﷺ حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجال قال لتميم الداري : " إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج ، فأسير في الأرض فلا ادع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، فإنهما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة ــ أو واحداً ــ منها استقبلني ملك بيده السيف مصلتا يصدني عنها، وإن على كل نقب[4] منها ملائكة يحرسونها .... الحديث "[5] بل إن الدجال قبل أن يخرج تعرف علامات خروجه من ذهاب ماء بحيرة طبرية وتعطل نخل بيسان عن الثمر :
ويرد النورسي على ما اسماهم بالظاهريين الذين يلبسون الروايات في الدجال معنى خرافياً يقول : " لعدم وضوح المعاني الحقيقية لأحاديث صحيحة تخص نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وقتله الدجال فإن قسما من العلماء الظاهريين ــ أخذا بظاهر تلك الروايات

---

[1] اضطراب في تحديد السفياني: فهو هنا يقول الدجال والسفياني على انهما شخصان انظر الشعاعات:١٠٤.
[2] الملاحق : ٢١٦.
[3] الكلمات : ٣٩٢ وانظر الشعاعات : ١٠٤.
[4] الطريق بين جبلين .
[5] صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد "٢٩٤٢" .

والأحاديث ــ قد وقعوا في الشبهات أو أنكروا صحتها أو ألبسوها معنى خرافياً بما يشبه انتظار صورة محالة ، فيضرون عوام المسلمين ، أما الملحدون فينشرون أمثال هذه الأحاديث البعيدة عن العقل ظاهر فيشنون هجوماً على الحقائق الإسلامية مستخفين بها "[1] ويقدم النورسي تصوره الذي يراه موافقاً للنصوص مخالفاً لفهم الظاهريين فيقول : " إن عيسى عليه السلام عند جهاده الدجال وأثناء قتاله له يقفز بمقدار عشرة أذرع ليتمكن من ضرب ركبة الدجال بسيفه "[2]. وهذا معنى مستبعد خاصة وأنه لم يرد فيه نص صحيح[3] ويقدم فهمه لهذا الأمر بقوله إنه كناية وإشارة إلى الذين يعرفون عيسى عليه السلام ويتبعونه بنور الإيمان وهم جماعة الروحانيين المجاهدين ــ وهم قلة قليلة بالنسبة لجنود الدجال العلمية والمادية أي الثقافية والعسكرية "[4]

وصفات الدجال جاءت في السنة الصحيحة وليس فيها هذه فقد ورد من صفات الدجال أنه " رجل جسيم أحمر، جعد الرأس، أعور العين، كأن عينه عنبة طافئة، قالوا: هذا الدجال أقرب الناس به شبهاً ابن قطن[5] "[6]، وهو أعور العين أجلى الجبهة ، عريض النحر، فيه دفأ[7]"[8] و" إن بين عينيه مكتوب كافر"[1]

---

[1] الملاحق : ١٢٩.

[2] الملاحق : ١٢٩ ويقول على هذا يلزم أن يكون طول الدجال عشرين مثلاً لطول عيسى .

[3] روي عن علي بن أبي طالب أنه قال : إن طول الدجال أربعون ذراعاً بالذراع الأول، تحته حمار أقمر طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً ما بين حافر حماره إلى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة تطوى له الأرض منهلاً منهلاً يتناول السحاب بيمينه ويسبق الشمس إلى مغيبها يخوض البحر إلى كعبه ... انظر الإشاعة في أشراط الساعة : ١٨٨ ، النهاية والملاحم ٨٠/٢-٨٢ كنز العمال ٣٣٠/١٤ الدر المنثور :٣٥٥/٥. ولم أجد من أهل الحديث من صحيح هذه الرواية حسب علمي.

[4] الشعاعات : ١١٧ وانظر تحليل أكثر لهذه المسالة في الملاحق : ١٣٠-١٣١.

[5] ابن قطن : هو عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعي ، وليس له صحبة على الصحيح ، انظر مسند الإمام أحمد ٣٠/١٥-٣١ بتعليق أحمد شاكر وفتح الباري ٤٨٨/٦ ، ١٠١/١٣.

[6] البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٧١٢٨). ومسلم كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام والمسيح الدجال (١٦٩).

[7] دفأ : فيه انحناء انظر النهاية لابن الأثير :١٢٦/٢.

[8] مسند الإمام أحمد ٢٨/١٥-٣٠ .

وكما أن للنورسي رأيًا في عظم جسم الدجال فإن له آراء متعددة في الخوارق التي تكون معه ويفتن بها الناس فعند الحديث أن الدجال أعور وأنه مطموس العين يذكر أن ذلك لدجالين اثنين الدجال الكبير ودجال آخر الزمان ولم يفرق بينهما يقول: "حتى ورد أنه أعور ملفتاً الأنظار إلى عينه ففي الحديث إشارة إلى أن الدجال الكبير أعور والآخر دجال آخر الزمان إحدى عينيه ممسوحة أي بحكم العوراء بالنسبة للأخرى وبأنهما كافران كفراً مطلقاً فليست لهما إلا عين واحدة فقط تنحصر رؤيتهما في الحياة الدنيا وأما الأخرى التي لها القدرة على رؤية العقبى والآخرة فعوراء ممسوحة "[2] .

وعن مدة مكثه وانه ورد أنه " يسيح في الأرض أربعين يوماً يرد كل بلدة غير هاتين مكة والمدينة، حرمهما الله تعالى عليه، ويوم من أيامه كالسنة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وبقية أيامه كأيامكم هذه"[3].

يقول عن أيامه هذه:"معنى الحديث إشارة إلى ظهور هذا الشخص من شمال العالم، وتتضمن هذه الإشارة رمزاً حكيماً وهو: أن الدائرة القطبية للقطب الشمالي تكون السنة فيها يوماً وليلة، حيث أن ستة أشهر منها ليل والستة الأخرى نهار. أي يوم الدجال هذا سنة واحدة كما ورد "يوم كسنة" فهذا إشارة إلى ظهوره قريباً من تلك الدائرة أما المراد بـ "يوم كشهر" فهو أنه كلما تقدمنا من الشمال نحو مناطقنا يكون النهار أحياناً شهراً كاملاً حيث لا تغرب الشمس شهراً في الصيف وهذه إشارة أيضاً إلى تجاوز الدجال إلى عالم الحضارة بعد ظهوره في الشمال وهذه الإشارة آتية من إسناد اليوم إلى الدجال وهكذا كلما اقتربنا نزولاً من الشمال إلى الجنوب نرى الشمس لا تغرب أسبوعاً. إلى أن يكون الفرق في الشروق والغروب ثلاث ساعات أي كأيامنا الاعتيادية[4] وقد كنت في مكان كهذا عندما كنت أسيراً في روسيا فكانت الشمس لا تغرب أسبوعاً في مكان قريب منا. حتى كان الناس يخرجون لمشاهدة المنظر الغريب للغروب"[5].

---

[1] البخاري:كتاب الفتن باب ذكر الدجال(٧١٣١) ومسلم كتاب الفتن واشراط الساعة باب ذكر الدجال(٢٩٣٣).

[2] الشعاعات : ١٢٤ .

[3] انظر فتح الباري : ١٠٤/١٣ .

[4] في أيامنا الاعتيادية بين الشروق والغروب اثنتا عشرة ساعة تزيد أو تنقص قليلاً .

[5] الكلمات : ٣٩٢ – ٣٩٣ .

وعن مسيره في الأرض أربعين يوماً يقول: " أما بلوغ صوت الدجال إلى أنحاء العالم ، وأنه يطوف الأرض في أربعين يوماً فقد حلتها أجهزة الراديو والمخابرة ووسائل النقل الحاضرة من قطارات وطائرات، فالذين أنكروا هاتين الحالتين من الملحدين بالأمس وعدوهما من المحالات يروهما اليوم من الأمور العادية "[1] وفي موضع آخر قال:"إن هذه الروايات تخبر أخباراً معجزاً عن أن وسائط النقل والمخابرة ستتقدم في زمن ظهور الدجال بحيث أن حادثة واحدة تسمع في اليوم الواحد في أنحاء العالم كله فيصيح الدجال بالراديو ويسمعه الشرق والغرب وتقرأ الحادثة في جميع صحفه وجرائده، وأن الإنسان يستطيع أن يسبح في العالم كله في غضون أربعين يوماً فيرى قاراته السبع وحكوماته السبعين (!) فهذه الروايات تخبر أخبار معجزات عن التلغراف والتليفون والراديو والطيارة قبل ظهورها بعشرة قرون "[2].

وهذا التأويل متكلف فإن الدجال إذا ظهر ظهرت معه فتن عظيمة لا يسعنا التكلف لها بمثل هذه التأويلات . فإنه لكل زمان أحكامه ، لذلك يتابع النورسي بعد ذلك في تأويل الجنة والنار التي تكون مع الدجال أنه يجعل ما سبق ذكرهما لحاكم مستبد ويطلق عليه لفظ الدجال الوارد ذكره في السنة يقول " إن الدجال لا يسمع في العالم بكونه دجالاً وإنما بصفة ملك وحاكم مستبد مطلق وأن سياحته في الأرض ليست للاستيلاء على الأماكن كلها وإنما لإيقاظ الفتنة والإضلال والإغواء ، أما دابته وحماره فإما إنه القطار الذي إحدى أذنيه ورأسه مصدر النار كجهنم . وأذنه الأخرى مكان مفروش ومزين كجنة كاذبة فيرسل أعداءه إلى الرأس ذي النار ويجعل أصدقاءه في الرأس المعد للضيافة ... أو أن حماره ودابته سيارة عجيبة ... أو طائرة ... أو .. (يجب السكوت) "[3] وهذا تأويل فاسد فقد صح أن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطئ رأسه ، فيشرب منه ، فإنه ماء بارد "[4] . ويتابع النورسي وصف

---

1 الكلمات : ٣٩٣.

2 الشعاعات : ١١٨.

3 الشعاعات : ١١٨ وانظر المكتوبات ٧٢-٧٣ حيث جعل جنته هي ملاهي الحضارة، وتأمل قوله (يجب السكوت) وما يوحي إليه من معنى لطلابه.

4 صحيح مسلم كتاب الفتن و أشراط الساعة باب ذكر الدجال (٢٩٣٤).

أعمال الدجال الخارقة وما جاء به من فتن تأويلاً لها فيقول :" أمور الدجال الخارقة التي يستدرج بها الناس ويسخرهم باستخدام السحر والتنويم المغناطيسي والأرواح وأمثالها ..."[1]،. ولا يعتقد النورسي أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سيقتل مسيح الضلالة الدجال حقيقة بل هذا عنده إشارة إلى انتصار مفهوم الحق على مفهوم إنكار الألوهية وإن الذي سيقضي على الدجال معنوياً هم الذين أطلق عليهم "النصرانيون المسلمون" وفي موضع آخر "الروحانيون النصارى" يقول: " إن جماعة نصرانية غيورة فدائية، ممن يستحقون اسم النصرانيون المسلمون تسعى هذه الجماعة للجمع والتوفيق بين الدين الحقيقي لسيدنا عيسى عليه السلام وحقائق الإسلام وتحت رئاسة سيدنا عيسى عليه السلام تقوم هذه الجماعة بتقويض نظام الدجال وقتل قيادته ، تلك القيادة التي تدمر المدنية والمقدسات البشرية وتجعلها هباءً منثورا بنيه إنكار الألوهية في عالم الإنسانية ... "[2] وفي موضع آخر يقول : " إن الذي سيقتل الشخصية المعنوية لشخص الدجال المقتول بسيف شخص عيسى عليه السلام ويبيد كيان الإلحاد الهائل والمادية الرهيبة التي كونها ويفني ما يدعو إليه من الكفر بإنكار الألوهية هم الروحانيون النصارى فهؤلاء الروحانيون يهلكونه ويقتلونه معنى بقوة نابعة من مزجهم حقيقة النصرانية مع حقائق الإسلام "[3] ويرى أيضاً إن الذي سيقضي على الدجال عنده هو الدين الحق يظهر في العيسويين و إلا فإن الدجال في حقيقته يمكن أن يقتل بجرثومة أو بمرض بسيط كالزكام[4]. ويجعل للمهدي أيضاً نصيباً من قتل الدجال حيث" أن شخصاً رهيباً يقال له:(السفياني)[5] سينكر الرسالة الأحمدية متستراً بالنفاق، ويتولى قيادة المنافقين ويسعى لتدمير الشريعة الإسلامية، وسيقابله شخص نوراني من آل البيت يسمى محمد المهدي يتولى قيادة أهل الولاية و أهل الكمال المرتبطين بالسلالة النورانية لآل البيت ، ويقتل تيار النفاق الذي يمثل

---

1 الشعاعات : ١١٥.

2 المكتوبات : ٥٦٩.

3 الشعاعات : ١١٥.

4 انظر الشعاعات: ١٠٨وانظر لقوله أنه بفضل الاتحاد بين الإسلام والنصرانية يقضي على الدجال المكتوبات : ٧١-٧٢.

5 أحد أسماء الدجال عند النورسي .

شخص السفياني المعنوي ويدمره تدميراً"[1] والصحيح أن هلاك المسيح الدجال سيكون على يدي المسيح عيسى بن مريم وحده ، ويكون ذلك حقيقة . حيث يترل عيسى بن مريم عن المنارة الشرقية بدمشق ، ويكون الدجال حينها متوجهاً إلى بيت المقدس فيلحق به عيسى بن مريم عند باب لد "[2]. فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح فيقول عيسى عليه السلام: " إن لي فيك ضربة لن تفوتني " فيقتله بحربته ، فينهزم أتباعه ، فيتبعهم المؤمنون فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم : يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود[3] أعاذنا الله جميعاً من فتنة المسيح الدجال .

٣- نزول عيسى بن مريم عليه السلام :

أخبرنا الله تعالى أن عيسى بن مريم لم يقتل وأنه رفع إلى السماء قال الله تعالى: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ۞ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾** [النساء:من الآية ١٥٧ - ١٥٨] ونزول عيسى عليه السلام سيكون من علامات الساعة الكبرى في آخر الزمان **﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾** [الزخرف:من الآية٦١) وعندما يترل يؤمن به أهل الكتاب **﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾** [النساء: من الآية١٥٩] ونزوله سيكون بعد خروج المسيح الدجال. فعند اصطفاف المسلمين لصلاة الفجر يتقدم إمامهم للصلاة فيترل عيسى بن مريم ،فيعرفه المسلمون، فيرجع ذلك الإمام طالباً من عيسى أن يتقدم فيَؤُمَهم فيأبى ففي الحديث "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فيترل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: صل لنا. فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة "[4]. بل إن النبي عليه السلام يصفه حتى يعرفه المسلم فيقول "ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع[5] إلى الحمرة والبياض يترل بين

---

[1] المكتوبات : ٧١.

[2] لد : بلدة فلسطينية قرب القدس .

[3] انظر مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال (٢٩٣٧).

[4] مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حاكماً (١٥٦).

[5] أي متوسط القامة ، ما بين الطول والقصر .

ممصرتين[1] كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام "[2] وعن مكـان نزول عيسى يقول: "يترل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق"[3].

ويرى النورسي أنه إذا نزل عيسى بن مريم فإنه لا يعرفه إلا المؤمنون يقول: "بل حتى إن نزول عيسى عليه السلام ومعرفة كونه هو عيسى عليه السلام لا غيره إنما يعرف بنور الإيمان النافذ ولا يستطيع كل أحد معرفته"[4] ولم يقدم سبباً لذلك نقلاً أو عقلاً وكما وقع في مسألة الدجال من هجوم النورسي على (الظاهريين) هاجمهم أيضاً في موضوع المسيح عيسى عليه السلام وذلك لأنه يرى أن الأحاديث التي وردت في هذه المسألة غير واضحة . يقول: "لعـدم وضـوح المعاني الحقيقية لأحاديث صحيحة تخص نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وقتلة الـدجال فإن قسماً من العلماء الظاهريين – أخذاً بظاهر تلك الروايات والأحاديث – قد وقعـوا في الشبهات أو أنكروا صحتها، أو ألبسوها معنى خرافياً بما يشبه انتظار صورة محالة، فيضرون عوام المسلمين أما الملحدون فينشرون أمثال هذه الأحاديث البعيدة عـن العقـل ظـاهراً، فيشنون هجوماً على الحقائق الإسلامية مستخفين بها[5] ويذكر المعنى الإشاري لترول عيـسى عليه السلام ويقول: "إن طائفة ممثلة لسيدنا عيسى عليه السلام تسلك سلوكه تترل بمظـلات مـن الطائرات كبلاء سماوي – بما لم يسمع به لحد الآن ولم يشاهد قط خلف الأعداء مما يظهـر المعنى المادي لترول عيسى عليه السلام [6] .

وعند تأويله أيضاً لضخامة الدجال مقارنة بعيسى عليه السلام يرى أن المقصود هو أن أتباع الحق قليل بجانب أتباع الشر والباطل من الماديين الذين يسيطرون على المجـالات العلميـة والثقافية والعسكرية فيقول:" إن أحد أوجه تأويل هذا ولا يعلم الغيـب إلا الله ينبغـي أن

---

[1] الثوب الممصر : مصبوغ بالعِشرِق، وهو نبات أحمر تستعمله العرائس. انظر لسان العرب: ١٧٦/٥ .

[2] مسلم كتاب الفضائل باب فضائل عيسى بن مريم (٢٣٦٥) .

[3] الترمذي كتاب الملاحم باب خروج الدجال(٤٣٢١) صححه الألباني انظر صحيح الجامع ١٣٥٧/٢برقم ٨١٦٩.

[4] الشعاعات : ١٠٤.

[5] انظر الملاحق : ١٢٩ وقد مضى قوله إن عيسى عليه السلام يقفز عشرة أذرع ليضرب ركبة الدجال .

[6] الشعاعات : ١١٧ .

يكون هكذا: إنه كناية وإشارة إلى الذين يعرفون عيسى عليه السلام ويتبعونه بنور الإيمان – وهم جماعة الروحانيين المجاهدين –هم قلة قليلة بالنسبة لجنود الدجال العلمية والمادية الثقافية العسكرية"[1].

ولأن النورسي اعتمد على ما لا يصح من الروايات فإننا نراه يتكلف في تأويل الأحاديث الثابتة الصحيحة حتى توافق ما عنده من مرويات فهو يرى أن عيسى ابن مريم رفع بأمر إلهي[2] وأنه كلمة الله وروح الله[3]. وأن مثل عيسى عند الله كمثل آدم[4] وأنه ينزل ويقتل الدجال[5] ويقول إن الذي يقضي عليه هو المنهج الإلحادي : " فهذا الدين العيسوي هو الذي يمحو بنزول عيسى عليه السلام ذلك المنهج الإلحادي فيقضي عليه قضاءً تاماً"[6]. يذكر الحافظ ابن حجر الحكمة من نزول عيسى بن مريم فيقول : " قال العلماء الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها. وقيل : إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم ، فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله والأول أوجه "[7].

٤- الدابة

من العلامات المؤذنة بقرب الساعة دابة الأرض . وقد ثبت ذلك في الكتاب وصحيح السنة : قال تعالى : **(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ**

---

[1] الشعاعات : ١١٧، انظر إلى النصوص المثبتة لنزول عيسى بن مريم على الحقيقة وأقوال العلماء في تفسير ابن كثير : ٥٧٩/١، تفسير البغوي: ٢٨٦/٢، تفسير الطبري: ١٨/٦، أحكام القرآن للجصاص: ٢٦٥/٥.

[2] انظر الشعاعات :١٢٢

[3] انظر إشارات الإعجاز : ٢٦٠.

[4] انظر اللمعات : ٥٨.

[5] انظر الشعاعات : ١١٥، واللمعات :١٦٢.

[6] الشعاعات : ١٠٨ وانه يعمل بشريعة محمد عليه الصلاة السلام انظر الكلمات ٨٤٥ .

[7] فتح الباري :٤٩٣/٦.

النَّاسَ كَانُوا بِآياتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢] وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسب في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض "[1] .

ومع أن النورسي يقول عن الدابة: "أما تفاصيلها فلا أعرفه الآن معرفة جازمة وباقتناع قاطع بمثل المسائل الأخرى"[2] إلا أنه يقدم لطلابه مفهوماً ـــ بلا دليل ـــ للدابة فيقول: " إن تلك الدابة ـــ والله أعلم ـــ هي نوع و ليست فرداً لأنه لو كانت فرداً وحيواناً واحداً ضخماً جداً، لما بلغ كل شخص في كل مكان فهو إذن طائفة حيوانية مخيفة، وربما هي حيوان كالأرضة التي تقضم الخشب وتأكله كما تشير إليها الآية الكريمة **(إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ)** [سبأ: من الآية١٤] فهذا الحيوان أيضاً يقضم عظام الإنسان وينخرها كنخر تلك الدابة الخشب ويستقر في جميع أجزاء جسم الإنسان من أسنانه إلى أظفاره وقد أنطقت الآية الكريمة تلك الدابة بخصوص الإيمان مشيرة : بأن المؤمنين ينجون منها ببركة الإيمان ويمنه وبتحرزهم من السفاهة وتجنبهم الإسراف وسوء الأخلاق"[3]. [4]

يقول أحمد شاكر "الآية صريحة بالقول العربي إنها دابة ومعنى الدابة في لغة العرب معروف وواضح لا يحتاج إلى تأويل، وردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة الآية، وأنها تخرج آخر الزمان... ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين للإسلام الذي فشا فيهم المنكر من القول و الباطل من الرأي الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب ، ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلموهم وقدوتهم ملحدو أوروبا الوثنيون الإباحيون، المتحللون من كل خلق ودين هؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكاراً صريحاً فيجمجمون ويحاورون ويداورون ثم يتأولون فيخرجون بالكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب، يجعلونه أشبه بالرموز،

---

1 مسلم كتاب الإيمان باب الزمن الذي لا يقبل الله فيه الإيمان (١٥٨) انظر باب ذكر الدجال١٨/٢٧-٢٨ ، ٧٧-٧٨ ومسند الإمام أحمد ١٥/٧٩-٨٢ ، ٧٩٢٤ ت أحمد شاكر .

2 الشعاعات : ١٢١ .

3 الشعاعات : ١٢١ .

4 وممن ذهب إلى هذا القول أيضاً محمد فهيم أبو عبيه انظر تعليقه على كتاب النهاية / الفتن والملاحم لابن كثير : ١/١٩٠، ١٩٩.

لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يطنون "[1].

٥- يــأجــــوج ومــــأجــــــوج

ذكر في اشتقاق اسم يأجوج ومأجوج الاضطراب قال تعالى: **(وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ)**[الكهف: من الآية٩٩] وذلك عند خروجهم من السد[2] قال ابن حجــر "هما اسمان أعجميان عند الأكثر منعا من الصرف للعلمية والعجمة "[3] .

و يأجوج ومأجوج من بني آدم يدل عليه قوله ﷺ يقول الله تعالى : يا آدم : فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك . فيقول : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين فعندئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . قالوا : وأينــا ذلــك الواحد ؟ قال : "ابشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف "[4] .

وذكر النورسي عن يأجوج ومأجوج أقوالاً في أصلهم فقال : " أما يأجوج ومــأجوج فقيل : قبيلتان من ولد يافت وقيل المغول والمانجور وقيل أقوام شرقية شمالية . وقيل طائفة من جماعة عظيمة من بني آدم يشيعون الفتنة والفوضى في الدنيا والمدنية ، وقيل : مخلوقــات لله تعالى آدميون أو غيرهم في ظهر الأرض أو في بطنها "[5] لكنه رجح أنهم قبائــل المــانجور والمغول حين يتكلم عن السد الذي بناه ذو القرنين قال " إنما بناه ليصد به هجمات أقــوام شريرة أطلق عليهم القرآن الكريم اسم يأجوج ومأجوج ويعبر عنهم التاريخ بقبائل المــانجور والمغول "[6].

ويفصل ذلك بأن يأجوج ومأجوج قد خرجوا من قبل فأغاروا على آسيا وأوربا فيقول " إنه كناية وإشارة إلى أن قبائل المانجور والمغول الذين يطلق عليهم القرآن بلغته الــسماوية

---

[1] انظر شرح أحمد شاكر لمسند الإمام أحمد ٨٢/١٥.
[2] انظر لسان العرب : ٢٠٦/٢-٢٠٧.
[3] انظر فتح الباري : ١٠٦/١٣.
[4] البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨).
[5] اللمعات : ١٦٥.
[6] اللمعات : ١٦٥.

يأجوج ومأجوج سيدمرون العالم كله في الأزمان المقبلة مثلما أغاروا عدة مرات على آسيا وأوربا مع قبائل الصين وما حولها، وأحلوا فيها الهرج والمرج حتى أن الإرهابيين المشهورين في المنظمات الشيوعية الآن ينتمون إليهم "[1]. ويرى النورسي أن ظهور يأجوج ومأجوج وما يحدث من فتن هو حمى تصيب الناس يقول: "إن الفوضى والاضطراب الذي يولده يأجوج ومأجوج هو في حكم حمى تصيب البشرية لهرمها "[2]. وعن السد الذي بناه ذو القرنين ليحجز يأجوج ومأجوج خلفه . قال :" أما السد فقال بعضهم إنه سد الصين ، وقيل غيره تحول جبلاً . وقيل : سد مخفي لا يطلع عليه سترته انقلابات أحوال العالم ... وقيل ... وقيل ... "[3] وعن موعد خرابه يقول " أما خراب السد فقيل عند القيامة ، وقيل : قريب منها . وقيل يخرب بحيث يعد أماراتها وإن كان بعيداً وقيل وقع الخراب ولكن لم يدك وقيل وقيل .... "[4].

والسور الذي يدكه[5] في آخر الزمان يأجوج ومأجوج من علم الغيب حيث لا يعرفه أحد على وجه التحديد مع أنه في جهة المشرق[6] قال تعالى : **﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾**[الكهف: من الآية٩٠].

٦ – المهدي

المهدي لغة: اسم مفعول من هدى. والهدى هو الرشاد والدلالة يقال: هداه الله للدين وهديته الطريق والبيت هداية أي عرفته[7].

وثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يبعث في آخر الزمان رجلاً من آل بيت النبي ﷺ يكون خليفة للمسلمين فيحكم بينهم بالعدل ويكون اسمه يوافق اسم النبي ﷺ

---

[1] انظر الشعاعات : ١١٦ وانظر لقول القرطبي في تفسيره : ٥٨/١١ في خروج يأجوج ومأجوج وأنهم التتار، ووافقه سيد قطب – رحمه الله – في الظلال:٢٢٩٣/٤-٢٢٩٤ ورجح ذلك.

[2] صيقل الإسلام : ٨١ ويعتقد النورسي مع ذلك أن فتنة يأجوج ومأجوج ستظهر بعد الدجال انظر الشعاعات:١٢٢.

[3] صيقل الإسلام : ٨٠ والفراغات بين قيل وقيل من كلام النورسي، وقال أن بناء السد كان لأجل فصل أهل البداوة عن أهل المدينة في ذلك الزمان انظر صيقل الإسلام : ٨١.

[4] صيقل الإسلام : ٨١.

[5] يرى النورسي أن خراب السور غير دكه انظر صيقل الإسلام :٨١.

[6] انظر تفسير القرآن العظيم :١٩١/٥.

[7] انظر الصحاح للجوهري ٢٥٣٣/٦.

واسم أبيه يوافق اسم والد نبينا ﷺ، قال ﷺ: "المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة"[1]، ويقول ﷺ : "المهدي مني أجلى الجبهة أقنى[2] الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويملك سبع سنين"[3].

وعند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: " يكون في أمتي المهدي إن طال عمره أو قصر عاش سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، تخرج الأرض نباتها وتمطر السماء قطرها"[4] فهذه الأحاديث وغيرها تدل بكثرتها على صحة الخبر عن رجل من آل البيت يخرج في آخر الزمان فيصلح الله به أحوال المسلمين.

ويرى النورسي أن المهدي لا يقصد به رجل واحد بل هو يرى أنهم مجموعة من المهديين الذين يحتاج الناس إليهم في كل عصر فلا يخلو ــ عنده ــ أي عصر من وجود هؤلاء المهديين لذلك يذكر الاختلاف في زمن ظهور المهدي المنتظر حتى إنه يقول:"إن هناك أخباراً متباينة عن المهدي الذي هو من آل البيت وظهوره من علامات الساعة.حتى حكم قسم من أهل العلم وأهل الولاية على سبق ظهوره"[5]، ويقول:"لقد انتظر الناس منذ زمن مديد بل منذ زمن التابعين ظهور المهدي والدجال السفياني، ورغبوا في اللحاق بهم، حتى قال قسم من الأولياء الصالحين بفوات وقتهم"[6].

فالمهدية عند النورسي تكون لأشخاص يحتاجهم الناس في حياتهم ليبصروهم ويرشدوهم فهو يقول: " إن كل وقت وكل عصر بحاجة إلى معنى المهدي الذي يكون أساساً للقوة المعنوية وخلاصاً من اليأس، فيلزم أن يكون لكل عصر نصيباً من هذا المعنى"[7]. لذلك وحتى

---

1 ابن ماجه كتاب الفتن باب خروج المهدي (٤٠٨٥) وقد صححه الألباني انظر صحيح الجامع (٦٧٣٥) والسلسلة الصحيحة: (٢٣٧١).

2 أقنى: طول الأنف ورقة أرنبته مع حدب في وسطه. لسان العرب ٢٤٥/١.

3 سنن أبي داود كتاب الفتن باب خروج المهدي (٤٠٨٥) وقد حسنه الألباني انظر صحيح الجامع (٦٧٣٦).

4 مسند الإمام أحمد (٢٦،٢٧/٣).

5 الشعاعات : ١١٩.

6 الكلمات : ٣٩١.

7 الكلمات : ٣٩١.

لا يكون منكراً للمهدي التي وردت به كتب السنة أطلق اسم المهدي الكبير عليه : يقول: " إن آل البيت الذين غذوا بروح الحقيقة القرآنية وارتضعوا من منبعها ، وتنوروا بنور الإيمان وشرف الإسلام فعرجوا إلى الكمالات وأنجبوا مئات الأبطال الأفذاذ وقدموا ألوف القواد المعنويين لقيادة الأمة ... لابد أنهم يظهرون للدنيا العدالة التامة لقائدهم الأعظم المهدي الأكبر، وحقانيته بإحياء الشريعة المحمدية والحقيقة الفرقانية والسنة الأحمدية"[١]، وهذا يؤكد تفريق النورسي بين المهديين. الذين يسبقون المهدي الكبير فإنه "على الرغم من أن مجددين ومرشدين يهدون الناس إلى سواء السبيل قد أتوا ويأتون، فإن أحداً منهم لا يتخذ عنوان "السيد المهدي" الكبير الذي سيأتي في آخر الزمان"[٢] ويبين سبب عدم ادعائهم لمرتبة السيد المهدي الكبير بقوله:"لأنه لا يؤدي سوى وظيفة واحدة من الوظائف الثلاث"[٣].

وهذه الوظائف الثلاث – عند النورسي – لا يقوم بها إلا المهدي الكبير التي وردت الأحاديث في شأنه وهي كما يقول: "إن الذي تنتظره الأمة وسيأتي في آخر الزمان له مهام ثلاثة، وأن أهم وظيفة من هذه الوظائف الثلاث وأعظمها وأجلها هي نشر الإيمان التحقيقي وإنقاذ الإيمان من الضلالة.

أما وظيفته الثانية: فهي تنفيذ الشريعة الغراء وتطبيقها فبينما لا تعتمد الوظيفة على القوة المادية بل إن سندها هو القوة المعنوية من إخلاص ووفاء وقوة العقيدة فإن هذه الوظيفة تحتاج إلى قوة مادية عظيمة مرهوبة الجانب، وسلطة ذات شأن كي يتمكن من تنفيذها.

أما وظيفته الثالثة: فهي خدمة الإسلام بإعلان الخلافة الإسلامية مستنداً إلى الوحدة الإسلامية، والاتفاق مع الروحانيين النصارى الذين يلتحقون به خدمة للإيمان ـــ فهذه الوظيفة يمكن تطبيقها بسلطة عظيمة وقوة هائلة وملايين الفدائيين المضحين"[٤].

ووظائف المهدي هذه التي وضعها النورسي . لا يدل عليها دليل بهذا التقسيم ثم هذه الوظائف الثلاث تعود لوظيفة واحدة هي خدمة الإسلام . فلا تكون خدمة الإسلام إلا بإقامة الدين في حياة الناس وتحكيم الشريعة وما كان غير ذلك فهو تبع . وأما قوله إن

---

[1] الشعاعات : ١٢٠.

[2] الملاحق : ٣١٦.

[3] المرجع السابق والصفحة.

[4] الملاحق : ١٩٥.

المهدي يعلن الوحدة الإسلامية بالاتفاق مع الروحانيين النصارى الذين يلتحقون به خدمة للإيمان إن كان معنى التحاق هؤلاء النصارى بالمهدي إيماناً بالإسلام الخاص فهذا لا يحتاج إلى اتفاق في الأصل وأما إن كان المقصود أن النصارى يبقون على دينهم ويتفق المهدي معهم على أمور مشتركة مثل محاربة إنكار وجود الله ــ مثلاً ــ فهذا باطل.

ويرى النورسي أن المجددين من العلماء . لم يدعوا المهدية لأنهم قاموا بوظيفة غرس الإيمان واليقين و لم يقوموا بنشر وتطبيق الشرع في حياة الناس وتوحيد المسلمين[1] ويذكر بعض المهديين السابقين فيقول : " إن للمهدي الكبير مهمات كثيرة ووظائف عدة فكما أن له إجراءات في عوالم ودوائر كثيرة كعالم السياسة وعالم الدين وعالم السلطة وعالم الجهاد ، كذلك يحتاج أهل كل عصر عندما يخيم عليهم اليأس إلى من هو كالمهدي ليشد من قواهم المعنوية ... لذا ظهر من آل البيت من هو كالمهدي في كل دور بل في كل عصر برحمة من الله سبحانه فحافظ على شريعة جده الأمجد ، وإحياء سنته المطهرة فمثلاً ظهر المهدي العباسي في عالم السياسة والدولة وظهر الشيخ الكيلاني والشاه النقشبند والأقطاب الأربعة والأئمة الاثني عشر وأمثالهم من الأفذاذ في عالم الدين والإيمان فنفذوا قسماً من مهمات المهدي ووظائفه"[2] ومن هؤلاء المهدي العباسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله سماه أبوه أبو جعفر المنصور بالمهدي لموافقته في الاسم يقول ابن تيمية: "لما كان الحديث المعروف عند السلف والخلف أن النبي ﷺ قال: في المهدي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي صار يطمع كثير من الناس أن يكون هو المهدي حتى سمي المنصور ابنه محمد ولقبه بالمهدي و لم يكن هو الموعود به "[3]. ومع أن النورسي ينفي قدرة العلماء المجددين على القيام بأعباء "المهدية " فإنه يقول ذلك عن المهدي الأكبر فهو لا يستطيع لوحده النهوض بالأمة لأن حفظ أهل الإيمان من شرور الضلالة يقتضي إجراء تحقيقات علمية واسعة وأبحاث متواصلة دائبة التي تتطلب التجرد من هموم الدنيا ومشاغلها تجرداً كاملاً . ولا يسمح الوقت

1 الملاحق : ٣١٦.

2 الشعاعات : ١١٩.

3 انظر منهاج السنة ١٣٢/٢ ولمحمد بن علي بن حجر الهيثمي كتاب بعنوان : "الدرر في علامات المهدي المنتظر" وانظر درء التعارض: ١٠٨/١٠ وكيف يخيل لبعضهم أنه صار إلهاً أو نبياً أو ملكاً أو مهدياً، وانظر حال أهل البدع كالكيسانية حيث يعتقدون في أئمتهم المهدية منهاج السنة ٤٧٨/٣ .

والأحوال لقيام السيد المهدي بمهمته هذه بالذات ، لأن أعباء الحكم في الخلافة الإسلامية لا تدع وقتاً له للانشغال بتلك الأمور فلابد أن تنهض بتلك المهمة قبلة طائفة في جهـــة مـــا. وسيجعل السيد المهدي ما دَوَّنَه هؤلاء من أثر منهاجاً معداً له فيكون قد أدى تلك المهمـــة على أتم وجه"[1]. والنورسي هنا كأنه يرى المهدي وما هو إلا شخص يخرج للناس ويجلـــس لتعليمهم فهو يقول " السيد المهدي وطلابه"[2] فهو يسعى للتغير بعد الانقلابات التي عطلت الشريعة[3].

وهذا المنهج الذي يجده المهدي يشير إليه النورسي بأنه منهج رسائل النور فيقول :" إن طلاب النور يرون هذه الوظيفة بتمامها في رسائل النور ، تظل الوظيفتان الثانية والثالثـــة في المرتبة الثانية و الثالثة عندهم بالنسبة لهذه الوظيفة الأولى لذا ينظرون إلى الشخص المعنـــوي لرسائل النور – وهم محقون – نظرة نوع من المهدي ، وحيث أنهم يظنون في مؤلف رسائل النور – هذا الضعيف – أنه ممثل ذلك الشخص المعنوي الناشئ من ترابط طلاب النور لـــذا يطلقون ذلك الاسم عليه أحياناً"[4] ولا ينكر النورسي عليهم ذلك بل يعتبر دلـــيلاً علـــى " كمال عقيدة طلاب النور"[5] وطلابه الذين يعتقدون فيه ما سبق لم يعرفوا صفات المهـــدي لذلك اعتقدوا أن النورسي هو المهدي المنتظر أو كادوا. يقول الخبراء في محكمه ديترلي عن طلاب النور "إذا ادعى سعيد النورسي أنه المهدي فإن جميع طلابـــه يـــصدقونه برحابـــة صدر"[6].فكيف يصدقونه مع أن اسمه لا يطابق اسم المهدي الوارد ذكره في السنن.

والنورسي يذكر عن طلابه أمراً أعجب من هذا فطلابه ينظرون إلى الرسائل التي كتبها النورسي أنها المهدي " أن قسماً من الأولياء يرون في كراماتهم الغيبية أن رسائل النور هـــي

---

[1] الملاحق : ٣١٤ لذا يقول د . يوسف ياووز إن المهدي عنده إذا خرج سيقوم بتطبيق ما في رسائل النور انظر أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان : ص٧٦٥.

[2] الملاحق : ١٤٥.

[3] انظر الملاحق : ٣١٥.

[4] الملاحق : ٣١٥.

[5] الملاحق : ٣١٥.

[6] الملاحق : ٣١٦.

مهدي آخر الزمان ومرشده "[1].

ويحذر النورسي طلابه من مسألة مطالبته بالدليل الصريح الصحيح في مسألة المهـــدي ويقول: "اعلم يا من توسوس من اختلافات الروايات في أمثال مسألة المهدي وقرب الساعة والملاحم الاستقبالية أتريد إيماناً ضرورياً في كل مسألة ؟ حتى في المسائل الفرعية التي ليست من ضروريات الاعتقاد. بل يكفي فيها القبول التسليمي وعدم الرد، لا الاذعـــان اليقـــيني القصدي حتى تحتاج إلى طلب البرهان القطعي"[2].

والأحاديث الصحيحة في المهدي واردة في كتب السنة. وليس في عدم ورود أحاديث المهدي صراحة في البخاري ومسلم حجة على من نفى خروج المهـــدي لأن الـــشيخين لم يلتزما إخراج كل الأحاديث الصحيحة، ولا ادعيا ذلك. فقد قال البخاري: "ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول"[3] ويقول مسلم: "لـــيس كـــل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه"[4].

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما أحاديث عن المهدي وإن لم تكن صريحة في ذلك فمنها حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم"[5]. وحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "مـــن خلفـــائكم خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدا"[6].

وإنكار المهدي له أسباب عديدة غير ما تقدم من ضعف الدليل . فمنها قول إن عقيدة المهدي تخالف العقل[7]. أو أن روايات المهدي متعارضة[8] أو أن هذه العقيدة قد سببت فتنًـــا وقلاقل في بلاد المسلمين[9].

---

[1] الشعاعات : ٤٩٧-٤٥٤ والسيرة الذاتية : ٣٩.

[2] المثنوي العربي النوري : ٤٤٥.

[3] مقدمه ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح : ٢٦.

[4] مقدمه ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح : ٢٦.

[5] أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٣٤٤٩)

[6] صحيح مسلم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٩١٤).

[7] انظر ضحى الإسلام: ٢٤٤/٣ .

[8] انظر تفسير المنار ٥٠١/٩.

[9] كمحمد رشيد رضا، وأحمد أمين، ومحمد عبد الله عنان، محمد أبو عبية ... .

المبحث الثالث: الجنة والنار

الجنة ونعيمها:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة. وأنها حق على ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة. قال تعالى: (**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**) [محمد: من الآية١٥].

ويقول تعالى: (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۞لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) [الدخان:٥١ – ٥٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" .

قال أبو هريرة رضي الله عنه: "اقرأوا إن شئتم (**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**) [السجدة: من الآية١٧] "[1] .

والجنة لا نعلم منها إلا ما صح من النصوص الشرعية فلا ينبغي التكلف في وصفها ووصف أرضها وحورها وغير ذلك . يقول النورسي عن الجنة إنها طبقات ثمان: " الجنان لا تمنع أن يكونا معاً ـــ يقصد صديقين في مثال يضربه ـــ بالرغم من تفاوتهما لأن طبقات الجنة الثماني كل منهما أعلى من الأخرى إلا أن عرش الرحمن سقف الكل. إذ لو بنيت بيوتاً متداخلة حول جبل مخروطي كل منهما أعلى من الآخر ، كالدوائر المحيطة بالجبل ، فإن تلك الدوائر تعلو الواحدة على الأخرى ولكن لا تمنع الواحدة الأخرى عن رؤية الشمس فنور الشمس ينفذ في البيوت كلها. كذلك الجنان شبيهة بهذا المثال إلى حد كما تفهم من الأحاديث الشريفة "[2].

[1] البخاري كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة(٣٢٤٤) مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها(٧١٣٢)

[2] الكلمات : ٥٨٨-٥٨٩ .

وفي الحديث "إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله"[1].

ويقول إن الجنة هي دار البقاء : "وكذلك الجنة التي هي من العوالم الباقية وهي دار البقاء، فمع أنها في غاية البعد، إلا أن دائرة تصرفاتها تمتد امتداداً نورانياً وتنتشر إلى كل جهة تحت ستار عالم الشهادة"[2]. وهو موافق لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**﴾ [الكهف:١٠٧ – ١٠٨]

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه"[3]، وقوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي ينادي الله عز وجل أهل الجنة ويقول: "إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً"[4] فذلك قوله عز وجل: ﴿**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: من الآية٤٣]

وعما في الجنة يقول إن أنهار الجنة أربعة[5] ويقول عن نهري النيل والفرات: "إن تفجر هذه الأنهار ليس أمراً اعتيادياً طبيعياً، أو من قبيل المصادفة بل إن الفاطر الجليل يسلبها من خزينة الغيب وحدها، ويجريها منها جرياناً خارقاً، وإشارة إلى هذا أفادت رواية الحديث الشريف بهذا المعنى: إن كلاً من تلك الأنهار الثلاثة تقطر عليها كل وقت قطرات من الجنة لذا أصبحت مباركة. وفي رواية إن منابع هذه الأنهار الثلاثة من الجنة وحقيقة هذه الرواية: أن الأسباب المادية لا تكفي لتفجر هذه الأنهار، وتدفعها بهذه الكثرة فلابد أن تكون منابعها في عالم غيب.وأنها ترد من خزينة رحمة غيبية، وعندها تتوازن الواردات والصرفيات وتدوم، وهكذا يعلم القرآن درساً بليغاً إلى هذا المعنى"[6].

---

[1] البخاري كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين (٢٧٩٠).

[2] اللمعات : ٤٥٢.

[3] مسلم كتاب الجنة ، باب دوام نعيم الجنة : ٢١٨١/٤ برقم ٢٨٣٦ .

[4] مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة (٧٣٣٦).

[5] انظر الشعاعات : ١٥٠.

[6] الكلمات : ٢٧٦ وقريب من هذا ما قاله في الأنعام ونزولها من الجنة انظر اللمعات : ٤٢٧.

وقد ورد في أنهار الجنة أحاديث صحيحة منها حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "رفعت إلى السدرة فإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان، فأما الظاهران فالنيل والفرات، وأما الباطنان فنهران في الجنة"[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة"[2] ومن أنهار الجنة الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله ﷺ **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)** [الكوثر:١] ، فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: "بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف. قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه ـــ أو طينه ـــ مسك أذفر"[3].

أما عن الأنهار التي في الدنيا من الجنة " فلعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة[4]، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض فإذا لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها والتسليم للمخبر عنها".

وهناك رأي آخر وهو: إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم والبركة الإلهية، وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها[5] والأول هو أولى ـــ والله أعلم ـــ .

أما عن درجات الجنة فالقرآن صرح بتفاوت أهل الجنة في المنزلة قال تعالى : **(وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)** [طـه:٧٥] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم. قال تبارك وتعالى: **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ**

---

[1] البخاري كتاب الأشربة باب شرب اللبن (٥٦١٠).

[2] مسلم كتاب صفة الجنة – باب ما في الدنيا من انهار الجنة (٢٨٣٩) .

[3] البخاري كتاب الرقاق باب في الحوض (٦٥٨١).

[4] انظر التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي: ١٢٤/٢ [مكتبة الإمام الشافعي- الرياض ط٣ ١٤٠٨هـ]، وانظر: الديباج ١٨٦/٦ للسيوطي ت أبو إسحاق الحويني دار ابن عفان الأردن ١٤١٩هـ.

[5] انظر مشكاة المصابيح :١٥٦٥/٣ وقد نقله الشيخ الألباني عن القاري .

وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ۞ كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَـؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ۞ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْـضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) [الاسراء:١٨ – ٢١] فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه وأن عطاءه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر، ثم قال تعالى: (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَـرُ دَرَجَـاتٍ وَأَكْبَـرُ تَفْضِيلاً) [الاسراء:٢١] فبين سبحانه أن أهل الأخرى يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا وتفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عبادة المؤمنين فقال الله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّـدْنَاهُ بِـرُوحِ الْقُـدُسِ) [البقرة: من الآية٢٥٣] ، وقال تعالى:(وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَـا دَاوُدَ زَبُوراً)[الاسراء:من الآية٥٥] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المؤمن القوي خـير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله ومـا شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان"[1]، وفي الصحيحن عن أبي هريرة رضي الله عنه وعمـرو بـن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"، وقد قال الله تعالى:(لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) [الحديـد: من الآية١٠]

وقال تعالى: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِـدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيمـاً ۞ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) [النساء:٩٥ – ٩٦].

[1] مسلم كتاب القدر باب في الأمر بالقوة والنهي عن العجز (٢٦٦٤).

وقال تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [التوبة:١٩ – ٢٢] .

وقال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر:٩]

وقال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة: من الآية١١][1] .

وروى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبه أن الرسول ﷺ قال: "سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة مترله ؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة. فيقال له : ادخل الجنة. فيقول: أي رب وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رضيت يا رب ... الحديث "[2].

وعن الجنة وهل يمكن أن يصل الإنسان إليها ويراها قبل يوم القيامة يرى أن هذا ممكن بل إن الجزاء الأخروي الذي وعده الله للمحسنين في الجنة قد يصل منه شيء إلى أصحابه في الدنيا فهو يرى أن لكل مؤمن جنة خاصة به يقول: "ولما كانت الدنيا ضيقة ومؤمنة ولا تشبع رغبات الإنسان ومطاليبه الكثيرة وحيث إن هناك الكثيرون يتهالكون على شيء واحد، فالنتيجة إذن السقوط في هاوية الحسد والمنافسة. أما في الآخرة الفسيحة فلكل مؤمن جنة عرضها السموات والأرض تمتد من مسافة خمسمائة سنة، ولكل واحد منهم سبعون ألفاً من الحور والقصور فلا موجب هناك إذن إلى الحسد والمنافسة قط"[3]، وعن تعجيل ثواب الله لبعض عباده بأن يرزقه شيئاً مما في الجنة يقول: "إن وطأة العيش قد اشتدت على رجل صالح من الأولياء وعلى زوجته التقية الورعة وكان لهما مقام عند الله. ولكن شدة ما ألم بهما من

---

[1] مجموع الفتاوي : ١٨٨/١١.

[2] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها : رقم (١٨٩).

[3] اللمعات : ٢٣٧.

الضرورة ألجأت الزوجة الصالحة أن تقول لزوجها: إن حاجتنا الشديدة وإذا بهما يريان لبنة من ذهب خالص أمامها. فقال الزوج لزوجته: هذه لبنة قد أرسلت إلينا من قصرنا في الجنة. فانبرت له زوجته الصالحة قائلة: مع أن الفاقه قد أنهكتنا ونعاني من شظف العيش ما تـــرى ولنا في الجنة كثير من هذه اللبنة، ولكن أخشى أن نضيع لبنة الجنة في دنيا فانية. فأرجو يـــا زوجي العزيز أن تتضرع إلى المولى الكريم ليعيد اللبنة إلى موضعها في الجنة، فنحن في غـــنى عنها، وإذا بهما يريان كشف عودة اللبنة إلى موضعها"[1].

وعلى فرض صحة هذه القصة فإن هذه كرامة من الله لأوليائه أما أن تكون من الجنة ويريان هذا في الجنة فهذا باطل. حيث إن الإنسان لا يعلم عن حاله في الدنيا وهذا رســـول الله ﷺ يقول : (**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ**) [الاحقاف: من الآية٩] فكيف بغيره ؟ ورؤية الجنة في الدنيا عند النورسي ممكنة بل ممكن ـــ كما سبق ـــ أن يرد منها شيء لأهلها في الدنيا قبل موتهم: "إن هذاا لعالم الفاني عالم الشهادة حجاب لعالم الغيب وعالم الفناءِ إنه يمكن رؤية الجنة في كل جهة مع أن مركزها العظيم في مكان بعيد جداً، وذلك بوســـاطة مرآة عالم المثال، ويمكن أيضاً بوساطة الإيمان البالغ درجة حق اليقين أن تكون للجنة دوائر ومستعرات ـــ لا مشاحة في الأمثال ـــ في هذا العالم الفاني ويمكن أن تكون هناك مخابرات واتصالات معها بالأرواح الرفيعة وبهاتف القلب ويمكن أن ترد منها الثمار"[2].

و لم يصح أن أحداً يدخل الجنة قبل يوم القيامة إلا أرواح الشهداء إلا ما ثبت عن نبينا ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج ـــ أما الشهداء ففي صحيح مسلم عن مسروق قال : ومـــن الذين يدخلون الجنة قبل يوم القيامة الشهداء، سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: (**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) [آل عمران:١٦٩] قال: "إنا قد سألنا عن ذلك فقال: "أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديـــل معلقـــة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعـــة، فقال: هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل

[1] الملاحق : ٢٧٣.

[2] اللمعات : ٤٥٤ أما قوله : فرأيت بذلك النور الجنة في الدنيا لعل مراده جنة الطاعة والعبادة في الدنيا ومـــا يجـــده الإنسان من حلاوة الإيمان ، وهذا يظهر من سياق الكلام ـــ والله أعلم ـــ .

بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا: قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا "[1].

ومن مات عرض عليه مقعده من الجنة والنار بالغداة والعشي ، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺقال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة "[2].

قال النورسي: "هو أن الله جل جلاله لما أراد أن يبدع عالماً للابتلاء والامتحان لحكم كثيرة تدق عن العقول ، وأراد تغيير ذلك العالم وتحوله لحكم ، مزج الشر بالخير وأدرج الضر في النفع، وأدمج القبح في الحسن ؛ فوصلها بجهنم وأمدها بها . وساق المحاسن والكمالات تتجلى في الجنة . وأيضاً لما أراد تجربة البشر ومسابقتهم ، وأراد وجود اختلافات وتغيرات فيهم في دار الابتلاء خلط الأشرار بالابرار . ثم لما انقضى وقت التجربة وتعلقت الإرادة بأبديتهم جعل الأشرار مظهر خطاب (**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ**) [يّس:٥٩] وصير الأبرار مظهر تلطيف وتشريف (**فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**) [الزمر: من الآية٧٣] ولما امتاز النوعان تصفت الكائنات فانسلت مادة الضر والشر عن عنصر النفع والخير والكمال فاختارت جانباً"[3] .

ونختم بمسألة يشترك النورسي فيها مع المتصوفة وهي مسألة العبادة هل هي لطلب الجنة والنجاة من النار أم أنه مجرد امتثال للطلب الإلهي، فنقول: ذهبت طوائف الصوفية عن طريق ما يسمى بالحب إلى أن العبادة تؤدى امتثالاً لأوامر الله تعالى دون طمع في الجنة أو خوف من النار وأشهر من يمثلهم في هذا رابعة العدوية[4] . وظهرت أول نظرية في الحب الإلهي في مدرسة البصرة ، وكان ظهورها عند جماعة لقبوا بالزنادقة ــ أو زنادقة الزهاد

[1] انظرمشكاة المصابيح : ٣٥١/٢ برقم ٣٨٠٤.

[2] انظر شرح النووي لمسلم : ٣٠٠/١٧.

[3] إشارات الإعجاز : ١٩٢.

[4] أم عمرو: رابعة العدوية ، البصرية، الزاهدة، العابدة، الخاشعة، أخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة، عاشت ثمانين سنة، ماتت سنة ثمانين ومائة، سير أعلام النبلاء (٢٤٣/٨).

ــ وهو اسم أطلقه عليهم أبو داود السجستاني ومنهم غير رابعة العدوية رياح بن عمرو القيسي وعبدك الصوفي الشيعي وأبو العتاهية الشاعر وغيرهم[1].

يقول النورسي في هذه المسألة: "من المعلوم أن العبادة لا تؤدى طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار، بل للأمر الرباني وابتغاء مرضاته سبحانه"[2]. وفي موضع آخر يؤكد ذلك بقوله عن المؤمن مع ربه وحاله مع الذكر : " حتى إنه يستصغر أضخم موجودات الدنيا من أن يكون مسبحة لأوراده بل يستقل الجنة العظمى أن تكون غاية ذكره لله سبحانه"[3].

ويذكر "أن قسماً من الأولياء الذين نالوا شرف الحظوة باسم الودود قالوا: لمعة من محبة الله تغنينا عن الجنة"[4] فمعرفة الله عز وجل عند النورسي تغني الإنسان عن الجنة[5].

ويذكر الأستاذ كولن أقسام الناس في هذه المسألة فيجعلهم على أربعة أقسام :

الأول : العبادات التي تُنجز رغبة في الجنة وشوقاً إليها وسماهم بالتجار .

الثاني : التكاليف التي تقام خوفاً من جهنم وسماهم بالعبيد .

الثالث : المهمات التي تُؤدى بشعور المهابة والمخافة والمحبة وسمى هؤلاء بالصادقين.

الرابع: الواجب التي تمثل بمقتضى العلاقات بين العبد والمعبود ، وسماهم بالعشاق[6].

وهذا الحب والمعرفة وغيرها التي يستغنون بها عن الجنة إن لم تكن لطلب مغفرة الله تعالى ورضوانه وأن يعيذهم من النار ويدخلهم بها الجنة فما يريدون بها، وهذا خلاف عمل الأنبياء جميعاً والأولياء الصالحين . قال تعالى: (**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**) [التوبة: ٨٨-٨٩] .

فمن لم يخف عذاب الله ويرجو رحمته فهو من الطغاة والمستكبرين يقول الله تعالى: (**وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً**) [الاسراء: من الآية٦٠] .

1 انظر التصوف بين الحق والخلق : ٥٧-٥٨.

2 الملاحق : ٣٨٨.

3 اللمعات : ١٨٣.

4 الكلمات : ٧٤٧.

5 انظر المثنوي العربي النوري: ١٩٣.

6 انظر التلال الزمردية : ١١٤ — ١١٥ .

يقول ابن القيم: "إن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يتخلف عنه، قال تعالى: (فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ) [المائدة: من الآية٤٤] وقال عن ملائكته الذين قد أمنهم من عذابه: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [النحل:٥٠] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية "[1] .

وكان ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء وقال تعالى في سورة فاطر: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر: من الآية٢٨] فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف . قال ابن مسعود : (وكفى بخشية الله علماً) .

ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به فأعرف الناس أخشاهم لله ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفاً وحباً فالخوف من أجلِّ منازل الطريق، وخوفُ الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج وهو بهم أليق ولهم ألزم فإن العبد إما أن يكون مستقيماً أو مائلاً عن الاستقامة .

فإن كان مائلاً عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله ولا يصح الإيمان إلا بهذا الخوف وهو ينشأ من ثلاثة أمور :

أحدها : بالجناية وقبحها .

والثاني : تصديق الوعيد، وأن الله رتب على المعصية عقوبتها .

والثالث : أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه .

رؤية المؤمنين ربهم في الجنة[2]

أعظم نعيم الجنة وملذاتها رؤية المؤمنين وجه ربهم الكريم في الجنة، فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة من فوقهم رؤية بصرية كما جاءت النصوص من القرآن والسنة النبوية :

[1] طريق الهجرتين : ٢٨٢.

[2] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٨٩/٩ (٨٩٢٧).

فمن القرآن :

- قوله تعالى : (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**)) [القيامة:٢٢ – ٢٣]

- وقوله : (**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**) [المطففين:١٥]

- وقوله جل شانه : (**عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**) [المطففين:٢٣]

ومن السنة :

- قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته. فـإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس. وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا "[1]

- وقال ﷺ: " إنكم سترون ربكم عياناً "[2] .

ويرى النورسي أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة ولكن لا يصرح برؤية وجه الله تعـالى حيث لا يضيف الرؤية إلى الله بل إلى جمال مقدسي أو غير ذلك يقول: " إن نتيجة الإيمـان بالله ومحبته سبحانه هي رؤية جمال مقدسي وكمال متره للذات الجليلة سبحانه تعالى : كما هي ثابتة بالحديث الصحيح والقرآن الكريم"[3].

---

[1] البخاري كتاب التفسير، باب (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) (٤٨٥١)، ومسلم كتـاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٦٣٣).

[2] البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) (٧٤٣٥).

[3] الكلمات :٧٧٩.

الموقف من الإيمان بالنار :

تكلم النورسي عن جهنم في كل رسائله فوافق أهل السنة والجماعة في مسائل وخالفهم في أخرى ولتعدد تلك المسائل أسوقها مرتبة :

١ــ وجود جهنم الآن: كان من دعاء النبي ﷺ إذا قام أن يقول: "والجنة حق والنار حق"[١]. فالنار موجودة الآن، قال ابن القيم : "إن الجنة والنار مخلوقتان اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، و لم يزل على ذلك أهل السنة"[٢].

ونصوص الكتاب والسنة تدل على أن النار مخلوقة وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت[٣] ؟ فقال: " إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء" قالوا: بم يا رسول الله ؟ قال: "بكفرهن" قيل: أيكفرن بالله ؟ قال: " يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت ما رأيت خيراً قط"[٤].

ومن حديث أنس قال ﷺ: "وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً" قالوا: وما رأيت يا رسول الله ؟ قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"[٥] وتقدم حديث البراء بن عازب .

٢ــ أبدية جهنم :

قال تعالى عن أهلها: (**لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا**) [فاطر: من الآية٣٦] ، وقال تعالى: (**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا**) [السجدة: من الآية٢٠] .

---

[1] البخاري كتاب التهجد باب التهجد بالليل باب (١١٢٠).
[2] انظر حادي الأرواح : ١١-١٩.
[3] تكعكع وتكأكأ: إذا أحجم وجبن. شرح السنة : ٣٧١/٤.
[4] البخاري كتاب الأذان باب رفع البصر إلى الأمام في الصلاة (٧٤٧).
[5] البخاري كتاب الرقاق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً (٦٤٨٥)، مسلم كتاب الصلاة، باب: النهي عن سبق الإمام (٩٨٩).

وقال القرطبي: "فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهل السنة"[1] ، يقول النورسي عن وجود النار الآن وأنها مخلوقة: "اعلم أن قوله تعالى: (**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**) إشـارة إلى أن جهـنم مخلوقة موجودة الآن لا كما زعمت المعتزلة"[2].

ويرى دوام عذابها وسرمديته وأن أهلها خالدون في نار جهنم[3]. والنورسي يقـول أن جهنم تنقسم قسمين جهنم الصغرى وجهنم الكبرى وهذا نصه : "جهنم اثنتـان:إحـدهما جهنم صغرى والأخرى جهنم كبرى، والصغرى بمثابة نواة الكبرى إذ سـتنقلب إليهـا في المستقبل وستكون منزلاً من منازلها ومعنى أن جهنم الصغرى تحت الأرض أنها في مركزهـا لأن تحت الكرة مركزها ومن المعلوم في علم طبقات الأرض أن الحرارة تتزايد درجة واحدة على الأغلب كلما حفر في الأرض ثلاث وثلاثون متراً بمعنى أن درجة الحرارة تبلغ في مركز الأرض مائتي ألف درجة الآن نصف قطر الأرض أكثر من ستة آلاف كيلو متر أي تـارة أشد من نار الدنيا بمائتي درجة وهذا يوافق ماورد في الحديث[4] الشريف"[5] .

٣ــ مكان جهنم :

تحدث النورسي عن مكان جهنم : فعندما سئل أين جهنم ؟ أجاب بقوله: لا يعلـم الغيب إلا الله (**قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ**) [الملك: من الآية٢٦] .

وقد جاء في بعض الروايات أن جهنم تحت الأرض فالكرة الأرضية بحركتها الـسنوية تخط دائرة حول ميدان سيكون محشراً في المستقبل ... أما جهنم تحت الأرض فمعنى ذلـك أنها في مركزها "[6] .

---

[1] انظر فتح الباري : ٤٢١/١١-٤٢٢.

[2] إشارات الإعجاز : ١٨٤،١٩٠.

[3] انظر الكلمات : ٧٠ واللمعات : ١٢٩.

[4] بل يخالفه حيث جاء في الصحيح : إن نارنا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية قال : فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرهاً رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة النار انظر فـتح الباري ٣٣٠/٦ ، ومسلم في كتاب الجنة باب شدة حر النار ٢١٨٤/٤.

[5] المكتوبات : ١٠ وانظر ص ٢٠ حيث قال: إن درجة حرارة جهنم الصغرى ٢٠٠,٠٠٠ درجة وقال: إنه موافـق للحديث .

[6] المكتوبات :٩-١٠.

ويسمي جهنم تلك بجهنم الصغرى: "وقد أدت جهنم الصغرى هذه وظائف كثيرة جداً تخص جهنم الكبرى في هذه الدنيا وفي عالم البرزخ كما أشارت إليها الأحاديث الشريفة أما في عالم الآخرة فستفرغ الأرض أهلها وتلقي بهم في ميدان الحشر الذي هو في مدارها السنوي، كما تسلم ما في جوفها من جهنم صغرى إلى جهنم كبرى بأمر الله جل جلاله"[1] وعن علاقة جهنم الكبرى بالصغرى يقول: "إن جهنم الكبرى الموجودة تحت المدار السنوي للأرض كأنها قد وكلت جهنم الصغرى الموجودة في مركز الأرض فتؤدي عنها بعض وظائفها"[2]. ويقول إن أعمال جهنم الكبرى في الكون هو إمداد النجوم بالحرارة والقوة، كما أن الجنة تمدهما بالنور والضياء ![3] .

ويخلص إلى نتيجة تقلب ما سبق وقرره وهي أن جهنم الكبرى مكانها في باطن الأرض في بذره جهنم الصغرى لكن كيف يكون هذا !؟ يقول: " إن الفاطر الحكيم الذي يضم شجرة عظيمة هائلة كالجبل في بذرة صغيرة كالخردل لا يستبعد عن قدرته وعن حكمته أن يحفظ جهنم الكبرى في بذرة جهنم الصغرى المستقرة في قلب الكرة الأرضية "[4]. وبما أن الشرع لم يأت بما يفيد عن مكان النار. فيجب حينئذ التسليم وعدم التأويل فعند جوابه على سؤال منطقي نتيجة ما سبق من تقريرات وهو: ما في جوف الأرض ومظروفها صغير فكيف تسع جهنم التي تسع السموات والارض ؟ أجاب بقوله: "نعم ذلك باعتبار الملك المطويتية[5] وإن كانت مظروفة للأرض ولكن بالنظر إلى العالم الأخروي بالغة في العظمة إلى درجة تسع ألوفاً من أمثال الأرض ... ويحتمل أن ما ثبط أهل الاعتزال وأوقعهم في الغلط بعدم وجودها الآن إنما هو هذه المطويتية"[6].

النار المذكورة في القرآن والسنة واسعة شاسعة، بعيد قعرها مترامية أطرافها فكيف تكون بذرة صغيرة في أعماق الأرض ويدل على عظم النار ما يلي :

---

[1] المكتوبات : ١٠.

[2] المكتوبات : ١٠.

[3] انظر المكتوبات :١٠.

[4] المكتوبات : ١٠ وانظر اشارات الإعجاز : ١٨٤.

[5] الطي: نقيض النشر، والطية: الهيئة التي يُطوى عليها. المحكم والمحيط الأعظم (٩/٢٥٤).

[6] إشارات الإعجاز : ١٨٥.

الأول: الذين يدخلون النار أعداد لا تحصى، ومع كثرة عددهم فإن خلق الواحد فيهم يضخم حتى يكون ضرسه في النار مثل جبل أحد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام، ومع ذلك فإنها تستوعب هذه الأعداد الهائلة التي وجدت على امتداد الحياة الدنيا من الكفرة المجرمين على عظم خلقهم ويبقى فيها متسع لغيرهم وقد أخبرنا الله بهذه الحقيقة في سورة ق فقال : (**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**) [قّ:٣٠] إن النار تشبه الطاحونة التي ينحدر إليها ألوف وألوف من أطنان الحبوب فتدور بذلك كله لا تكل ولا تمل، وينتهي الحب والطاحونة تدور انتظار للمزيد. وقد جاء في الحديث احتجاج الجنة والنار أن الله يقول للنار: "إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله ــ وفي رواية حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله ــ فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً"[1].

وعن أنس عن النبي ﷺ: "لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروي بعضها إلى بعض فتقول قط قط بعزتك وكرمك"[2].

الثاني: يدل على بعد قعرها أيضاً أن الحجر إذا ألقي من أعلاها احتاج إلى آماد طويلة حتى يبلغ قعرها، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ ، إذ سمع وجبه فقال النبي ﷺ : "تدرون ما هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار إلى الآن"[3].

الثالث: كثرة العدد الذي يأتي بالنار من الملائكة في يوم القيامة فقد وصف الرسول ﷺ مجيء النار في يوم القيامة، الذي يقول الله فيه: (**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ**) [الفجر: من الآية٢٣] فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى بجهنم يومئذ لها

---

[1] رواه البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى (وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيد)(٤٨٥٠)ومسلم كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون(٢٨٤٦)

[2] البخاري كتاب الإيمان والنذور باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (٦٦٦١) ومسلم كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون (٧١٧٧) .

[3] مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها (٢٨٤٤)

سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك"[1] ولك أن تتخيل عظم هـذا المخلـوق الرهيب الذي احتاج إلى هذا العدد الهائل من الملائكة الأشداء الأقوياء الذين لا يعلم مـدى قوتهم إلا الله تبارك وتعالى.

الرابع: ومما يدل على هول النار وكبرها أن مخلوقين عظـيمين كالـشمس والقمـر يكونان ثورين مكورين في النار، فعن سلمة بن عبد الرحمن قال: حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: "الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة"[2].

٤ـ جهنم والعارفون بالله تعالى :

يزعم النورسي أن المحققين من أهل الشهود والكشف يرون جهنم وبعض العـارفين يرى لهيبها وظلمة سوادها، وبعضهم يسمع أزيز تضرمها وفورانها فيصرخون مـن هولهـا "أجرنا من النار"[3] ويقول إن جهنم تكون للمؤمن العارف العاصي أهون عليه من عـذاب الكفر في النار وهذا من عجائب الاعتقاد يقول: "حتى إن جهنم الجسمانية للمؤمن العارف العاصي كالجنة بالنسبة إلى جهنم المعنوية للكافر الجاهل بخالقه"[4].

يقول ابن عربي : " إن أهل النار مآلهم إلى النعيم ولكن في النار إذ لابد لصورة النـار بعد انتهاء مدة العذاب أن تكون برداً وسلاماً على من فيها فنعيم أهل النار بعـد اسـتيفاء الحقوق نعيم خليل الله تعالى حين ألقي في النار فإنه ﷺ تعذب برؤيتها وبما تعود في علمه وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان ، وما علم مراد الله تعالى فيها ومنـها في حقه ، فبعد وجود هذه الآلام وجدها برداً وسلاماً مع شهود الصورة اللونية في حقه ، وهي نار في عيون الناس "[5].

٥ – النورسي لا يمانع من دخول جهنم :

والدليل على ذلك من أقواله:

[1] البخاري كتاب بدء الخلق – باب صفات الشمس والقمر (٣٢٠٠) .

[2] أخرجه الطحاوي والبخاري مختصرًا، كما في السلسلة الصحيحة (١٢٤) وقد صححه الألباني.

[3] الشعاعات : ٢٨٩-٢٩٠ ويرده حديث جبريل وان الله تعالى قال له عن النار "وكيف لو رأوها".

[4] المثنوي العربي النوري : ٣٧٤.

[5] انظر الفصوص : الكلمة اليونسية : ١٦٩ وانظر نعمة الذريعة في نصره الشريعة : ١٣٩-١٤٠.

أ ــ يقول: "إنه يقبل أن يدخل جهنم بدلاً عن إخوانه وفداء لهم من النار وطــلاب النور يعرفون هذا كما أنني سردت الحجج التي أظهرت في المحاكم أنني لم أسع من أجل مقام أو مرتبة لشخصي أو من أجل الحصول على مرتبة أو مقام أو شهرة معنوية أو أخروية ، بل سعيت بكل ما أملك من قوة لتوفير خدمة إيمانية لأهل الإيمان ، وربما كنــت مــستعداً لا للتضحية بالمراتب الدنيوية الفانية وحدها بل ــ إن لزم الأمر ــ بالتضحية حــتى بالمراتــب الأخروية الباقية لحياتي في الآخرة مع أن الجميع يسعون للحصول على هذه المراتب ويعلــم أصدقائي المقربون بأنني ــ إن لزم الأمر ــ أقبل ترك الجنة والدخول إلى جهنم من أجل أن أكون وسيلة لإنقاذ بعض المساكين من أهل الإيمان .

وقد ذكرت هذا وبرهنت عليه في المحاكم من بعض الوجوه، ولكنهم يرومون بهــذا الاتهام إسناد عدم الإخلاص لخدمتي الإيمانية والنورية ويرومون كذلك التقليل مــن قيمــة رسائل النور وحرمان الأمة من حقائقها"[١].

ب ــ بل إنه يفدي المؤمنين جميعاً فيقول: "أسأله تعالى أن يكبر جــسمي لــيملأ في جهنم حتى لا يبقى موضع لمؤمن أعذب عوضاً عنهم فأنا أرضى كذلك بدخول النار لأنقذ بضع أشخاص منها بالإيمان"[٢] . ولعله يعتقد أن النار ستنقلب له في جهنم جنه خاصة بــه كما زعم ذلك لأبي طالب.

جــ ــ العدم عند النورسي أشد ما يمكن أن يتصور من عذاب فهو لذلك يخافه ولا يخاف جهنم التي توعد الله بها الكفار والمنافقين. فهذا قوله صريحاً في ذلك عن الكفــار. "لا يتصور في حقهم إلا العدم أو الوجود في العذاب والوجود ولو في جهنم ــ مرحمة وخــير بالنسبة إلى العدم إن تأملت في وجدانك إذ العدم شر محض ،حتى إن العدم مرجــع كــل المصائب والمعاصي إن تفكرت في تحليلها ، أما الوجود فخير محض فليكن في جهنم"[٣].

ويقول إنه سأل نفسه: " أي الأمرين تفضل ؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف ألف ســنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهي ذلك إلى العدم أم وجوداً باقياً مع حياة اعتيادية شاقة

---

[1] الشعاعات : ٤٥٩.

[2] الملاحق : ٣٨٧.

[3] إشارات الإعجاز : ٨٧.

؟ قال: "فرأيته يرغب في الثانية ويضجر من الأولى قائلاً :" إنني لا أريد العدم بل البقاء ولو كان في جهنم"[1].

وهنا يحسن بنا أن نعتبر بمن جعل منهج أهل السنة والجماعة خلفه ظهرياً. فأين النورسي من قول الله تعالى: (**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ۞ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**) [المعارج:١١ – ١٦] فشدة عذاب النار تجعل المجرمين لا يفتدونها باتباعهم فقط بل بأبنائهم عياذا بالله من النار وغيرهم من باب أولى ويقول تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**) [آل عمران:٩١] .

ويقول عز وجل: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [المائدة:٣٦] .

عن أبي عمران قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي[2].

---

[1] الشعاعات : ٢٧٨.

[2] البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم (٣٣٣٤).

الفصل السادس: الإيمان بالقدر.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : تقريرهم الإيمان بالقدر

المبحث الثاني : دراسة لبعض مسائل القدر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مذهبهم في الكسب.

المطلب الثاني: مذهبهم في الإرادة.

المطلب الثالث: تردد النورسية بين أهل السنة والمتكلمين.

المبحث الأول : تقريرهم الإيمان بالقدر.

مقدمة: تعريف القضاء لغة:

القضاء لغة هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، يقول الراغب الأصفهاني: "القضاء فصل الأمر قولاً كان أو فعلاً، وكل واحد منهما على وجهين: إلهي وبشري،

فمن القول الأول الإلهي قوله تعالى:**(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)**[الإسراء:من الآية٢٣]، أي أمر، وقال عز وجل: **(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ)** [الإسراء: من الآية٤] فهذا قضاء بالإعلام وفصل في الحكم.

ومن الفعل الإلهي قوله تعالى: **(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)** [فصلت: من الآية١٢] إشارة إلى إيجاده الإبداعي والفراغ منه نحو قوله سبحانه : **(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [البقرة:من الآية١١٧]

ومن القول البشري نحو قضى الحاكم بكذا، فإن حكم الحاكم يكون بالقول. ومن الفعل البشري قوله تعالى: **(فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ)** [البقرة: من الآية٢٠٠] .

وقوله سبحانه: **(فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)** [طه: من الآية٧٢] يحتمل القضاء بالقول والفعل جميعاً"[1].

وقال الجوهري: "القضاء الحكم وأصله قضاي لأنه من قضيت إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والجمع أقضية ، والجمع قضايا على فعال، وأصله فعائل. وقضى أي حكم ومنه قوله تعالى: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)**[الإسراء:من الآية٢٣]. وقد يكون بمعنى الفراغ قال الفراء في قوله تعالى: **(ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ)** [يونس: من الآية٧١] يعني أمضوا إلي كما يقال: قضى فلان أي مات ومضى"[2].

وقال ابن الأثير إن أصل " القضاء القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاءً فهو قاضٍ إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه. فيكون بمعنى الخلق.

وقال الأزهري القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضى. فقد قضى وقد

1 انظر المفردات: ٤٠٦ .

2 انظر الصحاح: ٢٤٦٣/٦ .

جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث[1]. وهناك معانٍ عديدة لمعنى القضاء سوى ما تقدم ذكرها كتب اللغة[2]. ومن خلالها يتبين لنا مدى قوة الرابط بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي.

القدر لغة:

"القدر مقدار الشيء وحالاته المقدرة له وفي التزيل العزيز: **(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)** [القمر:٤٩]، ووقت الشيء أو مكانه المقدر له والقضاء الذي يقضي به الله على عباده"[3] والتقدير التروية والتفكر في تسوية الأمور[4]، وللقدر في اللغة عدة معان منها: الطاقة ومن ذلك قوله تعالى: **(عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ)** [البقرة: من الآية٢٣٦][5]. ومنها التضييق كما قال تعالى: **(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ)**[الفجر: من الآية١٦][6].

معنى القضاء والقدر شرعاً:

" هو تقدير الله تعالى المسبق للأمور، وعلمه بوقوعها على ما قدرها عليه وأنه ستقع في أوقات معلومة عنده،على صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته وخلقه لها"[7].

والإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، التي جاء ذكرها في حديث جبريل عليه السلام حين سأله النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان ؟ فقال النبي ﷺ : "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" [8]. فلا يتم إيمان العبد إلا به والنصوص في هذا متوافرة. ولذا يندر أن نجد عالماً تكلم في أصول الدين إلا وينص على هذا الركن. قال شيخ الإسلام: "وأصل هذه المسألة: أن يعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وما كان عليه السابقون الأولون، وهو أن الله

---

1 انظر النهاية: ٦٩/٤.

2 انظر مادة (قضى) في الصحاح ٢٤٦٣/٦، ولسان العرب ١٨٦/١٥، وتاج العروس ٢٩٦/١٠.

3 انظر المعجم الوسيط: ٧١٨/٢.

4 انظر القاموس المحيط: ٥١٩/٢.

5 انظر تاج العروس للزبيدي : ٤٨١/٣.

6 انظر تاج العروس للزبيدي : ٤٨/٣، وانظر ترتيب القاموس المحيط للفيروزأبادي: ٣/ ٥٧٠.

7 لوامع الأنوار البهية: ٣٤٨/١، وشفاء العليل:٩١، والعقيدة الواسطية: ٢١.

8 مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان(٨).

خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكـــون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته ولا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شـــيء ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لـــو كـــان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائـــق قبـــل أن يخلقهم وقدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه مـــن ســـعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون"[1].

يقول في موقع آخر: "وتؤمن الفرقة الناجية ــ أهل السنة والجماعة ــ بالقدر خـــيره وشره"[2].فمن الأدلة على هذا الركن قوله تعالى: **﴿إِنَّـــا كُـــلَّ شَـــيْءٍ خَلَقْنَـــاهُ بِقَـــدَرٍ﴾** [القمر:٤٩][3] وقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [الصافات:٩٦]، وقوله تعـــالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** (الشمس:٧، ٨)، وقد أخرج مسلم في صحيحه: أن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر من سبق، أو فيما يستقبلونه به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم، فقال: لا بل شيء قضي علـــيهم ومـــضى فـــيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: **﴿وَنَفْسٍ وَمَـــا سَـــوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَـــا فُجُورَهَـــا وَتَقْوَاهَا﴾**"[4].

وأما من السنة الصحيحة فقد وردت أحاديث كثيرة منها: حديث ابن مـــسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطـــن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يبعث الله ملكاً

---

1 انظر مجموع الفتاوى بتصرف يسير: ٤٩٩/٨ – ٤٥٠ .

2 المرجع السابق: ١٤٨/٣ .

3 وقد جاء في سبب نزولها ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فترلت **﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُـــلَّ شَـــيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾** أخرجه مسلم في كتاب القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب (٢٦٥٦).

4 مسلم كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٥٠) .

فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح. فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة"[1].

ومنها حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مخصرة[2]، فنكسه فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: "ما منكم من أحد، إلا كتب مكانه من الجنة والنار، فقال له رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصر إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصر إلى عمل أهل الشقاوة، فقال:"أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة،وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة،ثم قرأ **(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى)** الآية"[3]. وقد وردت نصوص شرعية فيها الأمر بالإمساك عن القدر والنهي عن الخوض فيه.ومما ورد في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا"[4].

وأخرج الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال لهم: مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك الذين من قبلكم"[5].

وليس المراد بالإمساك عن القدر هو عدم التحدث فيه بالحق بياناً للحق وإبطالاً للباطل فهذا

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٣).

[2] المخصرة: قضيب يشير به الخطيب إذا خاطب. الفائق في غريب الحديث والأثر: ١٢١/١. ينكت: يضربها ويخط بها وهذه من صفة المفكر المهموم . المرجع السابق.

[3] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله (١٣٦٢)، ومسلم في كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٧) .

[4] أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤٣/١٠ – ٢٤٤، وأبو نعيم في الحلية ١٠٨/٤، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ١٢٦/١، ١٢٥٠/٧، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٢/١ – ٤٦ حسن لغيره.

[5] أخرجه أحمد في المسند ١٧٨/٢، وابن ماجة في المقدمة باب في القدر (٨٥) .

من أركان الإيمان والعمل به واجب وإنما كان النهي في بحث هذا الركن بالعقل المجرد مع النهي عن التعمق فيه.

قال ابن أبي العز الحنفي: "وأكبر المسائل التي وقع فيها خلاف بين الأمة مسألة القدر وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع وقوله: فمن سأله لم فعلت ؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين، اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسوله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة من الأوامر والنواهي والشرائع ولهذا كان سلف هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً لا تسأل نبيها: لم أمر الله بكذا ؟ ولم نهى عن كذا ؟ ولم قدر كذا ؟ ولم فعل كذا ؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم"[1].

وقد سئل ابن عمر عن القدر فقال: "شيء أراد الله عز وجل ألا يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله عز وجل ما أبى عليكم"[2]. وقال الآجري: "باب ترك البحث والتنفير عن النظر في أمر القدر بكيف ؟ ولم ؟ بل الإيمان به والتسليم ... فهذا طريق أهل العلم: الإيمان بالقدر خيره وشره، واقع من الله عز وجل بمقدور، يضل من يشاء ويهدي من يشاء **(لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)** [الأنبياء:٢٣]"[3].

وقال طاووس بن كيسان: "أدركت ثلاثمئة من أصحاب رسول الله يقولون: كل شيء بقدر"[4].

والإيمان بالقدر يقوم على أصول لا يتم إلا بها، وفيما يلي ذكر هذه المراتب مع الاستدلال عليها:

ـــ المرتبة الأولى: العلم: وهو الإيمان بأن الله بكل شيء عليم، يعلم ما كان، وما يكون قبل أن يكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون وهو العلم السابق المحيط بكل شيء.

ـــ المرتبة الثانية: الكتابة: وهي الإيمان بأن الله كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية: ٢٦٦، ٢٦٧ .

[2] كتاب الشريعة: ص ٢٣٥ .

[3] نفس المرجع والصفحة.

[4] أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٥٨٠/٤، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٢٦٥٥).

شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

* ودل على المرتبة الأولى والثانية:

قوله تعالى: **(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)** [الحج:٧٠].

وقوله تعالى: **(وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)** [يّس: من الآية١٢].

وفي السنة قول النبي ﷺ :" ما منكم من أحد إلا وقد كتب الله مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال: اعملوا فكل ميسر ثم قرأ **(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)** إلى قوله تعالى: **(فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)** [الليل:٥ – ١٠][1].

ـــ المرتبة الثالثة: المشيئة: وهي الإيمان بمشيئته وقدرته العامة على كل شيء فما وجد من شيء أو عدم إلا بعد مشيئته عز وجل فهو المتفرد بالخلق والإيجاد.

ـــ المرتبة الرابعة: الخلق: وهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء[2].

* ومما دل على المرتبة الثالثة والرابعة:

قوله عز وجل: **(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)** [الزمر: من الآية٦٢].

وقوله سبحانه: **(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً)** [الفرقان: من الآية٢].

وقوله تعالى: **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** [يّس:٨٢].

وقوله تعالى: **(كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)** [آل عمران: من الآية٤٧].

ومن السنة قول رسول الله ﷺ : "إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء"[3].

وكان رسول الله إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي

---

[1] أخرجه البخاري كتاب التفسير باب (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) (٤٩٤٩)، ومسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (٢٦٤٧).

[2] انظر شفاء العليل: ٢٩ .

[3] أخرجه مسلم كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء (٢٦٥٤).

الله على لسان نبيه ما شاء"[1].

قول النورسي في القدر:

قرر النورسي عقيدة الإيمان بالقدر في مواضع عديدة فهو يقول عن القدر: "إن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، أي أن كل شيء بتقدير الله، والدلائل القاطعة على القدر كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى ... فكل شيء قبل كونه وبعد كونه مكتوب في كتاب، يصرح بهذا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة أمثال **(وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)**"[2].

ويقول: "إنني أفكر في هذه المصيبة التي حلت بنا، جانب القدر الإلهي، فأجد مصاعبي تتلاشى وتتحول إلى رحمة إلهية. نعم كما هو موضح في "رسالة القدر" أن في كل حادثة سببين اثنين:

الأول: سبب ظاهري، يحكم الناس على وفقه، وكثيراً ما يظلمون.

الثاني: سبب حقيقي، يقضي القدر على وفقه. فيعدل تحت ظلم البشر في الحادثة نفسها"[3].

ومما قال في محكمة الدفاع في ديترلي: "... إنني لم أكن حتى الآن أفكر فيكم ولا في دنياكم، ولا في نيتي أن أفكر فيهما في المستقبل، ولكنكم اضطررتموني إلى هذا، وربما كان هذا ضرورياً لتنبيهكم وإيقاظكم، ولعل القدر الإلهي هو الذي ساقني إلى هذا، أما نحن فمرشدنا هو الدستور القائل: (من آمن بالقدر أمِن من الكدر) لذا فقد عقدنا العزم على تحمل جميع صنوف مضايقتكم بكل صبر"[4].

فالنورسي يري "أن الإيمان بالقدر والجزء الاختياري للإنسان هما في أعلى مراتب الإسلام والإيمان"[5]، ويقول: "في الشيء الواحد تظهر جهتان جهة عدالة القدر والإيجاد الإلهي، وجهة ظلم البشر وكسبه"[1].

---

[1] البخاري في كتاب الزكاة باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها. ( )، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب: باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٢٦٢٧).

[2] انظر الكلمات: ٥٤٩ .

[3] الشعاعات: ٣٥٦ .

[4] الشعاعات: ٣٣٠ – ٣٣١ .

[5] انظر الكلمات: ٥٤١.

وعلى هذا فالمؤمن عنده من ينسب الخير للقدر الإلهي باعتباره سبباً لإيجاده، أما إن كان في السيئات فينسبها إلى الجزء الاختياري يقول في ذلك: "إن الذي يتحدث عن القدر والجزء الاختياري إن كان ذا إيمان كامل، مطمئن القلب، فإنه يفوض أمر الكائنات كلها، ونفسه كذلك، إلى الله سبحانه وتعالى، ويعتقد أن الأمر يجري تحت تصرفه سبحانه، فهذا الشخص يحق له الكلام في القدر والجزء الاختياري لأنه يعرف أن نفسه وكل شيء منه سبحانه وتعالى، فيتحمل المسؤولية مستنداً إلى الجزء الاختياري الذي يعتبره مرجعاً للسيئات، فيقدس ربه وينزهه، ويظل في دائرة العبودية، ويرض للتكليف الإلهي ويأخذه على عاتقه"[٢].

ومما سبق يرى أن الدلائل على القدر الذي يفسره بأنه نوع من العلم الإلهي[٣] دلائل لا تعد ولا تحصى[٤].

ولمعرفة قول النورسي تفصيلاً في القدر فإنه سيكون الحديث عبر المسائل التالية في المبحث الثاني.

---

1 انظر الكلمات: ٥٤٣.

2 انظر الكلمات: ٥٤٤.

3 انظر اللمعات: ٥٩٥.

4 انظر الكلمات: ٥٤٨.

المبحث الثاني : دراسة لبعض مسائل القدر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مذهبهم في الكسب.

المطلب الثاني: مذهبهم في الإرادة.

المطلب الثالث: تردد النورسية بين أهل السنة والمتكلمين.

المطلب الأول: مذهبهم في الكسب:

مسألة أفعال العباد وما يسمى عند الأشعري "بالكسب" هو جوهر الخلاف في القدر، حيث لم ينكر مرتبتي العلم والكتابة إلا غلاة القدرية، الذين يقولون إنه لم يسبق لله في أعمال العباد علم ولا كتابة، أما بقية الطوائف فقد أقروا بهاتين المرتبتين. وبقي من مراتب القـــدر مرتبتا المشيئة والإرادة اللتان وقع فيها الخلاف على قولين:

الأول: قول من أنكر هاتين المرتبتين. فزعموا أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم حـــتى إذا عذبهم الله على الكفر والمعاصي لم يكن ظالماً لهم. وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

الثاني: قول من أقر بهاتين المرتبتين وأن أفعال العباد لا تخرج عن ملكه وخلقه ومشيئته وهذا قول الجمهور من أهل السنة والجماعة. والجهمية والأشاعرة. والماتريدية ومن وافقهم.

ولكن لفعل العبد متعلَّقان:

الأول: متعلِّقٌ بالله تعالى، هل خلق الله أفعال العباد من المعصية والطاعة وغير ذلـــك ؟ فاتفق أهل السنة والأشاعرة على أن الله خالق لأفعال العباد، أما المعتزلة كما تقدم فقد نفوا أن يكون الله خالقاً لها.

الثاني: متعلِّقٌ بالعبد، وهو هل للعبد قدرة أم لا ؟ وهل قدرته مؤثرة أو غير مـــؤثرة ؟ وهذا الذي وقع فيه خلاف كبير. وهذه القدرة التي يتمكن العبد بها مـــن الفعـــل تـــسمى بالاستطاعة. والخلاف في الاستطاعة نعرضه من خلال مسألة وجود هذه الاســـتطاعة مـــن عدمها عند الإنسان، وهل هذه الاستطاعة مستقلة أم غير مستقلة ؟ وإذا كانت مستقلة فهل هي مؤثرة أم لا ؟[1]

وقع الخلاف في قدرة العبد على فعله كالتالي:

ــ **الأول**: قول مَن قال: إن العباد مجبورون على أعمالهم لا قدرة لهم ولا اختيار، وهذا قول الجهمية أشهر فرق الجبرية.

ــ **الثاني**: أن أفعال العبد ليست مخلوقة لله، وأن العباد هم الخالقون لها، وهـــذا قـــول المعتزلة[2].

---

[1] انظر مجموع الفتاوى: ١١٩/٢ بتصرف.

[2] انظر القضاء والقدر للمحمود : ٢٠٣ بتصرف.

ـ **الثالث**: أن الله خالق الأفعال كلها، لا خالق لها إلا هو، وهذا قول أهل السنة والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، ومن هنا ظن الكثير أن مذهب الأشاعرة والماتريدية في هذه المسألة مذهب أهل السنة وهذا غير صحيح. لأن الأشاعرة والماتريدية في مسألة تعلق العبد بفعله لهم فيها رأي خاص، فهم يثبتون للعبد إرادة جزئية.

فالعبد عند الماتريدية له قدرة يخلقها الله فيه عند العزم على الفعل عزماً مصمماً، وإن لم تؤثر قدرته في وجود الفعل من عدمه لمانع وهو تعلق قدرة الله بها. وهذا العزم من العبد حيث يوجه العبد نفسه مختاراً في هذا التوجيه، وبهذا اقتربوا من قول المعتزلة[1]. أما عند الأشاعرة فإن العبد له قدرة يخلقها الله فيه عند العزم على الفعل أيضاً. لكن هذا العزم يخلقه الله في العبد فيوجهه إلى الشيء وإلى ضده. وبهذا اقترب قول الأشاعرة من قول الجهمية، وقول الأشاعرة للعبد قدرة غير مؤثرة، وتسمية فعله كسباً، يرجع إلى مسألة في الصفات. وهي قولهم إن الفعل هو المفعول. وإن الخلق هو المخلوق، فلم يفرقوا بين ما يقوم به الله من الأفعال وما هو منفصل عنه، وزعموا أن كل أفعال الله مفعولة له منفصلة عنه، فلما جاءوا إلى مسألة أفعال العباد قالوا هي مفعولة لله، وهي فعله لأن الفعل هو المفعول، ولكن عندما قيل لهم: أهي فعل العباد ؟ انقسموا إلى أقوال: فجمهورهم يقول إنها كسب العبد لا فعله. ولم يأتوا بفارق صحيح بين فعل العبد وكسبه، مما جعل بعض علمائهم يرجعون عن القول بالكسب. "[2] وهم بهذا أثبتوا كسباً لا حقيقة له لهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري"[3].

ـ **الرابع**: قول أهل السنة والجماعة وهو أن أفعال العباد داخلة في مرتبة الخلق وهي المرتبة الرابعة من مراتب القدر عند أهل السنة، وأن العباد فاعلون حقيقة ولهم قدرة وإرادة على أعمالهم وهي خاضعة للمشيئة الكونية فلا تخرج عنها.

والنورسي يقول إن أفعال العباد خالقها الله عز وجل ويقول عند قوله تعالى:
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

---

[1] انظر: الماتريدية (دراسة وتقويمًا): ٢٤٢ [أحمد بن عوض اللهيبي. دار العاصمة. الرياض ط٣: ١٤١٣هـ].

[2] انظر مجموع الفتاوى: ٣٨٧/٨.

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٢٨/٨.

[البقرة:٧]."أنه تحقق أن لا مؤثر في الكون إلا الله فإذا لا تفوض، كما يقول أهل الاعتزال من أن العبد خالق لأفعاله"[١].

قال عند سؤاله عن موقف المعتزلة من خلق الشرور في العالم: "إن أئمة المعتزلة عندما اعتبروا أن إيجاد الشر شر، لم يردوا إلى الله سبحانه خلق الكفر والضلالة، فكأنهم بهذا يترهونه سبحانه ويقدسونه، فقالوا: "إن البشر هو خالق أفعاله ..." وقالوا: "أن خلق الشر ليس شراً، وإنما كسب الشر شر، لأن الخلق والإيجاد يُنظر إليه من حيث نتائجه العامة.

فوجود شر واحد، إن كان مقدمة لنتائج خيرة كثيرة، فإن إيجاده يصبح خيراً باعتبار نتائجه، أي يدخل في حكم الخير"[٢].

وعند سؤاله عن القبائح والشرور في العالم هل تنافي الرحمة التي وسعت كل شيء ؟ يقول: "إن لكل عنصر ولكل نوع ولكل موجود، وظائف متعددة كلية وجزئية، ولكل من تلك الوظائف نتائج كثيرة وثمرات وفيرة. والأكثرية المطلقة منها هي نتائج جميلة ومصالح نافعة وخيرات ورحمات، وقسم قليل منها يصبح شراً وقبحاً جزئياً وظاهرياً ... فلو منعت الرحمة ذلك العنصر وذلك الموجود الكلي عن القيام بتلك الوظيفة للحيلولة دون مجيء ذلك الشر الجزئي، لما حصلت إذاً جميع نتائجها الجميلة الأخرى"[٣].

ومثله في سؤال قريب مما سبق يقول عن خلق الشرور في العالم: "إنه إزاء الشرور الجزئية للشياطين تكمن في وجودهم كثير من المقاصد الخيرة الكلية وكمالات، ترقى بالإنسان في سلم الكمال"[٤].

ولكن في مواضع أخرى يناقض كلامه عن خلق الشر. فينسب الشر إلى العدم لا إلى أنه خلق الله تعالى كما سبق في كلامه فيقول: "إن شياطين الإنس ليس لهم ولو بمقدار ذرة واحدة نصيب في الخلق والإيجاد وما تكون لهم أية حصة في الملك الإلهي، مع أن لهم آثار مخيفة وأنواع من الكفر والضلالة وأعمال شريرة ودمارٌ هائلٌ، إذ لا يقومون بتلك الأمور بقدراتهم وقوتهم الذاتية، بل إن أغلب أعمالهم ليس فيها فعل وقدرة حقيقية، إنما هي من

[١] انظر إشارات الإعجاز: ٧٩ .

[٢] انظر اللمعات: ١١٧ .

[٣] الشعاعات: ٦٤٤ باختصار.

[٤] اللمعات: ١١٠، وانظر إشارات الإعجاز: ٨٧، ٣٥، والمثنوي العربي النوري: ٤١٠، والملاحق:٥٣ .

نوع: ترك الفعل، وتعطيل العمل، وصد الخير، فيعملون الشر بالصرف عن الخير، فتحصل الشرور.

ولأن الشرور والمهالك هي من نوع الهدم والتخريب فلا يلزم أن تكون علتها إيجاداً فاعلاً، ولا قدرة موجدة، إذ يمكن التخريب الهائل بأمر عدمي، وبإفساد وشر"[1].

فالوجود حسب رأي النورسي خير محض ونور، أما العدم فهو شر محض وظلام، فعند تحليل جميع أشكال الخير والبر والجمال واللذة نراها عنده ناشئة عن الوجود، وعند تحليل جميع أشكال السوء والشرور والمصائب حتى المعاصي، فهي عنده ناشئة عن العدم[2].

ومن اضطراب جواب النورسي في خلق الشر يتبين لنا مدى تأثير مذهب العدمية في واقع الأفكار.فهو في موضع ينسب خلق الشر لله حيث إنه من مخلوقاته ومقدراته في الكون. وفي موضع آخر ينسب هذا الشر إلى العدم. بل إنه يقول: "أيها الإنسان الظلوم الجهول ! اتقِ الشر ما استطعت. وإلا استحققت جزاء تركك مع جزاء تفويتك لنتيجة سائر الأسباب السابقة عليك، في سلسلة مبادئ وجود النتيجة. إذ الشر عدم وبعدم الجزء الآخر من العلة ينعدم المعلول، فيعود على الآخر، كل ضرر عدم المعلول ..."[3].

فالمقصود أن النورسي يرى أن السيئات تتولد من العدم. والإنسان قد يُحدث السيئات بهذا الاعتبار، بينما الحسنات والخيرات، لا تحدث إلا من الإيجاد، والإيجاد هو الخلق، ولا يخلق إلا الله، ولا يوجد إلا الله، فلا تكون حسنات إلا من الله تعالى، وهو بهذا كأنه يقول إن موجد الخير هو الله، وموجد الشر هو الإنسان، وهذا يشبه قول المعتزلة في الأفعال، يقول

---

[1] اللمعات: ١١٣ – ١١٤ .

[2] انظر الشعاعات: ٩٤ وتعد مسألة الخير والشر في العالم من المسائل الكبار التي شغلت الناس، يقول الغزالي عن ذلك كلمته المشهورة: "ليس في الإمكان أبدع مما كان" في حين يأتي "ليبنتز" الذي تأثر بأفكار الغزالي في هذه المسألة وقال إن الله "علة" الوجود، فلا ريب إذاً أن يكون الله حكيماً إلى أعمق أغوار الحكمة، وخيراً إلى أوسع آماد الخير، وأما عن البؤس والشرور في الدين فيقول عنها "ليبنتز" إن خروجها كان بسبب الجانب المادي في الحياة. وهذا الجانب هو الجانب السلبي، والإنسان كذلك يجاهد في محاربة هذا الجانب المادي الذي هو أصل الشر وسبب البلاء — كما يزعم — . ومن هنا يكون عند هؤلاء الشر سلماً إلى الخير. ثم يذكر "ليبنتز" أن الخير هو الجانب الإيجابي في الحياة، والله عز وجل لم يخلق إلا الجانب الإيجابي، حيث لا يعتقد أن الله هو الذي خلق الشرور والآلام في العالم لأنه مصدر الخير والرحمة. انظر قصة الفلسفة الحديثة: ١٢٩-١٣٠.

[3] المثنوي العربي النوري: ٤٠٦ .

في ذلك: "يتحمل الإنسان مسؤولية السيئات الناتجة من ذلك الكسب الجزئي اليسير، لأن نفسه هي التي أرادت وكسبه الذاتي هو المسبب ولأن ذلك الشر عدمي أصبح العبد فاعلاً له، أما الحسنات فما دامت وجودية أصلية لا يكون الكسب الإنسانية والإرادة الجزئية علة لها، فالإنسان ليس فاعلاً حقيقياً لها"[1]. "فإنه ليس للإنسان سوى الكسب فحسب"[2]. مثل الملائكة في ذلك[3]. وتعليل ذلك أن كسب الشر شر، بينما لا يكون الإيجاد شراً بل يكون خيراً[4]. فالإنسان ليس له تأثير إلا العدم ولا قوة له إلا الكسب الجزئي ولما كانت تلك الشرور ناتجة من العدم، فإن أولئك الأشرار يعدون فاعلون لتلك السيئات[5]، فالجزء الاختياري لا قابلية له في الإيجاد، ولا يوجد في الإنسان غير الكسب الذي هو في حكم أمر اعتباري[6].

وقد أحسن شيخ الإسلام حيث قال عن هذا الكسب: "لم يفرقوا بين الكسب والفعل بفرق محقق"[7].

ويحسن بنا أن نرى رأي النورسي في مسألتين هامتين وهي:

١- تعليل أفعال الله تعالى:

قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو أن: كل ما خلقه الله تعالى له فيه حكمة، والحكمة تتضمن شيئين:

الأول: حكمة تعود إلى الله يحبها ويرضاها.

الثاني: حكمة تعود إلى العباد، يفرحون بها وهذا يكون في المأمورات والمخلوقات[8].

يقول ابن القيم: "إنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة،

---

1 اللمعات : ١٢٩.

2 اللمعات : ٣٥٢.

3 الشعاعات : ٣٢٤.

4 انظر اللمعات : ١١٨.

5 انظر الشعاعات : ٣٢٥.

6 انظر الكلمات : ٥٤٣/١.

7 مجموع الفتاوى: ١١٩/٢.

8 انظر كلام ابن القيم في شفاء العليل: ص ٢٠٠، ومفتاح دار السعادة: ٤٢/٢ .

هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا"[1].

وهذه المسألة من مسائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر، وأبرز من خالف أهل السنة والجماعة هم المعتزلة والأشاعرة.

فقالت المعتزلة: إن الله خلق الخلق لحكمة محمودة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه لا ترجع إليه[2]. "ومنهم مَن قال: إن الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضًا، كما يقول ذلك مَن يقول من المعتزلة والشيعة ومَن وافقهم، وقالوا: الحكمة في ذلك إحسانه إلى الخلق والحكمة في الأمر تعويض المكلفين بالثواب"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن الناس مَن أثبت حكمة منفصلة عن الرب يفعل لأجلها، وهو قول المعتزلة ونحوهم من الجهمية[4].

وقد خالف المعتزلة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة في أن الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عن الرب تعالى، وقد تنازع المعتزلة مع من وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقليين[5].

وأما قول الأشاعرة فهو نفي الحكمة وإنكار التعليل في أفعال الله تعالى: بمعنى أن الله خلق الخلق لا لعلة وحكمة من وراء ذلك بل لمحض المشيئة الإلهية لذلك[6].

ونلاحظ أن موقف النورسي من مسألة تعليل أفعال الله عز وجل يوافق أهل السنة والجماعة أحياناً ولكنه يرجع إلى قول الأشاعرة عند الحديث عن أصول الدين. فهو متردد في هذه المسألة بين هذين القولين:

يقول عن حكمة الله تعالى في خلقه: "إن قلم القدر الإلهي يعطي هذه الموجودات

---

[1] شفاء العليل: ١٩٠، وانظر مجموع الفتاوى: ٨/٩٢ – ٩٣ .

[2] انظر الإرادة والامر – ضمن مجموعة الرسائل الكبرى : ١/٣٣١ – ٣٣٢ ، مكتبة محمد علي صبيح القاهرة.

[3] مجموع الفتاوى: ٨/٨٩ ، وانظر لكلام القاضي عبد الجبار في "المغني في أبواب التوحيد والعدل" ٦/٤٨.

[4] الاستغاثة في الرد على البكري : ١/٣٢٧.

[5] انظر مقالات الإسلاميين: ١/٣١٨، وطريق الهجرتين: ١٤٨، ومجموع الفتاوى: ٨/٨٩ – ٩٠ .

[6] انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي: ٢٩٦، نهاية الإقدام في علم الكلام: ٣٩٧، مجموع الفتاوى" ٨/ ٨٣، طريق الهجرتين: ١٤٧، القضاء والقدر : ٢٤٣.

الأرضية، لاسيما النباتية منها، ترتيباً معيناً ووضعاً معيناً، والقدرة الإلهية توجدها في صحيفة موسم الربيع، فتعبر عن معانيها الجميلة، وحيث أن صورها وهويتها تنقل إلى سجل عـالم الغيب كعالم المثال، فإن الحكمة تقتضي أن يتبدل ذلك الوضع، كـي تكتسب صـحيفة جديدة للربيع المقبل لتعبر عن معانيها كذلك"[١].

بل يقول إن ما يكون في خلق الله ليس عشوائياً. بمعنى أن وراءه قصداً وحكمة إلهيـة وليست الأفعال الإلهية تكون بمجرد المشيئة. يقول: "كنت أرى في المنام أشخاصاً لم أفكـر فيهم قط ومسائل لم تخطر ببالي، وإذا بأولئك الأشخاص أراهم في اليوم التالي لتلك الليلـة. وتجري تلك المسائل مع تعبير قليل بمعنى إن أصغر حادثة من الحوادث مقيدة ومـسجلة في القدر قبل مجيئها إلى الحدوث، فلا مصادفة قطعاً، والحـوادث ليـست سـائبة وليـست عشوائية"[٢].

بل إن النورسي يذكر بعض الحكم المتضمنة لخلق الشياطين وذلك جواباً لمن سأله عن حكمة خلق الشياطين فيقول: "إنه إزاء الشرور الجزئية للشياطين، تكمن في وجودهم كثير من المقاصد الخيرة الكلية وكمالات، ترقى بالإنسان في سلم الكمال"[٣].

ويقول في موضع آخر عن الحكمة: "أن الله عز وجل لما أسكن الروح في البدن المتحول المحتاج المعرض للمهالك أودع لإدامتها فيه قوى ثلاثاً ... لكنه تعالى بحكمته المقتضية لتكمُّل البشر بسر المسابقة لم يحدد بالفطرة تلك القوى كما حدد قوى سـائر الحيوانـات، وإن حددها بالشريعة؛ لأنها تنهي عن الإفراط والتفريط وتأمر بالوسط، يـصرح عـن هـذا: **(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)** [هود: من الآية١١٢]"[٤].

فهو يثبت لله حكمة في خلقه وهو موافق للحق الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

فلا خلق إلا بحكمة بالغة. ولكن في مواضع أخرى ينفي تلك الحكمة في الخلق ويجعـل الإيجاد والخلق لا يعلل بالحكمة بل إن سبب الخلق والإيجاد هو مجرد مشيئة الله تعالى وهـو قول الأشاعرة في هذه المسألة. يقول في ذلك: "إن الترجيح بلا مرجح محال دون التـرجيح

---

[1] المكتوبات: ٣٧٩ .

[2] المكتوبات: ٤٤٩ .

[3] اللمعات: ١١٠ .

[4] إشارات الإعجاز: ٣٢ — ٣٥ .

بلا مرجح فلا تُعلل أفعاله تعالى بالأغراض بل اختياره تعالى هو المرجح"[1].

والنفاة للتعليل والحكمة يتناقضون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لكن كثير من هؤلاء يتناقضون فيتكلم في الفقه بلون، وفي أصول الفقه بلون، وفي أصول الدين بألوان، ففي الفقه يثبت الأسباب والحكم، وفي أصول الفقه يسمي العلل الشرعية أمارات خلافاً ما يقوله في الفقه، وفي أصول الدين ينفي الحكمة والتعليل بالكلية، لظنه أن قول القدرية لا يمكن إبطاله إلا بذلك"[2]. "وهذه المسألة من أكثر المسائل فروعاً، فلها تعلق بالصفات الإلهية، وبالأحكام الربانية والوعد والوعيد، وهي داخلة في الخلق والأمر، ومتعلقة بمسائل القدر والأمر، وبمسائل الصفات والأفعال "وفي هذا المقام تاهت عقول كثير من الخلائق"[3] لذلك نجد أن من نفى الحكمة في أفعال الله دفعه ذلك إلى سلب العباد مشيئتهم، وأنهم ليسوا فاعلين حقيقة، مثل الأشاعرة الذين أثبتوا الكسب فقط. وقالوا إن عذاب الله للعاصي لا يعلل. بل الله يفعل ما يشاء[4].

٢- التحسين والتقبيح:

عند أهل السنة والجماعة لا يصح إطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع ولا ينفي دور العقل في تحسين الأفعال أو تقبيحها. وهذه مسألة تحتاج إلى تفصيل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع:

١. **النوع الأول:** أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا

---

1 إشارات الإعجاز: ٨٠،انظر اللمعات: ٢٠٢ – ٢٠٣،انظر لكلام الآمدي:غاية المرام في علم الكلام: ٢٢٤.

2 انظر الرد على البكري: ٣٢٧/١ ، وانظر "العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ" للعلامة المقبلي اليمني: ١٨٨.

3 مجموع الفتاوى: ٣٩٩/٨، وانظر ص ٨٣ .

4 انظر: الإرشاد إلى مواضع الأدلة في الاعتقاد، للحويني : ٢٦٨ [ت : محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ].

النوع هو حسن وقبيح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت بالفعل صـــفة لم تكن، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة إذا لم يرد الشرع بذلك، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح، فإنهم قالوا: إن العباد يعـــاقبون على أفعالهم القبيحة ولو لم يبعث الله إليهم رسولاً، وهذا يخالف النص، قال تعالى: **(مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)** [الإسراء: من الآية١٥].

٢. **النوع الثاني**: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب صفة الحسن والقبيح بخطاب الشارع.

٣. **النوع الثالث**: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن به العبد، هل يطيعه أم يعصاه، ولا يكون المراد فعل المأمور به،كمـــا أمـــر إبـــراهيم بـــذبح ابنـــه **(فَلَمَّـــا أَسْـــلَمَا وَتَلَّـــهُ لِلْجَبِينِ)**[بالصافات:١٠٣] حصل المقصود ففداه بالذبح، وكذلك حديث الأبرص والأقرع والأعمى، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة فلما أجاب الأعمى قال الملك: أمسك عليك مالك فإنما ابتليتم، فرضي عنك وسخط على صاحبيك، فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به، وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبيح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك، بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع، وأمـــا الحكمـــاء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب"[1].

والنورسي هنا وافق الأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح حيث قال الأشاعرة إن العقل لا يدل على حسن الشيء ولا قبحه، فالتحسين والتقبيح لجميع الأشياء إنما يتلقى من خطاب الشارع، فهم يقولون بالتحسين والتقبيح الشرعيين (لا العقليين كما ذهبت إليه المعتزلة) وإن

---

[1] مجموع الفتاوى: ٤٣٤/٨ – ٤٣٦ ، وانظر: مجموع الفتاوى: ٤٢٨/٨– ٤٣٢ بتصرف، وانظر القضاء والقدر: ١٧١.

كان هذا القول أعني التحسين والتقبيح الشرعيين مشهوراً عن الأشاعرة إلا أنه قد وافقهم على قولهم هذا جماعة من الشافعية والمالكية والحنبلية وغيرهم.

يقول النورسي: "إن قبح الشيء ونجاسته وقذارته هو بسبب النهي الإلهي، حسب مذهب أهل السنة والجماعة[1]. وحيث أن الأمر خاطر فرضي، وتداعٍ خيالي، بلا اختيار ولا رضا، فلا يتعلق به النهي الإلهي، ولهذا فلا يكون الأمر قبيحاً ولا قذراً ولا نجساً مهما كان صورة لقبيح وقذر ونجس"[2]، وهذا ما قرره علماء الأشاعرة في كتبهم كالباقلاني[3]، والآمدي[4]، والبغدادي[5]، والشهرستاني[6].

---

[1] وهذا ما تدعيه الأشاعرة والماتريدية وغيرهم. من أن مذهبهم مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الإطلاق لا يصح إذ قد خالفوا أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة، كما في هذه المسألة.

[2] المكتوبات: ٤٨ .

[3] انظر الإنصاف: ٤٩ – ٥٠ .

[4] انظر الآمدي وأراءه الكلامية: ٤٣٥ .

[5] انظر أصول الدين: ٢٤ .

[6] الملل والنحل: ٣٣ .

المطلب الثاني: مذهبهم في الإرادة:

لم يزل الله تعالى متصفًا بالإرادة المطلقة، وهي إرادة شاملة لجميع الكائنات، قال الله تعالى: **(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)** [البروج:١٦]، وقال تعالى: **(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)** [التكوير:٢٩].

والإرادة الكونية والمشيئة بمعنى واحد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن نفس الإرادة هي المشيئة"[١]، إلا أن النورسي يرى أن المشيئة صادرة من الإرادة صنعة الإرادة. يقول في ذلك: "لله تعالى تجليان – يتجلى بها على المخلوقات وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا:

أولهما: الشرع التكويني، الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة (الإرادة الإلهية).

الثاني: الشريعة المعروفة الصادرة من صفة الكلام الرباني"[٢].

ولا يذكر النورسي وجه الفرق بين المشيئة والإرادة. بل إنه يقول في موضع آخر: "لما كان وقت نزول الغيث غير مرتبط بقاعدة مطردة، فإنه يرتبط مباشرة بالمشيئة الإلهية الخاصة، ويتبع الإرادة الإلهية الخاصة، فيتزل من خزينة رحمته تعالى دون وساطة"[٣].

والإرادة تشمل الإرادة الإلهية، والإرادة عند الخلق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "كذلك إذا قيل الإرادة والرحمة والمحبة تنقسم إلى إرادة الله ومحبته ورحمته، وإرادة العبد ومحبته ورحمته"[٤].

هذا من حيث المسمى، ومن حيث الصفة، فإن الله تعالى من صفاته "الإرادة" وكذلك العبد، ولكن ليس من أسماء الله تعالى "المريد" كما ذهب إليه النورسي[٥]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " كذلك المريد والمتكلم فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم، فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف الحكيم، والرحيم، والصادق، ونحو ذلك، فإن ذلك لا يكون

---

1 مجموع الفتاوى: ٨٧٢/٦.

2 الكلمات: ٨٧١ – ٨٧٢.

3 اللمعات: ١٦٧.

4 مجموع الفتاوى: ٢٠١/٥.

5 انظر صيقل الإسلام: ٢٨٠، الكلمات: ٨٣٠.

إلا محموداً"[1].

وقد أثبت النورسي صفة الإرادة الإلهية في مواضع عديدة من رسائله، فمن ذلك قوله: "إن صفات البصر والسمع والإرادة والكلام كل منها تعرف الذات الأقدس تعريفاً واسعاً جداً بسعة الكون وتفهمها ..."[2].

وكل من أثبت الإرادة لله تعالى فيلزمه عقلاً أن يثبت بقية الصفات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عمن ينكر صفات النزول والاستواء ونحوها: "إذا قال النزول والاستواء ونحو ذلك من صفات الأجسام، فإنه لا يعقل النزول والاستواء إلا لجسم مركب، والله سبحانه منزه عن هذه اللوازم، فيلزم تنزيهه عن الملزوم. أو قال حادثة، والحوادث لا تقوم إلا بجسم مركب، وكذلك إذا قال: الرضا والغضب والفرح والمحبة ونحو ذلك هو من صفات الأجسام.

فإنه يقال له: وكذلك الإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة من صفات الأجسام، فإننا كما لا نعقل ما ينزل ويستوي ويغضب ويرضى إلا جسماً، لم نعقل ما يسمع ويبصر ويريد ويعلم ويقدر إلا جسماً"[3].

ولذلك أقر النورسي بصفات عديدة مثل المحبة والرحمة. وهذه من الصفات التي جعلها أتباع الأشعري وبعض أتباع الإمام أحمد هي الإرادة[4].

يقول النورسي عن صفة المحبة وعلاقته بالإرادة الإلهية: "يجد المتأمل في هذه المصنوعات المبثوثة في الكون أن فيها فعل التحسين[5] في منتهى الجمال وفعل التزيين في منتهى الروعة، فبديهي أن مثل هذا التحسين والتزيين يدلان على وجود إرادة التحسين وقصد التزيين لدى صانع تلك المصنوعات فتلك الإرادة الشديدة تدل بالضرورة على وجود رغبة قوية سامية

---

1 مجموع الفتاوى: ١٤٢/٦.

2 الشعاعات: ١٨٩، ٦٨٩، ٦٩١.

3 مجموع الفتاوى: ٣٥٢/٥، وانظر ٢٦/٣، ٣٥١/٥، ٣٥٠/٥.

4 انظر مجموع الفتاوى: ٢٤٩/٥.

5 فيه نقض لقوله في مسألة التحسين والتقبيح الشرعيين. انظر ص٥٢٠.

ومحبة مقدسة لدى ذلك الصانع نحو صنعته"[1].

وعن صفة الرحمة الإلهية يقول: "إن حقيقة تبارز الألوهية أيضاً التي تُحسّ وتوجد بداهة ضمن حقيقة تظاهر الربوبية تعرف نفسها وتفهمها أيضاً بتجليات الأسماء الحسنى ذات الرحمة والكرم"[2].

ومسالة الإرادة لها اتصال وثيق بمسألة القدر. فهل يريد الله غير ما يأمر به ؟ أو هل الإرادة الإلهية تقتضي المحبة أم لا ؟ بعض الطوائف توهمت التعارض في الأمر والإرادة. فقالوا كيف يكون ما لا يأمر الله به، ولا يحبه ؟ فاعتقد بعضهم أن لا يوجد شيء إلا وهو محبوب للرب، سواء كان من الطاعات أو من المعاصي. وقالوا: ما لم يقع لا يكون محبوباً لله تعالى.

ولهذا التوهم في التعارض بين ما يقع من المعاصي، وبين ما يأمر الله به من الطاعات أنكرت بعض الفرق (كالأشاعرة) مسألة التعليل والحكمة في أفعال الله تعالى، وقالوا الله يفعل لا لحكمة معينة .

وعند النظر في النصوص الشرعية نجد أن الأمر والإرادة من الألفاظ المجملة. فقد يراد بالأمر والإرادة معنى واحداً إذا كان المقصود هو الأمر والإرادة الكونية، ففي الأمر الكوني يقول الله تعالى: **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**) [الأنعام: من الآية١٢٥] .

وأما الأمر الشرعي والإرادة الشرعية فهي مستلزمة للمحبة، ففي الأمر الشرعي يقول الله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ**) بالنحل: من الآية٩٠]، وأما الإرادة الشرعية فمثل قوله تعالى: **(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**) [النساء: من الآية٢٦].

[1] الكلمات: ٦٩١. بل ويغلو في إثبات المحبة حيث يقول: "إن جوهر كل شيء هو المحبة حتى الجاذبية الأرضية أصلها من هذه الصفة!" انظر الكلمات: ٧٤٦/١، ويقول: "حيث تكون المحبة يكون الله" إشارات الإعجاز: ٢٦٩، بل يجعل المحبة سبب وجود الكائنات: الكلمات: ٤١٠.

[2] الشعاعات: ١٨٨.

ونخلص إلى أمرين:

الأول: عموم إرادة الله تعالى لكل شيء قال تعالى: **(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)** [الإنسان: من الآية٣٠].

الثاني: ليس كل شيء موجود، قد أراد الله وجوده كوناً، محبوباً لله تعالى، وهذا كقوله تعالى: **(وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ)** [الزمر: من الآية٧] مع أن الكفر أراد الله وجوده كونياً.

ومن هنا نقول: إن كل شيء موجود فهو بإرادة الله تعالى، وهو خالقه، فلا رب سواه، وليس كل موجود محبوباً لله، ومطلوبًا شرعاً، فالإرادة الكونية لا تستلزم الإرادة الشرعية.[1]

ومن هنا يقال أن الطاعة والمعصية أرادها الله في خلقه، فهي مخلوقة لله، فالطاعة محبوبة له سبحانه دون المعصية.

ومع أن النورسي يثبت الإرادة لله تعالى حتى يسميه بما لا يليق حيث يقول: "الوجوب حاصل وملزوم للعلة التامة، وهو إرادة الله جل وعلا، إذ الممكن لا يوجد حتى يوجب، ووجوبه هو تعلق الإرادة الكلية، وهو العلة التامة، إذ بالتعلق يمتنع التخلف، فيصير واجباً"[2]، ويقول: "إن القوانين سنن الله الجارية في الكون والتي هي عناوين لنواميس الإرادة الإلهية"[3]. حتى إنه يصل إلى سلب إرادة الإنسان إلا ما سماه "الكسب" فليس عنده لإرادة الإنسان أي تأثير في الفعل يقول: "لا أملك سلاحاً يدفع عني غير جزء ضئيل من الإرادة الجزئية، فليس لي أذن أمام كل أولئك الأعداء الذين لا حصر لهم، والأشياء المضرة غير المحصورة سوى السلاح الإنساني الوحيد وهو الجزء الاختياري، ولكن لما كان هذا السلاح ناقصاً وقاصراً وعاجزاً، ولا قوة له على إيجاد شيء، وليس في طوقه إلا الكسب فحسب، حيث لا يستطيع أن يمضي إلى الزمان الماضي، ويذب عني الأحزان ويسكتها"[4].

إلا أنه مع هذا الإثبات ينفي الإرادة الإلهية في أعمال بني آدم إذا تعلقت المعصية. أما الطاعات – عنده – فالله أرادها وأوجدها. والفرق – كما يرى – أن الطاعات تتعلق بأمر

---

1 انظر شرح العقيدة الطحاوية: ٧٩/٢.

2 صيقل الإسلام: ٢٨٥.

3 الملاحق: ٤١٣، وانظر المثنوي العربي النوري: ٣٤٣، ٤٢٦.

4 سيرة ذاتية: ١٩٥.

وجودي، وكل ما هو كذلك فهو خير، أما المعاصي، فهي تتعلق بأمر عدمي، وكل ما هو كذلك فهو شر، فلا يُنسب إلى الله تعالى لا خلقاً ولا تقديراً. يقول: "الكفر والمعصية، لكونهما نوعاً من العدم والتخريب، فيمكن أن يحركهما الجزء الاختياري بأمر اعتباري، فيسببان نتائج مريعة ... "[1]، ويقول: "إن الذي يتحدث عن القدر إن كان ذا إيمان فإنه يحق له الكلام في القدر لأنه يعرف أن نفسه وكل شيء منه سبحانه وتعالى، فيتحمل المسؤولية، مستنداً إلى الجزء الاختياري الذي يعتبره مرجعاً للسيئات، فيقدس ربه وينزهه"[2] لأن "الوجود خير محض والعدم شر محض والدليل هو رجوع جميع المحاسن إلى الوجود، وكون العدم أساس جميع المعاصي والمصائب والنقائص"[3]. فيُلاحظ أن النورسي يعتبر أن العدم شيء يسند له الشرور والآثام والقبائح، والصحيح "أن العدم ليس شيئاً، وإنما الشيء الموجود والله خالق كل شيء فلا يضاف العدم إلى الله تعالى"[4].

والنورسي يرى أن العدم شر محض ومع ذلك يقول أن الله وحده هو الذي يخلق من العدم، يقول: "القدرة الإلهية هي التي أوجدت جميع الكائنات من العدم"[5]، ويقول: "هو الذي أوجد أجساد الحيوانات كافة، وذوي الحياة من العدم"[6]. فإذا كان العدم شراً محضاً فمن أين خلق الأنبياء والصالحون والخير، أليس من العدم ؟

وهذا التناقض في قول النورسي في هذه المسألة ناتج من اتباعه لقول ابن عربي في العدم حيث يرى ابن عربي أن العدم شيء موجود، قال ابن تيمية: "أما أصل ابن عربي فهو أن الوجود واحد وأن الوجود الواجب هو عين الوجود الممكن، والقول بأن المعدوم شيء، وأعيان المعدومات ثابتة في العدم، ووجود الحق قاضٍ عليها"[7]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً: "أصل مقالة ابن عربي قائمة على أصلين: أحدهما أن المعدوم شيء ثابت في

---

[1] الكلمات: ٥٤٤.

[2] الكلمات: ٥٤٤.

[3] الكلمات: ٥٥٣ وما بعدها، انظر اللمعات: ١٣، الشعاعات: ٩٤.

[4] مجموع الفتاوى: ٢٠٤ – ٢٠٥، ٦/٢٢٩.

[5] الكلمات: ٦٢٦، انظر ٨١٣، ٨١٦، ٨٢٥، ٨٩٢.

[6] الكلمات: ١٢٣. ٨٦، واللمعات: ٥٤٦، ٥٤٧.

[7] مجموع الفتاوى: ٢/١١٣.

العدم موافقة لمن قال في ذلك من المعتزلة والرافضة"[1]، لذلك فهم "يقولون إن هذا سر القدر وأن الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم خارجاً عن نفسه المقدسة"[2].

واختلف النورسي مع ابن عربي في خلق الله تعالى الكائنات من العدم فابن عربي يرى أن الذوات غنية عن الله تعالى يقول شيخ الإسلام: "وأما على رأي صاحب الفصوص، فما ثم إلا وجوده، والذوات الثابتة في العدم غنية عنه، ووجوده لا يكون مخلوقاً، والذوات غنية عنه، فلم يخلق الله شيئاً"[3].

أما النورسي فهو يقول: "أجمع أهل الإيمان والعلم على أنه لا يخلق من العدم إلا الله"[4] ومع ذلك فقد وافق النورسي ابن عربي في أن العدم شيء. يقول في ذلك: "إن كان العدم معدوماً فهو موجوداً"[5]، وأن حقيقة العدم هو وجود لكنه ليس وجوداً دائماً يقول: "لا يكون العدم إلا عنواناً لانتقال وجود زائل إلى أنواع من وجود دائم"[6]. وهذا القول هو أصل مقالة ابن عربي، في وحدة الوجود. لذا قال النورسي قولته الشنيعة عن نفسه: "إنني لا أريد العدم بل البقاء ولو في جهنم"[7]، ثم يشرح لماذا هو يفضل جهنم على العدم[8]. ومع أن شيخ الإسلام يرى أن العدم ليس شيئاً يفتقر إلى فاعل موجود[9] إلا أنه يبين أن العدم المحض لا ثواب فيه ولا عقاب[10] فضلاً عن أن يكون عذاباً وجحيماً. بل يضيف أن العدم قد يكون رحمة فيقول: "كما أن الشيء قد يكون رحمة بالخلق إذا احتاجوا إليه كالمطر، ويكون عذاباً إذا ضرهم. فيكون إنزاله لحاجتهم رحمة وإحساناً، والمحسن الرحيم متصف بالكمال، ولا يكون عدم إنزاله – حيث يضرهم – نقصاً، بل هو أيضاً رحمة وإحساناً فهو محسن بالوجود

[1] مجموع الفتاوى: ١٤٢/٢.

[2] مجموع الفتاوى: ٤٦٧/٢.

[3] مجموع الفتاوى: ٢٤٨/٢.

[4] اللمعات: ٥٤٧.

[5] الكلمات: ٢٣٤.

[6] اللمعات: ٥٠٤.

[7] الشعاعات: ٢٧٨.

[8] انظر الشعاعات: ٣٢٠.

[9] انظر مجموع الفتاوى: ١٦/١٤.

[10] انظر مجموع الفتاوى: ٦٣١/١٠.

حين كان رحمة، وبالعدم حين كان العدم رحمة"[1].

ويرد على من يذهب إلى ما ذهب إليه النورسي في أن الله لا يخلق المعاصي فيقـــول: "منهم من يقول: خلق طاعة المطيع، لكن ما خلق شيئاً من الذنوب ابتـــداء بـــل جـــزاء. فيقولون: أول ما يفعل العبد لم يحدثه الله، وما ذكرنا بوجب أن يكون الله خالق كل شيء. لكن أولها عقوبة على عدم فعله لما خلق له، والعدم لا يضاف إلى الله، فما أحدثـــه فأولـــه عقوبة على هذا العدم، وسائرها قد يكون عقوبة على ما وجد، وقد يكون عقوبـــة علـــى استمراره على العدم، فما دام لا يخلص لله لا يزال مشركاً، والشيطان مسلط عليه"[2].

وعن مسالة العدم وخلق فعل العبد، وهل قدرة العبد المخلوقة مؤثرة في وجـــود فعلـــه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "في تحرير السؤال وجوابه – وهو أن يقال هل قدرة العبـــد المخلوقة مؤثرة في وجود فعله، فإن كانت مؤثرة لزم الشرك؛ وإلا لزم الجبر، والمقام مقـــام معروف؛ وقف فيه خلق من الفاحصين والباحثين والبصراء والمكاشفين، وعامتهم فهمـــوا صحيحاً. ولكن قل منهم من عبر فصيحاً.

فنقول: التأثير اسم مشترك قد يراد بالتأثير الانفراد بالابتداع والتوحيد بالاختراع فـــإن أريد بتأثير قدرة العبد هذه القدرة فحاشا لله لم يقله سني إنما هو المعزو إلى أهل الضلال.

وإن أريد بالتأثير نوع معاونة إما في صفة من صفات الفعل. أو في وجه من وجوهـــه كما قاله كثير من متكلمي أهل الإثبات. فهو أيضاً باطل بما به بطل التأثير في ذات الفعـــل؛ إذ لا فرق بين إضافة الانفراد بالتأثير إلى غير الله سبحانه في ذرة أو فيل. وهل هو إلا شرك دون شرك وإن كان قائل هذه المقالة ما نحا نحو الحق.

وإن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثـــة. بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى الفعل بهذه القدرة. كما خلق النبات بالماء وكما خلق الغيث بالسحاب. وكما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب فهذا حق وهذا شأن جميع الأسباب والمسببات"[3].

---

[1] مجموع الفتاوى: ١٠٨/٦.

[2] مجموع الفتاوى: ٢٢٣/٨.

[3] مجموع الفتاوى: ٣٨٩/٨.

المطلب الثالث: تردد النورسية بين أهل السنة والمتكلمين

أثبت النورسي طلاقة القدرة والفاعلية لله تعالى من حيث نسبة حدوث كل شـــيء في الكون لفعل الله تعالى، وإن ما يحدث يكون بإرادته سبحانه وقدرته. ورفض أن تكون هناك فاعلية حقيقية لغير الله تعالى في هذا الكون. ومع ذلك يُلاحظ أنه قد تردد في مسألة القـــدر بين أهل السنة والجماعة والمتكلمين (الأشاعرة والمعتزلة) ، والنورسي في جملة أقواله يذهب إلى قول الأشاعرة.

وهذه آراء النورسي التي وافق فيها أهل السنة والجماعة:

١- إثبات الإرادة الإلهية الشاملة:

يقول: "لا يبقى هذا العضو هملاً ولا سدى بل ينال نور القصد والإرادة والحكمة. مما يدل على أن الأفعال والأحوال الجليلة للكرة الأرضية الضخمة والتي هي مهد لا يحد مـــن ذوي المشاعر وحضارتهم ومرجعهم ومأواهم – لا تبقى خارج الإرادة والاختيار والقـــصد الإلهي، بل لا يبقى شيء خارجها، جزئياً كان أم كلياً"[1]. ويقول: "إن العلاقـــات الفارقـــة الموضوعة على كل وجه – لصيانة حقوق كل فرد في المجتمع، ولمنع الالتبـــاس، وللتمييـــز، ولحكم أخرى – هي الأخرى دليل واضح على الإرادة المطلقة والمشيئة الكاملة لذلك الخالق الواحد سبحانه وتعالى"[2] "لا نكمل شيء يحصل بإرادته ومشيئته سبحانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يفعل ما يشاء، ولا شيء ما لم يشأ"[3].

٢- إثبات الحِكَم والغايات السامية في خلقه سبحانه:

يقول: "إن الذي يدير أمر هذا الكون هو الذي يحافظ على كل شيء فيه ضمن نظـــام وميزان. والنظام والميزان هما مظهران من مظاهر العلم والحكمة مع الإرادة والقدرة، لأننـــا نشاهد أن أي مصنوع كان لم يُخلق ولا يُخلق إلا في غاية من الانتظام والميزان"[4].

وبعبارة أوضح في الحكم العظيمة من خلقه تعالى يقول: "إذا تأملنا في أرجاء الكـــون

---

[1] الكلمات: ١٩٨، ١١٧، ٢٠٠، انظر إنكاره على الفلاسفة في هذه المسألة: الكلمات: ٦٤٦.

[2] اللمعات: ٥٤٢.

[3] الشعاعات: ٦٩٠.

[4] الكلمات: ٨٢، ٥٤٩.

نرى أن هناك نظاماً كاملاً وتناسقاً بديعاً مقصوداً في جميع أجزائه، فنشاهد رشحات الإرادة والاختيار، ولمعات القصد في كل جهة حتى نبصر بنور "القصد" في كل شيء وضياء "الإرادة" في كل شأن، ولمعات "الاختيار" في كل حركة وشعلة "الحكمة" في كل تركيب"[1].

٣- أفعال العباد مخلوقة ككل شيء في الكون:

يعود النورسي في مسألة "أفعال العباد" إلى قول أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة الصحابة والفقهاء والمحدثين، بل يقر (في بعض أقواله) بأن الشر موجود في الكون إنما هو لحكمة تقتضي كمالاً وأن إيجاده في الكون ليس شراً محضاً. يقول في ذلك: "خلق الشياطين والشرور، وإيجادها ليس شراً وليس قبيحاً، لأنه متوجه نحو نتائج كلية عظيمة، بل الشرور والقبائح الناتجة، إنما هي حاصلة من سوء الاستعمال، ومن الكسب الإنساني الذي هو مباشرة خاصة راجعة إلى الكسب الإنساني، ليس إلى الخلق الإلهي"[2].

أبرز أقوال النورسي التي وافق بها المتكلمين:

١- الإرادة وعلاقتها بالمحبة والرحمة:

يرى النورسي أن الإرادة غالباً لها علاقة بالمحبة الإلهية. وإن كانت هذه الأخيرة ينكرها في أغلب أقواله. ومن أقواله في ربط الإرادة بالمحبة الإلهية قوله: "يجد المتأمل في هذه المصنوعات المبثوثة في الكون أن فيها فعل التحسين في منتهى الجمال وفعل التزيين في منتهى الروعة، فبديهي أن مثل هذا التحسين والتزيين يدلان على وجود إرادة التحسين وقصد التزيين لدى صانع تلك المصنوعات فتلك الإرادة الشديدة تدل بالضرورة على وجود رغبة قوية سامية ومحبة مقدسة لدى ذلك الصانع نحو صنعته"[3].

وقد تكون الإرادة أيضاً – عنده - تدل على الرحمة: "إن أهم حقيقة في الكون وأثمن ماهية فيه هي الوجود والحياة والنور والرحمة، وإن هذه الأربعة متوجهة مباشرة ودون وسائط وحجب إلى القدرة الإلهية ومشيئتها الخاصة، بينما تحجب الأسباب الظاهرة في

---

[1] الكلمات: ٦١٣، انظر اللمعات: ١٦٧.

[2] المكتوبات: ٥٢.

[3] الكلمات: ٦٩١.

المصنوعات الإلهية الأخرى تصرف القدرة، وتستر القوانين المطردة والقواعد الثابتة – إلى حد ما – الإرادة الإلهية ومشيئتها"[1].

٢– إنكار الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى:

وهذه من أهم المسائل التي شغلت النورسي في رسائله، حيث إنه يثبت الحكمة الإلهية في الخلق، حتى يثبت الإيمان ويزيده، لكنه يضطر لنفيه في مواضع أخرى تقليداً للمذهب، يقول عن أفعال الله تعالى: "أنها لا تعلل بالأغراض، بل اختياره تعالى هو المرجح"[2].

٣– القول بالجبر في مسائل القدر:

فهو يرى أن العبد ليس خالقاً لفعله لأنه "لا مؤثر في الكون إلا الله"[3] فعندما قيل له "كلما يشرح الجزء الاختياري بالتحليل لا يظهر منه إلا الجبر أجاب: أولاً: إن الوجدان والفطرة يشهدان أن بين الأمر الاختياري والاضطراري أمراً خفياً فارقاً، وجوده قطعي، فلا علينا أن لا نعبر عنه"[4].

يقول عن سيدنا محمد ﷺ :"إذا لو كان أفضل مخلوق وأكرمهم وهو محمد ﷺ غير مالك لنفسه وغير حر طليق في أفعاله، بل أفعاله وتحركاته وسكناته مقيدة بإرادة غير إرادته واختياره،فلا شيء إذاً في الوجود، ولا شان ولا حال ولا كيفية مهما كانت جزئية أم كلية، خارج دائرة تلك القدرة العظيمة المحيطة بكل شيء، ولا خارج تلك الإرادة الشاملة لكل شيء"[5] وهذا كلام قريب من قوله: "أنه يجب التبرؤ من الجزء الاختياري وتفويض الأمر إلى الإرادة الإلهية"[6] وهو وإن كان يثبت للعبد كسباُ إلا أن ذلك الكسب، لا قيمة له في الحقيقة:"إذ رأسماله من الإرادة الجزئية جزء ضئيل كالشعرة، وله من الاقتدار كسب ضعيف، وله من الحياة شعلة لا تلبث أن تنطفئ، وله من العمر فترة عابرة خاطفة، وله من الوجود

1 اللمعات: ١٦٧، ١٦٩.

2 إشارات الإعجاز: ٨٠.

3 إشارات الإعجاز: ٨٠.

4 إشارات الإعجاز: ٨١.

5 إشارات الإعجاز: ٧، ٦٩٠.

6 الكلمات: ٢٣٣.

جسم يبلى بسرعة ... "[1] "فليس لي إذن سوى السلاح الإنساني الوحيد وهو الجزء الاختياري، ولكن لما كان هذا السلاح ناقصاً وقاصراً عاجزاً، ولا قوة له على إيجاد شيء، ليس في طوقه إلا الكسب فحسب، ... أيقنت انه لا جدوى منه فيما يحيط بي من آلام وآمال الماضي والمستقبل"[2].

وعند هذه الأقوال ينقدح في الذهن أن الإنسان عند النورسي معدوم الاختيار، فيقول في ذلك ما يلي:

نافياً عن الإنسان الجبر: "القدر نوع من العلم، والعلم تابع للمعلوم، أي على أية كيفية يكون المعلوم يحيط به العلم ويتعلق به، فلا يكون المعلوم تابعاً للعلم، أي أن دساتير العلم ليست أساساً لإرادة المعلوم من حيث الوجود الخارجي، لأن ذات المعلوم ووجوده الخارجي ينظر إلى الإرادة ويستند إلى القدرة"[3] ولتوضيح ما سبق أكثر يقول: "إن العلم بفعل باختياره لا ينافي الاختيار وأيضاً إن العلم الأزلي محيط كالسماء لا مبدأ للسلسلة كرأس زمان الماضي حتى نستند إليه المسببات متغافلاً عن الأسباب موهماً خروجهن ... وأيضاً إن العلم تابع للمعلوم، أي على أية كيفية يكون المعلوم، كذلك يحيط به العلم، فلا يستند مقاييس المعلوم إلى أساسات القدر"[4].

وأخيراً هل توصل النورسي إلى حل لمسألة الجزء الاختياري، والقدر يجيب بأن "العادل الحكيم الذي تشهد لحكمته وعدالته الكائنات كلها، بلسان الانتظام والميزان قد أعطى للإنسان جزءاً اختيارياً مجهول الماهية، ليكون مدار ثواب وعقاب، فكما أن للحكيم العادل حكماً كثيرة خفية عنا، كذلك كيفية التوفيق، لا يدل على عدم وجوده.

الثاني: أن كل إنسان يشعر بالضرورة أن له إرادة واختياراً في نفسه، فيعرف وجود ذلك الاختيار وجداناً، وأن العلم بماهية الموجودات شيء والعلم بوجودها شيء آخر، وهذا الجزء الاختياري من الأشياء التي وجودها بدهي، ولكن ماهيتها مجهولة بالنسبة إلينا"[5].

---

[1] الكلمات: ٣٦٢.

[2] اللمعات: ٣٥٢.

[3] الكلمات: ٥٤٥.

[4] المكتوبات : ٢٣٥ .

[5] الكلمات: ٥٤٥.

الباب الثالث: مسائل الإيمان عند النورسية.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: ماهية الإيمان.

الفصل الثاني: العلاقة بين الإسلام والإيمان.

الفصل الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

الفصل الرابع: مذهبهم في مرتكب الكبيرة .

الفصل الأول: ماهية الإيمان

ما هيـــة الإيمان وتعريفـــه

مسائل الإيمان يعبر عنها بمسألة الأسماء والأحكام. بحيث إنه ينبني عليه حكم الإنسان في الدنيا هل هو كافر أو مؤمن ؟ أو هو مؤمن ناقص الإيمان في الدنيا.

وما مصيره في الآخرة أمن أصحاب اليمين أم من أصحاب الشمال؟ وهذه الأحكام لا يحكم الناس فيها بالظن أو الهوى بل بالعلم الشرعي المتلقى من مـــيراث النبـــوة. لأن أول اختلاف وقع في الأمة هو الاختلاف في مسألة الأسماء والأحكام أي مسألة الإيمان[1]، وهـــو خلاف الخوارج حيث جعلوا عصاة الموحدين من الكفار. ومن هنا يجب أن نحـــدد معـــنى الإيمان.

فالإيمان في اللغة: هو مصدر يؤمن إيمانا فهو مؤمن وهو مشتق من الأمن[2] وأصل آمن بهمزتين لينت الثانية، والأمن ضد الخوف[3].

قال الراغب: "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف"[4]. وقـــال ابـــن منظـــور: "والإيمان بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يقال: آمن به قوم وكذب به قوم. فأمـــا آمنتـــه المعنوي فهو ضد أخفته. وفي التزيل العزيز: ﴿**وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: من الآية٤]"[5] .

وقد اختار شيخ الإسلام في تعريف الإيمان لغة: أنه بمعنى الإقرار لا التصديق[6].

وأما الإيمان في الشرع فقد أجمع أهل السنة والجماعة أنه قول وعمل أو قول وعمـــل ونية أو هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان[7] أو قول القلب واللسان وعمـــل القلب والجوارح واللسان، قال ابن تيمية: "ومن أصول أهل الـــسنة والجماعـــة أن الـــدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح"[8] .

ومن الأدلة على دخول هذه الأمور الخمسة السابقة في الإيمان ما يلي :

---

1 انظر مجموع الفتاوى: ١/٢٥٠، ٢/١٠٧.

2 انظر تهذيب اللغة للأزهري : ١٥/٥١٣.

3 انظر الصحاح للجوهري ٥/٢٠٧١.

4 المفردات ٣٥وانظر القاموس ١/١٨٢.

5 لسان العرب ١٣/٢١.

6 انظر الإيمان لابن تيمية :٢٧٦ ومجموع الفتاوي : ٧/١٢٦ وما بعدها : ٧/٢٩١ ، ٦٣٨

7 انظر مسائل الإيمان : ١٥٢ ، الإيمان لابن مندة : ١/٣٣١.

8 العقيدة الواسطية : ١٦١.

ــ قول القلب وهو التصديق والإيقان، قال تعالى: (**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) [الزمر:٣٣].

ــ عمل القلب وهو النية والإخلاص والتوكل ونحوه قال تعالى: (**وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**) [الليل: ١٩– ٢٠]

ــ قول اللسان وهو النطق بالشهادتين ، قوله تعالى: (**إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [الزخرف: من الآية٨٦].

ــ عمل اللسان كتلاوة القرآن والاستغفار فدليله قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**) [الأحزاب:٤١ – ٤٢]

ــ عمل الجوارح وهو كل أعمال الجوارح كالركوع والسجود والحج ونحوه ودليله قوله تعالى: (**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**) [البقرة: من الآية٢٣٨].

قال الإمام البغوي رحمه الله: "اتفق الصحابة والتابعون ومن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[1].

وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي: "سياق ما روي عن النبي ﷺ أن الإيمان تلفظ باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح" ثم أورد دلائل ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين[2]. وقال الإمام الشافعي: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وممن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر"[3] ويقول الإمام ابن عبد البر: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصيةوالطاعات كلها عندهم تسمى إيماناً"[4] لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ " لهذا كان القول: إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر أهل السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك "[5]. وقال ابن

---

[1] شرح السنة : ٣٨/١.

[2] انظر شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٨٣٠/٤.

[3] انظر الإيمان (لابن تيمية):١٩٦.

[4] التمهيد : ٢٣٨/٩

[5] الإيمان (لابن تيمية): ٢٩٢.

القيم رحمه الله: "حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء "[1].

أما الإيمان عند الطوائف الأخرى فهو كما يلي:

ـــ الجهمية ترى أن الإيمان هو معرفة الله سبحانه وتعالى بالقلب دون العمل بالجوارح حكى هذا عنهم الأشعري في مقالاته وغيره[2].

ـــ والمعتزلة والخوارج قالوا الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان لكنهم جعلوا العمل شرطًا في وجود الإيمان بحيث يوجد الإيمان بوجوده ويعدم بعدمه. فهم خالفوا أهل السنة في حقيقة الإيمان من هذه الحيثية[3].

ـــ قول جمهور الأشاعرة أن الإيمان: تصديق النبي ﷺ في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة[4]. فهو عندهم تصديق القلب فقط وقريب من هذا القول ـــ حيث إنه قول المرجئة ـــ قول مرجئة الفقهاء وقول الكرامية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-: "فإن كثيرًا ممن تكلم في مسألة الإيمان هل تدخل فيه الأعمال؟ وهل هو قول وعمل؟ يظن أن النزاع إنما هو في أعمال الجوارح، وأن المراد بالقول هو قول اللسان، وهذا غلط ، بل القول المجرد عن اعتقاد الإيمان ليس إيمانًا باتفاق المسلمين"[5].

ويقول أيضًا: " والمرجئة الذين قالوا : الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه. كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها، و لم يكن قولهم مثل قول جهم فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمنًا إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه، وعرفوا أن إبليس وفرعون كفار مع تصديق قلوبهم، لكنهم إذا لم يُدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول

---

[1] كتاب الصلاة وحكم تاركها : ٣٥.

[2] انظر مجموع الفتاوى: ١٩٥/٧.

[3] انظر مجموع الفتاوى : ١٣/٨، المواقف في علم الكلام : ٣٨٤.

[4] انظر المواقف في علم الكلام :٣٨٤.

[5] مجموع الفتاوى : ٥٥٠/٧.

جهم، وإن أدخلوها في الإيمان، لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضًا فإنها لازمة لها، ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم"[1].

ويقول عن أقسام المرجئة: "والثالث – من أقسام المرجئة – : مَن يقول: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم"[2].

وهذه بعض الأقوال مما يرد به على من أخرج الأعمال من الإيمان وهم المرجئة بطوائفها المختلفة:

يقول ابن تيمية في أصل نزاع الناس في مسمى الإيمان: "وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً، فإذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولون بذهاب بعض وبقاء بعض، كما قال النبي ﷺ: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان"[3] ويقول في موضع آخر: "وأصل هؤلاء أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم بل إما لهذا وإما لهذا فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها"[4]. ومراد الشيخ هنا – ممن قال بحبوط العمل- هم الوعيدية فلا يدخل فيه المرجئة أو غيرهم.

والأدلة على دخول الأعمال في الإيمان كثيرة، وهذه طائفة منها:

---

1 مجموع الفتاوى : ١٩٤/٧، ٥٥٦.

2 مجموع الفتاوى: ١٩٥/٧.

3 مجموع الفتاوى : ٥١٠/٧ ، ٤٨/١٣ ـــ ٥٠. والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة) (٧٤٣٩).

4 شرح الأصفهانية : ١٣٧-١٣٨.

قوله تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) [الحجرات:١٥] وقوله تعالى: (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**) [البقرة: من الآية١٤٣١٤٣] .

قال الإمام البخاري في صحيحه: وإنما عني به الصلاة التي استقبلوا بها بيت المقدس[1] .

ومن صحيح السنة قوله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[2] .

وأما قول المرجئة في أن الإيمان لا يدخل فيه العمل فهو باطل من وجوه كثيرة منها أنه يلزم من هذا التعريف أن من صدق بدعوة الرسول ﷺ من قلبه فهو مؤمن ولو لم ينطق بالشهادتين – إلا عند مرجئة الفقهاء- ولم يصل ولم يصم ولم يعمل بأركان الإسلام وغير ذلك .

ومنها الرد على النصوص الكثيرة التي تصرح بإدخال الأعمال في الإيمان:

قال تعالى: (فزادهم إيمانًا) [آل عمران: ١٧٣]، وقوله تعالى: (ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم) [الفتح: ٤].

وقال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين: "الإيمان بضع وسبعون شعبة – أو بضع وستون – شعبة أعلاها: قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[3] .

وروى مسلم في صحيحه أنه ﷺقال: "من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[4] .

---

[1] صحيح البخاري كتاب الإيمان : باب الصلاة من الإيمان: (٢).

[2] أخرجه البخاري : كتاب المغازي ، باب وفد عبد القيس برقم ٤٣٦٨ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى رقم : ١٨.

[3] البخاري كتاب الإيمان ، باب : أمور الإيمان (٩)، ومسلم كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان (١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] مسلم كتاب الايمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان(٥٠)

الإيمان عند سعيد النورسي : يرى إن الإيمان هو أن يقبل الإنسان هذا الدين من قلبه يقول: "إن الإسلام التزام، والإيمان إذعان أو بتعبير آخر الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والانقياد له. أما الإيمان فهو قبول الحق وتصديقه "[1].

وفي مواضع أخرى يقول إن الإيمان هو التصديق بوجود الله مع اليقين"[2] وقول النورسي في الإيمان هو قول المرجئة التي جعلت الإيمان واحدًا لا يتبعض فيستوى فيه الأنبياء والفساق وأصحاب الكبائر. سأله أحد طلابه عن الإيمان قائلاً: "لم هذا الحشد الهائل من البراهين والأدلة حول أركان الإيمان في رسائل النور ؟ فإن إيمان المؤمن العامي هو كإيمان الولي العظيم ... هكذا سمعنا من علمائنا السابقين ! "[3]. فلم ينكر النورسي على السائل قوله في الإيمان بل قال: "إن مباحث المراتب الإيمانية المذكورة في رسالة "الآية الكبرى" وكذا ما قاله مجدد الألف الثاني الإمام الرباني وقضى به: إن أهم نتيجة للطرق الصوفية كافة هي انكشاف الحقائق الإيمانية وانجلاؤها وإن وضوح مسألة إيمانية واحدة وانكشافها لهو أرجح من ألف من الكرامات ... وكذا ما جاء في أواخر الآية الكبرى وكذا المسألة العاشرة ـــ من رسالة الثمرة ـــ المستلهمة من الملاحق التي تبين حكمة التكرار في القرآن الكريم وسبب إكثاره من حشد البراهين حول أركان الإيمان ولا سيما التوحيد تلك الحكمة القرآنية جارية أيضاً بتمامها في تفسيره الحقيقي، رسائل النور ... وهذا هو الجواب ثم إن أقسام الإيمان المتضمنة للإيمان التحقيقي والتقليدي والإجمالي والتفصيلي وثبات الإيمان أمام جميع الشبهات والهجمات الشرسة التي يشنها الكفر ... قد تولت رسائل النور إيضاحها فذلك الإيضاح لا يدع لنا حاجة إلى مزيد للإجابة عن سؤال أخينا العزيز"[4].

ولاشك أن كل الكفار إلا من شذ منهم يصدقون بوجود الله تعالى يقول الله تعالى عن كفار قريش:(**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) [الزخرف: من الآية٨٧]. وعمن جحد ربه الخالق قال تعالى : (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً**) [النمل: من الآية١٤].

---

[1] المكتوبات : ٤٢.

[2] إشارات الإعجاز: ٦٧.

[3] الملاحق : ٢٧٧.

[4] الملاحق : ٢٧٧.

وقول النورسي هذا أبعد عن الحق من قول الأشاعرة الذين قالوا: إن الإيمان هو تصديق بالقلب فقط، وذلك لأن قول الأشاعرة ومثلهم الماتريدية والكرامية وغيرهم أنهم يقولون إن الإيمان هو التصديق فقط فيقصدون بالتصديق تصديق محمد ﷺ وهو التصديق بالإسلام الخاص وهو الدين الذي جاء به نبينا ﷺ . وهذا أصل قول جهم في الإيمان حيث أخرج العمل (عمل القلب واللسان) من الإيمان يقول الأشعري:"فإن قال قائل ما الإيمان عندكم بالله تعالى ؟ قيل له: هو التصديق بالله، وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن ... فلما كان الإيمان في اللغة التي نزل بها القرآن هو التصديق (**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**) [يوسف: من الآية١٧] أي بمصدق لنا، وقالوا جميعاً، فلابد أن يؤمن بعذاب القبر والشفاعة يريدون يصدق بذلك وجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيماناً وهو التصديق"[١]. أما قول النورسي فهو قول مطلق حيث ربط الإيمان بالتصديق القلبي بوجود الله تعالى وهو ما لا يختلف عليه الناس يقول في هذا: "إن معرفة الله سبحانه والإيمان بحقائق لا إله إلا الله يستلزم التصديق القلبي والإيمان المطلق الجازم بربوبيته سبحانه وتعالى، الشاملة المحيطة بكل ما في الكون، وأن مقاليد الأمور ـــ من الذرات إلى المجرات ـــ بجزئياتها وكلياتها في قبضته سبحانه ولا تدار إلا بقدرته وتحت إرادته فلا شريك له في ملكه"[٢].

ويقول: "أما الإيمان فقد علمنا القرآن الكريم أنه: التصديق القلبي بوجود الخالق جل وعلا بصفاته المقدسة وأسمائه الحسنى مستنداً إلى شهادة الكون"[٣].

وفي هذين النصين نرى أن النورسي يخلط بين مفهومين وهما الإيمان بربوبيته عز وجل وبألوهيته[٤].

ويؤكد ما سبق قوله "إن الإيمان بالله هو الإيمان بوجوده"[٥] وعلى هذا بما أن النصارى يؤمنون بوجود خالق للكون فهم عند النورسي مؤمنون يجب الاتحاد معهم ضد الكفر المطلق (يقصد الإلحاد) فيقول: "إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق

---

[1] اللمع: ١٢٣. وانظر الإبانة: ٢٧/١.

[2] الملاحق: ٢٩٥.

[3] الملاحق: ٢٩٥.

[4] انظر مبحث الربوبية .

[5] إشارات الإعجاز : ٥٧.

الخالص فيما بينهم وحده بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مــع الروحــانيين المتــدينين الحقيقيين من النصارى فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك المتعدي لأن الكفر المطلق يشن هجوماً عنيفاً "[1]. ولكنهم وإن كانوا مؤمنين إلا أنهم ليــسوا من أهل النجاة. ـــ انظر المبحث التالي ـــ.

ويذكر عن سعد التفتازاني تعريفاً للإيمان وهو أن الإيمان "نور يقذفه الله في قلب مــن يشاء من عباده أي بعد صرف الجزء الاختياري"[2]. وهذا التعريف لا يفصل في حقيقة الإيمان فليس هو تعريف جامع وهو كقول النورسي: "إن الإيمان شعاع من شمس الأزل"[3].

---

[1] الملاحق : ٢٩٩.

[2] إشارات الإعجاز : ٥١.

[3] المرجع السابق : ٥٢ انظر لتعليق المترجم بأن هذا " بلسان الأدب التركي " وليس من الأدب مع الله عز وجــل أن يسمى الله بشمس الأزل ولو كان المقصود بذلك أنه المنور لكل شيء فالله تعالى يقول: (**وَلِلَّهِ الْأَسْــمَاءُ الْحُــسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**) فنكتفي بأسمائه الحسنى الواردة في النص الشرعي .

الفصل الثاني :العلاقة بين الإسلام والإيمان

العلاقة بين الإسلام والإيمان :

قد وقع خلاف بين طوائف المسلمين في مسألة الفرق بين الإسلام والإيمان وذلك لتعدد ذكرهما في النصوص الشرعية بالإفراد تارة وبالاقتران تارة. ويقول ابن تيمية: "والاسم كلما كثر الكلام فيه فتكلم به مطلقا ومقيداً بقيد آخر في موضع، كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه، ثم كلما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك، ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضه، ويكون سمعه مقيداً بقيد أوجبه اختصاصه بمعنى فيظن معناه في سائر موارده كذلك، فمن اتبع علمه حتى يعرف مواقع الاستعمال عامة وعلم مأخذ الشبهة أعطى كل ذي حق حقه، وعلم أن خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتم من بيانه"[١].

ويقرر أن هذه المسألة من المشكلات التي تحتاج إلى شرح وتفصيل[٢] وقبل ذكر الخلاف في الفرق بين الإسلام والإيمان أذكر حالات ورود كلمتي الإسلام والإيمان في القرآن والسنة: ــ فالإسلام قد ورد على إطلاقين :

الأول: يطلق مفرداً دون الإيمان فهو شامل للدين كله ظاهره وباطنه فروعه وأصوله كقوله تعالى: (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ**) [آل عمران: من الآية١٩].

وقوله ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء"[٣].

الثاني: أن يقترن لفظ الإسلام بالإيمان فهو حينئذ يراد به الأعمال الظاهرة كقوله تعالى: (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**) [الحجرات: من الآية١٤]

وقوله ﷺ عندما قال له سعد بن أبي وقاص: "مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً قال ﷺ: أو مسلماً"[٤].

---

[1] الإيمان : ٣٠٤ .

[2] انظر مجموع الفتاوي : ٣٣٣/٧ .

[3] مسلم كتاب الإيمان باب إن الإسلام بدأ غريباً (١٤٥) .

[4] البخاري، كتاب الإيمان، باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (٢٧)، مسلم كتاب الإيمان باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١٥٠) .

ـــ وأما الإيمان فقد ورد أيضاً في الشرع على إطلاقين :

الأول: الإفراد دون ذكر الإسلام فيراد به الدين كله أصوله وفروعه. كقوله تعـــالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المؤمنون:١] وقوله ﷺ لوفد عبد القيس "آمركم بالإيمان وحـــده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده ...."[1].

الثاني: أن يقترن ذكر الإيمان بالإسلام فيكون المقصود هو الاعتقادات دون الأعمـــال كقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [العصر: من الآية٣].

وهذه أهم الأقوال في الفرق بين الإسلام والإيمان:

القول الأول: أن الإسلام والإيمان اسمان لمسمى واحد. ذكر ابن حجر في الفتح أنـــه قول البخاري[2] وهو أيضاً قول محمد بن نصر المروزي[3] وابن منده[4] وابن عبد البر[5] والبغـــوي[6] وأبي يعلى[7] وابن حزم[8] وهذا القول مما قاله الأشاعرة[9] .

ومن أدلة أصحاب هذا القول ما يلي :

أن الدين الذي بعث الله به الرسل وأنزل عليهم به الكتب هو الإسلام الذي هو ضد الكفر وقد أمر الله تعالى الناس بالإسلام: ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً**﴾ [المائدة: من الآية٣] وأمرهم بالإيمان فقال تعالى: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْـــزِلَ إِلَـــى إِبْـــرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِـــنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة:١٣٦].

---

[1] البخاري، كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان (٥٣)، مسلم، كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمـــان بـــالله (١٥٠) .

[2] انظر البخاري كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) فـــتح البـــاري ١/ ٦٠ ، ١١٤ ، ١٤٠.

[3] تعظيم قدر الصلاة: ١/ ٤١٨.

[4] الإيمان لابن منده :١/ ٣٢١.

[5] التمهيد: ٩/ ٢٤٧ وما بعدها .

[6] شرح السنة : ١/ ١٠.

[7] مسائل الإيمان أبي يعلى : ٤٢٩.

[8] المحلى :١/ ٣٨.

[9] شرح المقاصد : ٢/ ١٩٠ .

فمدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان وحكم الله بأن من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى فقد سوى بينهما واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الحجرات:١٧]

وقالوا من السنة الصحيحة ما يدل على ذلك، وهو قوله ﷺ: "لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه"[1]، والبوائق لا تكون إلا بالجوارح ومع ذلك سماه إيماناً مما يدل على ترادف الإسلام والإيمان. وكقوله ﷺ: " المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم" [2] وغير ذلك من الأدلة.

القول الثاني: التفريق بين الإسلام والإيمان وهؤلاء كانوا على أقوال منهم من قال الإسلام كلمة، والإيمان العمل وهو قول الزهري[3] ومنهم من أجاب بما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإيمان والإسلام فجعل الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الإيمان بالأصول الستة[4] ومنهم من قال إن الإسلام أعم مطلقاً والإيمان أخص مطلقاً، فالإسلام اسم لما ظهر من الأعمال والإيمان اسم لما بطن من الاعتقاد. فقد يكون المسلم مؤمناً وقد لا يكون مؤمناً ولكن المؤمن مسلم في جميع أحواله[5] وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية[6]، وابن رجب[7]، وابن أبي العز[8]، وابن الصلاح[9]، إلى أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا أي إذا أفرد ذكرهما في موضع فإن مدلول الإسلام يدخل فيه الإيمان وكذلك الإيمان يدخل فيه معنى الإسلام، وأما إذا ذكرا معاً في موضع فإن ما يراد به هنا من الإسلام غير

---

1 البخاري كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٥٦٧٠).

2 أخرجه الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢٦٢٧) .

3 انظر مختصر سنن أبي داوود ٤٩/٧ ومجموع الفتاوي :٣٥٨/٧.

4 انظر شرح العقيدة الطحاوية :٣٨٢.

5 جامع العلوم والحكم : ٦٤/١

6 انظر الإيمان :٢٥٧ ، ٢٤٦.

7 جامع العلوم والحكم : ٦٧/١ ، ٧٢.

8 شرح العقيدة الطحاوية :٣٨٣-٣٨٤.

9 شرح مسلم للنووي : ١٤٧/١ ، ١٤٨.

الإيمان. وكان لهذا القول كثير من الأدلة فمنها قوله تعالى: (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**) [الحجرات: من الآية١٤]

فدلت الآية على أن الإيمان ليس هو الإسلام فهو في هذه الآية يطلق على الأعمال الباطنة من قول القلب وعمله، فليس كل مسلم مؤمناً لأنه قد يكون الإيمان ضعيفاً لا يصدق عليه إطلاق صفة الإيمان المطلق كما في الآية فيطلق عليه الإسلام دون الإيمان. مع ملاحظة أنه يجب أن يكون مع الأعمال الظاهرة إيمان ولو كان ضعيفاً بتصحيح الأعمال وقبولها[1] لأن الإيمان ينقص في القلب ويزيد فقد ينقص حتى لا يبقى في القلب منه مثقال ذرة.

واستدلوا بحديث سعد بن أبي وقاص السابق حين قال سعد لرسول الله ﷺ: "يا رسول الله مالك عن فلان ؟ إني لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلماً"[2] وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنه المشهور بحديث جبريل وفيه قال جبريل للنبي ﷺ: "أخبرني عن الإسلام فقال ﷺ: الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[3]. وقوله ﷺ عن عمرو بن العاص: "أسلم الناس وآمن عمرو ابن العاص"[4].

والذي يظهر أن القول الثاني وهو من قال بالتفريق والتغاير بين الإسلام والإيمان عند اجتماعهما هو الصواب وعليه الأدلة، لذا يقول شيخ الإسلام عمن جعل الإسلام والإيمان شيئاً واحداً أنهم: "إما أن يقولوا اللفظ مترادف فيكون هذا تكريراً محضاً ثم مدلول هذا اللفظ عين مدلول هذا اللفظ، وإما أن يقول بل أحد اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى كما في أسماء الله وأسماء كتابه لكن هذا لا يقتضي الأمر بهما جميعاً ولكن يقتضي

---

[1] انظر جامع العلوم والحكم :٢٧-٢٩.

[2] البخاري كتاب الإيمان، باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (٢٧) .

[3] البخاري كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١).

[4] الترمذي كتاب المناقب ، باب مناقب لعمرو بن العاص (٣٨٤٤).

أن يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف"[1] وقال: "من أتى بالإسلام الواجب فقد أتى بالإيمان"[2]. ويقول "الرد إلى الله ورسوله في مسألة الإسلام والإيمان يوجب أن كلا من الاسمين وإن كان مسماه واجباً لا يستحق أحد الجنة إلا بأن يكون مؤمناً مسلماً فالحق في ذلك ما بينه النبي ﷺ في حديث جبريل فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات، أولها الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان، ومن وصل العليا فقد وصل إلى التي تليها، فالمحسن مؤمن والمؤمن مسلم وأما ا لمسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً وهكذا جاء القرآن فجعل الأمة على هذه الأصناف الثلاثة قال تعالى:(**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَامِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**)[فاطر:٣٢] .

أما النورسي فهو يرى أن الإسلام والإيمان متغايران. ولا يقبل الله من أحد عملاً إلا إذا حقق الإسلام والإيمان ولم يُفصل في الإيمان مطلقه وكماله. ولا في الإسلام اسمه وحقيقته، فهو يرى ــ كما تقدم ــ أن الإيمان هو مجرد التصديق والقبول. فعنده قد يكون الإنسان مؤمنًا حتى لو أنه لا يظهر مجرد الولاء الظاهري للإسلام. وفي نفس الوقت يرى أن الإنسان قد يموت مؤمناً لكنه لا يفيده هذا الإيمان لأنه ليس من أهل الإسلام. وهذا نص قوله: "لقد دار بين علماء الإسلام كثيراً بحث حول الفروق بين الإيمان والإسلام، فقال قسم: كلاهما واحد. وآخرون قالوا: إنهما ليسا واحداً بل لا ينفك أحدهما عن الآخر. وأوردوا آراء كثيرة مختلفة مشابهة لهذا. وقد فهمت فرقاً بينهما كهذا : إن الإسلام التزام، والإيمان إذعان. أو بتعبير آخر: الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والانقياد له. أما الإيمان فهو قبول الحق وتصديقه. ولقد رأيت ــ فيما مضى ــ بعضاً ممن لا دين له لهم يظهرون ولاءً شديداً لأحكام القرآن بمعنى أن ذلك الملحد قد نال إسلاماً بجهة التزامه للحق، فيقال له: مسلم بلا دين. ثم رأيت بعض المؤمنين لا يظهرون ولاءً لأحكام القرآن ولا يلتزمون بها، أي أنهم ينالون عبارة مؤمن غير مسلم. ترى أيمكن أن يكون إيمان بلا إسلام سبب النجاة

---

[1] مجموع الفتاوي : ٤١١/٧.

[2] المرجع السابق : ٤١٢ .

يوم القيامة؟ الجواب: كما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبب النجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام لا يكون سبب للنجاة"[1].

ويرى النورسي أن الملحد قد يوالي الإسلام وينحاز إليه باطناً. وما يؤكد ذلك جوابه لأحد طلابه يسأل كيف يكون المسلم غير مؤمن والمؤمن غير مسلم ؟ فيقول: "أخي العزيز المستفسر والمغالي في البحث والتحري، إن ذكاءك الفائق وملاحظتك الدقيقة يدفعاني إلى أن أجيب باختصار عن أكثر أسئلتكم، فلا تتألم، رغم أني أريد محاورتـــك إلا أن الوقـــت لا يسمح.

إن معنى مسلم غير مؤمن، ومؤمن غير مسلم هو الآتي:

كنت أرى في بداية عهد الحرية[2] ملحدين ضمن الاتحـــاديين يقولـــون: إن الإســـلام والشريعة المحمدية دساتير قيمة شاملة نافعة جداً وجديرة بالتطبيق للمجتمع البشري ولاسيما للسياسة العثمانية. فكانوا ينحازون إلى الشريعة المحمدية بكل ما لديهم من قوة، فهم مـــن هذه النقطة مسلمون أي يلتزمون الحق ويوالونه، مع أنهم غير مؤمنين، بمعنى أنهم أهـــل لأن يدعون: مسلمون غير مؤمنين. أما الآن فهناك من يعتقد بنفسه الإيمان، فيؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر. إلا أنه يوالي التيارات المناهضة للشريعة والموافقة للأجانب، تحت اسم المدنية، ولما كان لا يلتزم بقوانين الشريعة الأحمدية التي هي الحق والحقيقة ولا يواليها موالاة حقيقية، فيكون إذن مؤمناً غير مسلم. ويصح القول: كما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبباً النجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام ــ على علم ــ لا يصمد ولا يمنح النجاة "[3].

مما سبق يتضح أن النورسي يرى أن الإسلام لا يكون في الأمور القلبية والمعنوية فهـــو يقصره على الظاهر فقط. ويرى أن الإسلام أدنى من الإيمان في كل حـــال. والـــصحيح أن الإسلام قد يشمل الدين كله فروعه وأصوله. فيكون بهذا الاعتبار من أشرف المنازل الـــتي يطلبها الأنبياء قال تعالى عن نبي الله يوسف عليه السلام أنه قال: **(تَـــوَفَّنِي مُـــسْلِماً وَأَلْحِقْنِـــي بِالصَّالِحِينَ)** [يوسف: من الآية١٠١] وإبراهيم عليه السلام يقول هو وابنـــه **(رَبَّنَـــا وَاجْعَلْنَـــا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)** [البقرة: من الآية١٢٨]

---

[1] المكتوبات: ٤٢.

[2] هو عهد الإعلان عن الدستور (١٩٠٨) ــ المشروطية الثانية ــ.

[3] الملاحق: ٩١.

وفي الصحيح قول النبي ﷺ عن الإسلام وأنه يشمل الدين كله ظـاهره وباطنـه: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"[1] وإنما ذكر هنا أصول أعمال الإسلام التي يبنى عليها الإسلام. فالمقصود أنه إذا أفرد الإسلام فإنه حينئذ يشمل كل الدين بما فيه الإيمـان. والإسلام هو الاسم الذي سمّانا الله به، قال تعالى: **(هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)**[الحج: من الآية٧٨] فلا يكون مسلماً إلا وهو في حقيقة الأمر مؤمناً في الباطن حتى في قوله تعالى: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُـوبِكُمْ** [الحجرات: من الآية١٤] فالمقصود أنهم لم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفـسيرين، وهو قول ابن عباس وغيره بل كان إيمانهم ضعيفاً ويدل عليه قوله تعالى: **(وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّـهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً)** ([الحجرات: من الآية١٤] يعني لا ينقـصكم مـن أجورها، فدل على أن معهم من الإيمان ما تقبل به أعمالهم[2]. فنقول أنـه لا يـصح قـول النورسي: "أن الملحد قد نال إسلاماً بجهة التزامه للحق، فيقال له مسلم بلا دين" فإن اسـم الإسلام لا يطلق إلا على من اعتقد بدين نبينا محمد ﷺ وأما المنافق فإنه لا حـظ لـه في الإسلام، أما قوله إن بعض هؤلاء يقولون أن في دساتير الإسلام قيمة نافعة شاملة وجـديرة بالتطبيق. فإن هذا لا يقتضي دخولهم الإسلام إلا إذا كان عن إيمان بهذا الـدين، وإلا فـإن كثيراً من الكفار يرون في شرائع الإسلام ما يخدم وينفع الإنسان، ولا يقتضي ذلك دخولهم الإسلام. وأما قوله: إن الإسلام لا يكون إلا في الأعمال الظاهرة، يقال أن هـذا ضـابط صحيح في الغالب. لكن الإسلام قد يشمل الأمور القلبية، "ويدل على ذلك أن الـنبي ﷺ فسر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر الإيمان، كما في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عبسة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قـال: "أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك" قال: أي الإسلام أفضل ؟ قال: "الإيمان" قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال: "الهجرة" قال: فما الهجـرة ؟ قـال: "أن تهجـر

[1] البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان (٥٠).

[2] انظر جامع العلوم والحكم: ١٠٩ – ١١٠.

السوء". قال: فأي الهجرة أفضل ؟ قال: "الجهاد"[1] فجعل النبي ﷺ الإيمان أفضل من الإسلام، وأدخل فيه الأعمال"[2].

فمن حديث جبريل يكون كل مؤمن مسلمًا. وليس كل مسلم مؤمنًا. وهذا الأخير ننفي عنه كمال الإيمان، لا مطلقه. وإن أردنا مطلق الإيمان فإنه يكون كل مؤمن مسلمًا، وكل مسلم مؤمنًا ــ ولو كان مسلماً ناقصاً الإيمان الواجب ــ .

أما قول النورسي في الإيمان وأنه قد يوجد مؤمن لا يظهر الولاء لأحكام القرآن، ولا يلتزم بها. بل إنه قد يوالي التيارات المناهضة للشريعة. فهذا هو نص قول المرجئة. يقول شيخ الإسلام في هذه المسألة: "قال تعالى: **(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ)**[المجادلة: من الآية٢٢] فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يواد المحاربة لله ورسوله، فإن نفس الإيمان مناف موادته، كما نفى أحد الضدين للآخر فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله تعالى، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب ومثله قوله تعالى: **(تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۞وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)** [المائدة: ٨٠ – ٨١] فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف "لو" التي تقتضي انتفاءً مع الشرط فقال: **(وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ)** [المائدة: من الآية٨١] فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل، ومثله قوله تعالى: **(لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)** [المائدة: من الآية٥١] فإنه أخبر أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متوليهم هو

[1] مسند الإمام أحمد: ١١٤/٤، وقال الهيثمي في المجمع ٥٩/١: رجاله ثقات.

[2] جامع العلوم والحكم: ١٠٦ – ١٠٧.

منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً"[1] والولاء للكفار لا يكون من مسلم فضلاً عن مــؤمن. فالله عز وجل يقول: **(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَــنْ حَــادَّ اللَّــهَ وَرَسُولَهُ**) [المجادلة: من الآية٢٢] .

وهذه الآية عامة في حق المشركين كافة. مقاتلهم ومسالمهم. وهي تختلف عن حــسن التعامل مع الكفار فهو مشروع في حق من لم يقاتل المسلمين و لم يخرجهم من ديارهم. يقول الله تعالى: **(لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَــارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** [الممتحنة:٨]

وروى البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت: قدمت علــيّ أمِّــي وهــي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: إن أمِّي قدمت علي وهي راغبة أفأصل أمِّي ؟ قال: نعم صلي أمَّك"[2].

قال ابن حجر: "البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى: **(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**) [المجادلة: من الآية٢٢]فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل"[3].

فقول النورسي إن الملحد قد يوالي أحكام الإسلام ولاءً شديداً أو أن المؤمن قد يوالي التيارات المناهضة للإسلام قول متناقض في نفسه قبل أن يكون مصادماً للنصوص الشرعية. وهو يخالف حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر.

أما قوله أنه لابد للنجاة من الإيمان والإسلام. فالــصحيح: "إن الإيمــان والإســلام متلازمان ولا يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر، كالروح والبدن، فلا يوجد عندنا روح حية

[1] انظر الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان: ٦٧ – ٦٨.

[2] البخاري: كتاب الهبة، باب الهدية رقم: ٢٦٢٠.

[3] فتح الباري: ٢٣٣/٥.

إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح، وليس أحدهما الآخر"[1]. وكما سبق ليس جعل الإسلام من الأعمال أن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان أو أن التصديق ليس من الإيمان بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين ولذلك قال: "ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً"[2].
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الاسم الواحد ينفى ويثبت بحسب الأحكام المتعلقة به، فلا يجب إذا أثبت أو نفي في حكم أن يكون كذلك سائر الأحكام، كذلك كل ما يكون له مبتدأ وكمال، ينفى تارة باعتبار انتفاء كماله، ويثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه"[3]

وحتى يصبح الإيمان شرعياً لابد إذاً من دخول العمل في مسمى الإيمان، والإيمان المنفي عند أهل الكبائر ليس معناه أنه لم يبق معهم من الإيمان شيء. بل المنفي إنما هو كمال الإيمان.

---

1 الإيمان لابن تيمية: ٣٥.

2 شرح السنة: ١/١٠.

3 الإيمان لابن تيمية: ٤٠٠ – ٤٠٦.

الفصل الثالث :زيادة الإيمان ونقصانه.

زيادة الإيمان ونقصانه:

من أدخل الأعمال في مسمى الإيمان وجعل الإيمان يتبعض قال إن الإيمان يزيد وينقص وهذا قول السلف، ومن قال إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب لا علاقة للعمل به ـــ وهـــم المرجئة ـــ قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه تصديق فقط، ومرجئة الفقهاء يضمون إليه النطق بالشهادتين.

وهذه بعض أدلة أهل السنة والجماعة على زيادة الإيمان ونقصانه:

قال تعالى: (**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**) [الأنفال: من الآية٢] وقال تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ**) [الفتح: من الآية٤] وقوله تعالى في سورة التوبة: (**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**) [التوبة:١٢٤ – ١٢٥].

ويقول عز وجل عن المؤمنين وعظيم توكلهم على الله تعالى: (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) [آل عمران:١٧٣].

وزيادة الهدى والهداية هو من زيادة الإيمان في قلب صاحبه يقول الله عز وجل: (**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً**) [مريم: من الآية٧٦].

ويقول تعالى : (**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**) [محمد:١٧].

وزيادة الخشوع هو أيضاً من زيادة الإيمان قال عز وجل: (**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**) [الإسراء:١٠٩].

ويقول الله تعالى: (**لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً**) [المدثر: من الآية٣١].

ويخبر الله تعالى عن أصحاب الكهف بأنه زادهم هدى: (**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً**) [الكهف: من الآية١٣].

فالله عز وجل لا يستوي عنده أهل الإيمان ممن عمل المعصية مع من كان من أهل الطاعة والتقوى: (**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثـــية:٢١].

وهـــذه بعض النصوص التي وردت في السنة على زيادة الإيمان ونقصانه : قال ﷺ : "الإيمان بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان"[1]. وقوله ﷺ لوفد عبد القيس: "أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمـــداً رســـول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم"[2] وســـئل ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ فقال: "إيمان بالله والجهاد في سبيله"[3].

وقوله ﷺ : "بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منهم ما يبلـــغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره. قالوا: فمـــا أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : الدين"[4]. وقوله ﷺ : "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان"[5].

وعن النساء يقول ﷺ: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين للب الرجل الحازم مـــن إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قال: ذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم ؟ قلـــن: بلى قال: فذلك من نقصان دينها"[6].

وقال الإمام أحمد: "أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمـــصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ ... وذكر منها الإيمان قول وعمـــل يزيـــد

---

1 البخاري، كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان (٩)، مسلم كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان (٣٥).

2 أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان (٥٣)، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بـــالله تعالى (٢٤).

3 أخرجه البخاري كتاب الإيمان بالله باب من قال أن الإيمان هو العمل (٢٦)، ومسلم كتاب الإيمان باب : بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١٦).

4 البخاري كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان بالأعمال (٢٣).

5 أبو داوود كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨١) وقد صححه الألبـــاني انظـــر السلـــسلة الصحيحة (٣٨٠).

6 البخاري كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم (٣٠٤)، ومسلم كتاب الإيمان باب نقـــصان الإيمـــان بنقـــصان الطاعات (٧٩-٨٠).

بالطاعة وينقص بالمعصية "[1] . وقال رحمه الله: "إن كان قبل زيادته ــ أي الإيمان ــ تاماً فكما يزيد كذا ينقص"[2] .

وقيل لسفيان بن عيينه الإيمان يزيد وينقص قال: "أليس تقرأون: (**فَزَادَهُمْ إِيمَاناً**) و (**وَزِدْنَاهُمْ هُدى**) في غير موضع قيل: فينقص ؟ قال: ليس شيء يزيد أو إلا وهو ينقص[3] ونقل النووي في شرحه لصحيح مسلم قول ابن بطال: "إيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص"[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمأثور عن الصحابة و أئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[5]. وكان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه: "هلموا نزداد إيماناً فيذكرونا الله عز وجل"[6] وقال علي بن أبي طالب: "الإيمان يبدأ لمظة بيضاء في القلب كلما ازداد إيماناً ازدادت بياضاً حتى يبيض القلب كله"[7]. وقال النووي: "إن الطاعات تسمى إيماناً وديناً، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه ومن نقصت عبادته نقص دينه"[8]. وقال السفاريني: "الحق كما قاله الإمام النووي وجماعة محققون من علماء الكلام أن الزيادة والنقصان تدخل في الإيمان"[9].

والنورسي في هذه المسألة يوافق قول من قبِل بالزيادة والنقصان في الإيمان من حيث القوة والضعف، وقوة الأدلة على الإيمان أو ضعفها كالبغدادي[10] والأيجي[11]. فحين يتكلم

---

[1] انظر مناقب الإمام أحمد : ٢٢٨.

[2] رواه الخلال في السنة (٦٨٨/٢) رقم ١٠٣٠.

[3] انظر الشريعة للآجري :١١٧.

[4] انظر شرح مسلم للنووي :١٤٦/١.

[5] مجموع الفتاوي : ٥٠٥/٧.

[6] الشريعة للآجري :١١٢.

[7] الإيمان لابن أبي شيبة: ٩/١، شعب الإيمان (البيهقي) : ٧٠/١ (٣٨).

[8] شرح صحيح مسلم :٦٨/٢.

[9] لوامع الأنوار البهية : ٤٣١/١.

[10] انظر أصول الدين للبغدادي: ٢٥٢.

[11] انظر المواقف في علم الكلام: ٣٨٨.

عن الإيمان يقسمه إلى إيمان تحقيقي وإيمان تقليدي يقول: "هذا المكتوب الثالث والـثلاثين الذي يضم ثلاثة وثلاثين نافذة، نسأل الله تعالى أن يكون زاداً لمن لا إيمان له فيـدعوه إلى حظيرة الإيمان، ويشد من إيمان الذي يجد في إيمانه ضعفاً فيقويه ويجعـل الإيمـان القـوي التقليدي إيماناً تحقيقياً راسخاً ويوسع من آفاق الإيمان التحقيقي الراسخ. ويهب لمن كـان إيمانه واسعاً مدارج الرقي في المعرفة الإلهية التي هي الأساس في الكمال الحقيقي، ويفتح أمامه مشاهد أكثر نورانية وأشد سطوعاً"[1]. وتقدم قوله عن ابن سينا وأنه لم ينل إلا أدنى درجات الإيمان[2]، وجعل السبب الأول في الرياء هو ضعف الإيمان[3]. بل إنه يصرح بزيـادة الإيمـان فيقول: "إن زيادة الإيمان ولو بمقدارذرة كتر عظيم"[4]. والزيادة هذه عند النورسي ليست في الأفعال بل في التصديق وذلك لأن الأفعال – عنده – ليست داخلة ضمن الإيمان حتى يكون زيادة الإيمان بزيادها. فمن علم آيات القرآن كاملة زاد إيمانه أكثر ممن علم آيـات عـشر سور. وهذه الزيادة راجعة للتصديق دون العمل. والاقتصار بالزيادة على تـصديق القلـب دون العمل غير صحيح بل الزيادة لها أوجه كثيرة، وقد فصلها شيخ الإسلام ابـن تيميـة[5] رحمه الله.

[1] الكلمات: ٨٣٣. وانظر الملاحق: ٢٧٧. وعن التوحيد التحقيقي انظر الكلمات: ٤٢٤.

[2] انظر المكتوبات : ٢٤٩ – ٢٥٠ .

[3] الملاحق: ١٩٣.

[4] المكتوبات : ٥٧٤/٢.

[5] انظر مجموع الفتاوى: ٢٣٢/٧ – ٢٣٧، ٥٦٢ – ٥٨٤، ٦٧٢.

الفصل الرابع:مذهبهم في مرتكب الكبيرة

مذهبهم في مرتكب الكبيرة:

الكبر: الإثم الكبير وما وعد الله عليه من النار، والكبرة كالكبر التأنيث للمبالغة ، وفي التتريل: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [الشورى: من الآية٣٧].

و الكبائر اصطلاحاً اختلف في ضابطها على أقوال عدة[١].قال ابن القيم:" وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافاً لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة"[٢] . وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قول ابن عباس في تعريف الكبيرة وهو قوله:" الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب"[٣]. وقال شيخ الإسلام إن هذا الضابط السليم من القوادح الوارد على غيره ثم ذكر وجوه ترجيحه على غيره[٤].

وقد تكلم النورسي عن حكم مرتكب الكبيرة فقرر أن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر فقال" إن انخداع أهل الإيمان بمكايد الشيطان لا ينجم عن عدم الإيمان ولا من ضعفه، وإنه لا يكفر من ارتكب الكبائر. فالمعتزلة وقسم من الخوارج قد أخطأوا حين كفَّروا مرتكب الكبيرة أو جعلوه في مترلة بين مترلتين"[٥]. وهنا ننبه إلى أن انخداع الإنسان بمكائد الشيطان قد يكون بسبب عدم الإيمان، فيكون حينئذ فريسة سهلة للشيطان، وقد يكون بسبب ضعف الإيمان وإنما يتسلط الشيطان على الإنسان أساسًا بضعف إيمانه، وقد ينخدع أهل الإيمان بمكائد الشيطان بسبب قلة العلم الشرعي، وأما عن كيف يبقى مؤمناً من ارتكب الكبائر؟ فيقول:" أما الشق الثاني: وهو كيف يبقى مؤمناً من ارتكب الكبائر؟ فجوابه: إن النفس الإنسانية تفضل درهماً من اللذة الحاضرة العاجلة على رطل من اللذة الغائبة المؤجلة، وهي تتحاشى صفعة حاضرة أكثر من تحاشيها سنة من عذاب في المستقبل. وعندما تهيج أحاسيس الإنسان لا ترضخ لموازين العقل، بل الهوى هو الذي يتحكم، فيرجح

---

1 انظر شرح العقيدة الطحاوية : ٥٢٦/٢ .

2 مدارج السالكين: ٣٤٧/١ .

3 جامع البيان : ٤١/٥ .

4 انظر مجموع الفتاوى: ٦٥١/١١ – ٦٥٥ وقد ذهب إلى ذلك أيضاً الحافظ بن حجر انظر فتح الباري: ١٨١/١٢ وانظر الجواب الكافي: ١٨٨، وتعريف المباركفوري في مرقاة المفاتيح: ١٢/١ .

5 اللمعات : ١١٤ – ١١٥ .

عندئذ لذة حاضرة ضئيلة جداً على ثواب عظيم في العقبى، ويتجنب ضيقاً جزئياً حاضراً أكثر من تجنبه عذاباً أليماً مؤجلاً. ولما كانت الدوافع النفسانية لا ترى المستقبل بل قد تنكره، وإن كان هناك حثاً لها من النفس وعوناً، فإن القلب والعقل اللذين هما محل الإيمان، يسكتان، فيُغلبان على أمرهما، فلا يكون عندئذ ارتكاب الكبائر ناتجاً من عدم الإيمان، بل من غلبة الهوى وسيطرة الوهم والحس المادي، وانهزام العقل والقلب وغلبة كل أولئك عليهما"[1].

والأدلة من الكتاب والسنة على بقاء الإنسان على الإيمان وإن فعل الكبائر كثيرة.

قال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً)** [النساء:٤٨] يقول تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)** [البقرة: من الآية١٧٨] فسمى الله تعالى المقتول أخاً للقاتل.

ومن الحديث: قول النبي ﷺ :" إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفَهُ ويستُرهُ فيقول أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربي حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هالك قال: سترها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: **(هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)** [هود: من الآية١٨][2] .

وقد بوب الإمام البخاري باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي " إنك امرؤٌ فيك جاهلية "[3]. فأهل السنة والجماعة لا يكفرون مرتكب الكبيرة وذلك لأن التكفير مبني على أصلين مهمين هما:

---

[1] اللمعات : ١١٨ .

[2] البخاري كتاب المظالم، باب: قول الله تعالى: باب قول الله تعالى:(ألا لعنة الله على الظالمين) (٢٣٠٩)، مسلم، كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٧١٩١).

[3] رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية (٢٥٤٥)، ومسلم في كتاب الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك ١٢٨٢/٣، (١٦٦١).

الأول: دلالة النص الشرعي على أن القول أو الفعل المحكوم عليه موجب للكفر.

الثاني: مطابقة هذا الحكم على القائل أو الفاعل بحيث تتم شروط التكفير وتنتفي الموانع له[١]

والأستاذ النورسي ممن لا يحصر الكبائر في عدد معين. وهو الصحيح كما سبق بيان المعنى الراجح في تعريف الكبيرة حيث يقول:" إن الكبائر كثيرة إلا أن أكبر الكبائر وأعظم الذنوب التي تطلق عليها الموبقات السبعة هي: القتل والزنا والخمر وعقوق الوالدين ــ أي قطع صلة الرحم ــ والقمار وشهادة الزور وموالاة البدع التي تضر بالدين"[٢].

وينكر الأستاذ النورسي أن يكون حكم التكفير فيه أصل شرعي بل إنه يدعو إلى عدم التكفير وذلك لأنه يرى أن التكفير قد يضر ضرراً فادحاً إذا كان خاطئاً وأما عدم التكفير ــ ولو كان في مكانه ــ فإنه لا ضرر فيه؛ يقول:" مدام ليس هناك أمر شرعي في عدم الذم وفي عدم التكفير، بينما الذم والتكفير حكم شرعي. فالذم والتكفير إن كانا على غير حق ففيهما ضرر كبير. وإن كانا على حق فلا ثواب فيهما، لأن هناك مالا يحد من الناس ممن يستحقون الذم والتكفير. أي أن عدم التكفير وعدم الذم ليس فيهما حكم شرعي وليس فيهما ضرر أيضاً"[٣].

وقد يكون من المصلحة للدعوة مراعاة حال المدعويين من الرفق بهم عند دعوتهم وبيان فساد مسالكهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن مع ذلك لا نغير الأحكام الشرعية الثابتة. مثل أحكام التكفير. و إلا جنح الإنسان إلى نوع من الإرجاء. حيث إن السلف الصالح قد أطلقوا حكم الكفر على الجماعات والأفراد على مقتضى الأصلين السابقين. لأن تعطيل حكم التكفير في الكفار سواء كانوا كفاراً أصليين أو مرتدين يعتبر تعطيلاً لحكم من أحكام الشريعة. فمن ترك الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أو كذب معلوماً من الدين بالضرورة فإنه يكفر كفراً يخرج من الملة. قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ**

---

1 انظر مجموع الفتاوى: ٣/٣٥٢ – ٣٥٤.

2 الملاحق : ٨٢، والحديث كما ورد هو:" اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" أخرجه البخاري كتاب الحدود باب من اظهر الفاحشة والتهمة بغير بينة(٦٨٥٧) .

3 الملاحق : ٢٩٨ .

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً) [النساء: من الآية١٣٦] .

قال ابن بطة في كفر من كذب بشيء من الدين:" وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله عز وجل، فهو حق لازم، فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً، كان برد ذلك الشيء كافراً عند جميع العلماء"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إن أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يتضمن ترك الإيمان، فإن ترك الإيمان كفر[2].

وقد كفر السلف بعض الطوائف والأشخاص بأعيانهم بعد توفر شروط التكفير وانتفاء الموانع قال الذهبي:" قال حماد بن قيراط: سمعت إبراهيم بن طهمان يقول: الجهمية والقدرية كفار"[3]. وقال الذهبي:"وقال محمد بن عبد الرحيم، عن علي بن المديني، قال: كان بشر يصلي كل يوم أربع مئة ركعة، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً، وذكر عنده إنسان من الجهمية فقال: لا تذكروا ذلك الكافر"[4]. ونقل عن قتيبة أنه قال عن بشر المريسي كافر[5]. ونقل عن الحاكم أنه قال: "أخبرنا محمد بن أبي الهيثم ببخارى، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، قال: نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أحداً أضل في كفرهم من الجهمية، وإني لأستجهل من لا يكفرهم"[6].

ومع أن النورسي يحذر من التكفير حتى وإن قام على الشخص أو الجماعة أو الطائفة موجبات الكفر إلا أنه يكفر من شد الزنار أو لبس القبعة فيقول:" فإن قلت الكفر صفة القلب فكيف كان شد الزنار ــ وقد قيس عليه "الشَّوْقَة "[7] ــ كفراً ؟

---

1 الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين (الإبانة الصغرى):٣٤ .

2 انظر مجموع الفتاوى : ٩٠/٢٠ .

3 انظر السير للذهبي : ٣٨١/٧.

4 المرجع السابق : ٥٢٠ .

5 المرجع السابق : ٥٢٠ .

6 المرجع السابق : ٥٢١ .

7 القبعة . انظر إشارات الإعجاز: ٨٧.

قيل لك: إن الشريعة تعتبر بالأمارات على الأمور الخفية حتى أقامت الأسباب الظاهرية مقام العلل. ففي شد الزنار المانع بعضُ نوعه عن إتمام الركوع، وإلباس "الشوقة" المانعة عن تمام السجود وعلامة الاستغناء عن العبودية، والتشبه بالكفرة باستحسان مسلكهم وملتهم.

فما دام لم يقطع بانتفاء الأمر الخفي يحكم بالأمر الظاهر"[1].

والقول بكفر لابس القبعة ليس بكفر أصلاً . والقول بالتلازم بين ظاهر العبد وباطنه قول مخالف لقول أهل السنة والجماعة الذين يقولون بتلازم الظاهر والباطن ولكن مع توافر شروط وانتفاء موانع، ومن تلك الشروط العلم وعدم الشبهة وعدم الإكراه على العمل أو القول.

ومن أدلة وجوب التبين عن حال الإنسان إذا وقع في ما يحتمل أنه شرك قصة سجود معاذ للنبي ﷺ[2]. فمعاذ رضي الله عنه لم يرد بسجوده العبادة إنما أراد سجود التعظيم وهو من جنس سجود أبي يوسف وإخوته له (والله أعلم).

---

[1] إشارات الإعجاز : ٧٤ — ٧٥ .

[2] أبو داود، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة (٢١٤٠) ، والترمذي في كتاب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (١١٥٩). وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧/ ٥٥ — ٥٨.

الخـــاتـــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الناس أجمعين.

وبعد:

يخلص الباحث إلى أن كل عقائد النورسي المذكورة في رسائله هي عقائد طلابه اليوم على اختلافهم وخلافهم. لم يشذ عن هذه القاعدة أحد منذ وفاة سعيد النورسي (١٩٦٠) حتى اليوم. وبالتالي فإن دراسة الجانب العقدي للنورسية هو نفسه دراسة الجانب العقدي لسعيد النورسي، وهذا لا ينسحب على المجالات الأخرى كالتربية والتعليم والدعوة وغيرها، ومن هنا يقال أن شخصية سعيد النورسي شخصية عميقة وثرية، خاصة في التجربة التي خاضها في السنوات المرة التي فقد فيها العالم الإسلامي الخلافة الإسلامية.

وقد أسهمت عوامل عدة في ثراء هذه التجربة، لعل أهمها طبيعة المرحلة المضطربة التي شهدت تحولات جذرية في حياة المسلمين امتد أثرها إلى يوم الناس هذا، وقد جابه النورسي وطلابه هذه الهجمة بمحورين أساسيين: المحور العقدي والمحور التربوي:

أما المحور الأول – العقدي – فإن آراء النورسي حول حقيقة التوحيد ومسائل القدر خاصة، ومسائل الغيب عامة قد صيغت بأسلوب يعتمد التبسيط والعرض المدعم بالأمثلة والقصص والشواهد، فرسائله كلها للعامة – إلا القليل – يقرر فيها مذهب الأشعري وعقائد الصوفية، في أبواب الاعتقاد المختلفة، مكوناً منظومة من الآراء بميزاته الشخصية، وإن كانت بمجموعها لا تخرج عن أقوال المتصوفة أو الأشاعرة. ولم يكن مقصد النورسي من رسائله أن تكون حبيسة الأدراج، بل أراد منها أن تتغلغل في صفوف الناس محدثة الإصلاح في التصور والسلوك. والمطلع على كثير من طوائف النورسيين يعتقد أن النورسي وفق في مسلكه التربوي، فالطالب النوري – غالباً – يحمل صفات أستاذه من الصبر والتضحية والجد في الدعوة، إلا أنه في الجانب العقائدي قد وقع كثيراً في الشطط والمغالاة.

وهذه أبرز نتائج البحث:

١– الغلو في رسائل النور حيث أوصلها مؤلفها إلى رتبة الوحي.

٢- النورسيون على اختلافهم السياسي والحزبي إلا أنهم مجمعون على دراسة الدين من خلال رسائل النور فقط. من دلائل ذلك أن كل المؤتمرات المقامة لا تذكر سوى سعيد النورسي.

٣- بعد النورسي لا توجد شخصية قيادية تستطيع الإمساك بزمام الأمور وتقف أمام الانقسامات الداخلية في الجماعة.

٤- الغلو في سعيد النورسي مؤسس الجماعة، وذلك من خلال كتابات النورسي عن نفسه، كالتبشير بقدومه، وطريقة كتابة رسائله، وإطلاعه على قلوب مريديه.

٥- الدعوة إلى الاقتصار على القرآن ورسائل النور دون غيرهما.

٦- التساهل في الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة، والموضوعة، بل بالأمثال المشهورة على ألسنة الناس على المسائل الشرعية.

٧- إهمال أقوال الصحابة في فهم النصوص الشرعية.

٨- تقديم أحكام العقول على دلائل النصوص الشرعية.

٩- تأويل نصوص الصفات الإلهية وكثير من نصوص المعاد بما يوافق فهمه ورأيه.

١٠- ادعاؤه معرفة شيء من العلوم الغيبية عن طريق الجفر أو الكشف.

١١- إعادة صياغة أصول علم الكلام القديم بأسلوب يفهم العامة المراد منه.

١٢- إقراره لمصطلحات غلاة الصوفية في رسائله مثل وحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، وغيرها.

١٣- ثناؤه على ملاحدة الصوفية كابن عربي، وجلال الدين الرومي وغيرهما.

١٤- القول بجواز رؤية النبي ﷺ في الدنيا يقظة بعد موته.

١٥- نقده للفلسفة كان نقداً عاماً. مع عدم تفريقه بين الفلسفة والمعرفة. ومتابعة آراء بعض المذاهب الفلسفية في أقوالها كالعدمية.

١٦- يزعم أن لكل ظاهر باطنًا؛ وهذا الباطن هو الحقيقة التي يزعمها الصوفية وغيرهم.

١٧- متابعة النورسي للمتكلمين في إثبات وجود الله تعالى والقول باللوازم التي ظنها المتكلمون من تلك الدلائل.

١٨- متابعة المتكلمين في تعريف التوحيد. وقصره على توحيد الربوبية، وإغفال توحيد العبادة.

١٩- وقوع النورسي في أخطاء شركية في التوحيد بأقسامه الثلاثة.

٢٠- متابعة قول المتكلمين في حقيقة النبوة وأنها مجرد تعلق الخطاب الإلهي بالنبي فقط.

٢١- القول بالعصمة المطلقة للأنبياء والشيوخ المؤمنين.

٢٢- الاضطراب في مسألة عروج النبي ﷺ ما بين العروج المعنوي والعروج الحسي.

٢٣- الأقوال المخالفة لصريح النصوص في مسائل متعددة مثل حُكم أبوي النبي ﷺ، وعمه أبي طالب، وخالد بن سنان، وحنظلة بن صفوان، والدجال، والدابة، ويأجوج ومأجوج، والمهدي.

٢٤- التردد في مسألة تعليل أفعال الله تعالى بين قولي السلف والأشاعرة.

٢٥- موافقة النورسية للأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين.

٢٦- الأخذ بقول الجهمية في الإيمان.

٢٧- الاضطراب في مسائل الإيمان كمسألة زيادة الإيمان ونقصانه، والفرق بين الإيمان والإسلام وحكم مرتكب الكبيرة.

أما النتائج العامة فيمكن إجمالها فيما يلي:

ــ أهمية المراجعات العلمية للدعوات الإسلامية المعاصرة ــ بلا استثناء ــ حيث لا تسلم أي دعوة من إفراط في جانب أو تفريط في جانب آخر. وهذه من طبيعة البشرية التي تخطئ في فهم نصوص الشرع وتتريلها على واقع الناس.

ــ التأكيد على دراسة الأصول الشرعية وبيانها للناس ــ خاصة الدعاة ــ حتى لا يقع التفريط فيها. وبمعرفة الأصول من الفروع تتقرر أحكام كثيرة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك.

ــ أهمية دراسة البدع وطرائقها ومظاهرها في الفكر والسلوك حتى يحصن المجتمع أبناءه من الوقوع في البدع والمنكرات.

ـــ معرفة الأثر السيئ على المجتمع إذا كان متلقياً مقلداً في أصول الدين وفروعه، فلا مُقدس ولا متزه في الإسلام إلا الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

ـــ بيان العواقب السيئة على المسلم إذا لم يتقن لغة القرآن، لأنه بذلك يقطع صـــلته بالتراث الإسلامي كله. مما يجعله صيداً سهلاً للدعوات الضالة والمنحرفة.

ـــ التأكيد على أهمية دراسة السنة المطهرة وعلومها لأي دعوة إصلاحية. وهـــذا ـــ فيما يظهر لي ـــ من أهم موانع الابتداع.

الفهارس العامة:

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الملك	(أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)	١٦	٣٢١
التوبة	(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ)	٣١	١٤٨
التوبة	(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ)	٣١	٣١١
التوبة	(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ)	١٩ — ٢٢	٤٨٨
آل عمران	(إِذْ قَالَت الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ)	٤٥	٣٧٨
التكوير	(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)	١	٤٥٤
الزلزلة	(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)	١	٤٨٣
محمد	(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)	٢٤	٢١٦
المائدة	(أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ)	٧٤	٣٥٧
المؤمنون	(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ)	٦٨ — ٦٩	٤٤٣
هود	(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ)	١٧	٤٢١
النحل	(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)	١٧	٢٨٧
القلم	(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)	٣٥	٤٥٦
القمر	(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)	١ — ٢	٣٨٦
العلق	(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)	١	١٢٩
العصر	(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	٣	٥٧٣
مريم	(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً)	٦٠	٢٥٣
قريش	(الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)	٤	٥٣٦
يس	(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً)	٨٠	٤٥٤
الفرقان	(الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)	٥٩	٣٢٤
الأنعام	(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)	٨٢	٣٩٦
الكهف	(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)	١٠٤	١٤٢
آل عمران	(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ)	١٧٣	٥٥٥
الأعراف	(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ)	١٥٧	٣٨٤

الزمر	(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً)	٩	٢٠٧
الزمر	(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً)	٩	٢١٦،٤٨٩
آل عمران	(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلامُ وَمَا)	١٩	٥٤٤
الكهف	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	١٠٧ — ١٠٨	٤٨٦
الأعراف	(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا)	٤٠	٣٨٤
النساء	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا)	٥٦	٣٨٣
البقرة	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ)	٦ — ٧	٨٩
آل عمران	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ)	٩١	٥٠٠
المائدة	(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)	٣٦	٥٠٠
طه	(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ)	١٥	٤٥٥
البقرة	(إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ)	٢٦	٣٣٠
النساء	(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)	٤٨	٥٥٥
النحل	(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأَحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى)	٩٠	٥٢٥
الدخان	(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)	٥١ — ٥٧	٤٨٥
الزمر	(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ)	٧	٥٢٦
الأعراف	(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)	٥٤	١١٣
الأعراف	(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)	٥٤	٣٢٤
يونس	(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ)	٣	٣٢٤
آل عمران	(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	١٩٠	٢٦٢
الكوثر	(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)	١	٤٨٧
المائدة	(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ)	٤٤	٣٨١
المائدة	(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ)	٤٤	٣٨٣
المائدة	(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ)	٤٤	٤٩٢
القدر	(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)	١، ٢، ٣	١٧٩
الدخان	(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)	٣	١٧٩

النساء	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾	١٦٣	٣٨٣
القمر	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٥٠٥،٥٠٦
يس	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾	١٢	٥٠٩
الإنسان	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾	٢٣	٣٨٣
الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾	١٥	٥٣٩
يس	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	٥٠٩
النحل	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٤٠	٢٥٣
الأنعام	﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾	١٥٧	٣٨٣
الأعراف	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾	١٨٤	٤٤٣
الإسراء	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ﴾	٩٩	٤٥٢
يس	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾	٧١	٣٢٧
العنكبوت	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾	١٩	٤٥٢
الأنعام	﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾	١٢٢	٤٠٤
البقرة	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى﴾	١١٧	٥٠٤
يونس	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾	٣٩	٣٨٦
البروج	﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾	٢١ — ٢٢	١٧٠
المعارج	﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾	٤	٣٢١
البقرة	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى﴾	٢٥٣	٤٨٨
البقرة	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى﴾	٢٥٣	٤٠٦
القدر	﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾	٤	٣٤٩
القدر	﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾	٤	٣٥٣
فاطر	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾	٣٢	٥٤٨
البقرة	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ﴾	٢٣٨	٥٣٧
المائدة	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾	٣	٧٣
المائدة	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾	٣	٢٣٦

الليل	(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى)	٥ — ١٠	٥٠٩
فصلت	(فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ)	٣٨	٣٤٨
البقرة	(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا)	٢٤	٤٩٢
الكهف	(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ)	٧٧	١٦٧
النازعات	(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)	٢٤	١٩٧
فصلت	(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)	١٢	٥٠٤
السجدة	(فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ)	١٧	٤٨٥
الشورى	(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)	١٥	٣٨١
الصافات	(فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ)	١٠٣	٥٢١
سبأ	(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ)	١٤	٩٠
سبأ	(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ)	١٤	٤٧٦
الطور	(فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)	٣٤	٣٩٠
الأنعام	(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ)	١٢٥	٥٢٥
محمد	(فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً)	١٨	٤٦٣
الروم	(فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)	٣ — ٤	٤٤٣
التوبة	(قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)	٢٩	٤٥٢
النمل	(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)	٤٠	٤٣٤
المائدة	(قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ)	١١٩	٣٣١
مريم	(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ)	١٩	٣٧٨
مريم	(قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ)	٩	٢٥٢
ص	(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ)	٢٤ — ٢٥	٤١١
ص	(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ)	٧٥	٣٢٨
الحجرات	(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا)	١٤	٥٤٦
الحجرات	(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا)	١٤	٥٤٤
الحجرات	(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا)	١٤	٥٥٠

آل عمران	(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ)	٤٧	٥٠٩
إبراهيم	(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ)	١٠	٢٧٣
طه	(قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ)	٧٢	٥٠٤
يوسف	(قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ)	١٧	٥٤١
البروج	(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ)	٤ — ٨	٨٦
المؤمنون	(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)	١	٥٤٥
الشمس	(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)	٩	٢١٦
الممتحنة	(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)	٤	١٨٣
آل عمران	(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)	٣١	٩٢
الملك	(قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ)	٢٦	٤٩٦
الكهف	(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)(الكهف: من الآية١١٠)	١١٠	٢٤٤
الأنعام	(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً)	١٩	٤٢٠
الإسراء	(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ)	٨٨	٨٨،٤٣٦
الإسراء	(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ)	٨٨	٣٩٠
يونس	(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً)	٤٩	٩٠
الأعراف	(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً)	١٨٨	٤٣٥
الأحقاف	(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ)	٩	٤٩٠
البقرة	(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ)	٩٧	٣٥٣
النحل	(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)	١٠٢	٣٥٧
النحل	(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)	١٠٢	٣٧٨
يونس	(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدأُ)	٣٤	٤٥٠
الأعراف	(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)	١٥٨	٣٨٧،٤٢٤
السجدة	(قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ)	١١	٣٥٤،٣٥٧
الأنبياء	(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)	٦٩	٤٣٢
البقرة	(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا)	١٣٦	٣٨١٥٤٥،

البقرة	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ﴾	٢١٣	٣٨٢
المطففين	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	٤٩٣
الإسراء	﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾	٢٠	٢٣٣
طه	﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	٨١	٣٣١
المجادلة	﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	٢٢	١٨٣
المجادلة	﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	٢٢	٥٥١،٥٥٢
الأنعام	﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾	١٠٣	٣٣٥
النساء	﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُون﴾	٩٥ — ٩٦	٤٨٨
البقرة	﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾	٢٨٦	١٧٣
الممتحنة	﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ﴾	٨	٥٥٢
الحديد	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾	٢٥	٣١٩
الحديد	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾	٢٥	٣٨١
الحديد	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾	٢٥	٤٢٨
الحديد	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾	٢٥	٤٣٨
الأعراف	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾	٥٩	٢٩١
الأعراف	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾	٥٩	٢٩٢
الفتح	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٨	٣٣١
الفتح	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾	٢٧	٤٤٣
الأنعام	﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	٦٧	١٠٧
الأنبياء	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	٢٨٢،٢٨٣
الأنبياء	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	٢٩١
البقرة	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ﴾	١٧٧	٤٥٢
البقرة	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ﴾	١٧٧	٣٤٩
الفتح	﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾	٢	٤١١
محمد	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾	١٥	٤٨٥

الإسراء	(مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ)	١٥	٤٨٥،٤٢٠
البقرة	(مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ)	٩٨	٣٥٤
الإسراء	(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا)	١٨ — ٢١	٤٨٧
فاطر	(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً)	١٠	٣٠٢،٣٢١
الروم	(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ)	٣١	١٤٩
ق	(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ)	٤٥	٤٦١
الكهف	(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ)	١٣	٥٥٥
الشعراء	(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)	١٩٣ — ١٩٤	٣٤٩
الشعراء	(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)	١٩٣	٣٥٣
الأنعام	(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ)	١٥٨	٤٦٣
الأعراف	(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ)	٥٣	١٠٧
الحشر	(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ)	٢	٤٤٥
الفتح	(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ)	٤	٥٥٥
آل عمران	(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ)	٧	١٠٦
آل عمران	(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ)	٧	١١٦
الجمعة	(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً)	٢	٢١٦
الحديد	(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)	٤	٣٢٤
يونس	(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ)	٧١	٥٠٤
آل عمران	(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا)	٨١	٤٢٤
البقرة	(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا)	٦٠	٤٦٥
البقرة	(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً)	١٢٥	١٦٧
البقرة	(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا)	١٢٦	٤٥٥
الإسراء	(وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ)	٦٠	٤٩٢
التوبة	(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ)	١٢٤ — ١٢٥	٥٥٥
النمل	(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ)	٨٢	٥٧٥

هود	(وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا)	٩٠	٣٠٢
النساء	(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)	٣٦	٤٢٠
البقرة	(وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)	٤٣	٨٩
التين	(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)	١	١٢٩
النور	(وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا)	٩	٣٣١
الزمر	(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)	٣٣	٥٣٧
محمد	(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)	١٧	٥٥٥
فاطر	(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ)	٣٦	٤٩٥
الشورى	(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْأِثْمِ)	٣٧	٥٥٥
نوح	(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً)	١٧ — ١٨	٤٥٥
الأعراف	(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً)	٦٥	٢٩١
الأعراف	(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً)	٨٥	٢٩١
السجدة	(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ)	٢٠	٤٩٥
التوبة	(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ)	٦	٨٦
الانفطار	(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ)	١٠ — ١٢	٣٥٧
النساء	(وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)	١٥٩	٤٧٣
الأنعام	(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ)	١٧	٢٨٤
البقرة	(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا)	١٩٥	٣٣٣
الشعراء	(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	١٩٢ — ١٩٤	٣٥٧
الزخرف	(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ)	٦١	٤٧٣
النمل	(وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)	٣٥	٤٠٤
يس	(وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)	٤١ — ٤٢	٨٦
الكهف	(وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ)	٩٩	٤٧٦
الحج	(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)	٧٨	٥٥٠
النمل	(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً)	١٤	٤٢٩،٥٤٠

الأنبياء	(وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ)	٤٦	٣٩١
آل عمران	(وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ)	٧٣	٣٢٧
الأنعام	(وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ)	١٢١	٢١٤
آل عمران	(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ)	١٦٩	٤٩٠
القصص	(وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ)	٨٨	١٥٨
الإسراء	(وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)	٣٢	٨٩
الزخرف	(وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ)	٨٦	٥٣٧
سبأ	(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ)	١٢	٤٣٣
سبأ	(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً)	١٠	٤٣٤
البقرة	(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ)	٨٧	٣٥٣
النحل	(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً)	٣٦	٢٩١
ق	(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ)	١٦	٣١٩،٣٤٥
ق	(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ)	١٦ — ١٨	٣٥٧
الملك	(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ)	٥	٣٧٨
الصافات	(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ)	١٧١ — ١٧٣	٣٨٧
القمر	(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)	١٧	٤٠٢
السجدة	(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى)	٢١	٧٠
إبراهيم	(وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ)	١٤	١٦٨
لقمان	(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ)	٢٧	٣٦٠
الأنبياء	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ)	٢٥	٢٩١
سبأ	(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ)	٢٨	٤٢٤
الإنسان	(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)	٣٠	٥٢٦
التكوير	(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)	٢٩	٥٢٣
المدثر	(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً)	٣١	٣٤٨،٣٤٩
المدثر	(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً)	٣١	٥٥٥

الأنبياء	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾	٣٤	٤٢٣
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٨٨
ص	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ﴾	٢٧	٤٥٩
يس	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾	٦٩	٦٧
يس	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾	٦٩	٤٤٠
الشورى	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾	٥١	٣٨١
يونس	﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ﴾	٣٧	٤٤٧
الليل	﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾	١٩ — ٢٠	٥٣٧
الصافات	﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾	١٦٤	١٦٨
فصلت	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾	٣٣	٤٤٧
هود	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾	١٨	٥٦١
الإسراء	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾	٧٩	١٦٧
فاطر	﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾	٢٨	٤٩٣
الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٢٢	٢٦٢
النساء	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾	١١٥	٢٩٤
البقرة	﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ ﴾	٧٨	١١٠
الزخرف	﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾	٧٧	٣٥٤
الأعراف	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾	٤٣	٤٨٦
الأنعام	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾	٩٢	٣٨٢
الروم	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	٢٧	٤٥٧
الأنعام	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	١٨	٣٢١
الإسراء	﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾	١٠٩	٥٥٥
مريم	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ﴾	٧٦	٥٥٥
الروم	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾	٥٥	٤٦٣
النساء	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾	١٧١	١٤٨

البقرة	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ)	٢٨٢	٢١٦
الأحزاب	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا)	٤١ — ٤٢	٥٣٧
النساء	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّه)	١٣٦	٣٨١
النساء	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّه)	١٣٦	٥٦٢
التحريم	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ)	٦	٣٤٨
البقرة	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ)	١٧٨	٥٦١
المائدة	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِه)	٥٤	٣٣٣
المائدة	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)	٥١	٥٥١،٤٨٩
المائدة	(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)	٦٧	٤٤٣
الحج	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ)	١	٢٥٣،٤٥٤
البقرة	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي)	٢١	٢٩٢،٢٦٠
الحج	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ)	٥ — ٧	٤٥٠
يوسف	(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا)	٤١	٢٧٩
النحل	(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)	٥٠	٣٢١
النحل	(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)	٥٠	٤٩٢
النساء	(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)	٢٦	٥٢٥
الرعد	(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ)	٣٩	١٧٠
الحجرات	(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا)	١٧	٥٤٥
إبراهيم	(يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ)	٤٨	٤٥٩
الحج	(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)	٢	٢٥٣
ق	(يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ)	٣٠	٤٩٧

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة

فهرس المصادر والمراجع

الإبانة عن أصول الديانة: أبي الحسن الأشعري ت فوقية محمد الطبعة الأولى دار الأنصار. القاهرة.
الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: لأبي عبد الله محمد بن بطه العكبري الحنبلي ت رضا نعسان، عثمان الأثيوبي، يوسف الوابل، دار الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥.
أبجد العلوم (الوشي المرقوم في بيان أحوال العلو) صديق بن التنوجي، دار الكتب العلمية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الطبعة الثانية ١٩٧٨ دمشق.
إبطال التأويلات لأخبار الصفات: لأبي يعلى محمد بن الحسين بن الغراء. ت محمد بن حمد الحمود مطابع القبس التجارية الطبعة الأولى ١٤١٠.
إتمام الإعلام: نزار أباظة ومحمد المالح دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩.
الآثار المرفوعة: النكفوي ت محمد السعيد بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد ١٩٨٩.
أحكام الجنائز وبدعها: الألباني الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤١٢، مكتبة المعارف الرياض.
أحكام القرآن: أبو بكر أحمد علي الجصاص. الرازي ،ت محمد الصادق قمحاوي ١٣٣٥ طبعة مصورة دار المصحف — القاهرة.
إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة- بيروت.
أخبار الحلاج: تعليق وتصحيح عبد الحفيظ بن محمد مدني هاشم. رمل الإسكندرية الطبعة الثانية ١٣٩٠.
آداب الشافعي ومناقبه: ابن أبي هاشم ت عبد الغني عبد الخالق- سوريا- مكتبة التراث الإسلامي ١٣٧٣.
الأذكار: النووي، دار الفكر، لبنان ١٩٨٣.
الإرشاد الساري لصحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني. المطبعة الأميرية ببولاق. الطبعة السادسة ١٣٠٥
أسئلة العصر المحيرة: فتح الله كولن، دار النيل للنشر والتوزيع
أساس التقديس: الفخر الرازي – مؤسسةالكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥.
أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة. مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨.
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ملا علي القاري ت محمد الصباغ، نشر دار الأمانة- مؤسسة الرسالة ١٣٩١.

الأسس الفكرية لدعوة الإصلاح عند بديع الزمان سعيد النورسي: ذو الكفل زين العابدين – ماجستير. كلية العلوم – جامعة القاهرة ١٤٢١.

الأسماء والصفات:أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي.خدمه محمد زاهر الكوثري.مطبعة السعادة،مصر

الإسماعيلية المعاصرة: محمد أحمد الجوير الطبعة الأولى ١٤١٤.

إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي. ت إحسان قاسم الصالحي. دار سوزلر إستنبول الطبعة الثالثة ١٤٢٠.

الإشاعة لأشراط الساعة: محمد رسول البرزنجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني –مطبعة السعادة. الطبعة الأولى ١٣٢٨ مصر.

إصطلاحات الصوفية: محمد عبد الرازق رسالة دكتوراة. مخطوط.

أضواء البيان: محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي. نشر مكتبة ابن تيمية. القاهرة، ١٤٠٨.

إعجاز القرآن اللغوي في فكر النورسي. عبد الرزاق عبد الحمن السعدي. ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان: ٣١٢ شركة نسل ط، ١٩٩٦.

إعلام الموقعين: ابن قيم الجوزية. ت: عبد الرحمن الوكيل نشر دار الكتب الحديثة. القاهرة.

الإعلام خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٧.

أعمال المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان: طبع نسل إستانبول– الطبعة الأولى ١٩٩٦.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لابن قيم الجوزية ت محمد سيد كيلاني مطبعة النور الإسلامية– بيروت.

أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات – مرعي وسط الكرمي ت شعيب الأرناؤوط ط ١٤٠٦.

إلجام العوام عن علم الكلام: ابن حامد الغزالي ت محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٦.

إلى التصوف يا عباد الله: أبي بكر الجزائري، دار البخاري، القصيم ١٤٠٤هـ.

الإمام بديع الزمان سعيد النورسي: جمال الأحمر، دار الشهاب للنشر، عمار قرفي – باتنة الطبعة الأولى ١٤٠٤

الإمام سعيد النورسي وآراءه الكلامية: أحمد محمد سالم رسالة دكتوراة – مخطوط - كلية الآداب جامعة

طنطا ٢٠٠٠.
الآمدي وآراؤه الكلامية: د.حسن الشافعي دار السلام القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٨.
الإنسان الكامل : عبد الكريم الجيلي الطبعة الرابعة ١٣٩٥.
الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني ت محمد زاهر الكوثري مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٩٦٣ مصر.
أنوار البروق في أنواع الفروق: أحمد بن إدريس عبد الرحم القرافي، بيروت دار المعرفة (٣٤) ١٣٤٧.
الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: عبد الوهاب الشعراني حققه وقدم له طه عبد الباقي سرور الطبعة الأولى.
الأوضاع الثقافية في تركيا: رسالة دكتوراة. سهيل صابان. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٥. مخطوط.
إيثار الحق على الخلق(في رد الخلافات إلى مذهب الحق في أصول التوحيد): أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني. دار الكتب العلمية، بيروت.
إيضاح الدليل: محمد إبراهيم بن سعد بن جماعة، ت وهبي سليمان غاوجي الألباني. دار السلام للطباعة الطبعة الأولى ١٤١٠.
الإيمان: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ضمن أربع رسائل) ت محمد ناصر الدين الألباني المطبعة العمومية- دمشق.
الإيمان: محمد بن اسحاق بن منده ت علي محمد الفقيهي نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦
الإبريز: عبد العزيز الدباغ. مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده. ميدان الأزهر.
الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت البغا دار ابن كثير، دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٧
اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية:لابن القيم ت عواد المعتق الطبعة الأولى١٤٠٨
الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لإمام الحرمين الجويني ت محمد يوسف وآخرون مكتبة الخانجي مصر ١٣٦٩.
الاستقامة: لشيخ الإسلام ابن تيمية ت: محمد رشاد سالم نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.
الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

خدمه أحمد عصام الكاتب دار الآفاق الجديدة الطبعة الأولى بيروت ١٩٨١.
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: الفخر الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨.
الاقتصاد في الاعتقاد: أبي حامد الغزالي دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣.
الباهر في حكم النبي بالباطن والظاهر: جلال الدين السوطي ت سعيد اللحام ط١ ١٩٩٢.
البحر المحيط: لابن حيان الأندلسي. مكتبة النصر الحديثة. الرياض.
بدائع الفوائد: ابن القيم تعليق وتصحيح محمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢.
البداية والنهاية:أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي دار الريان للتراث.القاهرة.الطبعة الأولى ١٤٠٨
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني مطبع السعادة الطبعة الأولى ١٣٤٨ مصر نشر دار المعرفة بيروت.
البدع والنهي عنها: محمد بن وضاح القرطبي ت عمرو عبد المنعم ط١ ١٤١٦.
بديع الزمان سعيد النورسي فكره ودعوته:
بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره: ١٩. إحسان قاسم الصالحي طبع سوزلر إستانبول ١٩٨٧.
بديع الزمان والأسرار الدينية: عبد القادر بادللي: ٥١٩ ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان شركة نسل ط١ ١٩٩٦.
بردة المديح: محمد بن سعيد البوصيري. ت محمد سعيد الكيلاني، القاهرة مطبعة الحلبي، الطبعة الثانية ١٩٧٣.
البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان: السكسكي الحنبلي ت د.بسام العموش، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨.
البعث والنشور: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت: عامر أحمد حيدر. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية الطبعة الأولى ١٤٠٦.
بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد: ابن تيمية ت موسى الدرويش الطبعة الأولى ١٤٠٨ مكتبة دار العلوم.

بغية المستفيد لشرح منية المريد: محمد العربي السائح، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٩.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ عيسى البابي الحلبي القاهرة.

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: شيخ الإسلام ابن تيمية، اعتنى به محمد بن عبد الرحمن بن قاسم مطبعة الحكومة الطبعة الأولى ١٣٩١.

البيان في إعجاز القرآن: صلاح عبد الفتاح الخالدي ط٣ ١٤١٣.

تأويل مختلف الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

تاج العروس شرح القاموس: الزبيدي، تصوير عن طبعة بولاق، دار الفكر.

التاريخ الإسلامي: محمود شاكر. المكتب الإسلامي الطبعة السابعة ١٤١١.

تاريخ السلطنة السنارية: محمد بن الحاج أبو علي ت بصيلي عبد الجليل دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١.

تاريخ الفكر الأوربي الحديث: دونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي ط ٣ ١٤١٥.

تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم ١٩٣٦م.

تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرقة الهالكة: أبو المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني ت: كمال الحوت الطبعة الأولى ١٤٠٣ عالم الكتب- بيروت.

تبيين كذب المفتري: لابن عساكر الدمشقي ت محمد زاهر الكوثري نشر دار الكتاب العربي – بيروت

تجريد التوحيد: للمقريزي ت العمران الطبعة الأولى عالم الفوائد.

التحفة العراقية في الأعمال القلبية: ابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى ج ١٠)

تحفة المحتاج في شرح المنهاج: ابن حجر الهيثمي، دار إحياء التراث العربي.

تحفة المودود بأحكام المولود:ابن القيم ت عبد المنعم العاني، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٣

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: للسيوطي ت عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥.

التدمرية: ابن تيمية ت محمد بن عودة السعدي الطبعة الأولى ١٤٠٥.

التذكرة في الأحاديث المشتهرة: للزركشي ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٦.
ترانيم روح واستجابة قلب : فتح الله كولن تعريب اورخان محمد علي دار النيل للطباعة والنشر استنبول ط١
تربيتنا الروحية: سعيد حوى، دار الكتب العربية بيروت: ١٩٧٩.
ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الرابعة ١٤١٧.
تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد:هاينتس كرامر، تعريب: فاضل جتكر، العبيكان الطبعة الأولى ١٤٢٢.
تسهيل المنطق: عبد الكريم مراد الأثري، دار مصر للطباعة القاهرة ١٤٠٢.
التسهيل لعلوم التنزيل: تفسير ابن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥.
التصوف المنشأ والمصادر: إحسان الهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الأولى ١٤٠٦.
التصوف بين الحق والخلق: محمد فهرشفقة، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣.
تطهير الاعتقاد عن أدران الشرك والإلحاد: محمد بن إسماعيل الصنعاني، الطائف، مكتبة الطرفين ١٤١١ ضمن مجموعة "عقيدة الموحدين".
التعريفات: للجرجاني ت إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥.
التعرف لمذهب أهل التصوف: محمد الكلاباذي، ت آرثر بري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥.
التعاريف: محمد عبد الرؤوف الحناوي ت د. محمد رضوان الدين دار الفكر المعاصر - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠.
تعظيم قدر الصلاة: للمروزي ت عبد الرحمن الفريوائي الطبعة الأولى ١٤٠٦ مكتبة الدار بالمدينة.
التعليقات على العقيدة الواسطية
تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): للحافظ ابن كثير الدمشقي ت محمد إبراهيم البنا وآخرون دار الشعب.
التفسير القيم: للإمام ابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي ت محمد حامد الفقي دار الكتب العلمية - بيروت.
تفسير المنار (التفسير المختصر المفيد للقرآن المجيد): محمد رشيد رضا، راجعه زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٤٠٤.
تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني ت عبد الوهاب عبد اللطيف. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

تقريب الوصول إلى علم الأصول: أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي،ت: عبد الله الجبوري ط١ ١٤٢٢

التقرير والتجير في شرح التحرير: ابن أمير الحاج، دار الكتب العلمية.

التلال الزمردية : فتح الله كولن تعريب احسان الصالحي دار النيل للطباعة والنشر القاهرة

تلبيس إبليس: ابن الجوزي صححه وعلق عليه: محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: للحافظ ابن عبد البر القرطبي. طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي علق عليه محمد زاهر الكوثري الطبعة الثانية.

تهذيب الأسماء واللغات: يحي بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني باعتناء إبراهيم الزيبق، عادل مرشد مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٦.

تهذيب اللغة: الأزهري حققه عبد السلام هارون راجعه محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للثقافة.

التوحيد: أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي. ت فتح الله خلف الناشر دار الجامعات المصرية.

التوسل والوسيلة: شيخ الإسلام ابن تيمية ت زهير الشاويش المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة عبد الرحمن السعدي، تقديم محمد زهري النجار، دار المدني جدة ١٤٠٨.

تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الثالثة ١٤١٤.

جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): للإمام الطبري، مطبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٨

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.

الجد الحثيث: للعامري ت بكر عبد الله أبو زيد، دار الراية الطبعة الأولى ١٤١٢.

جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام: ابن قيم الجوزية، مكتبة المثنى بالقاهرة.

جلال الدين الرومي: أبو الفضل القونوي، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢١.

جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ط ١٣٨٥ سوريا.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح شيخ الإسلام ابن تيمية ت علي بن حسن وآخرون دار العاصمة،

الرياض
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي:ابن قيم الجوزية – بيروت - دار الكتب العلمية - ط١ ١٤٠٣.
حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ابن قيم الجوزية، ت السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩.
حاشية الجمل: سليمان منصور العجيلي، دار إحياء التراث العربي
حاشية العطار على شرح المحلى على جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية.
الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني الملقب بقوام السنة. ت/محمد ربيع، ومحمد أبو رحيم، الرياض، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١.
الحدود الأنيقة: زكريا بن محمد زكريا الأنصاري ت د. مازن المبارك دار الفكر المعاصر بيروت الطبعة الأولى ١٤١١.
الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية: محمد سليمان البغدادي، مكتبة الحقيقة ١٤٠٧.
الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا: د.أحمد نوري النعيمي دار البشير عمان. الأردن. الطبعة الأولى ١٤١٣.
الحركة الإسلامية الحديثة: مصطفى محمد طحان، ألمانيا الغربية، الطبعة الأولى ١٤٠٤.
حركة الإصلاح في عصر السلطان محمود الثاني: د.محمد البحراوي دار التراث. القاهرة. الطبعة الأولى ١٣٩٨.
الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى: محمد ربيع مدخلي الطبعة الأولى ١٤١٩ مكتبة لينة للنشر. دمنهور
الحكومة الإسلامية
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني تصوير دار الكتب العلمية عن طبعة مصر
حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار. ت محمد بهجت البيطار. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق ١٣٨٠.
خطط الشام: محمد كرد علي. دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٠.
خلق أفعال العباد: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري ت عبد الرحمن عميرة نشر دار المعارف السعودية ١٣٩٨.
الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي دار الفكر ط١ ١٤٠٣.
الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد: الشوكاني، علق عليه وخرج أحاديثه أبو عبد الله الحلبي، الطبعة الأولى

١٤١٤.
درء تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام ابن تيمية ت د. محمد رشاد سالم.
الدرر السنية في الرد على الوهابية: أحمد زيني دحلان، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٠.
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني ت محمد سيد جاد الحق، ط ١٩٦٦
دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين الشنقيطي نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٧.
دقائق التفسير: الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، ت محمد السيد الجيلي،ط ٣ ١٤٠٦.
دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكرى الصلاة على النبي المختار: محمد سليمان الجزولي. طبع في مصر ١٣٤٢.
الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها: د.عبد العزيز الشناوي مكتبة الأنجلومصرية القاهرة. مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠.
ديوان أبي الطيب المتنبي: المكتبة الثقافية، لبنان، بيروت.
ديوان ابن الفارض: عمر بن علي الفارض، المكتبة الثقافية، بيروت.
رجال الشيعة في الميزان: عبد الرحمن عبد الله الزرعي، الطبعة الأولى ١٤٠٣.
الرجل الصنم: ضابط تركي سابق. مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٧.
الرد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد: علق عليه محمد حاند الفقي دار الكتب العلمية دلهي الهند الطبعة الأولى ١٣٥٨.
الرد على الأخنائي: شيخ الإسلام ابن تيمية ت عبد الرحمن المعلي المطبعة السلفية. القاهرة (انظر مجموع الفتاوى ٢٧)
الرد على القائلين بوحدة الوجود: العلامة علي بن سلطان القاري ت علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق الطبعة الأولى ١٤١٥.
الرد على المنطقين: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، نشر عبد الصمد شرف الدين، المطبعة القيمة، بومباي ١٣٦٨
رسائل العدل والتوحيد (مجموعة كتب المعتزلة):ت محمد عمارة دار الشروق الطبعة الثانية ١٤٠٨.
رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي: جمع وتحقيق الدكتور: موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى ١٤١٠.

رسالة التوحيد: إسماعيل عبد الغني الدهلوي، نقل الأصل إلى العربية وقدم له وعلق عليه أبو الحسن النووي ١٤١٧

روح المعاني: للألوسي طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.

رياض الصالحين: للنووي، ت محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٦.

زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، ت شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسال، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٧.

سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان: أديب إبراهيم الدباغ – الكويت – دار الوثائق ط١ ١٩٨٦.

سعيد النورسي رجل القدر: أورخان محمد علي شركة نسل للطباعة أستنبول. الطبعة الأولى ١٤١٦.

السلسة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥ مكتبة المعارف للنشر والوزيع – الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧.

السلطان عبد الحميد حياته وأحداث عصره: أورخان محمد علي دار الوثائق. الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٧.

السنة: لأبي بكر الخلال ت عطية الزهراني الطبعة الأولى ١٤١٠ دار الراية – الرياض.

سنن أبي داوود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ت محمد محيي الدين عبد الحميد نشر دار الفكر

سنن ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ت محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار الفكر.

سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت محمد عبد القادر عطا نشر مكتبة دار الباز ١٤١٤.

سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ت أحمد محمد شاكر وآخرون نشر دار إحياء التراث العربي.

سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي تحقيق فواز أحمد زولي، خالد السبع العلمي نشر دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٧

سنن النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ت عبد الفتاح أبو غدة نشر مكتب المطبوعات الإسلامية الطبعة الثانية ١٤٠٦.

سير أعلام النبلاء: للذهبي ت شعيب الأرناؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السابعة ١٤١٠.

السيرة الذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع سوزلر للطباعة والنشر. استانبول. الطبعة الأولى ١٤١٩.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي المكتب البخاري بيروت.

شرح أسماء الله الحسنى : القشيري ط٢ ١٩٨٦ دار أزال للطباعة بيروت

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي ت أحمد سعد حمدان دار طيبة الرياض.

شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار الهمذاني، ت: د.عبد الكريم عثمان. مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ١٩٦٥

شرح السنة: البغوي ت شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٠.

شرح العقيدة الطحاوية: علي بن أبي العز ت د. عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٣.

شرح العقيدة الواسطية للهراس: ضبط نصه وخرج أحاديثه علوي السقاف، دار الهجرة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١.

شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني دار المعارف النعمانية باكستان الطبعة الأولى ١٤٠١.

شرح المواقف للجرجاني ت أحمد المهدي نشر مكتبة الأزهر القاهرة ١٣٩٦.

شرح النووي على صحيح مسلم: المطبعة المصرية ومكتبتها القاهرة.

شرح قصيدة الإمام ابن القيم: أحمد بن إبراهيم عيسى. ت: زهير لشاويش المكتب الإسلامي. الطبعة الثالثة ١٤٠٦.

الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول- الطبعة الأولى ١٤١٣.

شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل: لابن القيم دار التراث القاهرة.

الشفرة الوراثية للأنسان :دانييل كيفليس عالم المعرفة (٢١٧) شعبان ١٤١٧

الصارم المنكي في الرد على السبكي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥.

الصحاح: الجوهري ت أحمد عبد الغفور عطا مطابع دار الكتاب العربي – مصر. طبع على نفقة حسن شربتلي.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان: محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي ت شعيب الأرناؤوط نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٤.

صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن الحسين القشيري النيسابوري ت محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار لإحياء التراث العربي.

الصفدية: شيخ الإسلام ابن تيمية ت محمد رشاد سالم شركة مطابع حنيفة الرياض ١٩٧٦.

الصواعق المرسلة: ابن قيم الجوزية. ت: د.علي الدخيل الله. دار العاصمة. الرياض. الطبعة الثانية ١٤١٢.

صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام: جلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية بيروت.

صيقل الإسلام: رجمة إحسان قاسم الصالحي. طباعة شركة سوزلر. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤١٦

ضحى الإسلام: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة

ضعيف الجامع: الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩.

طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي ت محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

طبقات الشعراني: عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر العربي، القاهرة.

طبقات الصوفية: أبي عبد الرحمن السلمي ت نور الدين شريبة نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٤٠٦.

الطبقات الكبرى: عبد الوهاب الشعراني ط دار الفكر العربي – القاهرة .

طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية – ضبط نصه وعلق عليه عمر بن محمود أبو عم – نشر دار ابن تيمية دار الحديث.

الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها: فريد صلاح الهاشمي العبر للنشر والتوزيع إستانبول الطبعة الثانية

٢٠٠١.
العالم الإسلامي والمكايد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري: فتحي يكن، ط١ ١٤٠١ مؤسسة الرسالة
العبر في خبر من عبر: محمد بن أحمد الذهبي، دار المطبوعات والنشر، الكويت، ت صلاح الدين المنجد ١٩٦٠
العثمانيون في التاريخ والحضارة: محمد حرب: دار القلم.دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٩.
عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر – ط ٨ ١٩٧٣ – مطبوعات النجاح – القاهرة.
العقيدة الأصفهانية: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت إبراهيم سعيداي مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥.
عقيدة السلف أصحاب الحديث: الصابوني ت بدر البدر الدار السلفية الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٤.
عقيدة المؤمن: أبو بكر جابر الجزائري، دار الشروق، جدة، الطبعة الخامسة ١٤٠٧.
العلل: للدارقطني ت محفوظ الرحمن زين الله السلفي دار طيبة الطبعة الأولى ١٤٠٥
العلل المتناهية:
العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ: صالح بن المهدي المقبلي اليمني، مكتبة دار البيان، دمشق.
عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد العيني. نشر ١٣٩٢.
عمل اليوم والليلة: النسائي ت فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦.
العهد الجديد (الإنجيل) (ومعه العهد القديم): دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط.
العواصم من القواصم: لأبي بكر العربي ت عمار الطالبي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر الطبعة الثانية ١٩٨١.
غاية الأماني في الرد على النبهاني: محمد شكري الألوسي. المطبعة العربية. لاهور١٤٠٣.
غاية المرام في علم الكلام: الآمدي ت حسن عبد اللطيف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي مصر القاهرة ١٣٩١.
غريب الحديث: ابن قتيبة ت عبد الله الجبوري مطبعة العاني بغداد الطبعة الأولى ١٣٩٧.
الفائق: محمود بن عمر الزمخشري ت علي البجاوي – محمد أبو الفضل، دار المعرفة لبنان، الطبعة الثانية.
فتاوى السبكي: علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعارف.

فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين: جمع فهد السليمان، دار الوطن، الرياض.

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء نشر ١٤٠٨

فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني المطبعة السلفية القاهرة.

فتح العلي المالك من الفتوى على مذهب الإمام مالك: محمد بن أحمد المشهور بالشيخ عليس، دار المعرفة.

فتح القدير: الشوكاني وثق أصوله وعلق عليه: سعيد اللحام دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢

فتح المجيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب دار الطرفين الطائف، دار العليان القصيم، الطبعة

فتح رب البرية بتلخيص الحموية: محمد العثيمين (ضمن رسائل العقيدة) مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤.

الفتوحات المكية: ابن عربي (محيي الدين محمد بن علي) تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق عام١٢٩٣

الفردوس بمأثور الخطاب: لشيروية ت السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي. ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

فرقة الأحباش: سعد بن علي الشهراني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٣.

الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم ت محمد إبراهيم د. عبد الرحمن عميرة. دار الجيلي- بيروت.

فصوص الحكم: محمد بن علي بن عربي، ت أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٤٦.

الفهرست: محمد بن اسحاق بن النديم، دار المعرفة بيروت ١٣٩٨.

الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: الشوكاني ت عبد الرحمن بن يحي المعلمي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٠.

الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة: مرعي المقدسي ت د. محمد لطفي الصباغ دار الوراق الطبعة الثالثة ١٤١٩.

فوات الوفيات والذيل عليها: محمد شاكر الكتبي ت إحسان عباس دار الثقافة بيروت.

في ظلال القرآن: سيد قطب دار الشروق القاهرة الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٧.

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: ابن تيمية المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠.

القاموس المحيط: الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧.

قانون التأويل: ابن حامد الغزالي – ط عزت الحسيني – القاهرة ١٣٥٩. نشر محمد زاهر الكوثري.

القرآن الكريم والفيزياء الحديثة: إبراهيم محمد عوير دار الفارابي. بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١.

قراءة النجوم والخط والطالع بين الحقيقة والخرافة: مجدي محمد الشهاوي ١٤٠٩

قصة الفلسفة الحديثة: أحمد أمين، زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة ١٩٦٣.

قصة الفلسفة: ويل ديورانت ترجمة أحمد الشيباني دار القارئ العربي ط٢ ١٤١٤

القضاء والقدر: د.عبد الرحمن المحمود، دار النشر الدولي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤.

قطف الثمر: محمد صديق حسن خان القنوجي د. عاصم عبد اله القريوتي شركة الشرق الأوسط الطبعة الأولى ١٤٠٤.

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: الشيخ محمد بن عثيمين مكتبة الكوثر الإسلامية: ١٤٠٦.

القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به د.سليمان أبا الخيل، د.خالد المشيقع، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥.

الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: ابن القيم الجوزية، ت عبد الله العمير، دار ابن خزيمة. الرياض، ١٤١٦.

الكامل: ابن عدي دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤..

كتاب التوحيد: ابن خزيمة، ت عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

كتاب التوحيد عبد الرحم بن محمد بن قاسم ط١ ١٣٩٦

كتاب الشريعة: أبي بكر الآجري ت حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر ١٣٦٩.

كسر شيفرة المورثات (الجينوم):كيفن ديفس تعريب د.ياسر العيتي مكتبة العبيكان ١٤٢٣

كشف الخفاء: العجلوني ت أحمد القلاش مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٥.

كشف الظنون: حاجي خليفة. دار الفكر ١٤٠٢.

كشف المحجوب: علي عثمان الهجويري، ت أسعد قنديل، دار النهضة، بيروت ١٩٨٠.

الكشف عن حقيقة الصوفية: محمد عبد الرؤوف القاسم. المكتبة الإسلامية الأردن. الطبعة الثانية ١٤١٣.

الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ت د. محمود حسن الشيباني مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤٠٩.

الكلمات: سعيد النورسي، ت إحسان قاسم الصالحي، نشر دلر سوزلر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٢.

الكليات لأبي البقاء الكفوي: مؤسسة الرسالة، بيروت.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للمتقي الهندي، ت بكري حياتي، صفوت الشقا، مكتبة القران، حلب.

الكواشف الجلية من معاني الواسطية: شيخ الإسلام ابن تيمية، لعبد العزيز السلمان، طبعة ١٤١٠.

اللألي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى .

لسان العرب: ابن منظور دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤.

لسان الميزان: ابن حجر ت دائرة المعارف النظامية الهند. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الطبعة الثالثة ١٤٠٦.

لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة: للجويني ت فوقية حسين محمود عالم الكتب لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٧.

اللمع ف: أبي نصر السراج الطوسي، ت عبد الحليم محمود وآخرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٠.

اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: أبي الحسن الأشعري، صححه وعلق عليه حمودة غرابة نشر سنة ١٩٥٥

اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول- الطبعة الأولى ١٤١٣.

لوامع الأنوار البهية: السفاريني، مع حاشيته لأبي بطين، وابن سحمان، المطبوعة على نفقة آل ثاني.

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي. دار القلم. الكويت. الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٠.

مباحث في علوم القرآن: ٢٦١. صبحي الصالح دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثامنة.

المثنوي العربي النوري: ٣١ بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طباعة شركة سوزلر. القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٥.

مجلة البحوث الإسلامية: ٢٠٧ - ٢٤٣ عدد ٣٧

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو بكر الهيثمي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٧.

مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة ١٤١٦.

مجموعة التوحيد: محمد عبد الوهاب.

مجموعة الرسائل والمسائل: شيخ الإسلام ابن تيمية. علق عليها محمد رشيد رضا طبعة مصورة عن طبعة المنار، توزيع دار الباز مكة المكرمة.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني نشر سنة ١٨٦٩

المحجة في بيان الحجة وشرح عقيدة أهل السنة: قوام السنة لأبي القاسم إسماعيل ت محمد ربيع مدخلي ط١ ١٤١١.

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين: فخر الدين الرازي، تعليق طه عبد الرؤوف سعد الطبعة الأولى ١٤٠٤ دار الكتاب العربي.

المحلى: علي بن أحمد بن حزم ت أحمد شاكر دار التراث القاهرة.

محمد "صلى الله عليه وسلم": كارين أرمسترونج ترجمة د. فاطمة نصر، د. محمد عناني كتاب سطور الطبعة الثانية ١٩٩٨.

مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي ت محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥.

مختصر الصواعق المرسلة: اختصره محمد بن الموصلي توزيع رئاسة البحوث العلمية والافتاء في الرياض تصحيح زكريا علي يوسف ١٤٠٠هـ.

مختصر العلو للعلي الغفار: الذهبي اختصره، وعلق عليه، وخرج أحاديثه الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى١٤٠١.

مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية: ابن عبد الله بدر البعلي، صححه محمد حامد الفقي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤٠٦.

مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول: أبي شامة المقدسي، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه: صلاح الدين مقبول أحمد ١٤٠٣

المخصص: علي بن سيده، تصوير بيروت عن طبعة القاهرة.

مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية ت محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية – القاهرة ١٩٥٦.

مدارك التزيل وحقائق التأويل: عبد اللله النسفي، دار الكتب العلمية ١٤١٥.

المدخل لدراسة العقيدة: إبراهيم بن محمد البريكان دار السنة للنشر والتوزيع، الخبر الطبعة الثالثة ١٤١٥.

مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمن بدوي دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١م.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: الملا القاري، المكتبة الأمدادية، باكستان.

مسائل الإيمان: للقاضي أبي يعلى، ت سعود الخلف، دار العاصمة، الرياض ١٤١.

مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية: محمد بن عبد الوهاب دار الفتح للطباعة والنشر ١٤١٦.

المستدرك على الصحيحين: للحاكم وفي ذيله "تلخيص المستدرك" للذهبي، دار الفكر بيروت.

مسند الإمام أحمد: ت أحمد شاكر دار المعارف بمصر ١٩٧١.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للفيومي المكتبة العلمية، بيروت.

مصرع التصوف: برهان الدين البقاعي ت عبد الرحمن الوكيل نشر عباس أحمد الباز ١٤٠٠.

مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبت ت كمال يوسف الحوت مكتبة الرشد الطبعة الأولى ١٤٠٩.

المصنوع: للقاري ت عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٣٩٨.

معارج القبول: حافظ بن أحمد الحكمي دار ابن القيم. الدمام الطبعة الأولى ١٤١٠.

معالم أصول الدين: فخر الدين محمد بن عمر الرازي خدمة طه عبد الرؤوف سعد دار الكتاب العربي لبنان ١٤٠٤.

معجم اصطلاحات الصوفية :عبدالرزاق الكاشاني ت د عبدالعال شاهين دار المنار القاهرة ١٩٩٢

معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة: محمد العدناني مكتبة لبنان، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦.

المعجم الأوسط: للطبراني ت حمدي عبد المجيد السلفي مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية ١٤٠١.

المعجم العربي الحديث: (لاروس) مادة زندق خليل الجر، باريس، مكتبة لاروس ١٩٨٧.

المعجم الفلسفي: د.جميل صليبا. الشركة العالمية للكتاب ١٤١٤.

معجم القواعد العربية: عبد الغني الدقر دار القلم دمشق الطبعة الثانية ١٤١.

معجم الكبير (للطبراني): ت حمدي عبد المجيد السلفي الدار العربية بغداد الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

معجم المؤلفين: عمر رضا كحاله دار إحياء التراث العربي بيروت.

المعجم المفصل في النحو العربي: د. عزيزة فوال بابتي دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣.

معجم المناهي اللفظية: بكر عبد الله أبو زيد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠.

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. قام بإخراجه الدكتور إبراهيم أنيس وزملائه، ط المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا.

معجم لغة الفقهاء : محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قنبجي ط ٢ ١٤٠٨

معجم مصطلحات الصوفية: عبد الغني الحفني، دار المسيرة. بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠.

معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم: د.محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية.

معجم مقاييس اللغة: ابن فارس. ت.عبد السلام هارون. مكتبة الحلبي، مصر الطبعة الثانية.

مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج: شمس الدين محيي الشربيني، دار الكتب العلمية.

المغني عن حمل الأسفار: أبو الفضل العراقي، ت أشرف عبد المقصود مكتبة طبرية الطبعة الأولى ١٤١٠.

مفاهيم يجب أن تصحح: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨.

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: طاش كبرى زادة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن القيم تصوير دار الفكر، لبنان، على طبعة مصر.

المفردات في غريب القران: الراغب الأصفهاني ت محمد سيد كسلاني. مطبعة البابي الحلبي- مصر ١٣٨١.

المقاصد الحسنة: للسخاوي ت محمد عثمان الخشت دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٥.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين: ابن الحسن الأشعري، ت محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٩.

مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح: ابن الصلاح، مؤسسة الكتب الثقافية بدون تاريخ

المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبي حامد الغزالي طبع بعناية بسام الجابي، الطبعة الأولى ١٤٠٧، الجفان والجابي للطباعة والنشر.

المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول- الطبعة الأولى ١٤١٣.

الملاحق ملحق قسطموني: بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. طبع شركة النسل استانبول- الطبعة الأولى ١٤١٥.

الملل والنحل: عبد القادر البغدادي ت ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت.

مناقب الإمام أحمد: أبي الفرج ابن الجوزي، ت عبد الله التركي، مطبعة الخانجي، مصر ١٩٧٩.

مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد الزرقاني، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دائرة المعارف العثمانية الطبعة الأولى ١٣٥٩.

المنقذ من الضلال: للغزالي ت جميل صليبا، وكامل عياد دار الأندلس، بيروت الطبعة التاسعة ١٩٨٠.

منهاج السنة النبوية: شيخ الإسلام ابن تيمية ت د. محمد رشاد سالم نشر مكتبة ابن تيمية الطبعة الثانية ١٤٠٩

الموازين وأضواء على الطريق :فتح الله كولن تعريب اورخان محمد علي دار النيل للطباعة والنشر القاهرة ط٣

الموافقات: ابن اسحاق طبي، علق عليه: عبد الله دراز، ومحمد عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت.

المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية: محمد أمين الكردي الأربلي.

الموسوعة السياسية: عبد الوهاب الكيالي وآخرون. المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٧. بيروت.

الموسوعة العربية الميسرة: دار نهضة لبنان للطبع والنشر- بيروت ١٩٨٨.

الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، طبع ذات السلاسل الطبعة الثانية ١٤٠٨.

الموسوعة الفلسفية المختصرة: نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل وآخرون دار القلم بيروت.

الموسوعة الميسرة في الأديان: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر الطبعة الثالثة ١٤١٨. الرياض.

الموضوعات: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر الطبعة الثامنة ١٤٠٣

موقف ابن تيمية من الأشاعرة: عبد الرحمن المحمود. مكتبة الرشد. الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥.

موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين: مصطفى صبري. دار إحياء التراث العربي.

ميزان الاعتدال: للذهبي ت علي محمد معوض/ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٦.

النبوات: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. نشر المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٦.

النخبة البهية: المالكي ت زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٩.

نعمة الذريعة في نصرة الشريعة: إبراهيم محمد إبراهيم الحلبي، ت علي رضا عبد الله، دار المسير، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩.

نهاية الإقدام في علم الكلام: عبد الكريم الشهرستاني صححه وحرره الفرد جيوم.
نهاية المحتاج إلى شرح ألفاظ المنهاج: شمس الدين محمد الرملي (الشافعي الصغير)، دار الفكر
النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير ، ت طاهر الزاوي، محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ١٩٦٣.
النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم : فتح الله كولن دار النيل للطباعة والنشر القاهرة
النورسي في رحاب القرآن: عشراتي سليمان. شركة سوزلر مصر ١٩٩٩ الطبعة الأولى.
النونية لابن القيم بشرح الهراس: مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤٠٧. (انظر الكافية الشافي)
هذه هي الصوفية: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٤.
الوابل الصيب من الكلم الطيب: ابن قيم الجوزية، ت عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق الطبعة الثانية ١٣٩٩.
واقعنا المعاصر: محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر الطبعة الثالثة ١٤١٠ جدة.
وحي المحمدي: محمد رشيد رضا المكتب الإسلامي بيروت الطبعة العاشرة ١٤٠٥.
وفيات الأعيان: ابن خلكان. طبع بمصر ١٣١٠.
اليانع في البروج والطوالع والسنين الهجرية والميلادية: عبد الله إبراهيم أبو عباة، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١.
يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار: محمد صديق حسن خان، تقديم السيد الجيلي ١٤٠٨

فهرس المحتويات